

فهم عبادي الذين يستمعون لقول فينبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاهد من بؤني الحكمة قد أدنى
غيرا كثيرا وما يسكر إلا أو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق

(مصر رجب سنة ١٣٢٥ - آخره الاحد ٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧)

نموذج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علامتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علامتها أرقام بين أقواس فهي لما وافق فيها العهد القديم والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

الفصل السادس عشر (١)

(التعليم الجبية التي علمها لتلاميذه بخصوص الارتداد عن الحياة الشرعية)
 وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل (١) فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعطيم قائلاً ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله (٢) علينا فترتب علينا من ثم ان نعبده باخلاص قلب ٤ وكما ان الحجر الجديدة توضع في أوعية جديدة: (٣) هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجلاً جديداً اذا أردتم ان تعلموا التعليم الجديدة التي ستخرج من في ٥ الحق أقول لكم كما انه لا يتأتى للانسان ان ينظر بعينه السماء والارض معاً في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم (٤) ٦ لا يقدر رجل أبداً ان يخدم سيدين (٥) أحدهما عدو للآخر (ج) لانه اذا أحبك أحدهما ابغضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حقاً انكم لا تقدر ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والبسع والخبث (٦) ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلاً

(١) الحمد لله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نعمة الله كبر (ث) مثلاً في بني آدم عينان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك لا يمكن ان تسمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن الجسد ان يخدم سيدين عدو أحدهما الآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم العهد الدنيا والله تعالى منه (١) ت ١: ٥ (٢) مت ٩: ١٧ (٣) مت ٦: ٢٤ ولو ١٦: ١٣ (٤) ١ يو ١٩: ٥

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ اذا فاعبدوا الله واحترقوا العالم ١١ اذ مني
تجدون راحة لنفوسكم^(١) ١٢ اصيخروا السمع لكلامي لاني اكلتكم بالحق
١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتعززون^(٢)
١٤ طوبى للمساكين^(٣) الذين يمرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم
سيتممون بملاذ ملكوت الله
١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله^(٤) لان الملائكة ستقوم

على خدمتهم

١٦ انتم مسافرون كسياح ١٧ ايتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً
وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلاً ثم كلاً ولكنه يحمل أشياء خفيفة
ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلاً لكم ٢٠ واذا احييت
مثلاً آخر فاني اضربه لكم لكي تفعلوا كل ما اقوله لكم
٢١ « لا تثقلوا قلوبكم بالرغائب العالوية قائلين من يكسونا^(٥) او من
يطعمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذاها
الله (ا) ربنا بمجد اعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقكم
ودعاكم الى خدمته هو قادر ان يفتد بكم ٢٤ الذي ازل المن^(٦) من
السماء^(٧) على شعبه اسرائيل في البرية اربعين سنة وحفظ اوابهم من
ان تصق او تبلى^(٨) ٢٥ اولئك الذين كانوا ست مئة واربعين ألف رجل^(٩)
خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق اقول لكم ان السماء والارض

(١) (الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكرك منه
(١) مت ٢٩: ١١ (٢) مت ٤: ٥ (٣) مت ٣: ٥ (٤) مت ٦: ٥ (٥) مت ٢٥: ٦
(٦) مت ١٦: ٢١-٣ (٧) مت ٤: ٨ (٨) خر ١٢: ٣٧ عدد ٤٦: ١ و ٢١: ١١

تهنان^(١) بيد ان رحمة لا تمن للذين يتقونه^(٢) ٢٧ أغنياء العالم هم على رعايتهم
 جياح وسيلكون^(٣) ٢٨ كان غني ازدادت^(٤) ثروته فقال ماذا أفعل
 يا نسي ٢٩ اني اهدم اهراتي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أكبر
 منها فتظفرين بمنك يا نسي « ٣٠ انه لخاسر لانه في تلك الليلة توفي ٣١
 ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وان يجعل لنفسه اصدقاء من
 صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢
 وقولوا لي من فضلكم اذا وضعت دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم
 عشرة اضعاف وعشرين ضعفاً أقل تعطون رجلاً كهذا كل مالكم ٣٣
 ولكن الحق أقول لكم انكم معها أعطيتم وتركتم لاجل محبة الله
 فستردونه مئة ضعف مع الحياة الابدية^(٥) ٣٤ فانظروا اذا كم يجب
 عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (٧)

(علم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيليس انا لراغبون في خدمة الله
 ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله^(٥) لان اشيا النبي قال « حقا انك
 لا إله^(٦) محتجب^(٧) ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا^(٧) »

(١) أقول لك هذا الكلام حق ينهم السماء والارض واما من يخاف الله لا ينقطع
 رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيتم في سبيل الله من
 الاشياء اعطى كم الله في مقابلته مائة خبأ منه (ت) هذا سورة إخراج (ث) الله خفي

(١) مر ١٣: ٣١ (٢) يوح ١: ٥ (٣) لو ١٦: ٣ (٤) مت ٢٩: ١٩

(٥) يو ١٤: ٦ (٦) ان ١٥: ٤٥ (٧) خر ١٤: ٣

٤ أجاب يسوع يافيلس ان الله صلاح بدونه لا صلاح ٥ ان الله موجود بدونه لا وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء (أ) ٧ هو عظيم حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا تد له ٩ لا بداية ولا نهاية له (ب) ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية (ت) ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشراء (ث) له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبيه (د) بشري ١٤ لانه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وابسط البساط (هـ) ١٥ وهو جواد لا يجب الا الجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صنفح فلا مرد له ١٧ وبالاختصار أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته الى الابد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا ١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في أشعيا ان الله أبونا (١) فكيف لا يكون له بنون ؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(أ) الله واحد لا كف له حق سبحانه وتعالى خيراً لا خيراً الا هو وكذلك حيوته وفاته منه (ب) الله أكبر الله قديم وباق (ت) لا أول لله « لا أول لله » ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولاً وآخراً (ث) الله تعالى لا أب له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يشكل ولا ينام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزه من كل مخلقات ولا مركب له ولا يتركب من الاشياء لكن لطيف بالذات منه (ج) الله قائم وباق وسبحان ولطيف وخير فوائدهم وغفور منه (ح) الله لا تدركه الابصار منه

(١) أشعيا ٦٣ : ١٦ و ٦٤ : ٨

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لان كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين
 أنا الذين أرسلهم^(أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمعيات بظلام ٢٢ ولكن
 سيأتي بعدي بهاء^(١) كل الانبياء والاطهار^(ب) فيشرق نورا على ظلمات
 سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله^(ت) ٢٤ ولما قال هذا تنهد يسوع
 وقال ٢٥ اراؤا اسرائيل أيها الرب الاله^(ث) وانظر بشفقة على ابراهيم
 وعلى ذريته لكي يخدموك باخلاص قلب

٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله^(ج)

٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكتبة والعلماء قد أبطلوا
 شريعة^(٢) الله بنبواتهم^(ح) الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله^(خ) الصادقين
 ٢٨ لذلك غضب الله على بيت اسرائيل وعلى هذا الجيل التليل الايمان
 ٢٩ فبكي تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا أرحمنا يا الله^(٣) زأف^(د) على الهيكل
 والمدينة المقدسة ولا تدفنها الى احتقار الامم لكي لا يحتقروا عهدك
 ٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب الاله أبائنا^(ذ).

(أ) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيحى من بعدي نورا الانبياء والاولياء منه
 (ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله كريم (ج) الله سلطان (ح) الله
 قهار (خ) اليهود ومحرفون الكلم من بعد مواضعه منه هذا وبهذه الثمار هذا انا
 شهيد وهذا الكتاب يحرفون اكلم في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان
 لها آياتنا

١٣: ٧ مر (١) ١٣: ٧ مر (٢) ١٣: ٧ مر (٣) ١٦: ٩

الفصل الثامن عشر (١)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله قديم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال : « لستم أنتم الذين اخترتموني ^(١) بل أنا
اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أنفضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي ^(٢)
٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله وتذكر والانباء الاطهار الذين قتلهم
العالم كما حدث في أيام ايليا ^(ب) اذ قتل ايزابيل عشرة آلاف نبي حتى بالجهد نجى
ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء ^(٣) الذين خبأهم رئيس جيش
أخاب ٤ أوامه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٥ اذاً لا تخافوا أنتم ^(٤) لان
شعور رؤسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظر والمصفور الدروري والطيور الاخرى
التي لا تسقط من اريشة بدون ارادة الله ٩ أيعتي ^(ت) الله بالطيور أكثر
من اعتنائه بالانسان الذي لاجله خلق كل شيء ١٠ ايتفق وجود انسان
أشد اعتناء بمجداته منه بانه ١١ كلامك كلاً (١٢) أفلا ^(ث) يجب عليكم
بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهلككم وهو المعني بالطيور ١٣ ولكن لماذا
اتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله ^(ج)
١٤ « صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهبكم اذا حفظتم
كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أنفضكم ولكنه يخشى فضيخته

(١) سورة توكيل (ب) في زمان الياس يقتل اليهود عشرة آلاف أنبياء

غير الحق منه (ت) الله وكيل وحافظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط
ورق من الشجر الا بإرادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥: ١٦ (٢) يو ١٥: ١٩ (٣) ١ مل ١٨: ٤ و ١٣ (العدد هناك مئة

ولعل ما هنا هو المراد باني وامل ١٩: ١٨ (٤) مت ١٠: ٢٨-٣٠ ولو ١٢: ٥١-٥٧

ولذلك ينفضكم ويعظيكم (١) ١٦ فاذا رأيتم العالم يستوين بكلامكم
فلا تحزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو اعظم منكم قد امتهان به أيضاً
العالم حتى حسبت حكمته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل (ب) العالم بصبر
فماذا تحزنون انتم يا ارباب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون انفسكم (١) ١٩
فاذا لطمكم امد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه (٢) ٢٠ لا تجازوا شراً
بشر (٣) لان ذلك ما تقعه شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا
الشر بالخير (ن) وصلوا لله لاجل الذين ينفضونكم (٤) ٢٢ النار لا تظفأ
بالنار بل بالماء لذلك اقول لكم لا تظبوا الشر بالشر بل بالخير (٥) ٢٣
انظروا الله (ث) الذي جعل شمس تطلع على الصالحين والاطالحين (٦) وكذلك
المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تقبلوا خيراً مع الجميع لانه مكتوب في الناموس
كونوا قديسين لاني انا الهكم قدوس (٧) (٨) كونوا اقياء لاني انا نقي
وكونوا كاملين لاني انا كامل (ح) (٩) ٢٥ الحق اقول لكم ان الخادم
يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوباً يفر منه سيده ٢٦ واتوا بكم هي ارادتكم
ومحبتكم ٢٧ احذروا اذا من ان يريدوا او يحبوا شيئاً غير مرضي لله (خ)
ربنا ٢٨ اتقوا ان الله يبعث بهرجة وشهوات العالم لذلك انفضوا انتم العالم

« ا » الدنيا لا تحب عباد الله الاخير لانها خافت ان يكشف واوشاقها : يكشفوا
شقاوتها ؟) وتقصد للمباد ان تصيب البلاء والضرر منه « ب » الله صبر « صبور ؟ »
الله عليم « ت » مثلاً لا يدفع النار « بالنار » كذلك لا يدفع الشر « بالشر »
منه « ث » الله رازق « ج » الله ولي وقدوس وكامل « ح » يقول الله
تلى في التوراة يا بني اسرائيل كنوا ولياً قاني ولي وكنوا طاهراً فثني طاهر وكنوا
كاملاً فثني كامل منه « خ » انه سلطان

(١) لوقا ١٩ : ٢١ (٢) مت ٣٩ : ٥ (٣) ١ بط ٩ : ٢ (٤) مت ٤٤ : ٥ ولوقا ٢٨ : ٦
(٥) روم ١٢ : ٢١ (٦) مت ٤٨ : ٥ (٧) لا ٢ : ١٩ (٨) مت ٥ : ٥ (٩) مت ٤٨ : ٥

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

ان سيرة عظماء الرجال ، ابرحون على تربية الاجيال ، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المهددين المشار اليهم بحديث « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرک والبيهقي في المعرفة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسيأتي ذكر شي من أقوال الفقهاء والمؤرخين والصوفية فيه . لذلك همت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال العظام ابدأ فيه بملخص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

﴿ أصله ومنشؤه ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد لم أر احدا ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأساؤم عربية ولكن نسبة لا يعرف منها فهو امامن العرب الذين تطلقوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لعراقتهم في الاسلام . وانك لتجد كثيرا ممن يتكلمون في التاريخ يجهزون بنسب العلماء الذين نشأوا ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون أنهم من الفرس وان فلانا فارسي الاصل والمنشأ حتى ان منهم من يعد اصحاب الانساب العربية المصروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضرابهم . ومن أسباب هذا القلط فيما أرى اشتهار قول ابن خلدون ان أكثر علماء الملة من العجم وهو مخطئ في هذا الحكم ومخطئ فيما عله به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نبغوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كمن ذكرنا آقا ومنهم العجمي كسيويه ومنهم المجهول نسبة كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على أنه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتغاله

العلم من بلاغته مع قلة ممارسته للفنون العربية
أما ما ينسب إليه الفزالي فقد اختلف فيه وفي ضمه هل هو بالتخفيف أو
التشديد وقد جاء في ترجمة أبي حامد لشارح الأحياء في ذلك مانصه :
« قال صاحب نسخة الإرشاد تقياً عن الإمام النووي في دقائق الروضة التشديد
في الفزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير وبلغنا أنه قال منسوب إلى غزاة
بمخفيف الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضاً في
البيان . وقال الذهبي في السير وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم
وجرجان يقولون القصارى والجباري بإياء فيها نسبوه للفزل وقالوا
الفزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السعدي أيضاً وأنكر التخفيف
وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الإياء قالوا
لنا كيد وفي تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب إلى نفس الصنعة وبين
المنسوب إلى من كانت صنعته كذلك وهذا ظاهر في الفزالي فإنه لم يكن ممن
ينزل الصوف ويبيعه وإنما هي صنعة والده وجده . ولكن في المصباح للنهومي ما يؤيد
التخفيف وإن غزاة قرية بطوس وإليها نسب الإمام أبو حامد . قال أخبرني بذلك
الشيخ محمد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل خوارزمي
ابن عبيد الله بن ست الما بنت أبي حامد الفزالي بغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي
أخطأ الناس في تثقيب جدنا وأعمامه مخفف . وقال الشهاب الحفاجي في آخر شرح
الشفاء : ويقال أنه منسوب إلى غزاة ابنة كعب الأجداد وهذا إن صح فلا محذور
عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والأنساب أن القول قول
ابن الأثير أنه بالتشديد »

وله أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي
في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده ينزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس
فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخبر
وقال له إن لي لأسفا عظيماً على تلم الخط وأشتهي استوداك ما فاتني في ولدي
هذين فعلهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل

الصوفي على تعليمهما الى أن في ذلك النور اليسير الذي خلفه لها أبوها وتمذر على الصوفي القيام بقوتها فقال لها: اعلمي اني قد أنفقت عليك ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجرب يد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة فانكمن طلبه العلم فيحصل لكما قوت بعنكما علي وقتكما: ففعلنا ذلك وكان هو السبب في سمادتهما وعلو درجاتهما وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » اه

فأنت ترى أن الغزالي نشأ فقيراً وكذاك أكثر الناضين في الأمم او المصور التي لا إزمام فيها بالتعليم والتربية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم . والأغنياء يشغلهم الترف والنعيم عن الجد والاجتهاد في العلم لاسيما في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي وتاهيك بما كان في طي المسافات من المشاق

﴿ طلب الغزالي للعلم ﴾

قرأ في صباه طرفاً من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذ كاني في بلده (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليقة وعاد الى طوس . قال الامام أسعد الميمني فسمعت يقول فطمت علينا الطريق وأخذ البيارون جميع مامعي ومضوا فتجتهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع وبحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنفعون به . فقال لي وما هي تعليقتك ؟ فقلت كتب في تلك المحلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة عليها . فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت عليها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها و بقيت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي المحلاة (قال الغزالي) هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي . قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضاً الوزير نظام الملك

أقول وفيها من العبرة لمثل طلاب الأزهر ان هذا الإمام العظيم ما وصل الى ما وصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون العلم صفة من صفاته لأن يفهم ما يأخذه عن العلماء اذا هو قرأه فقط فينبغي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لأجل أن يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راوياً لأقوال العلماء ولو مع الفهم لأن من يفهم علم غيره لا يعد هو عالماً الا اذا هو أشرب العلم وصار له فيه فهم خاص يقدر على الاستدلال عليه ودفع معارضة المخالفين عنه، وصار بحيث لو رجع عنه من نقل عنه لا يرجع هو

قال السبكي ثم ان الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصول والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى لرد عليهم وإبطال دعاويهم ووصف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها، وأجاد وضعها وترصيفها، كذا نقل النقلة عنه وأنا لم أر له مصنفاً في أصول الدين بعد شدة الفحص الا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صغرى (نذا)

أقول وقائه كتاب الاقتصاد في الاعتقاد . وظاهر قوله « وقرأ الحكمة والفلسفة » انه لم يقرأها على إمام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المقصد من الضلال) وفيه انه صنف كتاباً في الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الاسماعيلي وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في التصوف « ومن مشايخه أيضاً يوسف السجاج وفي الحديث أبوسهل محمد بن أحمد ابن عبيد الله الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيى ابن محمد السجاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرواسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه فهو لاء شيوخه في العلوم الثلاثة: - يعني الفقه والتصوف والحديث - أقول وهؤلاء الكثيرون الذين سمع منهم الحديث انما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحاته -

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فإن عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به إن شاء الله تعالى . وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المتقد من الضلال : اه

أقول أنه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فهما وما كان للزبيدي أن ينقل عن ذلك . ولم يذكره شيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل أنه أخذ عن الرادكاني مع الفقه شيئاً من مبادئها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد القافر الفارسي خطيب نيسابور وكان من معاصريه أنه كان مما يتعرض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فأنصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج إليه في كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأديب والفصحاء عن أمثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيمضون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه و يمدروه فما كان قصده إلا الممانعة وتحقيقها ، دون الألفاظ وتلفيقها ، اه كلام عبد القافر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوباً وأحسن بياناً وأشد تأثيراً كما نجد فهمه للكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك متعنى المقصد من الفنون العربية كلها فإذا كان الوصول إلى هذا المقصد ممكناً مع الاقلال من الاشتغال بالنحو فلماذا يضيع الماقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهري والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على أن كتاباً منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من الغزالي بنفس النحو فعليه أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل الغزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه واللاتيان بالكلام البليغ منه قولاً وكتابةً ولذلك طريق غير كثيرة مزاوله كتب النحو التي يضعف منها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأزهر إذا كيا لاسيما من كان منهم عربي اللسان يسهل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

فإن كاتب هذه السطور قرأ كثيراً من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يتيسر للأعاجم . وقد يستدل بهذا على أن الفزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها الا ما لا تخلو عنه طبيعة المحاطة للأعاجم من التعريف والتخيل الا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار العارف بالفارسية يتلقاها بالعلم وهذا ما ينكره كثير من العارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فإنه يقول ان لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الفزالي يعرف الفارسية وأف فيها ولو كان فارسي الاصل وهو من العامة لكانت لغته الأصلية ومثله لا يصير بليناً بالعربية الا بعد اشتغال بالفنون طويل قبلاشته ونصاحته وسلامة عبارته من المعجزة على كونه من العامة يرجح كونه عربي الاصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام في ثلثي العلم والمعرفة فيها للطالبين

﴿ تخرجه وتصدية للإفادة ﴾

قلنا أنه اشغل أولاً بطوس وكانت مدينة أهلة بالعلم والعلماء في الجملة وكان يومئذ مرافقاً ثم في جرجان وكانت فوق طوس في العلم والعمران ثم في المدرسة النظامية بنيسابور أعظم معاهد العلم في خراسان وما زال فيها يختلف الى دروس امام الحرمين علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل ان شيخه كان يجد منه شيئاً في نفسه وان كان يفخر به في الأوكاسيات . ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ هـ خرج الفزالي الى المسكر وهي محلة بالقرب بنيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فحل من مجلس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب بنيسابور في ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حاتم الفزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تر العميون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً ، وذكاً وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس من اتقاه على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم بنيسابور مختلفاً الى درس امام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريية وبرز الأقران ، وحل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، في أيام امام الحرمين .

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويوحد لهم ويجهزهم في نفسه .
 وبلغ الأمر به الى أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو
 عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصفى نظره الى الغزالي سراً لاربابه
 تليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان تخرجها
 به منتسبا اليه كما لا يخفى من طبع البشر ولكنه يظهر التبحر به والاعتداد بمكانه
 ظاهراً خلاف ما يضره .

« ثم بقي كذلك الى اقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وصار الى الصكر
 واحل من مجلس نظام الملك محل القبول وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته، وظهور
 اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء،
 ومعد الأئمة والفصحاء ، فوقت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة
 وملاقات الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق،
 وارتفق ذلك أكل الارتفاق، حتى أدت الحال به الى أن رسم للمعير الى بغداد
 لقيام بتدريس المدرسة الميمنية النظامية بها فصار اليها وأعجب الكل بتدريسه
 ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

« ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف، وجدد المذهب
 في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضا تصانيف ، وعلت
 حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأ كابر والأمرء ودار الخلافة
 فانقلب الأمر من وجه الى آخره اه المراد من كلام عبد الغافر هنا ومنه تعلم
 أن رياضة العلوم الظاهرة قد انتهت اليه في سن الشباب حتى كان يوصف بحجة
 الاسلام وإمام أئمة العصر وهو لم يشتغل بالتلقي عن العلماء الا بضع سنين
 أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذاً مما سر من انه لم يطلب العلم من أول سن التمييز بل بعد
 عجز الوصي عليه وعلى أخيه من الفقه عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المتقدم
 الضلال » ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن - وقد
 أنافت السن على الخمسين - اقتنعت لجة هذا البحر الخ ماسباني . وقد علم من
 كلام معاصره عبد الغافر ومن كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

إمام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت من الغزالي ٢٨ سنة أي أنه كان متخرجاً قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تبيين طلاب العلم إلى مسألة أرجو انتفاع أذ كبارهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالتنقيح والنهصيل قلما تأتي بفائدة بل هي عنوان البلادة وخمود الذهن وخمول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابضين من العلماء والحكماء لم يقبلوا في معاهد التعليم والتنقيح زمننا طويلاً . وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر . وقد كان الأستاذ الامام بعد سنوات قليلة يحاضر دروس بعض العلماء في علم ويده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الغزالي لنفسه وتعلّمه وتصوّفه ﴾

العلوم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح الانسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد - أحدها أن يعرف الفن بحسب ما قاله الواضعون له والمصنفون فيه اتباعاً لهم وتقليداً . ثانيها أن يعرفه كما عرفه الواضعون بما آخذوه ودلائله بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يبالي فيه وانق الواضعين أو خالفهم وإنما يتحرى فيه ما يراه صواباً . ثالثها أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له ويجعله وسيلة للعمل . وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد يوجدان بدونهُ يوجد أوف من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قروا الفنون العربية والشرعية وبعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثيرون قرأوها بالقصد الثاني وما كان المحصلون لثمراتها من الآخرين فضلاً عن الأولين إلا الأقلين فكلم من عالم بمسائل النحو البلاغة واسم الاطلاع لم يصلح له انهُ ولا قدمه فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح ، به البليغ الفصيح ، وكلم من عالم بأحكام الحلال والحرام ، والفضائل والذائل ، فاسد لاخلق ، مرتكب للمحرمات ، وكلم من عالم بقوانين المنطق بمجرد عن تحديد حقيقة ، واقامة البرهان على عقيدة ، وكلم من بارع بصناعة الحججة ، يهر يوفي علم الكلام ، وهو فاسد الاعتقاد ، أو منطو على الإلحاد ، وان لنا في سيرة حجة الاسلام ، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام ،

شرح أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المتقين فأرشده رئيس الميارين الذين نهبوه منصرفه من جرجان الى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماما في زمن قصير لأن المستقل بنظره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد الذي يأخذ كل ما يلقي اليه بالتسليم في سنين كثيرة . وما كل أحد كالفزالي ترشده كلمة بلفظها قاطع الطريق الى مثل هذه الحقيقة التي يجعلها أكثر المشغولين بالعلم . وانما يترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الفزالي في القدرة العليا وقد بقرأ سيرته هذه بطولها وتفصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد الى نور الاستقلال لضف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني الذي لا يعالجه صاحبه عن مرتبة الصانع بل حاول في كل علم قرأه الوصول الى غايته ، والتحقق بحقيقته ، فإذا كان بالعلوم العربية كاتباً بليغاً وخطيباً مفوهاً وعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركناً للمذهب ، أراد أن يكون هو في نفسه على يقين من كل ما يمتد . وان يكون عمله عمرة علمه ، فربى نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمعرفة المسائل والدلائل فقط بل لا بد فيه من الترية والمجاهدة وماك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصاً من كتابه (المنقذ من الضلال) قال بعد البسلة والحمد لله والتصلية

« أما بعد فقد سألتني أبا الأخ في الدين أن أبحث اليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائقة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المذاهب والطرق ، وما استعجرات عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار ، وما استفدته أولاً من علم الكلام ، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين للدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثاً من طرق الفلاسف ، وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف ، وما أنجلي لي في تضاعيف تفنيشي عن أقاويل الخلق ، من لباب الحق ، وما صرقي عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول

المدة ، فابتدرت لاجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت
مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه وملتجئا اليه ،
« اعلوا احسن الله ارشادكم » وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في
الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق ، وتباين الطرق ،
بهر عميق غرق فيه الأكتيون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم انه
الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين وهو
الصادق المصدوق حيث قال « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عنفوان شبابي وقد أنافت السن على الحسين أقنم لجة
هذا البحر العميق اقتحام الجسور ، لاخوض الجبان المذور ، وأتوغل في كل
مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطه ، وأتفحص عن عقيدة كل
فرقة ، وأسكتف أسرار مذهب كل طائفة ، لايميز بين محق ومبطل ، ومنسن
ومبتدع ، لاأغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على بطائنه ، ولاظاهرها الا وأريد
أن أعلم حاصل ظهارته ، ولافلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولامتكلما
الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولاصوفيا الا وأحرص على
الشور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وأرصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا
زنديقا مطلا الا وأنجس وراه لتنبه لاسباب جرأته ، في تعطيله وزندقته ،
« وقد كان التيطش الى حقائق الأمور دأبي وديني ، من أول أمري ،
وريمان همري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلي ، لا باختيارى وحيلتي ،
حتى أنحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على (كذا) العقائد الموروثة ، على
قرب عهد بن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ،
وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على
الاسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
« كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد
الوالدين والاساتذين ، والتميز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز
الحق منها عن الباطل اختلافات »

« فقلت في نفسي أولا انما مطلوبني العلم بمخائق الأمور فلا بد من طلب
العلم بمخائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظنرت لي ان العلم اليقيني
هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط
والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا
لليقين مقارنة لوعدى باظهار بطلانه مثلا من يتلب الحجر ذهباً والحية ثعبان ،
لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة
فقال لي قائل « لابل الثلاثة أكثر بدليل أي قلب هذه العصا ثعباناً » وشاهدت
ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته
عليه فأما الشك فيها علمته فلا . ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ،
ولا أيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فليس لعلم يقيني

(القول في مداخل السفسطة وجهد الموم)

« ثم فحشت عن علمي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة
الاني الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطعم في اقتباس
المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها
أولا لأتبين أن ثقتي بالمحسومات وأماني من التلط في الضروريات من جنس
أماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات
أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غاية له ؟ فأقبلت بمجد بليغ أتأمل في المحسومات
والضروريات وأنظر هل يمكنني ان أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك
الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسومات أيضاً وأخذ يتسع هذا الشك
فيها ويقول من أين الثقة بالمحسومات وأقواها حاجة البصر وهي تنظر الى الظل
فتراه واقفا غير متحرك ونحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تحرف

أه ينحرك وأنه لم ينحرك بقية ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . وتنظر الى الكوكب قراء صغيرا في مقدار دينار ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

هـ هذا وأمثلة من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لا سبيل الى مدافعته . فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلهذا لا ثقة الا بالعقل التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكبر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا ومدوما واجبا محالا

هـ فقالت المحسوسات : بم تأمن أن تكون ثققتك بالعقل كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فقل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا نجلى كذب العقل في حكمه كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استنطاقه ؛ فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالاتها بالنام وقالت : اما تراك تعتقد في النوم أمورا وتنجيل أحوالا وتصدق لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع منخيلاتك ومعقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة الى حالتك . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك يوما بالإضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة تبنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها أولم تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالات توافق هذه المقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الناس قيام فاذا ماتوا اتجهوا» (٥) فقل الحياة الدنيا نوم بالإضافة الى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(٥) قال في الدرر المنثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

على خلاف ما شاهده لآن ويقال له عند ذلك (٢٢٠: ٥٠) فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد)

« فلما خطرت هذه الخواطر اتقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر
اذلم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا
لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين
أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله
تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات
العقلية مقبولة مؤثوقا بها على أمن و يقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام
بل بنور قدفه الله تعالى في الصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف
فن ظن أن الكشف موقوف على الأداة المهددة فقد ضيق رحمة الله الواسعة
ولما سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومضاه في قوله تعالى (٢٢: ٣٩) أفن
شرح الله صدره للاسلام) قال « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل وما
علامته فقال « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي
قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خالق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣)
فن ذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحياء ويجب التوصل له
كما قال عليه السلام « ان لي بكم في أيام دهركم فضحات الا فترضوا لما » (٤)
« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتى ينتهي

- (١) سنتكلم عن هذا النور في موضع آخر بما يزيدنا ثاقبا (٢) رواه الحاكم
والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو
انهم سأوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور
القلب انشراح له وانفتح » قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله فقال « الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور » وهو في الظاهر خلاف الآية فانهم
(٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع
الصغير بالصحة وتتمته « فن أصابه ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطاه ضل »
(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واخفى ومن طلب مالا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

(القول في اصناف الطالبين)

« ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفطة) فضله
وسعة جوده انحصرت اصناف الطالبين (أي الحق في الاعتقاد) في أربع فرق
المتكلمون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر ، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب
التعليم والمخصوصون بالاقبال من الامام المعصوم ، والعلامة وهم يزعمون انهم
اصحاب المنطق والبرهان ، والصوفية وهم يدعون انهم خواص الحضرة وأهل
المشاهدة والكاشفة . فقلت في نفسي الحق لا يمدو أصحاب هذه الاصناف
الاربعة فهو لام السالكين سبيل طلب الحق فان شأ الحق عنهم فلا يبقى في
درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقه اذ من شرط التقليد
أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكمرت زجاجة تقليده وهو شخب لا يرأب
وشمت لا يلم بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صبغة أخرى
مستجدة . فابتدرت لسلك هذه الطرق ، واستقصاء ما عند هذه الفرق ، مبتدئا
بعلم الكلام ، ومثليا بطريق الفلسفة ، ومثلا بتعاليم الباطنية ، ومرعا بطريق
الصوفية ، »

هذا ما كتبه الامام الغزالي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من
العلم بطريق التقليد زما وبطريق الاستقلال زما آخر . وقد ذكر بعد ما تقدم
فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصله وعقله وطالع كتب المهققين فيه وصف
فيه ما شاء أن يصف قال فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي : وبين
أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحرمانها عن تشويش أهل البدعة
وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجؤم الى التسليم
بها وهي التقليد أو الاجماع أو مجرد القبول من القرآن أو الاخبار . قال « وكان
أكثر خوضهم في استخراج مناقضات المعصوم ومواخذتهم بلوازم مسلأتهم وهذا

قليل النعم في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً فلم يكن الكلام في حقي كافياً ، وللهادي الذي كنت أشكوه شافياً ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود عليهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية التصوي فلم يحصل منه ما يعمو بالكلية ظلمات الجيرة في اختلافات الخلق ولا أهدأ أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات . والترض الآت حكاية حالي لا الإنكار على من استثنى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الهواء وكم من دواء ينفع به مريض وينضر به آخره اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما ينم منها ويكفر منعه وما ليس كذلك قال « ثم اني ابتدأت بمد الفراغ من علم الكلام بلم الفلسفة وعلت يقيناً ان لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائبة فاذا ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقا ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمه الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات مقدمة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بخلاف عامي فضلا عن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في محاية . فشرت عن ساق الجد في تمصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصديف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والافادة اثلاث مئة نفر من الطلبة ببغداد فأطمني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلصة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أوأظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة أعاوده

وأردده وانفقد فوائده وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتليس وتحقير
وتخيل اطلاقاً لم أشك فيه .
ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيبات
والآيات وسياسيات وخلقيات وبين رأيه فيها وسنذكره . وانقل من ذلك الى
الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وغائكه

قال « ثم اني لما فرغت من علم الفلاسفة وتحصيله وتفهيمة وتزييف ما يزيىف منه
علت ان ذلك أيضاً غير واف بكال الفرض وأن العقل ليس مستقلاً بالاحاطة
بجميع المطالب ولا كاشفاً لقطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبئت نابتة التعليلية
وشاع بين الخلق تحديدهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق،
عن لي أن أبحث عن مقالاتهم لأطلع على ما في كتبهم . ثم اتفق أن ورد علي أمر
جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يستني
مدافته وصار ذلك مستحاً من خارج ضمنية للباحث الأصلي من الباطن
« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كلماتهم المستعدثة
التي ولدتها خواطر أهل العصر لا على النهاج المهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات
ورتبته ترتيباً محكماً مقارناً لتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل
الحق مني مبالغتي في تقرير حججهم وقال : هذا سعي لهم فانهم كانوا يهجزون عن
نصرة مذهبهم لمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها : وهذا الانكار
من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث الهامسي تصديقه في الرد على
المدثرقة فقال الحارث الرد على البدعة فرض : فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم
أولاً ثم أجت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بفيه ولا يلتفت الى الجواب
ولا يفهم كنهه : وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . اما
اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية . نعم ينبغي
أن لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلف . ولم أنكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت

لك الشبهة من واحد من أصعاب المختلفين اليّ بمدان كان قد اتحق بهم واتحل
مذمبهم وحكى أنهم يضحكون على تعانيف المصنفين في الرد عليهم فأهم لم يفتهموا
بعد حجتهم فلذلك أوردتها لئلا يظن بي أي وإن سمعها لم أفهمها فلذلك قررتها .
والمقصود أي قررت شبهتهم الي أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها ثم بين
ذلك ملخصاً في عدة صفحات . وليس بيان ذلك من مقصدنا إنما المقصد سيرة هذا
الإمام وبيان كيفية تربيته لنفسه وعمرة ذلك فيها وفيما قصد اليه من الإصلاح

القول في طريق الصوفية

ثم أي لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهتي على طريق الصوفية وعلمت
أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتزوه عن
اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الي تخليّة القلب عن غير الله
تعالى وتخليته بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم
من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طاب المكي رحمه الله وكتب الحارث
الحاسبي والمنفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك
من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصد علمية وحصلت ما يمكن أن
يحصل من طريقهم بالتلم والسماع وظهوري ان أخص خواصهم مالم يمكن الوصول
اليه بالتعلم بل بالتذوق والحال وتبدل الصفات فكم من الفرق بين أن يعلم حد
الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشبان وبين
أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تنصاعد من
العدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر
وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما
معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها
وهو فاقد للصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها
وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا أنهم أرباب
أحوال لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق

الا ما لا سيبل اليه بالسماح والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صني العلوم الشرعية والمغلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل بأسباب وقرآن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار الفرور والاناة الى دار الخلود والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهروب عن الشواغل والملايق ثم لاحظت احوالي فاذا انا منفس في الملايق وقد احدثت بي من الجوانب ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثا ومحركا طلب الجاه وانتشار الصيت فبينت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم ازل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأوخر عنه أخرى لا تصفولي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حمة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبي سلاسلها الى المقام ومنادي الايمان بنادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة ففي تستعد، وان لم تقطع الآن ففي تقطع: فبعد ذلك تنبث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك أن تطاوعها فانها سريرة الزوال وان أدعت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتفتيش والامر بالمسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما ألقت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم ازل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواهي الآخرة قريبا من ستة أشهر اولها رجب سنة ثمان وثمانين

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً طبيياً لقلوب المختلفة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب بطل منه قوة الهضم وقرم الطعام والشراب فكان لا ينساع لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم من العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه يسرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالصلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم: ثم لما أحسست بمعجزتي وسقط بالكلمة اختياري التجأت إلى الله تعالى التبعاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي (يجيب المضطر إذا دعاه) وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب وأظفرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أوري في نفسي سفر الشام حذراً من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد علي عزم أن لا أعاودها أبداً واستبدت لأمة أهل العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض مما كنت فيه سبباً دينياً إذظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستثمار من جهة الولاية وأما من قرب من الولاية فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي واعراضهم عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر معاوي وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصود للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذ العالم ليماله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقت به قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب فذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها علي نفسي ثم دخلت منها إلى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأغلق

بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فرضة الحج والاستعداد من بركات مكة
والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات
الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبني الممم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت ابعد
الحنق عن الرجوع اليه وآرت العزلة أيضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب لئلا
وكانت حوادث الزمان ومهيات الميال وضرورات المعاش تغيرني وجه المراد
وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة اكني مع ذلك
لا أقطع طمعي منها فقد فني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخطوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصارها واقدر الذي أذكره ليتفجع به أي علمت يقيناً أن الصوفية
هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السبروطر يقوم أصوب
الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لوجع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من الطمأنينة ليخبروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم وهدلوه بمأهرو
خير منه لم يجدوا اليه سبيلاً وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم
مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء
به وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب
بالكلية عما سوى الله تعالى وفتحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة
استفراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها
بالإضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق
أول الطريقة وما قبل ذلك كالدليل والسالك اليه ومن أول الطريقة بتدبير
المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح
الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة
الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نفاث النطق ولا يحاول معبر أن يبرع عنها
الا اشتمل لنقله على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر
الى قرب يكاد يتخيل منه طاقة الحلول وطائفة الأنجاد وطائفة الوصول وكل

ذلك خطأ وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لا يسته
تلك الحالة لا ينبغي أن يز يدعى أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

و بالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم
وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك أول حال رسول الله
عليه السلام حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت
العرب أن محمداً عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم
يرزق الذوق فيحققها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصعبة حتى يفهم ذلك
بقرائن الأحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم لا يشقى
جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا بشواهد البراهين على ما ذكرناه
في كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم الدين والتحقق بالبرهان علم
وملاسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان
فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
ووراء هؤلاء قوم جهالهم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون
ويسخرون ويقولون العجب أنهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (١٦:٤٧)
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه للعلم وترتيبه
لنفسه واننا نمحكي فيها يلي ذلك أمر هذا التعليم والتربية وما استقر عليه رأي الرجل
في العلم والدين (لها بقية)

أثر من التاريخ

بغداد في القرن السادس

﴿ ومجلس شيخنا الشافعية والحنابلة رضي الله عنهما والقرظيني وابن الجوزي ﴾
قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنتاني الاندلسي
البلنسي في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه لكلام عن بغداد :
« هذه المدينة الضيقة وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة
الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهر اسمها ،
وهي بالإضافة الى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها ، واتفات أعين
النواب اليها ، كالطلل الدارسي ، والأثر الطامس ، أو مثال الحيار الشاخص ،
فلا حسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر ، الأدجلتها
التي هي بين شرقها وغربها منها كالرآة للجوّة بين صفحتين ، أو المقدم المنتظم
بين لبنتين ، فهي تردّها ولا نظماً ، وتطلع منها في مرآة صفيحة لا تصدأ ، والحسن
الحريمي بين هواها وماؤها ينشأ ، هي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ،
فتن هوى منها الا أن يصم الله مخوفة ،
« وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب
بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاياء ،
ويستصرفون ممن سوامم الأحاديث والاباء ، قد تصور كل منهم في معتقده
وشكاه ، ان الوجود كله يصفر بالإضافة لسلده ، فهم لا يستكرومون في معبود
البيسطة مشوي غير سوامم ، كأنهم لا يعتقدون أن الله بلادا أو عبادا سوامم ،
يسحبون أذيالهم أشرا و بطرا ، ولا يظنون في ذات الله منكرا ، يظنون أن أمشي
الفتخار ، في سحب الأزار ، ولا يظنون أن فضله يمتضي الحديث المأثور في النار ،
يتبايعون بينهم بالذهب قرضا ، وما منهم من يحسن لله قرضا ، فلا نفقة فيها الا
من دينار نقرضه ، وعلى يدي نحصر للميزان نقرضه ، لا تكاد تظفر من خواص
أهلها بالورع العفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاعلى من ثبت له

الويل في -ورة التطفيف ، لا يزالون في ذلك بيب ، كأنهم من بقايا دين قوم
الذي شبيب ، فالغريب فيهم معدوم الأرفاق ، متضاعف الإفتاق ، لا يجد من
أهلها الأمن بماله بنفاق ، أو بهش إليه هشاشة انتفع واسترفاق ، كأنهم من
إتزام هذه الخلة النبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشره أبنائها
ينلب علي طبع هوائها ومائها ، ويعلل حسن المسوع من أحاديثها وأبائها
« استنظر الله إلا فقهاءهم المحدثين ، ووعظهم المذكورين ، لا جرم إن لهم
في طريقة الوعظ والتذكير ، ومدارمة النبيه والتبصير ، والمثابرة على الإنذار
المخرف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحبط كثيرا من
أوزارهم ، ويسحب ذيل الفروع على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصاء أن تحمل
بديارهم ، لكنهم معهم يضر بون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا
يكاد يخلو يوم من أيام جمعائهم من واعظ يتكلم فيه فالوفق منهم لا يزال في
مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس
الشافعية ، وفتية المدرسة النظامية ، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية ،
حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفرة
المذكور فصعد المنبر وأخذ القراءة أمامه بالقراءة على كرامتي موضوعة فتوقفوا
وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونفحات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام
المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير
كذاب الله عزوجل وابراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه .
ثم رشته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ،
ودفعت اليه عدة رقاع فيها (١) لجمعها جملة في بده وجعل يجاب على كل واحدة
منها وينبذ بها الى أن فرغ منها وحان المساء فنزل واقترب الجم . فكان مجلسه
مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

(١) كذا في الأصل وفي نسخة الاخرى « منها » ولعل الاصل « فيها مسائل

إرسال عبرتها فيه النفس المستكنة ، ولا سيما آخر مجلسه ، فانه سرت حيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا ، وفجرتها دموعا ، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكم من ناصية جز ، (١) وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز ، فبمثل مقام هذا الشيخ ، يبارك رحم العصاة ، وتتعد الجناة ، وتستدام العصاة والنجاه ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، ويتقصد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانقامه ، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لا رب سواه ، ولا معبود إلاياه ،

« وشهدنا له مجلساً ثانياً إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الخراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آفاق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم المذكور في وعظه مسرورا بحضوره ومنجلا به فأتى بأقائين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم المذكور . ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الحنبلدي المتقدم المذكور في هذا التقييد (٣) المشتهر المآثر والمكرم ، المقدم بن الأكاير والأناظم ،

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فتاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف انفراد كل الصيد ، آية الزمان ، وقررة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، امام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمة الكلام

(١) كان الثائب في ذلك العصر يمجز ناصيته . وأما حز المفصل الذي بمره فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة ولعل فيها تحريفاً أو تصحيحاً ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالقاف وأن يكون استعملها بمعنى الإطراق . والحنبلدي بضم الجيم وفتح الحاء (٣) يريد بهذا التقييد كتاب الرحمة

في النظم والنثر، والفائض في بحر فك على فائض الدر، فأما نظمه فرضي الطباع،
 مهاري الانطباع، وأما نثره فيصنع بسحر البيان، وبمطل المثل بقس وسحبان،
 «ومن أكبر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويتدى القراء
 بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئاً فيترج الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن
 يلقونها على نسق بنطرب ونشوي فاذا فرغوا نلت طائفة أخرى على عددهم آية
 ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا
 بآيات مشتهرات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عدداً أو يسميها نسقاً. فاذا فرغوا
 أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أهداف
 الاسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أو مثل الآيات لقروآت في أثناء خطبته
 قمرًا، وأني بها على نسق القراءة لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية
 آخر آية منها. فلو أن أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية
 على الترتيب لمعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتبلاً، ويورد الخطبة القراء بها
 عجلًا، (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) ان هذا هو الفضل المبين) فحدث
 ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه كالخبر،

«ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر
 طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى أن علا الضجيج، وتردد
 بشوقه النسيج، وأعلن التائبون بالصياح، ونساقطوا عليه نساقت الفرائش على المصباح،
 كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعياً له. ومنهم من يقش على،
 فيرفع في الأذرع اليه، فتشهدنا هولاً يملأ النفوس إناية وندامة، ويذكرها هول
 يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا مشاهدة مجلس
 من مجالس هذا الرجل اكانت الصفة الراجحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد
 لله على ان من بقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله،

«وفي أثناء مجلسه ذلك يندرون المسائل وتطير الى الرقاع فيجواب أسرع
 من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل
 يد الله برؤيته من يشاء لا إله سواه

ثم شاهدنا مجلساً له ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفري باب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمه من تلك المناظر الخليفة ووالده ومن حضر من الحرم . ويفتح الباب للعمامة فيدخلون الى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر . وجلسه بهذا الموضع كل (يوم) خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور وقدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان وقد تسطر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ماشاوا وأطربوا ما أرادوا ، وبادرت العيون بإرسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبه الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أثناءها منقطات ، ومشى الخطبة على فقرة أخراية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (٤٠:١١) الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس) فبدأ على هذا السين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه أعجب من أمه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالده وكنى عنها بالسر الأشراف ، والجناب الأرف ، ثم سلك سبيله في الوعظ كل ذلك بديهة لاروية . ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروآت على النسق مرة أخرى . فأرسلت وإبها العيون ، وأبدت النفوس سرورها المكثون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم مهترفين ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الابواب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تمك تحصيلاً ، ولا تميز معتقلاً ، ولا تجد للعير سبيلاً ،

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب معرحة التشويق ، بديعة الترفيق ، تشمل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهداً ، وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي اذا به الوجد وأن قلبي فما صعا بمد

يا سعد زني جوى بذكرم بالله قل لي فديت يا سعد

ولم يزل يرددتها والانفعال قد أثر فيه ، والمدام تكاد تمنع خروج الكلام

من فيه ، الى أن خاف الأتقار ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً ، وقد أطار القلوب وجلاً ، ورك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فن ملن بالانتعاب ، ومن منفضر في التراب ، فياله من مشهد ما هول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفضنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز نصيب من رحمته ، بعمه وفضله . ثم ذكر أنه حضر له مجلساً ثالثاً وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز والعراق وفضل وعاظ الشرق على وعاظ الغرب أهل بلاده (الاندلس)

**

المبرة في هذه الأثرارة التاريخية من وجوه

أحدها - أن بغداد لما ضمت مدينتها ، ونضات العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فساداً في الأخلاق ، وشرفاً في الارتزاق ، وعجياً بما كانت على عهد الآباء ، واحتماراً للغرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يمشيها الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيذعنون له ويمترفون بأمامة وهذه سيرة الفزالي حجة الإسلام حجة على ذلك . فليعتبر بذلك دعاء العصبة الجاهلية بمصر ليعلموا ان هذه العصبة من علامات الموت لآمن آيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه العصبة لما أصابوا من العلم والمدينة شيئاً مما أصابوا ثانيها - أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالأهطاط والتأخرها كانت حتى تمثل فيها بقوا . أبي تمام « لآنت أنت ولا الديار ديار » هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فن لنا الآن يمثلها وقدمت بك التنوية بشي من فضلها ثالثها - أن أكابر العلماء وأئمتهم كانوا لا يزولون بمقدون مجلس الوعظ للعامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستكفون عن الوعظ ويمدونهم مزرباً بهم حتى عم الفساد وعز ثلاثيه وقد بذل الأستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والتذكير بتربغ العلماء فيها بالقول وبما سعى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يبعثه الى العمل وانما لتعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالمعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباحث

النفسي لأنن ذلك كثيرون

رابعا - أن وعاظ ذلك العصر كانوا يعظون الناس بالكلام الفصيخ المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحداث ووقائع التاريخ (وسنشر في المنار نموذجا من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم وينظنون به وقد سمت خبر كثرة التائين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت الفصحى انك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والاساليب العالية حتى الفهم فإياك بالاميين . فواللهي على تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسير القويمة ، على أن ضعف الفاعل ، قد صار أشد من ضعف القابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجمال من الواعظ المحسن الذي ينحى السهولة ويراعي درجة استعدادهم ما ينظنون به ويتذكرون ولكن لا تكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الاعدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرتهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة وتذكيرها فأينا من الاستعداد ما يحجز معه بأن إحياء سنة الوعظ تهي الدنيا وتصلح الاخلاق في زمن قليل

خامسا - ان الخليفة ونساء كانوا في ذلك العصر ينعون بسماع الوعظ الذي يلقي على العامة مع شدة ما أحدثوا من التعجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدين فأين ذلك من ملوكنا وأمراءنا اليوم وسلطان المغرب الاقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرى تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفيرجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الخرافة وماهي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الامراء المتفرنجون ، فلمهم أعمال من دون ذلك هم لما عاملون ، ويهاشغلون ، فإذا تقول في نساء الملوك والامراء وعدم سماعهم شيئا من أمر الدين

وقد يقول قارىء تلك الأثر ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ما ذكر ثم ما عثم ان ذكر ان الذين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . ومجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة (المنار ج ٧) (٦٧) (المجلد الخامس)

بل كانت الرواحل تشد الى أمثال هؤلاء الوعاظ من الأئمة البعده كما يعلم من التاريخ: بل أن كثرة التائبين أو الصالحين في بلد عظيم كجنداد لا ينافي كون المعصاة فيها أكثر أو كون المعاصي فاشية فيها



فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته (وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاءه ، واننا نذكر الاسئلة بالتعريج غالباً ورمزاً خيراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا نلحق هذا ، ولن نضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافعاله

﴿ س ٤٤٤ عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي
مستجدا بعده

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعدن الفهوم الحبيب النسيب السيد محمد
رشيد رضا صاحب المنار الفراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام
وكثر الهمم لاجلها فأحيت ان أقدمها لجنابكم مائلا حلها واجابني عنها جوابا شافيا
واقيا على صفحات المنار ليتهدي كل من استهدى به ، وذلك عند حلول رمضان
وإثبات الصوم أو الفطر حتى اتفرق أهل البلدة لثلاث فرق واليك نبأهم بالتفصيل
(الفرقة الأولى) تمتنع بظهور هلال رمضان أو الفطر عيانا في قطرها وثبوته
بالتواتر كما هو مقرر بالكسب الفقهية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا افطرت واذا غم
أكلت عدة شعبان ثلاثين يوما وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تمتنع في صومها وافطارها على تقابل الحكومة المطلقة اذ انما
تطول رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه التقابل لا يطلق الا باذن شيخ الاسلام

بعد ثبوت هلال الشهر لديه ويصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق
 (الفرقة الثالثة) تقول في صومها وافطارها على قاعدة منسوبة للامام جعفر
 الصادق «رضه» وهي في كتاب عجائب المخلوقات للقرظوبي ونصها «قال جعفر الصادق
 «رضه» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فقد الخامس من الشهر الذي صمت في
 العام الماضي فانه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك
 خمسين سنة فكان صحيحا» اهـ من عجائب المخلوقات

فارجو الامتداد افادتي عن المسئلة هذه مينا وجه الحق في الاتباع وأرجو ان
 لا تهيولونا على ماضى اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليحق الله الحق ويخرجنا
 من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام مآ كتبه الفقير
 ٢٣١٠ هـ جادى الآخرة سنة ١٣٢٥ هـ عبد القاد ملاقلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار والتبوية الواردة في الصيام فصلا فيما ثبت به الصيام
 والفطر هذا نصه (ص ١٤٨١) وعدد الاحاديث فيه تابع لما قبله
 ﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اني رأيت الهلال
 رمضان فقال : « أتشهد أن لا اله الا الله » قال نعم قال « أتشهد أن محمدا
 رسول الله » قال نعم . قال « يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا » رواه
 الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود قاسم
 بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود
 أن النبي عليه السلام اكنى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حجة على ثبوت
 الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربي بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لا هلا الهلال أمس عشية قاسم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية .
 وان يندوا الى مصلاهم

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم . « اذا رأيتوه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه عن حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصرموا حتى يروه فان غم عليكم فاكلوا العدة ثلاثين » وفي رواية بسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعدد الى ٣٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا لرؤيته فان غم عليكم فاكلوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من باي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغني هنا بمعنى غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبارة بروية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين ، وجاء في بعض الروايات « وانسكوا له » فواقيت الحج تعرف بروية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام (قال) قدمت فقضيت حاجتها واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبدالله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال: ولكننا رأيناه ليلة السبت فلأنزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه: فقلت: ألا تكفني بروية معاوية وصيامه؟ قال: لا - هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة الاظهر ان المشار اليه بقوله وهكذا أمرنا رسول الله « هو قوله « لكننا رأيناه ليلة السبت » الخ فإنه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد بروية أهل بلد آخر وهو غير مروى في المرفوع ولا هو صرح به فكفني بروايته فالراجع اذا حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بمدت البلاد أو قربت وتبيل لا يلزم أهل بلد العمل بروية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم قبله لان حكمه

افذ في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت عمل كل بروية واختلوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه المطلي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس قضي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

وقول اذا اختلفت الروية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة وبلغها للناس وجب ان يعتمدوا عليها ولا يلتفتوا الى الروية الاخرين لينضبط الامر ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من اركان دينهم هذا صام وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لوورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم بعد البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي يختلف به الاحكام. وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها فقد بلاد انقاربه ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا وبعضهم صائما بحجة اختلاف الروية فاذا ثبتت الروية في بعضها بصوم الجميع والا أكلوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الاخرين به حسن في ذاته وغير حسن ما يخفف به من البدع. وأما البلاد التي لاصلة بينها قربة سهلة ولا تعامل بينها الا بهجرة بعض أهلها من أحداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما ثبت عنده ون يسر اعلام كل قطر الآخر بنيا البرق الذي يؤمن تزويره ولو كان للمسلمين امام اعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم ويسر له اعلامهم بما ثبت عنده من الروية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون «اهما في المجلد السادس وقد سقط من آخره شيء وأصله واتجه ما قاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد بروية غيره الا ان ثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كابلد الواحد

لتفوذ حكمة فيها « وجهة القول أن العبرة بالرؤية أو اكمال العدة فإذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس عملوا بإعلامه

سؤالان أو أسئلة من « جاوه »

عتق جميع العبيد والاذن بتزويج المعتوقات

أرسل التي بعض أهالي سليس هذان السؤالان والنس مني ارسالها إليكم لكي تنشروهما في المنار مع الجواب وما الاول في الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع (س ٤٥ و٤٦) انه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليس وأخذت سلطان بوني أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالي تلك تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك المنواحي هرب أولئك المالكين وتركوا مالكيهم فاقولكم رضى الله عنكم فيمن أعنتق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: اني أعنتق جميع مما يلكي وجعلتهم احرارا لوجه الله ذكورا وإناثا . واذا أذن المعتق بتزويج مثنوقانه قائلا: اني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاة المسلمين أن يزوج كل مثنوقة لي عند عدم وليها الشرعي على من يريد: فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الاجر والثواب

﴿ الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص) ﴾

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فن صلى بالناس الجمعة التي وقعت في حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

﴿ الجواب عن السؤالين الاولين ﴾

يصح العتق بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لانظير في ذلك خلافا . وأما لأذن بالتزويج ففيه تفصيل فاذا أرادت المعتقة أن تتزوج في بلد ليس لها فيه

ولي غير مولى العتاقة وقامت البيعة عند القاضي على ذلك الاذن كان له أن يزوجها
وإذا لم تهم عنده بيعة طلبه ليزوج هو وأما إذا كان المولى غائباً ولاولي سواه
فلقاضي أن يزوج سواه كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل
ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه
توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي
بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام في المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا
أنه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يصلي الصبح بالناس فضحك سرورا
برؤيتهم وكادوا يفتنون في صلاحهم فرحبا به اذ ظنوا أنه عوفي وأراد أبو بكر ان
ينأخر ليتم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار اليه بأن يمضي في صلاته
وقال بعضهم ان أبا بكر صلى في الناس سبع عشرة صلاة ولم أرا حدا قال
ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه
بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فإذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في
الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أم أبو بكر بها الناس كانت متفرقة
ومنها الليالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي
صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

باب المناظرة والمراسلة

مقالة الانتقاد على المنار

(المصيبة الجنسية والهواء)

أرسل الينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكندرية عنوانه « المنار والسياسة والدين » ولكن موضوعه الدفاع عن صاحب جريدة الهواء وإطراؤه بالمدح والثناء ، ومواخذة المنار على إنكاره عليه ما أدخله في دعوة الوطنية ، من زغفات المصيبة الجنسية الجاهلية ، وإقامته الحجج على ان ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أيا كان جنسه . ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي روا على فريد أفندي وجدي قال الكاتب « أما بعد فإن لي كلمة يدعي الشعور بالواجب ان أقولها لكم وهي وان كانت لا تتفق الى الآن مع رأيكم الا ان لي ملء الثقة في انكم لا ترفضون كل ما يخالفكم لما ناديتم بذلك كثيرا وشهدناه منكم غير مرة فاننا أرسل اليكم تلك الكلمة معتقدا اني أخدم بها الحق كما أخدم بها المنار فرجائي ان تنشرها في مجلتكم ولكم بعد ذلك ان تعلقوا عليها ما شئتم ان تعلقوا »

تقول اننا لا نرفض كل ما يخالفنا ولا نشر كل ما يوافقنا وانما نختار ما نرى فيه الفائدة من الأمرين ومنه الانتقاد علينا في المسائل الدينية والعلوية ممن يبحث في المسألة نفسها لاني اعتقاده بنية صاحبها وشؤونها الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقالته في انتقاد رأينا في المصيبة الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة الهواء وما يرجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو ما نعتقد خلافه . فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول « فاذا تتقدمون عليه في ذلك وماذا ترون فيه مما يخالف روح الدين » كأنني بانتقاد المصيبة الجنسية الجاهلية عليه انتقدت عليه كل شيء بقوله . وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادئ التي تنهض بها الامم - وهي مبادئ صاحب جريدة الهواء في رأيه - مخالفة للإسلام وانني أجعل الحياة الوطنية عين المصيبة الجنسية الجاهلية وبذلك أكون متفرا عن الإسلام .

وهذا غير صحيح فافائدة الطول بل بشرح رأي غير منطبق على الواقع

ليس في المقال دفاع حقيقي عن صاحب جريدة الهواء في موضوع المصيبة الجنسية الا إنكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك ما يطمئن به على الاخلاء ونحذير المصريين منهم في الهواء . ان كنتم تريدون ذلك - وهو الواقع - فما أبعد دعوتك عن عصبية الجنسية !! لأن مصطفي كامل باشا قد عرف معنى الاخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء الهواء فهو يعني بالخيل من يزوج نفسه في أهل أمة ويسعى في ضررم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أعمالهم أنهم يحملون في ضررم أقبح النيات نفوسنا سعيًا وراء مصالحهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدمجنا في تلك الزمرة فما ذلك الا الاعتقاد اننا فعل فعل تلك الزمرة واننا لا نخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدلل على ذلك باجلاله لبعض السوريين كرفيق بك العظم أقول ليست المصيبة الجنسية في الهواء مأخوذة من كلمة الاخلاء التي جعلها هجيرة قط بل نرى روحه فائضة بهذه المصيبة التي جعلها مضادة للسوريين برجه خاص فما غاضت آونة لعدم الهرك الا وفاضت أخرى . وقد ظفت حتى تجاوزت السور بين المقيمين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ما علل نائب المسافر السورية المسوقة الى اليمن بخسة المنبت . وقد ظهر أثرها في الأغرار المدعوين بمجمعة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجدي لا يسمح للمحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا يجد أحدًا ينشر له هذا الا الهواء صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه المصيبة يكون مظهرها في اللسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتعلمين بل والملمين يمدلون من اخوانهم من يتعرف بفضل سوري أو يخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطوره هذه النزعة الجاهلية على المسلمين . ولعل المتفاد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات المحدثه من كورهم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!

بل وصل شر المصيبة الجاهلية الى بعض علماء الازهر الذين يعيشون فيه مع طوائف

المسلمين من جميع الاقطار حتى قال أحد كبارهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقفه وخطابه : نعم ولكن من الاسف أنهم حشوه بالشوام؛ وهو وان بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الخطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الاماكن البعيدة عن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أندري من هو ذلك العالم ؟ اني لا اصبه وإنما أقول لك انه صديق صاحب جريدة الهواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل ارتقى صاحب جريدة الهواء بهذه المصيبة الى مستوى اسمي فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطبته يوم خلع على الشريفي خلعاً مشيخاً الازهر الى وجوب خروج صاحب النار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طريقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن الهواء لا يعني بالدخلاء الذين يفر عنهم وينفض فيهم غير فئة من نصارى السوريين كما يرى المنتقد الحسن الظن لما كنا الا قائلين بأنه منطوي - خطأ ضاراً بالبلاد لأن أول من يخطر بالبال من هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصالحها حتى يقال انه مذهب سوري ويزم متحله بأنه او لأنه سوري أو دخيل ؟ كلا انه ماذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية بتصعب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومانعها الى وطنه وإنما قصاري سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منفعتهم الخاصة فما معنى نيزم بلقب الدخلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الاذواق والمقول ان ترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ماضيه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يعمل عمل اسم المفعول ؟ فهذا تبين أن ترتيب الطعن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤذن بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الطعن وما ترتب عليه وحينئذ يكون طعنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقاً وأفناً في الرأي ضاراً لأنه تأريث عداوات وخصائين بين أهل قطرين

متجاورين في الأرض متساوين في اللغة والثابتة العمانية متقاربين في العادات
وأكثر أهلها مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين المقيمين بمصر وحدهم لا يستهان بمداومتهم فانهم أصحاب قوة
مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لا تحتاج الى تعريف . وما من
أحد منهم يعد من أصحاب الرأي والاشراف على أحوال مصر الا وهو يعتقد
بأن خطة جريدة اللواء تضعه من المصريين موضع المدوم من عدوه . ومن هؤلاء
من هو مخالف لأصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يفضلهم ويطن فيهم
أي قول قال به أصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أو قبطهم من
يقول بمثل ما بالك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف تقيم في مصر ولهم جرائم
تخالف رأي اللواء كما يخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لا ينوط ذنبها في رأيه
يكون أصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا؟

ان كل أجنبي بمصر يرى جنسه أشرف من الجنس المصري وأجل من ان
يخضع لقانونه وهو يعمل في هذه البلاد لأمة وبلاده وما أصابه من الثروة ينقلب به
الى أهل . والسوري يرى نفسه شقيقاً للمصري ومساوياً له في كل شيء . وقلبا يرجع
سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال
عظيمة لاسيما في هذه السنين الاخيرة . فلا شيء يعد اللواء ذنب الواحد منهم
عارا عليهم . وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجبي في ذلك؟ على ان جميع
الاجناس صارت تشتم بأن اللواء يدعو الى عدوانها بل طفقوا يعتقدون أن المصريين
يفضون كل غريب فما أشأم اللواء

المتهم اللواء يرى ان خطته هي التي تنجحها الامم وأنه لا نجاح بسواها ونحن نرى
ضد ما يرى وما توعدنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لأنها منافية لروح
الاصلاح من جهة ولصالحه المصري بين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شذنا لبينا تنفير
هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جطنهم عونا للانكياز عليهم
بعد أن كانوا عونا لهم على الانكياز، وينا كيف شفت هذه الخطة المصريين
بالسياسة العقيمة عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما نكره على هذه الجريدة المشهورة

وصاحبها ولكتنا ندع ذلك للأبام ، ففي التي تكشف للناس كيف كانت هذه الوطنية عبادة تبيض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والدعوى والنظمة ولعل اليوم الذي تكشف فيه الحقائق ليس بعيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة الهواة

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكالكتة (الهند) في موضوع انتقادنا على بعض الجرائد فيها كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أنجي فيها على صاحب جريدة الهواة إنحاء شديدا يتطرق بسيرته وسياسته كما أطراه صاحب الرسالة السابقة في ذلك . فمتذرع عن نشرها بمثل ما اعتدنا به عن نشر تلك لأنها لا تفيد القراء وانما تفيدنا نحن وقد قرأناها وانما نذكر جملة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لا مجازاة للهواة على شئنا ايانا مرة بعد اخرى اذ لو كان غرضنا ذلك لنشرناها بومتها . قال الكاتب في عرض الكلام على صاحب جريدة الهواة :

« ثم ازداد غلوا فجعل مداد قلبه تامورا للمسلمين ومهجة المصريين لا استغراب ما صدر منه من هذه اللفظة الشنيعة التي منشأها الفطوسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه اللفظة يتعاشا من كتابها وجعلها عنوانا على امام الأئمة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدهم تكبرا وأجلهم بحقيقة نفسه بل لا ينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فما بالك بصاحب (جريدة) الهواة الذي يعتقد انه خالص المسلمين وعلى الاخص المصريين من دونه أو أخرجهم من سبلى جهل واتهم لولاه لم تقم لهم قائمة » الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه منافقوه ، لأنهم كما قال الكاتب « لا يكتبون الا ما وافق مشربيه » وجملة القول اننا لا نحج البحث في مذهب جريدة الهواة وسيرة صاحبها في سياسته ومشربيه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نعتقد فيها لأنهم يتبعون في ذلك الاصحاب الشعور والوجدان دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستغزه

الفلو والتذوذ ولذلك نال عبد الله أفندي نديم رحمة الله من اعجاب الجماهير وتصفيق قلوبهم وأيديهم ما لم يصل الي مثله ولا الي عشره صاحب جريدة اللواء الي اليوم لانه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب ان قذائف مدافع الاسكندرية تصل الي قبرص من هذه الناحية وقذائف مدافع الاسكندرية تصل اليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراتب الانكليزية فهي تحت رحمة مدافعنا : ومصطفى كامل يهزأ بالانكليز ويهددم بما يقرب من هذا رمي وصل الي مثله - وما ذلك بعيد - بصيرا اعجاب الجماهير به أشد منه اليوم لأن اعجابهم يكون دائما على قدر الفلو كما قلنا . ولكن اذا وقع بالبلاد منتهى ما يتوقفه العقلاء من عواقب هذا الفلو - وما وقع الي اليوم ليس بقليل - أو اذا تدارك هؤلاء العقلاء الخطب قبل وقوعه وم أولو الشأن في البلاد كما يرجي منهم فيومئذ يعلم المفرورون أن ليس كل مخالف لواء بدو للبلاد ولا بدخيل ولا بضار بل الضار هو اللواء وصاحبه المتفاني في حب الشهرة والعلو لاني حب الوطن (١٦:٩) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدانا كما يشاء

الانتقاد على محمد فريد أفندي وجدى في كتبه

٣

كنز العلوم والفن

نكتني في هذا الجزء بالانتقاد على مادة واحدة من مواد كتاب كنز العلوم والفن لأن باب المناظرة لا يتسع فيه لأكثر من ذلك أخطأ فريد أفندي وجدى فيما كتبه في لفظ (حديث) أو اوعا من الخطأ تدل على أنه لا ثقة بنقله وروايته كما انه لا ثقة بفهمه ورأيه

(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله « والحديث في الاصطلاح أطلق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام » وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتفق ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئا قليلا لم يفهمه والصواب ان الحديث في اصطلاحهم ما أضيف الي النبي صلى الله

عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو وصفاً ويطبق كافي النخبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله أنه لم يصح عند أبي حنيفة إلا سبعة عشر حديثاً فقط فإن من يعرف غير هذا العدد من الصحاح لا يعرف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق. نعم إن الرواية عن أبي حنيفة قليلة وفرق بين ما يروى عنه وما يصح عنده (الثالث) قوله « أنه لم يصح عند الإمام مالك إلا ثلاث مئة حديث » وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرها . وقد نقل عن الإمام الشافعي أن الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . نعم إن الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيح البخاري ومسلم اللذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً . وقد نقل السيوطي في تنوير الحوالك عن القاضي أبي بكر بن العربي أن الموطأ هو الأصل الأول والبخاري هو الأصل الثاني وإن مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت إلى خمس مئة . وعن الكيا المراسي كان نسمة آلاف فرجع إلى سبع مئة . أقول والظاهر أن الخلاف في العدد خاص بالأحاديث المسندة وهي كما نقل عن الأبهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف . ومجموع الأحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الأبهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن أقوال التابعين ٢٨٥ وكل ما فيه قد صح عند مالك وإن قل بعض الحديثين بعده بضعف قليل من رواياته . وقد نقل عنه أنه قال « عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلمهم واطأني عليه فسميته الموطأ » فلينظر الناظر إلى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجرأته على كتابة ما ليس له به علم

(الثالث) قوله « ولم يصح عند البخاري إلا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا)

من أكثر من ٦٠٠٠٠٠ سمعها من الناس »

أقول لاندري المخترع فريد أفندي وجدي هذه الأقوال اختراعاً أم سأل

بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك ليقترح به علم غيره فكان انتخاره بالجهل

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن ماني الجامع الصحيح البخاري هو بعض ما صح عنده وهو بالمركر بز يد عما قال وبدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح جميع أحاديثه بالمركر سوى المعاقبات والمناجات سبعة آلاف وثلاثة مئة وسبعة وتسعون حديثاً والخالص من ذلك بلا تكرار ألفاً وستمائة وثمانون. ثم نكلم في احصاء المتن المطلقة المرفوعة بغير وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجددي مع عدد المركر ولا مع ركه . هذا اذا فرضنا أنه لم يصح عند البخاري إلا أحاديث الجامع والصواب أنه قد صح عنده غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من ألف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة

١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب الكتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعلقه البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر عمرو بن حزم أن أظن ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فأكتبه لي فاني قد كتبت دروس العلم وذهاب العلماء » . ثم أتتهم ذكروا أن مالكاً وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتباً على الأبواب وهذا أنخص من مطلق التأليف والتدوين فإن الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفما اتفق ومنهم من رتب على الأبواب ومنهم أصحاب المساند الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعاجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن ألف الحديث مرتباً على الأبواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بكوفة وسفيان الثوري بالكوفة والوزاعي بالشام والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبي عروبة أو حماد بن سلمة بالبصرة ووشيم بواسطة ومعر باليمن وجريير بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بخراسان . قال الحافظان ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم أسبق .

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلوا في الأول منهم . فلو كان فريد أفندي وجدي مطالعاً على أقوال المحدثين في ذلك لكان ان مالكا وابن جريج هما أول بل من أول من صنف الحديث مبو كما يقال أول - او من أول - من كتب المسند فميم بن حاد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى مثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئاً من هذه الفروق والدقائق أو مثل من وصفه بالتدقيق والتحقيق في كل ما يكتب كقبض محمدي المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج لمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للمحافظ ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الخامس) قال فريد أفندي وجدي « ثم نالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفي سنة ٢٦١ هـ وأبو داود (كذا) المتوفي سنة ٢٧٥ هـ وابن ماجه المتوفي سنة ٢٨٢ هـ والنسائي المتوفي سنة ٣٣٣ هـ والدارقطني المتوفي سنة ٤٨٥ هـ

أقول انه ذكر ان المجموعات سبع وعد ست فقط فلا نمد هذا عليه وأما عند عليه انه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقلنا انه تركه للخلاف فيه وان جرى جميع المتأخرين على عدم السادس من الستة ولكن أي لكه ولن يقرظ له كتب فيصنها بالتحقيق والتدقيق أن يعرف هذا

(السادس) زعمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢ هـ والصواب انه توفي سنة ٢٧٢ هـ وقيل ٢٧٥ هـ

(السابع) زعمه ان النسائي توفي سنة ٣٣٣ هـ والصواب انه توفي سنة ثلاث وثلاث

مئة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلا عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ما هو قلبي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لو تبعتها وانتقدناها لفظار معنى لأطنا في احصاء ما يتعذر احصاؤه ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة « هذا واننا في عصر كثر فيه النباه وأخذ كثير منا في احذاء مثال أثمتنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

السليم وان كان قليلا وزك المشكوك فيه مها كان كثيرا من قرأ قوله هذا يظن انه هو في مقدمة هؤلاء النبهاء الذين ذكروا ولكنه اذا تتبع الاحاديث التي يحتاج بها فيها يكتب يرى انه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشفاعة ويمتد في الاكثر على الاحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بضعفها أو وضعها وهو لا يعلم وسين ذلك في فصل مستقل ان شاء الله تعالى

أثر كتاب علي بن أبي طالب

كتاب لباب الخيار في سيرة المختار

ألف الشيخ مصطفى انطوني البيروتي مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعاً جميلاً على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ما رآه مما يشبه فيه غير العالم فكانت صفحاته ٨٢ صفحة وهو أسهل المختصرات وأقربها الى افادة التلاميذ المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر ان الاسلام قام أو نشأ بالبعوة لا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة ادوار ما قبل البعثة وما بعدها الى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والفروقات دون السرايا وفيه على مواضع العبرة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثاً رتبها على حروف المعجم . ومن النسخة من هذه السيرة قرشان صحيحان ماعدا أجره الريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

كتاب فلسفة الاسلام ومدنية القرآن

كتاب جديد يؤلفه أحمد أفندي بدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في مكة الحديدي السودان وقد طبع الجزء الاو منه في مطبعة الآداب والمؤيد . قد يعجب القاري من نسبة كتاب في الفلسفة الى ضابط مصري لاسيما اذا

كان عالماً بمجال التعليم في المدونة الحربية المصرية وأنه تعليم صناعي ليس فيه شيء يرقى الفكر حتى ان دراسة التاريخ قد ألقيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا يري جريدة من الجرائد المباشرة في انتقاد نظارة المعارف تنتقد ذلك على نظارة الحربية ،

نعم يصعب القارىء من تأليف ضابط مصري كتاباً في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه الا تذكر تفاوت استعداد البشر فان في الضباط المصريين أفراداً من المغرمن بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية . ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين للفلسفة ويألت تربيته لم تصرفه مما خلق استعداداً له الى غيره . قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق ، جاءت من كل فج محقق ، بعضها جلي وبعضها خفي لم تقو العبارة على بيانها . ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله . **بسم الله** والفلسفة الالهية وإيصال القرآن الى السعادة وغير ذلك

حجج الدليل . في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعا في متعهي الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح . ويليه بنذقتاب الاسترديوي مفتح مهموم ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة تسانا وأمهات السودان الشرقي . وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »
تقول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلا في الكلام على بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت أدوردو وبحيرة ألبرت وهي يناهض النيل وأصوله وعلى نيل فيكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأبيض والأزرق وهما فرعا النيل العظيمين وغير ذلك . والقسم الثاني في « تصرفات الأنهار وممكنات المشاريع » وفيه فصلان . وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

في مشروعات ومباحث مهمة كتطية حبس أسوان ومشروع وادي الريان
وغيره رشيد ،

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ رسماً وهناك رسوم أخرى كثيرة
منها الملون كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان
ومن خدمة الفنة في هذا الكتاب أن مترجمه بالعربية قد فسر في هوامشه
الألفاظ التي احتاج إلى استعمالها فهي بالبحث عنها ووضوحها في مواضعها ولم تكن
مستعملة عند كتاب العصر كالمسالك بوزن معاب وهو مكان من النهر تراصف
إليه عظامه الأغصان ورقاض الحطب والشب وغيرها فتجسب مياهه وتوق سيره
ويعرف بالسد . وكالمفجرة بوزن المربة قال وهي أرض تطلبن وتنفجر فيها أودية
وبالتخصيص فجوة ما بين جبلين وهي الفجة والوادي والنور . وهو يفسر أيضاً
كل ما ورد في الكتاب من الاصطلاحات والدخيل

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلماً نجدلاً أحد من كتاب هذا العصر ومترجمه
مثله وإن لم يخل من بعض ما ينتقد على تابهيم وهاك هذا النموذج منه في الكلام
على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحدوث فيها على خلاف ما تقدم ولكن لا مرد لوقوعها
وظلها أكد . ذلك أن مناخ جبل روزوري والفواعل الجوية فيه تؤدي إلى
تحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرفاض (١) تجرفه السيول إلى
أخاديد (٢) ومضائق ذاهبة به إلى نهر سملكي وهو يري بها إلى بحيرة ألبرت
ومعها مقادير من الطين التي تجلبها مياهه من أنحائه العليا . هذا وأنحدار النهر
عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس
لها قوة دافعة تساق تلك المواد فتستقر جميعها في بطح البلاد المجاورة . وعليه
تقد كونت روا سب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلاً

(١) رفاض الشيء كغراب قشارته وما تحطم منه تفرق (٢) جمع أخدود وهو الحفرة
المنطوية في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم) وجرف (بضمين) وهي ما
تجرفه السيول وأكثه من الأرض (المرب)

بسيطاً من الأرض يتداخل شيئاً فشيئاً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يسهل بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقى بابلية وأجرافه في البحيرة فنضيقه فتشكر لوضع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولترجمه خدمته لها ولتفتها بما

لم نخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أو شاعر فلاسفتها فيكتور هيجو أو هوجو (أو الاسم بالثين أو الكاف بدل الجيم على ما ترى عليه المبرين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه (هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين وفخامتها كالأهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والبادثيون والباشيون ذهب خياله فيه الى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزا للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشر بها الكهنة والملوك وبين ان اختراع المطبعة الذي سهل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب العلم بالكنيسة . وانتقد على ذلك بعض الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تقدم الكنيسة بل خدمتها ورد عليه المترجم ثانية . نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدة

﴿ مطمح النصحاء ﴾

كتاب ألفه الشيخ علي فؤاد الزنوني في شيء سماه الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الود والشوق والعتاب والاعتذار والقطيعة والامتطاف والرجاء والشكر والتمازي والثاني وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحاً كبيراً وإن شئت فقل أنه صنف كتاباً آخر جعله عامثاً له وسماه شرحاً وإن كان أكثر مما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه للبيت الآتي

إني لأبصر من أفعالها عجايا الوصل ينغيبها والصد يرضيا

فإنه لا يبين المراد من البيت في شرحه وإنما يتكلم عن أقسام الفعل في الصرف فيذكر المجردة والمزيدة والمعلقة والسائلة والمضاعفة والمهوزة وغير ذلك . كذلك شرحه للبيت الآخر

أكرم الوجد والالام نظيره هيات هيات ذوطب يداويها
فانه لا يذكر في شرحه الا نحو صفتين في أسماء الأفعال كأنه بشرح كتابا
في النحو والصرف

قال المؤلف في فاتحة كتابه « وكل ما فيه من المنشآت ابتكاري ، كما أن
بعض ما به من الأبيات اختياري »

« يعرف المرء باختيار وجمع ودليلي على الأديب اختياره »
وتقول انه ليس فيه شيء من الابتكار ، وهاك هذا النموذج مما فيه من
المنظوم والمشور وهو ما قاله في أول قسم الاستعطاف بعد أبيات لغيره
« مهماني النجني علي أفرط ، وأذقتني بصدك الهوان ، فروحى بلودتك أوهبت ،
يا إنسان كل إنسان ،

لله أشكو غرامي وما أعاني وأتقى

قطعت جبل ودادي ولم أحن لك حقا

وبني تبدلت عبري فالله خير وأتقى

لكن ... عهدي بحميل خصالك ، وقوفي على نيب هجرانك

أئن كان بالسوان عني عواذلي لكم حدثوا والله قد كذبوا بما

عن الحب والهد القديم وودكم وحق الهوى ماضل صاحبكم وما

أهيجني الشجو أورثت ، ولميني السهد وهبت ، والي الارق بعثت ، ولبي قدروعت

فزاد اشتياقي وقل اصطباري ولم أستطع في هواك المزعج

فوادي أسرت قبادي ملكت اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حذار العذول كنت وجددي يا خير مأمول عدت رشدي

فمن على بزد الجواب وحقك اني به لقنوع

دامت لك عليك ولا أعدمني الله بحبك والسلام اه

ولا يحسن القاريء اننا قمنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه

بل هذا من أحسنه فان أسماء بنا الظن أوردنا له أياتا كتب بها الي صديق آخر وهي

أيامن فاق أهل مصر طرا
 أسأت إليك فاستوحشت مني
 فصرت أقارع الأهوال ضنكا
 وأصرخ في (الشوارع والحواري)
 وأزري دمع عيني فوق خدي
 ولما أن رأيت عيناى موني
 أتيت إليك معترفا بذنبي
 أو مل فيك انك تعف عني
 فأنتني بفضلك ندي عفو
 بما أبداه من شرف الطباع
 وأبدت التواصل بانقطاع
 وأنتف شعر رأسي من مجاعي
 بأصوات كأصوات الضباع
 ومن أسني أعض على صباعي
 وان الروح مني في النزاع
 ورجلي فوق كتفي بانخضاع
 لأنك ببحر جود ذواتساع
 لاشني القنب منه بالرضاع
 هكذا جاءت هذه الايات في الكتاب فلا تظن ان مطبعتنا حرفت

فيها أو صحت

ههنا يقول انقاريء مابال المنار أطال في الكلام على هذا الكتاب وخالف
 عادته في مثله وانا أقول له: إن السبب في ذلك التعريف بمكانة كتاب كئيب مصنفه في
 أوله انه ورد اليه ٢٦ تقر يظا له من أكابر العلماء وافاضل الشعراء وذ كرمها تقر يظا
 لشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهري بالاسم يشهد
 فيه للكتاب بأنه مفيد نافع

وتقر يظا للشيخ محمد نجيب الخفي المشهور يقول فيه « وبعد فقد أطالمت على
 كتاب مطمح الفصحاء بل مرتع الباناء فوجدت من محور الادب درر منظومة في
 سلوك الذهب تزري بقلائد العقيان في محور الحسان كيف لا وقد حوى من
 النثر أغلاه ومن الشعر أعلاه فجزا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء واكثر من
 أمثاله النبلاء وجل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلمه الأمة والوطن آمين »
 وقد كان حظه من كبر الجرائد كحظه من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد
 قرظه تقر يظا جملة فيه منتهى البلاغة . . . افيلام المنار يمد كله أن أطال القول فيه

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في اصلاح السياسة والاجتماعي وله أسلوب رشيقي وكثيراً ما يبرز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندي قبعين وهو من أدباء السوريين العارفين باللغة الروسية - أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالمرية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفاً . عنوان المقالة الأولى (الملك الرافع الهواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجميلة) وعنوان الرابع (اليهود) وثمن هذه النخب ٣ قروش صحيفة

﴿ غرائب الاسرار - جاسوس الازراس ﴾

غرائب الاسرار قصة موفقة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسمه (جاسوس الازراس) حسن أفندي موسى (ضابط بالاستيداع) فأما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرابتها من الحوارق أو الشعوذة وفيها من الرموز والاسرار ما يشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ القصة والردية ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أونيه أحد كتاب الفرنسيين وترجمها بالمرية محمد أفندي كرد علي منسى بحجة المقنيس وأحد محرري المؤيد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات بين فرمن الادباء والأديبات ، وقلما نجد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالمرية فالقصة فيديك ما لا تكاد تعرفه من كتاب اخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكانة الأدب عندهم وتأثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبتها وثمنها ١٥ قرشاً

﴿ المجرم البريء ﴾

قصة فرنسية الاصل زوجها محمد أفندي كرد علي لخدمة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزائها وهي على كونها قصة غرامية تشرح للقارىء مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعتماد على القرائن القوية في إثبات الجنائيات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فن لا يبيح الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لاحقيقة لما في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل لك في أولها رجلا عدا على آخر في بيته قتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قراطيس لامعدنا وقد رآه من داره وهو منكبس بقتل جاره كل من زوجه وبنه وخادمتها وكان ذلك ليلا والاوار في بيت القليل منالقة ولما عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا لمادته عاد شعنا مضطربا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المألية التي قدت من القليل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما لم نشر اليه كلها شبهات تشرح القصة حقيقتها بدهرحا بالاسباب

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالعربية نسيب أفندي المشطلاني بطلب ادارة الهلال وعلى فقنها طبعت ومن مكتبتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاستعداد الفطري لرياسة وجاءت الحوادث صرية لهذا الاستعداد حتى بلغ منتهاه . والقصة في جعلتها مفرغة في قالب مقبول ونسقا مقبول غالبا يقل فيها الظن المنتقد كزعم الانتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الاسلامية وأوروبا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية سنشر بعض نصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

الأمين والمأمون

هي الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الفرامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان وينشرها في الهلال وتشتل على ما قام بين الأمين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد وقتلوا الأمين وأعادوا الخلافة الى ابن اختهم (المأمون) ويتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي المقام ذكره من الآداب الاجتماعية والمادات والأخلاق . وما يشرحه فيها ان الفرس كانوا متعصبين بالعصبية الجنسية متعمدين ازالة الملك من العرب وجعله فيهم وإقامة خليفة من العلويين يكون آله دينية في أيديهم وان الكثيرين منهم كانوا يظهرون الاسلام ويخفون الجوسية ليتمكنوا من مخادعة المسلمين عربهم وفرسهم . فذكرنا هذا بالعصبية الجنسية التي محاربا الاسلام وأماها فأحياها بعض المناهقين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر بمصر باسم الوطنية بعض المتونين بالشهرة فنسأل الله ان يقي الاسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر يقتضي بهلاك جميع المسلمين لا يتطاب جنس منهم على جنس آخر كما كان من قبل

رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي

نشرنا في هذا الجزء أثاراً تاريخية من هذه الرحلة وسنقل غيرها وهي رحلة جليله ذات فوائد جمة طبعا ثانية العالم المنشرق كوريج في هذا العام طبعا متقناً على ورق جيد وناهيك باتقان الافرنج وعنايتهم بالضبط وما يضمونه للكتب من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى الينا نسخة منها مجلدة تجليدا حسنا فنشكر له نشره آثار سلفنا وخدمته هو وأمثاله لفتنا

الصراط - مجلة جديدة تطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها «مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية . قيمة الاشتراك سنويا عشرة قروش صاغ وتلامذة المدارس خمسة قروش» وهي قيمة قليلة وان كانت صفحات الجزء من المجلة لا تزيد على عشرين صفحة فتسنى ان يكون هذا الصراط موصلا الى الفوائد النافعة

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَبِي

﴿ المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء ﴾

كتبنا في السنة الأولى للمناخ نصيحة فيه لسلطان مراكش أنقرناه فيها بأن طوفان أوربا لا بد أن يفيض على بلاده فيغمرها إن لم يبادر هو إلى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لآسيا لتعليم الفنون العسكرية والمالية. ثم كنا نعيد التصائح والتذمر بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبناه في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي ١٠١٠ : ١٠١١ وما تضي الآيات والتذمر عن قوم لا يؤمنون) بالأسباب والمسببات وسن الله تعالى في الامم وانما يعتمدون في دفع الضرر وحفظ المصالح على الحوارق وكرامات الاولياء مع ما درجوا عليه من التقاليد والعادات لا يقبلون وراء ذلك إصلاحا، ولا يتفكرون بدونه فلاحا، وقد سبق لنا بيان النجائهم إلى قبر مولاي إدريس وجوار أهل العلم الديني عنده بكلمة « بالطيب » ليدفروا بذلك ما طلبته فرنسا من السلطان يومئذ فليرجع إلى ذلك في المجلد الثامن من اراد

مرت الأيام والسنون وأهل هذه البلاد « يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » أو مرات « ثم لا يتوبون » من قريظهم وغرورهم « ولا هم يدركون » ما حل بأمتهم من الأمم والشعوب الجاهلية بحال هذا العصر وورثي أممه وما يجب من اعداد القوة لمداومتها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ما هي عليه من الاستعداد وكل ذلك مما يرشد إليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن أين أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن وهم يمتدنون أن قراءة تفسيره تيمت السلطان، وحياته عندهم أولى من احياء القرآن، ثم ماذا تفيدهم قراءته اذا كانوا يمتدنون ان الاهتداء به من الاجتهاد المنوع بحكم شيوخ التقليد الجامدين، وان الدين لا يؤخذ الا من كتب الفقهاء الميتين، كما يفهمها اصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين، وهم يرون ان العلوم

والفنون والصناعات التي بها تصنع آلات القنطرة كالبنادق (ويسمونها المكامل) والمدافع والبوارج الحربية كلها محرمة لا يجوز للمسلمين الاشتغال بها كما يرى ويمتد ذلك أشباههم من أصحاب المائيم في أكثر بلاد المسلمين ، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين ، وكانوا سبب هلاك المسلمين ،

مرت الأيام والسنون فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاولة أوروبا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اعتدى بعض المغاربة على العلة الأوربيين في مرفأ « الدار البيضاء » وهي من حواضر مملكة مراكش ففتح بذلك لفرنسا باب استعمال القنطرة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ما كانت تبغي أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالتبائل مهاجم الدار البيضاء فتلاقيها السائر الفرنسية بمدافعها ومن ورائها البوارج تساعدها بمدفعها فتعزق شمل القبائل وتسفهم في الهواء نفاقاً ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المغاربة وامتنعوا عليهم فسلطوا عليهم عسكريهم من مسلمي الجزائر لطهيم بأنه لا يقل الحديد إلا الحديد وقد ترك المغاربة الهجوم إلى حيث ثابهم مدافع البحر مها عظمت شجاعة المغاربة فإنها والجهل قائدها لا تكفي لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها ما يزيد فرنسا منها فإن الجهل لا يطلب العلم والاختلال لا يملو النظام فإذا كان أهل المغرب الأقصى أسوداً فإن العقلاء من البشر قد عهد منهم التصرف في الأسود وحبها في بلادها هي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجمالها مع ذلك في مواضع العزوة بأفس برويتها حتى النساء والولدان . نعم ينظر أن تعب فرنسا في تدليلهم كما ثبت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى واتقوا نفسى ففسر في كل مقام بحسبه فهي تفسر في باب الحرب والصدام بانها أسباب الانكار والخذلان ولا شك أن فرنسا هي المتقية ما يجب اتقائه في هذا المقام بالتدبير التام وإعداد ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذ العقلاء ولا يدري به الجهلاء وهو من قبيل السبيل يضرب جلوداً بجلود ايقاع الشقاق بين الزعماء في المغرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والمخارين له بل قامت طائفة عظيمة من الأمة فبايست

بالمك مولاي حفيظاً (أوعبد الحفيظ) أبا السلطان عبد العزيز بفتوى من
 العلماء نصار في البلاد سلطانان سيجارب كل منها الآخر فكفون فرنسا شرقوة البلاد
 يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجا الى فرنسا لتحتفظ له
 سلطانه وتكفي شر أخيه كالجأ توفيق باشا الى انكلترا في إبان الثورة المرابية
 وبذلك يحتل فرنسا بلاد مرا كش احتلالا روسيا يسمي موقنا وتعمل عملها فيها
 باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها وأي
 ماسة أوربا في استعمار بلاد المسلمين لان حكمهم باسم أمراءهم وملوكهم أقرب
 الى السلام وأبعد عن النزاع والحصام

انه ليحزننا أن نرى مملكة اسلامية في الشقاء التي أحاط بمملكة مرا كش
 ولا يبرنا أن تبقى على ماهي عليه أو على ما كانت عليه اذا كان ما اتابها الآن
 مبدأ للانتقال من حال الى حال

وانه ليحزننا أن يكون انتقالها بقوة الاجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا
 لانرى منقذا تحيط من خيوط أشعة الرجاء في أولئك الرجال الجهلاء فباطلنا
 نصحناهم وأنذرناهم البطشة الكبرى (٥٤ : ٣٦ فماروا بالندر) بل كان مثلنا
 ومثل سائر الناصحين معهم (٢ : ١٧١ ككل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء
 صم بكم عمي فهم لا يفتلون)

ان أهل العقل والعلم من طلاب الإصلاح للمسلمين تمنى قلوبهم لو يدوم
 لسلطنة مرا كش استقلالها ويتحول طوقان أوربا عنها حتى يكون اصلاح حالها
 من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لا مطمع فيه وتدرك
 ان من العدالة العامة في الا كوان ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقذف
 بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن
 الارض بربها عباد الله الصالحون أي لها ربها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة)
 ولا شك أن العلم بالنظام ويطرق العمران وتأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به
 الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل وان الاوربيين يعدون
 والنسبة الى المغاربة من الصالحين لاستعمار الارض الذي امن الله علينا كما قال تعالى

(١١: ٦١ هو أنشأكم من الأرض واسمركم فيها) فكان الكتاب العزيز مؤيداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المفارقة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام إلا أن تتوب وتقيم الميزان بمد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان. ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الأرض إلا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجهل والحلل والافساد في الأرض هو الذي يخفف من ألم حسرة العقلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الإسلام فإن من يقضي القرآن بزوال دولته لا تكون دولته إسلامية ولكن قد تكون مسلمية وبهذا نبرى الإسلام بحق من مناقضة أصول العمران العلمي ونجعل ذلك على أعناق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الأوربية ﴾

ان أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الأوربية يتخيلون ان كل من تلقف لغة منها صار من العلماء الاعلام والحكام المرشدين للأنام ولكن هؤلاء المتعلمين يعدون بالألوف ولا نكاد نجد واحداً منهم في الألف يفيد أمته بكتاب يفضل به غير العارفين بهذه اللغات وانما نرى أثار ما يكتب كأنهم في الجرائد أو غيرها في منتهي السخف وضف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الأوربية وسيلة للعلم ليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بدونه ولا فهم

إذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علماً وبصيرة فإنه يوجد فيهم ألوف لم يستفيدوا إلا القروور والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الأجنبية التي يعرفها إلا عوناً له على إضاعة ماله وشره ثم هو يفاخر بالثقة وعلومها ويحترق علوم العربية من دينية وغيرها ويحط من قدر أهلها

للاستاذ الامام آتار جليله كتبها قبل ان يتعلم اللغة الفرنسية كمقالات الوقائع المصرية ومقالات العروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بمد تعلم هذه اللغة أدل على

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل يوجد في هؤلاء الأوف من المتعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكثرت ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والهند . ولا غرو فان العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوربية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوربية ولكن ما كتبه في الاستبداد لا يوجد في فلاسفة أوروبا كثيرين يكتبون أحسن منه أو مثله به الذين يعرفون لغات أوروبا وليس لهم من علومها سهم يعتد به .

وما لي لا أضرب لهؤلاء المذرورين الأمثال الابن ماوا فهذا رفيق بك العظيم فليأتونا بكثير من مثله من متعلمي اللغات الأوربية . وهذا صاحب جريدة المريد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة اللواء المعارف باللغة الفرنسية

فليخفف المذرورون برطانة اللغة الأجنبية من غرورهم فان الناس تفاضل بالعقول لا باللغات فذو العقل الكبير قد يقتبس العلم من الوجود كما اقتبس جميع الفلاسفة وان لما قبل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيد من ينابيعها وأصولها . نعم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع علماً منه قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستفي عن طائفة من الأذكياء ينفرون لا تقباص تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستفي عن طائفة يحبون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يستعمل لإحياء الأمة بمقوماتها الأصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوماً من غيرها أظهر لان فقد العلوم الأجنبية عنها نقص وفقد مقوماتها القدية موت وفناء فهل بقي بعد هذا البيان من عنده لبعض الأغرار المفتونين بما لقفوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تنقيص العلماء بديهم ولتتهم وتاريخهم اذا كانوا لا يوطنونهم بذلك اللغة

على ان وراء العلم الذي تعد الفئات وسائل له أمراً آخر هو مناط الافادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والإخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والشفقة وغير ذلك من الفضائل فإذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لغات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الاحتمال من تشوره ونظرنا في حال الذين يقال أنهم أوتوا نصيباً من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلهم شهوراتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لأمثال هؤلاء كالسيف في يد المجنون يخشى ضربه ولا يرجى نفعه للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سعد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعها الأستاذ الامام وسيف فتح أبوابها لطلالين الذين نجحوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للإسلام في هذا العصر وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون فن التعليم ما يرغبهم فيه ككونهم يتعلمون مجاناً ويتقدمون في المدرسة ومنهم من يأخذ مرتباً شهرياً أو من أصحاب القسم الثاني من تلاميذ مدرسة المعلمين الحديثية وأرسل البعث الى أوروبا لتلقي العلوم العالية في انكلترا وبنها في البلاد بعد عودتهم فآثرين ان شاء الله تعالى وهذه البعث أكثرها من اقد كور وبعضها من الاناث وقد انتقد ارسال بعض البنات الى أوروبا من انخدوا قبيح أعمال الحكومة دلائل على حبهم للوطن وأهلهم لعلهم أن السواد الاعظم لا يزال من الجبهة الذين يتعلمون تعليم البنات من المنكرات فهم يحتجون على قبح ارسال البنات الى أوروبا بكونه مخالفاً لرأي الأمة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الأمة من عهد محمد علي الى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتابيب القديمة والازهر ان جميع عقلاء الأمة العارفين بما ينقصها ويضرها متفقون على ان تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كمالها نعم انهم يختلفون في قدر ما ينبغي أن تعلمه البنات، ورأي كثير من المتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لمن وأنه لا حاجة أو لا ضرورة الى تعليمهن لغة أجنبية، ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يعارض وجوب تمييز من تعلم لتكون معلقة في المدارس على سائر

المطلبات فان من لا يتجاوز عليها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون مطلة فيها ثم اتنا ما دنا عالة على الافرنج في علومنا ومدنيقتنا وما دام أمر حكومتنا ومنها ادارة معارفنا في أيديهم أو تحت اشرافهم فلا بد لنا من مطلين ومطلبات من أهل العلم الاوربي الذين يتلقونه من معدنه عن أهله بلفتحتي لا تقوم علينا حاجة اتقوم بأنه ليس فينا أ كفاء يتولون التطعيم لاسيا تطعيم البنات . فارجال بعض البنات الهواني يرغبون هن وأولياؤهن بأن يكن مطلات في المدارس الى أوربا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المطلات الاوريات لاوسيلة سواها وينبغي أن يخترن من البيوت التي حسنت ترينها بالدين والأدب على أن الامة اذا سرت فيها الحياة المعنوية سر يانا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بين استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المتدلين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بصديق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كثرات من المشتغلات بالعلوم الكافية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالامانيد والتصدي لتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل الينا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبه التي قرأها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نبياء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فائحتها معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجيابة للمجاهدين وإيرائهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد بينا رأينا في الخطبة من خمس جيات - كونها من عالم رسمي وكونها من رجل يعد من بطانة الأمير والمقرين منه وكون التنديد بكلام لورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بعد نصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادي الجامعة الاسلامية الدين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا لشبهات التي تضمنها كلام اللورد على النقي الاسلامي كما قال أو على الاسلام كما يريد الشيخ شاكر وأمثاله ؟ ولكن هذا الجزء لم ينسج لما كتبناه فاشترنا اليه بهذه الكلمات

فهم مبادئ الدين يستمرون القول فينبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

روى الحكمة من يشاؤون وقت الحكمة قد آتوني
غورا كثيرا وما يفكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كثار الطرق

مصر شعبان سنة ١٣٢٥ - آخره الاثني ٨ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٧

السنوية والجامعة الإسلامية (*)

﴿ حقائق نافع ياتها ﴾

نله ظهر نقارىء من المقالة التي ترجمها الجريدة من قلم ضابط انكليزي له اطلاع على أحوال أفريقيا الإسلامية ان الاوربيين غير غافلين عن سير المسلمين في سائر شؤونهم وجميع أقاليمهم وراهم يظنون من الاهتمام بعض الذين لهم زعامة دينية وبكل ما هو مظنة القوة والاجتماع ما بين للسامع ان رابطة صغيرة بين جماعة قليلة من المسلمين ترى في نظر الاوربيين غولا يخشى اغتياله ويجب ان يحال بينه وبين النمو لئلا يكون شره مستظيراً

والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها الآن بما يقوله هذا الكاتب الانكليزي الذي ترجمته «الجريدة» قال:

«وقل ان ترى في أوروبا من يعلم شيئاً كثيراً عن هذا المذهب حتى لو سمع معظم الاوربيين كلمة «سنوية» لما فهموا شيئاً مع أنها لفظة لها في آذان فاهمها وقع شديد ومعنى مريض . وما يعلم عن هذا المذهب وان قل ينبغي باقتدار نفوذ وقوته وأنه على مضاده لاوربا لا يبعد ان يكون السبب في اخطار واهوالها بما افضت الى كسح النصر الايض من أفريقية كما نبدأ بذلك الدكتور كارل يتر وهو حجة»

ان هذا الكاتب الانكليزي قد عظم من هول زعامة السنوي تعظيماً جعله يستدبر الصواب استدباراً ونراه قد عزا لهذه الطائفة كل حركات عروق المسلمين في قلوبهم واحشائهم ولا يستطيع الواقف على حقيقة الحال الا ان ينيب في العجب اذ يراه يقول ان مصر من جملة البلاد التي يسري فيها نفوذ السنوي وأنها تحركت بأصابع من هذا النفوذ فيا للعجب متى تحركت مصر وكيف تحركت وما هي حركتها وابن هو سلك الانسال بين حركتها والكهر بائية السنوية ولكن ليست مصر وحدها في الانجذاب الى هذه الكهر بائية على رأي الكاتب بل كل حركات

(*) نشرت (الجريدة) ترجمة مقالة لضابط انكليزي تكلم في السنوية والجامعة

الإسلامية كلاماً خيالياً فكتب عليه السيد عبد الحميد الزهرري الحرر بالجريدة بهذه المقالة

قلوب المسلمين هموماً وأفريقيا المسلمة خصوصاً فهو يقول :

« ولا ينكر أحد ما يشمل الاقطار الأفريقية المسلمة وغيرها من السخط العام الآن واليك شاهداً على ذلك حرب الصومال والحركة المصرية وتورة زولو والقتال التي في مستمرة المانيا الجنوبية افريقية وحوادث شتى بالشاطىء الغربي . خطوب صغيرة لكنها تنذر بالخطب الاكبر والمجاهدة الدهيا . ثم اصف الى ذلك مسألة المغرب الاقصى ومصاعب فرنسا في شمال أفريقيا والحركة الاثيوبية (الزنجية) في الجنوب »

ويقول في مكان آخر « ويظهر ان الاضطراب الذي جرى بمصر حديثاً كان سببه دعاة الطريقة السوسية هناك وان كان السوسيون لم يريدوا ذلك الهياج ولم يستحوه لهيبه قبل اوانه وقد لم ينهضوا بتغذية الفتنة التي اتجهوا » ويقول في الختام « وخلاصة القول ان السخط بين اهالي أفريقيا عام طام فشرارة واحدة تضمم النيران من أقصى أفريقيا الى اقصاها وفي زهمي ان السوسية هي مصدر الشرارة التي لا بد ان تصيب نعم السخط المستمر في صدور الاهالي »

ان امثال هـ هذه الكتابة تدعونا الى ان تفكر ونستقصي بالبحث عن تفسيرها . ولا يظهر لنا من خلال المذاهب المتعددة في تفسير هذا الاهتمام الذي يظهره هؤلاء الكتاب الا ان اقوم مضطرون لهذا السهر والتجسس على شؤون البلاد التي ملكوها والتي يطعمون ان يملكوها فهم قد عرفوا ان القوة بالتضام والاتفاق ويريدون ان يقطعوا من البلاد التي يطعمون بها كل ارومة للتضام ويحرصون على ان يمجثوا كل سنخ للقوة . وقد زعموا ان الطريقة التي عليها السوسية هي ارومة عظيمة لتجمع المسلمين النابئين على اوروبا وان هذه الجماعة التي حوله سيكونون يوماً جيشاً جراراً كالجراد يقف في طريقه كل نابتة من الاوربيين

إما أن تكون هذه المزارع مصطنعة لتعظم الحكومات الاوربية في أعين شعوبها هول « الخطر الاسلامي » كي تكون تلك الشعوب راضية عن كل تلك بهذه الشعوب لقطعوا دابر كل نحاب بينهم وبقارف ونماطف حتى يكونوا اقذاذاً منطلي الاطراف مشرفين على الانقراض من غير رثاء وإما أن تكون قائمة في أذهانهم خطأ أو اسرافاً في سوء الفطن أو تكبر في تحبيلهم من مظاهر التآخي

الديني . وخلق بنا على كلا الوجهين أن لا نمر بهذه المسئلة متجاهلين هذه المزايم التي عليها يبنون صرحاً من سياسة الاسراف بسوء الظن . والكلام في روح هذه المسئلة وهي الرابطة الدينية والجامعة الاسلامية تدور حوله اغلاط كثيرة تقع من باحثينا وباحثيهم والاعلاط منشأ سوء التفاهم ومنشأ التنافر الذي ما برحنا نراه يمتد في عهد كنا نظنه يتقلص فيه . فلذا رجحنا اليوم أن نخوض غمار هذا البحث غير رامين الا الى تجلية الحقائق التي نعلمها وكلامنا ان لم ينفع في دوائر السياسة ينفع في دوائر العلم التي يطوف حولها الشرقي والغربي متصافحين ورجو أن يأتي يوم تلو فيه الحقيقة في هذه المسئلة على المزايم - مصطنعة كانت أم خطأ -

(١)

اللفظ في الجامعة الاسلامية

مركز الدائرة في هذه المسئلة هي الجامعة الاسلامية وقد شغف كثيرون من الباحثين منا ومن الاوربيين يلوغ الحقيقة في هذه النقطة فأبت على أكرم واستعصمت بحجب من التشابه فسمى السبيل على الطالبين واقسموا فرقا وسلكوا مذاهب أعقلهم الذين اعترفوا بأنهم لم يروا وجه الحقيقة ومنهم من وصف الذي شبهه زاعماتها هي الحقيقة . والذين اشتهروا الوصف والبيان ولم يطبقوا ان يظهروا المعجز من بعد البحث والنظر قد اختلفت أقوالهم فمنهم من يثبت وجود هذه الجامعة ومنهم من ينفيه . والمثبتون منهم من ينشأ به ومنهم من يبين ومنهم من لا يبي عليه املاً . ومنهم من لا يرجس منه وجلا

لكن يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها الكتاب الأوبيين ان في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة وان فيها خطراً على المستعمرات الاوربية أو قد تكون عائقاً عظيماً يوماً ما عن بلوغ أوربا أمانها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاءً تاماً . ويؤذن هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشاذين

والكتاب المسلمون يميل أكرم الى تصديق هذا الحدس الاوربي وتفتي أقلامهم بان المسلمين كثيرون وكلمهم في الدين اخوان وان مستقبلهم حسن بواسطة

كثرتهم وجامعتهم الدينية وعلى شيء من هذا بنى السيد توفيق البكري كتابه
« مستقبل الاسلام »

والقريب في الامر ان اكثر الباحثين في « الجامعة الاسلامية » يتون
فيها الاحكام من غير ان يقولوا لنا ما حقيقتها وما تاريخها . أفذلك لشدة وضوحها
أم لأنها ليس لها صورة حقيقية واحدة فهي تصور كما يقوم ظلها في خيال الكاتبين

(٢)

— حقيقتها —

ما الجامعة الاسلامية الا اتفاق في كلمة واحدة وهي أن القرآن كتاب الله جاء
به محمد رسول الله ولكن المطلع على تاريخ المتفقين هذا الاتفاق يعلم أنه لم يدفع
عندهم الاختلاف الذي لا اتفاق معه بعد فنذ اختلف المسلمون ثلثت جامعتهم ولم
ينفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ولا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . فما هي جامعة
قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافيا سياسيا واختلافادنيا يقبل بعضهم بعضا
ويستعين بعضهم على بعض بأهل الملل المخالفة من الاساس . ما هي جامعة قوم لم
يقتل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى منذ مقتل خليفهم الثاني الى
يومنا هذا . ما هي جامعة قوم يسر ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين
منهم . ما هي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم ان اجنبيا شرقيا (هولاء كو)
أكتسح بلادهم وهم في عزم فلم تتضام أيديهم على مقاتته وكانت لا تزال قوية
على قتال بعضها بعضا . وحدثنا التاريخ من حديثهم أن اجنبيا غربيا (الصليبيين)
هاجم بلادهم فلم يجتمعوا كلهم على طرده حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت
وحدها على صدده

الجامعة التي يلفظون بها هذه هي : « صورة مكبرة في خيال الأوربيين منترعة
من دعوى المسلمين الأخاء الديني . وصورة محبوبة في خيال المسلمين منترعة من
مس الحاجة الى مثلها على رأيهم » ثم قد أصبح لها تين صورتين ظل في الوجود
قام عليه الحساب الحاضر قالا ورد بي يقول يجب محو هذا الظل لتلايصير شجأ حقيقيا
هائلا ويذهبون في محوه مذاهب كما بين في كتاباتهم المتنوعة المختلفة . والمسلم

قول يجب جعل هذا الظل شعباً حقيقياً ليكون بيتاً عاماً حقوقاً أجمعين ولهذا
عظم تثبت المسلمين هذه السنين الأخيرة بمسئلة هذه الجامعة الإسلامية لإدلاء
على التضام والترابط ولكن لا يصنع هذا شيئاً ما دام الاختلاف الديني والسياسي
قائمين أن يدوم تقبل المسلمين بعضهم بعضاً ويقعد بعضهم عن نصره الآخر .
لو تدبر الأوربي والمسلم لاتفنا إلى أمر نافع غير هذا لأن الظل لا يصير شعباً .
لو تدبر الأوربي لعرف أن الجامعة الإسلامية قد انحطت الأمر في إبادة ملك المسلمين
ولعرف المسلم أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم العلم الصحيح عند مقام التقاليد
وتكون الجامعة يومئذ جامعة قومية

(٣)

- السخط العام من الأوربيين -

لو تدبر الأوربيون لعلوا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمعونه
ليس ناشئاً من الجامعة الإسلامية بل هو ناشئ من سوء الإدارة وهو يجر إلى
هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين ويشهد التاريخ أن
شعوباً كثيرة هاجت على حكوماتها نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين
فاذا لم ينتظر الأوربيون من المسلمين الدين تحت حكمهم هياجاً إلا باسم الدين
فإنهم سوف يتعبون من سوء نتائج هذا الخطأ على تماذي الأمام

(٤)

- خطر الجامعة الإسلامية -

وعندي أنه إن صح أمر الجامعة الإسلامية لا ينتظر منها الشر الذي يندر
به كتاب الأوربيين إلا أن يكون الشر عندما هو ضد المطامع وإيقافها عند حد .
ولماذا لا ينتظرون إلا الشر من قوم كان لهم دول عظيمة فلم يسيئوا إلى بني آدم
كما ينتظرون منهم الآن

(٥)

- السنوية -

أما السنوية فطائفة في الصحراء بين طرابلس ومصر ملتفون حول شيخ

طريقة في الارض كثير من أمثاله وأمثاله . واضح هذه الطريقة هو السيد أحمد بن ادريس وهو رجل من صوفية المغرب وعلمائه رحل الى اليمن وتوفي فيها وهو شيخ الاستاذ المرغني المشهور وشيخ الشيخ ابراهيم الرشيدى وشيخ العلامة السيد السنوسى «محمد علي» المولود عام ١٢٠٤ في مستقلم وقد طلب العلم في فاس ثم رحل الى مكة فلقى أحمد بن ادريس فأخذ عنه التصوف وخلفه في الطريقة واحب أن يؤسس له مركزا في الحجاز فلم يساعد على ذلك فقادر الزاوية التي بناها في جبل أبي قبيس (عند مكة) ورحل الى طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ ونزل في الجبل الاخضر وبنى هناك عدة زوايا ثم رجع الى الحجاز سنة ١٢٦٣ فأقام بمكة سبع سنين يقرئ الحديث فلما ذكره وزير مصر عائدا من الحجاز فاجله عباس باشا الخديوي اذذاك وهرع الناس لزيارته . ولما كثر مريدوه في صحراء ليبيا أراد أن يعتزل البلاد التي فيها الأمر والنهي لحكومات معروفة فأرشده مريدوه الى جنوب لوزنتها ووجود الماء هناك فبنى زاوية عام ١٢٧٣ هـ وأقام فيها بين عربان البادية الى أن توفي عام ١٢٧٦ هـ خلفه ابنه السيد محمد المهدي السنوسي وقام مقامه بنشر الطريقة وازداد عدد المريدين على عهد هذا ودخل في مريدوه ملك واداي فلذلك أصبح مقامه في تلك الجهات ك مقام الملوك لأن مريدوه يجوبون له عن طيب نفس المفروض عليهم من زكوات اموالهم وهو يصرفها على اللاجئين الى تلك الزوايا من الضعفاء والمرابطين وابتاء السبيل

وكل من عرف السوسية حق المعرفة يمتدحهم على قيامهم في كبد هذه الصحراء بما ينعم بهي آدم من الموائجة وتقليل الشرور بين القبائل وايواء ابن السبيل وتعليم الجاهل وارشاد الضال فلماذا لا يترقب كتاب الأوربيين من هؤلاء الاكل شروهم قوم قد بعدوا جهد استطاعتهم عن هذه السياسات المبنية على مالا عدله من العلم . ولا ذنب لهم الا شبه قوة على الدفاع

هذه حقيقة السوسية لا ما زعمه الكاتب من انها جمعية سياسية في لباس ديني تربي بالاوربيين يوما عبوسا قطريا يكون شره من سيوفهم وبنادقهم مستطيرا هذا وقد حاول جلالة السلطان استدعاء السنوسي الى الاستقامة بايجاز من

سياسة أوربية فلم تنجح هذه الدعوة ولم تكن نتيجة البعثة التي بعثت لهذه المهمة
 الا تبادل التحيات والمدايا فالسنوية في منزل عن هذه الامور ولا نظن بالسيد
 السنوسي شيخ هذه الطائفة اليوم انه يعني من وراء هذه العزلة الدخول بنفوس
 خلق الله الى المذابح البشرية وأبعد شيء عن الصواب زعم الكاتب وأمثاله
 ان الفروض الدينية هي التي تحمل على اباده غير المسلم وهذا انتهى الجمل بالتاريخ
 وقانا الله سوء نتائج الجولات
 عبد الحميد الزهراوي



﴿ الجامعة الإسلامية ﴾

كتب رفيق بك العظم الشهير بمباحثه التاريخية والاجتماعية رسالة في الجامعة
 الإسلامية أشرنا اليها في الجزء الماضي ووفاء بالوعد نقبس منها ما يأتي

— هل صحيح ما تقولوه أوروبا —

﴿ عن الجامعة الإسلامية ﴾

علت أيها القارى من هذا التمهيد ان الاجماع يستدعي بطبيعته وجود
 الروابط القومية والوطنية الخ وان الفرض من هذه الروابط حفظ التوازن بين قوي
 المجتمعات الانسانية الميالة الى المغالبة بحكم الانانية والطمع وان أقل هذه الروابط
 تأثيرا في المجتمعات رابطة الدين وان المسلمين لم تجمعهم هذه الجامعة يوما حتى
 ولا على التماون على دفع الكوارث الكبرى التي حلت ببلاد الاسلام من هجمات
 أهل الصليب والتار ولو اجتمع المسلمون امام أمثال هذه الجوامع الكبرى سواء
 في ذلك الوقت أو الآن أو كل زمان لأتوا عملاً تسند عليه طبيعة الوجود لاسبه
 فيه ولا مواخذة عليه الا اذا محبت من صفحات الوجود قوانين الروابط الاجتماعية
 بحكم الاخوة الانسانية والمساواة العامة بين افراد البشر وأقوامهم ولا يكون هذا الا
 اذا استبدل البشر بخلق آخرين من جنس الملائكة المطهرين
 اذا تقرر هذا فاعلم ان دعوى القائلين بمحط الجامعة الإسلامية المتوقع بمصانها

الذي يريده أولئك القائلون مدفوعة من وجوه

الوجه الأول : ان الجوامع الجنسية غالبية عند الام وأخصها الأمة الإسلامية لهذا نرى المسلمين قد مزقهم الاوريون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية دون أن يجد بعضهم يد المعونة الى بعض باسم الدين والجامعة الإسلامية لفئة العصبية الدينية ولتخاذهم المعروف المثاني عن تعاهد أمراءهم الذين أعمام الجهل وحب الذات والانانية الباطلة حتى عن الاعتصام بالجموع السياسية التي تقضي بها أجيالنا المصالح المتحدة بين دول الارض

الوجه الثاني : ان المسلمين ولو اجتمعوا باسم الدين لمناهضة دول أوروبا فلا يكون اجتماعهم خطرا على المدنية كما يذهب اليه سياسيو المغرب بل يكون وفاة بحق القومية ورجوعا الى الاعتصام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية الغربية التي اجتاحت أغلب ممالك الاسلام وكانت خطرا كبيرا على حياة المسلمين السياسية وقد أبننا فيما سبق ان قوانين الاجتماع الطبيعية تقضي على الشعوب بالقدود عن مجتمعا والذب عن استقلالها مالم يصبح البشر كله في حقوق الانسانية والتتمتع بشمات الحياة سواء

الوجه الثالث : أن القول بالجامعة الإسلامية واتحاد الاسلام وغير ذلك من الالفاظ الوضعية التي أراد واضعوها ايفار صدور الام على المسلمين انما هي من موضوعات السياسيين في هذا العصر لم ترد في تاريخ الاسلام وليس لها في الدول الإسلامية شأن غير سياسي أصلاً وهو شأن الدول القارة والام الفاتحة في كل عصر وعلى تقدير ان هناك ما يدعو الى الفطن باتحاد المسلمين في هذا العصر فنشأوه اتحاد أوربا على كدساح ممالك الاسلام واستعباد المسلمين فليسموا اتحاد المسلمين بازاء اتحادم الاتحاد الديني أو الجامعة الإسلامية أو الشرق والغرب أو ماشاوا من الاسماء أفليس معنى ذلك كله ان المسلمين يريدون الاعتصام بجامعة كبرى تقابل اجتماع الدول المسيحية على احتضام حقوق الام الإسلامية

من العجيب أن الدول الأوروبية التي تسوغ لنفسها الحق بالاستيلاء على الممالك الشرقية والقضاء على حياة المسلمين السياسية لا تسوغ للمسلمين الحرص على هذه

الحياة بأن يحموا بقوة الاجتماع والتآلف ذمارهم ويصونوا من عبث العائنين استقلالهم وإن ينادي ساستهم أن في وجود الجامعة الإسلامية خطراً على أوروبا وبعبارة أوضح علي سياسة دولها الموجهة الي تدوين الممالك الاسبوية والافريقية ولا يجوز أن يقول المسلمون أن في وجود الجامعة المسيحية الاوربية خطراً على الممالك الإسلامية مع تحقق الخطر من قبل هذه واتفاقه من قبل تلك ان ساسة المغرب يوهون العالم أن الجامعة الإسلامية خطر على المدنية لا صلبها بصيغة دينية مع أنها خير على المدنية وأرجى لتنع الانسانية لو قام بها المسلمون وإليك البيان

﴿ الاسلام والجامعة الإسلامية ﴾

من المعلوم بالضرورة أن معنى الدعوة الى الدين هو ربط أفراد كثيرين وأقوام عديدين بعقيدة واحدة فالأمة التي تدين بدين واحد مسوطة بضرورة المشاركة في الاعتقاد الى المشاركة في المواطن وهذا هو الارتباط الديني الذي قلنا أنه كباقي الروابط طبيعي بين البشر مادام لهم دين أو أديان والاسلام من هذه الوجهة كباقي الأديان الا أنه يمتاز بأمرين جديرين بالنظر والاعتبار وهما توجيهه بشأن الأرباط الأخوي بين المسلمين ارتباطاً خاصاً ثم الارتباط الانساني بين الناس كافة ارتباطاً عاماً ومما جاء في الأمر الأول قوله تعالى في القرآن الكريم (إنما المؤمنون اخوة) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وفي الحديث النبوي (المسلمون تتكافأ دماهم ويسعى بعضهم أذنابهم وهم يدعى من سواهم) وفي الحديث أيضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ولذا كانت رابطة التعاون والإخاء عقيدة من عقائد المسلمين وإن تناسوها ولم يعملوا بها الا قليلاً

ومما جاء في الأمر الثاني في الرابطة الانسانية قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي الحديث (لافضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) (١)

(١) أين هذا مما يفتقده الاوربي من أنه أفضل البشر وأساهم

وأنت ترى من هذا أن الإسلام له رابطتان رابطة المواطنين التي يشترك بها كل أرباب دين ورابطة التعاون والأخاء التي يدعو إليها بالفعل إلا أنه بين معنى هذا التعاون في أنه على الخير دون الشر وعلى البر بالناس دون العدوان عليهم لكي يكون ارتباطهم بجامع الأخاء الديني واجتماعهم عليه غير مقصود به العدوان بل المحاسنة والاحسان وصريح قوله بالاجتماع وعدم التفرق مهول على ما تستدعيه حالة الاجتماع من لزوم حفظ البيضة وكف الأيدي العادية عن المجتمع وهذا ضروري للمجتمعات كما أشرنا إليه في التمهيد

ثم لكي لا تكون جامعة الدين سبباً للعدوان مع الآخرين بل وسيلة الى التدرج في مدارج الانسانية في أعم مظاهرها وهي المساواة العامة بين أفراد البشر وأقوامهم فيما تقتضيه حقوق الانسان على الانسان من الكرامة وحسن الجوار وتبادل المنافع والأعمال التي جعلت الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجاً الى التعاون مفتقراً بعضه الى بعض قال الله تعالى ارشاداً للمؤمنين الى ذلك (يا أيها الناس اتخلفناكم من ذكروا نبي) الآية

هذه هي الوحدة الدينية التي يدعو إليها الإسلام أفلا يرى المنصفون من كل قبيل أن الجامعة الإسلامية التي يوهم ساسة الغرب العالم المسيحي بخطرها على المدنية اذا اصطفت بصفة الدين هي خير للمدنية من أن لا تصبغ بهذه الصبغة (٢) وأن فوضى العقول عند الطوائف الإسلامية تأتي بما هو شر على المدنية مع تنكر نفوس المسلمين لهذا العهد لما تأتي به دول أوربا لمضادتهم ومضادة دولهم من أصاليب المكر والخديعة توصلوا لامتهان حقوقهم وسلب استقلالهم ووطء بساط ملكهم حينما كان

اللهم ان المسلمين ما قذف بهم في لج الحيرة ووقف بهم عن السير مع الامم الراقية في سبيل المدنية الصحيحة وكشف ما بينهم وبين الامم المتعدنة فرموهم بكل نقيسة ونالوهم بكل سوء الا انقسام عروة وحدتهم الدينية والخروج عن

(٢) ان حزب الاصلاح الاسلامي الداعي الى اصلاح الدين هو الذي يريد

مثل هذه الوحدة ويدعو إليها لما فيه من التقارب بين الشعوب

قانونها الجامع الذي يرمي الى غرض الاجتماع الصحيح والمدينة الفاضلة ويريد الشعوب على توحيد الكلمة لضرورة القيام على شؤون الحياة المدنية وانما يتحقق معنى الحياة في قوم أعزوا جانبهم وذاذوا عن حوضهم وكانوا يدا على من قاواهم واقتطوا في المعاملة الى من عداهم وهذا ما يريد به الاسلام

من الظلم أن يمثل ساسة المغرب الجامعة الاسلامية بصفتها الدينية في صورة ينكرها الاسلام ويأبأها العدل ولا تنطبق على نص من نصوص الدين كما رأيت وحسبك من الدين والتاريخ دليلا على أن الاسلام لا يحض أهله على الجامعة الا ليكونوا يدا على من قاواهم وأن يقتطوا الى من سواهم وان افرق عنهم في الدين ما لم يبادئهم بالعدوان ويردبهم السوء . إن بعض القرشيين من المشركين كانوا يزورون بعض المهاجرين من ذوي قرابتهم في المدينة فلا يقبلون عليهم ولا يحسنو اليهم لما عرفت به قریش من الشدة على المسلمين والاصرار على الشرك فزلت في ثيبيهم الى أن الدين لا يمنع من الاحسان الى غير أهله ماداموا غير مناوئين للمسلمين هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

وهذا التسامح الذي عرف به الاسلام ونبه عليه القرآن هو الذي سد كل منفذ من منافذ الاغراض السياسية التي تفسد نظام الاجتماع وتفرق وحدة الانسانية وتلقي العداوة والبغضاء بين بني الانسان فلم يستطع زعماء السياسة في الدول الاسلامية جمع الشعوب العائشة في البسيط الاسلامي على كلمة الاسلام بقوة الاكراه ولم يسمح أن ياملوا مخالفتهم في الدين بضروب من العنت تلجئهم ولو الى الهجرة والجلال : من بلاد بسط عليها الاسلام جناح سلطانه وآخر من نهد انه حاول ذلك من ملوك المسلمين السلطان سليمان العثماني فانه لما رأى شغب المسيحيين في ولاياته الأوربية ووالي خروجه عن الطاعة وعلم ان قيامهم على النصرانية خطر على تلك الولايات استغنى علماء عصره في اكرامهم على الاسلام فأبوا أن يقتوه بذلك وكان ماوقعه ذلك السلطان من الخطر على تلك البلاد فضلاً عما لاقته الدولة العثمانية من النصب والتعب في سياسة أهلها ولم تزل تلاقيه فيما بقي منها في حوزتها الى الآن

ان السياسيين وأهل الانانية المنوحشة في أوروبا الذين يرجفون بمخطر الجامعة الإسلامية لا يرون ان من الخطر على المدنية والبعث بنظام الألفة الانسانية والوحدة البشرية اضطهاد المسلمين الذين تحت كنفهم وارضائهم بضروب من الاذلال والاعانت قصد القضاء عليهم واستئصال شافتهم باسم السياسة و يرون ان من الخطر على المدنية وجود جامعة إسلامية تعامل باسم الدين مخالفيهم في السياسة والدين معاملة الا كفء في الانسانية والعشراء في الوطنية كما سبق بيانه أظليس في هذا ما يدعو الى الحكم على رجوع الانسانية القهقري وتقدم المدنية الى الوراء حقاً ان هذه (السياسة) المطلقة من قيود الانسانية والوجدان ومن قيود الحق والعدل تشبه في تشكيلها حكايات الفيلان الواردة في أساطير الأولين وثمانيل إله الشر عند اليونانيين فالسياسيون اذا ساقوا الشعوب الى الدمار وقتلوم بالسيف والنار قالوا انها السياسة واذا وطئوا بأقدامهم الحقوق وامتهنوا الشرائع اتهموا السياسة واذا أخطوا خطأً يجلب على بلادهم الدمار وعلى دولتهم العار تدرعوا بالسياسة وبالجملة حيثما صنعت لهم سائمة شر قدموا امامهم السياسة فالسياسة عندهم (كالجسم المرن) قابلة لتشكيل بأشكال الأهواء التي تنبث في نفوسهم وتدعوم اليها اطماعهم ولهذا لما استباحوا لجامعتهم الأوربية المسيحية السياسية اضطهاد الجامعة الإسلامية في ملكها ودينها وأهلها ورأوا أن يأتوا لهذا العهد على البقية الباقية أخذوا يصيحون بمخطر الجامعة الإسلامية تمهيداً لمقاصدهم السيئة وتكفيرا عن اجرامهم الى المسلمين أمام العقلاء وانصار العدل والفضيلة من أهل البلاد الأوربية وسوف يعلمون أنهم مخطئون اه

(المنار) ويلى هذا فصل في الرسالة عنوانه « أوروبا والجامعة الإسلامية » فيه

كثير من الحقائق التاريخية والمبر



حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

﴿ رأيه في التعلم والتعليم ﴾

بيننا كيف تعلم أبو حامد الغزالي حتى صار حجة الاسلام، وإمام العلماء الأعلام، وهو أنه اجتنب التقليد وجرى على طريق الاستقلال، وكيف ربى نفسه بالرياضة والعمل حتى صار شيخ المارفين، وصفوة الصديقين، وتوفي على ذلك ببيان رأيه في التعلم والتعليم والعلوم وتربية النفس والكمال البشري في الدنيا باستخلاص ذلك من كتبه وتقديمه زبدة تربية لطلاب الكمال في العلم والمعرفة والعمل والمجاهدة وما يتبع ذلك حتى كأن المطلع عليه أدرك حجة الاسلام في نهايته، وأخذ عنه صفوة حكمته، وما كان ليتيسر لنا هذا لولا أن سبق لنا مطالعة هذه الكتب من قبل بقصد الاهنداء بها، وأخذ الحقائق منها، وقد كنا ذكرنا في المنار ان كتابه إحياء علوم الدين كان أستاذنا الأول وأنا وقتنا لمطالمة قبل الشروع في طلب العلوم الآلية والشرعية وبارشاده كان لهذا الماخر طريقة خاصة في الطلب مقرونة بالنية الصالحة كان من أثرها ما عبر عنه شيخنا الشيخ حسين الجسر بقوله في ملأ من الناس بدار علي أفندي السمين بطرابلس الشام: ان فلاناً ساوى في سنة واحدة من سبق لهم الاشتغال علي سبع سنين من أذكاء الطلاب: والفضل في هذا بعد عناية الله وهدايته لابي حامد الغزالي جزاه الله عنا خير الجزاء. وإنما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في المنار أنني أجري فيها على بينة وخبرة، ثمكنت لاكن يريد ان يكتب عن عالم أوحكيم فينظر عند الكتابة الى بعض ما قيل فيه وبعض ما يؤثر عنه فيختطف من ههنا عبارة ومن هناك إثارة ويجعل ذلك ترجمة، ولترغب طلاب العلوم لاسيا الأزهريين منهم في التأمل والتبصر فيما نكتب عن هذا الامام ونحري الاستفادة منه ولعل ذلك يكون مشوقاً لهم الى مطالمة الاحياء وفيره من كتبه

﴿ رأي الغزالي فيما يطلب من المتعلم ﴾

تلخص ما يأتي من كتاب العلم من الإحياء مقروناً بالعبارة فقد جاء في الباب الخامس منه في آداب المتعلم والمعلم ما يأتي : أما المتعلم فأدابه ووظائفه (٥) كثيرة ولكن ينظم تقاريفها عشر جمل
وظائف طالب العلم وآدابه

(الوظيفة الأولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الأوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقرية الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبثات فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالمعلم الا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف »

أقول ثم أطال في هذا وقد اشترطه مثله صاحب التريمة الى مكارم الشريعة لطالب علم الحقائق فقال « حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعي ثلاثة أمور - الأول أن يطهر نفسه من رديء الأخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن الا بيتاً طاهراً وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب » وقد شرح الغزالي هنا حديث عدم دخول الملائكة بيتاً فيه كلب (وهو في الصحيحين) بطريق الإشارة والاعتبار فقال :

« واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشهه الى الدنيا والتكلم عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور ، والصور في هذا العالم غالبية على المعاني اطنة فيها ، وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على

(٥) هي جمع وظيفة وهو استعمال مولد وأصل الوظيفة من الشيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو شراب أو علف للدواب ذكره في لسان العرب وقال : وظيفته توظيفاً ألزماً إياه (أي الوظيفة) وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل : اه فإطلاق أهل العصر الوظيفة على أعمال الحكومة له وجه وجه

صورته المعنوية » ثم قال

« فان قلت كم من طالب رديء الأخلق حصل العلوم فيبهات ما أبده
عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن
يظهر له ان المعاصي سبب قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سبب مع علمه بكونه
سبب قاتلا انما الذي تسفه من التوسمين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ويرددونه
بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس
العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القالب: وقال بعضهم انما العلم الحشية لقوله
تعالى (٣٥ : ٢٨ انما يخشى الله من عباده العلماء) وكأنه أشار الى أخص ثمرات
العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم نعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون
الا لله ان العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه

« فان قلت اني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع
والاصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت
مناقب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الفناء من
حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب
الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة وسيأتي فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء
الله تعالى »

أقول المراد بهذه الوظيفة مانع عنه بالتربية النفسية فمن رأيه انها مقدمة على
التعليم وأن من يعلم من لم تهذب أخلاقه كان كمن يقدح الدر أعناق الخنازير، ويعطى
السلح للمجانين، وذلك أن المهتم الفاسد الأخلق يستعين بعلمه على الشرور والفساد
في الأرض كما هو مشاهد . ومن رأي كثير من العقلاء أن علة سوء حال أهل
الأزهر هي كونهم ممن لم يتحلوا بتربية ولا تأديب لكونهم من بيوت لا تعرف
للتربية معنى ولا للتهذيب سيلا ولا للعلم قيمة وإنما يقذف أهلها بأولادهم في الأزهر
لأجل الخلاص من خدمة المسكرية أو لأجل الجراية وأرقمهم من بقصد أن يكون
بعد التعليم قضا أو مفتيا ولا شيء من ذلك يعد من طلب العلم لوجه الله واذا
لم يقصد بالعلم الذي وجهه الله بإحياء هدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا صلاح

حال مجادته في نفوسهم وأحوالهم الاجتماعية فأني غناء فيه وكيف يرجي الخير من صاحبه بل لا يشك عاقل في كون طلب العلوم الدنيوية لا يكون مرقيا لنفس صاحبه وحاملا له على خدمة أمته بالاخلاص النافع الا اذا صحته تربية النفس وتهذيب الاخلاق وحسن النية فمن كان فاسدا الاخلاق اتخذ العلم وسيلة لحفظ الدنيا وشهواتها لا يبالي في سبيلها بأمة ولا ملة . ففساد الاخلاق هو السبب في قلة النابغين في علوم الدنيا والدين ، وقلة العاملين المخلصين ممن يعدون نابغين ، ولو كانت نفوس أكثر المتعلمين منا أو الكثير منهم عالية وأخلاقهم كاملة لسهل عليهم النهوض بهذه الامة الى أوج العزة في زمن قصير ، ولكن بلائنا بقدر العوية أضف بلائنا بنقص التعليم ، . واذ قد قرأت بعض كلمات حجة الاسلام في علماء الدين في عصره المنير فاذا تقول فيهم في عصرنا هذا ؟ ثم قال

(الوظيفة الثانية) ان يقلل (وفي نسخة بفرغ) علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان الملائق شائعة وصارفة (٤: ٣٣) ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه) ومهما تزرعت الفكرة نصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيتك كلك فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر (يريد على شك) والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فتشفت الارض ببعضه واختطف الهواء ببعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزاج « أقول انه جعل الرحلة ومفارقة الوطن والاهل وتقليل الملائق والشواغل وظيفة واحدة لأن الغرض منها فراغ الفكر وصفاء الذهن فكأنه هو الوظيفة المقصودة وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا للرحلة في طلب العلم وكونها مزيد كمال في التعليم وما زال الناس على هذا في الشرق والغرب حتى ان أهل المملكة الواحدة من ممالك أوربا لا يكتفون بالرحلة من بلد من بلادهم الى آخر لجودة التعليم في مدارسه واتساع دائرة العلوم فيها بل يرحل منهم كثيرون الى مدارس مملكة أخرى كرحلة أهل فرنسا وانكابترا الى سويسرا وألمانيا . ثم قال

(الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا ينأى عن العلم بل يلتقي باليهزمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحة اذعان المريض الجاهل للطبيب

الشفق الحائق . وينبغي ان يتواضع لعله ويطلب الثواب والشرف بمخدهته
فلا ينبغي لطالب العلم ان ينكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن
الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة . ومهما أشار عليه المعلم
بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أفضح له من صوابه في نفسه
اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفسها وبالجملة كل
متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران .
أقول ذكر في هذه الوظيفة كثيرا من الاداب قد يتوقف في تقليد المعلم منها
ويظن ان هذا مخالف لما ذكرناه عنه من سلوك طريق الاستقلال في العلم وانما
يظن هذا من يفضل عن الفرق بين العلم نفسه وبين طريق التعليم فتحكم الطلاب
في طريقة الاستاذ في التعليم خرق وفساد لا يجوز مجال ولو جاز هذا لكان مؤديا
الى الهال عند ما يقترح كل طالب طريقة غير التي اقترحها الآخر وأنى يكون
لتلميذ رأي في طرائق التعليم وهي مما لا يعرف الصواب فيها الا بعض العلماء المجرىين
وانما بينت هذا على ظهوره ليعتبر به طلاب العلم في الازمة فان كثيرا منهم يمدون
عقبة في طريق إصلاح التعليم بما جروا عليه من الماديات في المطالعة والفهم بطريق
التفكيك وتتبع المفردات والأعراض عن الأساليب والتزام الشروح والحواشي
والتقارير وقد كملت غير واحد من المدرسين في تحسين طريقة التعليم بالجري
على الأساليب الحديثة فاعتنقوا بأن المجاورين يتروكون دروسهم اذا هم تركوا
المألوف فيها . وانما يأتي هذا الافساد من المجاورين الذين ألفوا طريقة الازمة
الصيقة بطول الجري عليها اذا المبتدىء لا رأي له وكان المنتظر من هؤلاء اذا تحكوا
في ذلك أن يكونوا وسيلة للإصلاح لا للبقاء على الخطأ القديم . نعم ان فيهم من يطلب
الإصلاح فلا يجده وهم الاذكياء من تلاميذ الاستاذ الامام رحمة الله تعالى وقد
وجدوه الآن بمدرسة القضاء الشرعي وسيظهر أثر ذكائهم واستقلالهم بعد زمن
قصير ان شاء الله تعالى

على أن التقليد في العلم نفسه ضروري للمبتدىء حتى يصير اهلا للنظر والاستدلال ،

فبعد ذلك يسلك طريق الاستقلال ، ثم قال

(الوظيفة الرابعة) أن يحتصر الخاض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن أولا الطريقة الحميدة المرضية عند أسناده ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن أسناده مستقلا باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل وفيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمي تقود العميان ارشادهم . ومن هذا حاله فهو يبد في عمى الجيرة وتيه الجبل

« وضع المبتدي من الشبه يضاهي منع الحديث المهد بالاسلام من مخالطة الكفار . ونذب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار وينذب الشجاع له . ومن النقلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك أن وظائف الأقوياء تختلف ووظائف الضعفاء « الخ أقول وقد جرى هو على ذلك فانه أقن في الفقه مذهب الشافعي وفي الكلام مذهب الأشعري ثم نظر في سائر المذاهب والآراء على طريق الاستقلال ومن لم يتقن في أول أمره شيئاً قلوباً يستفيد بذلك من الخلاف الأجرية واضطراباً . وما حذر عنه من الأخذ عن الذين ينقلون المذاهب والأقوال ويعجزون عن تأييد شيء منها هو من أفتق ما يساق الى مجاورتي الأزهر الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء المعلمين الذين لا يكادون يجزمون في مسألة خلافية بشيء واشتهر بعض تبرأهم بذلك حتى صار بعض المجاورين يظن ان سرد الأقوال والآراء في المسألة هو الكمال في العلم وما هو الا متهمي الجهل الذي ينصب بالاستعداد للعلم حتى ان من طال عهده به لا يمكن أن يكون عالماً وحسبك بحجة الاسلام مختبراً وناصحاً . ثم قال

(الوظيفة الخامسة) أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودية ولا نوعاً من أنواعه الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التجسس فيه والا استنقل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية (أي أخذ منها الطرف

(والتواضع) فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى (١١:٤٦) وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وقال الشاعر:

ومن بك ذا فم مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها أما سالكة بالمد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود. والقوام بها حنطة كحفاظ الرباطات والتغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى « اه كلامه

أقول وهذا الكلام الأخير مبني على ما قرره في هذا الكتاب من كون جميع العلوم النافعة في الدين أو الدنيا مفروضة دينا حتى فنون الصناعات التي عليها مدار الميضية قائما من فروض الكفايات كفنون اللغة وكصلاة الجنازة ومتى صلحت نية القائم بها وأحسن عمله بالصدق وعدم الفس كان عمله هذه الفنون وبمه فيها عابدا لله تعالى مستحقا للثواب في الآخرة

وأما ما قرره من طلب الاطلاع على جميع العلوم والفنون المتداولة في العصر فهو ما جرى عليه في تربيته لنفسه وعليه علماء فن التعليم من أهل هذا العصر وهو حجة على كثير من شيوخ الدين عندنا فإنهم لجهلهم بأنفع علوم العصر الكونية والعقلية يعادونها وينفرون طلاب العلوم الدينية منها فيجنون بذلك على دين أمتهم ودنياها ويمدون الناس عن الدين بزعمهم ان هذه العلوم تنافي الدين كما قاله الامام النزالي في أمثالهم من أهل عصره وسيأتي نقله عنه في فصل الكلام عن رأيه في العلوم . ثم قال :

(الوظيفة السادسة) ان لا يخوض في فن من فنون العلوم دفعة بل يراعي الترتيب وينتدى بالام فإن المر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالخزم ان يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في اليسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة «

أقول ان هذا مسلم في جملة عند علماء فن التربية والتعليم من أهل هذا العصر وهو مرتبط بما تقدم في الوظيفة الخامسة وقد صار الكثيرون من أهل الغرب الذين اتسمت عندهم دائرة العلوم وكثرت فروعها يصرفون جسام قوتهم الى اتقان فرع من فروع العلم الواحد كطب العيون أو طب الأذان أو طب الامراض العصبية من علم الطب مثلاً وذلك بعد تناول طرف من كل علم وفن كما تقدم . وأما كون علم الآخرة هو أشرف العلوم فسيأتي بيان المراد منه وقد ذكر فيه هنا ما لم نر من الصواب ذكره ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبمضاها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج قال تعالى (١ : ١٢١) الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته (أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحراه الترتيب الى ما فوقه . فنبني ان لا يحكم على علم بانفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بخالفاتهم موجب عليهم بالعمل . قري جماعة تركوا النظر في العقليات والفتقيات منطلعين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة في مقياس العلم . وترى طائفة يستعدون بطلان الطب خطأ شاهده من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه خطأ اتفق لآخر . والكمل خطأ بل ينبغي ان يعرف الشيء في نفسه فما كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله : »

أقول ان هذه الوظيفة توجد في أكثر النسخ وسقطت من النسخة التي شرح عليها الزبيدي فالوظائف فيها تسم . وقد ذكر فيها أمران أحدهما ترتيب العلوم وهو مما لا مجال للخلاف فيه لاسيما في العلوم المتحدة في النوع كالرياضيات فان من لا يتقن الحساب لا يفهم الهندسة لتوقفها عليه والهيمية الفلكية متوقفة عليها جميعاً . ولأهل هذا العصر في ترتيب العلوم بالمدارس النظامية إتقان أي إتقان . والامر الثاني الحكم على العلوم بالوقوف عليها ومعرفة موضوعها وغايتها وأهم مسائلها

لا باعتبارات خارجة تؤخذ من حال أهلها كما ينفر بعض شيوخنا عن علوم مصر بشبهة قلة التمسك بالدين من أكثر متعلميها وما يدريهم أن ذلك جاء من سوء نظرية لا من طبيعة العلوم والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقولون قال (الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وأن ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها . وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرة ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فأياك وإن ترغب إليه وإن تفرص إليه »

أقول يعني بالطريق الموصل طريق الصوفية الذي وصل هومته بمدان انقطعت به الطرق الأخرى من الكلام والفلسفة ومذهب الباطنية . وهكذا شأن الدعاة يطرقون إلى مقصدهم من كل ناحية اتحوها . ومن الناس من يقول أن أبا حامد يجذب الناس إلى الآخرة حتى يوشك أن تكون قراءة الإحياء وما شاكله من كتبه من أسباب تعطيل مصالح قارئيه وإضاعة دنياهم وهجر سائر العلوم والفنون وليس كذلك كما ترى في الوظيفة الآتية وإنما هو دعوة إلى الكمال وسنين تحقيق ذلك بعد . ثم قال

(الوظيفة التاسعة) أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنة وتجميد بالفضيلة وفي المسائل القرب من الله سبحانه والتفرغ إلى جوار الملائكة الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفه ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب لاجتماع الأقرب إلى مقصده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين الحقارة إلى سائر العلوم أعني علم الفتاوى (يعني به ما يسمى الفقه) وعلم النحو واللغة الجملتين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما

أوردناه في المقدمات والتمتات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية (كفتون
الصناعات كلها) ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم
فالمشكفون بالعلم كالمشكفون بالثغور والمرابطين بها والفزاة المجاهدين في سبيل
الله منهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يستقيم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم
ويتعهد ما ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون
حيازة الفنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى (٥٨ : ١١ برفع الله الذين آمنوا
منكم والذين أتوا العلم درجات) وقال تعالى (٣ : ١٦٣ هم درجات عند الله)
والفضيلة نسبية (أي بينهم) واستحقاقنا للعبادة عند قياسهم بالملك لا يدل
على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين . فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى
ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراستخين في الصلح ثم
الصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن قصد الله بالعلم أي علم كان فقهه ورفعه لا بحالته
أقول يعني رحمه الله تعالى أنه ينبغي لطالب الكمال أن يطلب بالعلم الذي
يتوجه لتحصيله وجه الله تعالى أي الوجه الذي يرضيه وهو الذي فيه إقادة سنده
في النظام العام ومنفعة الأنام وذلك مدعاة لا تقايف الأعمال وحسن النية فيها
وانتقاء الفس بها وهل ثم من طريق الكمال الانساني أقرب من هذا ؟ ألسنا
نشاهد نشوء الفس والطعم والاحتمال والقسوة وأشياء هذه الرذائل في أهل
العلوم والفنون والصنائع الذين لا يعرفون الله ولا يبتغون وجهه ؟ ثم قال :

(الوظيفة الماشرة) أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب
على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهيك ولا يهيك الا شأنك في الدنيا
والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ،
وشهد له من نور البصائر ما يجري له من مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبداً آباء ،
وعند ذلك نصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعيماً إلى المقصد ولا مقصد
الاتقاء الله تعالى ففيه التميم كله وان كان لا يعرف قدره في هذا العالم الا
الأقلون ، الخ ما أطال به في هذه المسألة

أقول اذا أخذنا قول أبي حامد هنا على ظاهره نحكم بأنه غلط في قوله إن القرآن نطق بأنه لا يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة فإنتا نسمع منادي القرآن يتلو علينا في سورة الاعراف وهي من السور المكية التي بين فيها أصول الدين وكتباياه « ٢٣ : ٧ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يفلحون » ولكن المعقول الذي نطق به القرآن هو أن من آثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان لا يعمل الا لذاتها وشهواتها يفوته حظ من الآخرة كله أو بعضه وذلك ان حظ الانسان في الآخرة يكون على حسب ارتقاء نفسه في الحق والخير والاخلاص وغير ذلك من ثمرات الايمان وايتار الشهوات يضعف هذه الاشياء حتى يذهب بها من النفس فبقى حيوانية شيطانية . ومن الآيات المثبتة لهذا التفصيل قوله (٢٠٠ : ٢) فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ٢٠١ ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار ٢٠٢ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) وقوله (٣٧ : ٧٩) فأم من طغى ٣٨ وآثر الحياة الدنيا) انخ الآيات . وانا نجد في كلام أبي حامد ما يوافق هذا التفصيل في مواضع من الاحياء ككتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والجاه وغيرها من كتب الاحياء ولذلك يمكن حمل كلامه هنا على ان المراد بكل من ملاذ الدنيا وذيوم الآخرة مرتبة الكمال فيها فان من كان همه استكمال الذات البدنية لا يمكنه ان يستمد لتحصيل كمال نعيم الآخرة المبرر عنه بقاء الله تعالى والفوز برضوانه الاكبر بل ربما تغدر عليه الاستعداد لما دون ذلك كما يفهم من التفصيل المذكور آنفاً

ثم بين أبو حامد بعد وظائف المعلم وظائف المعلم المرشد ويضي بالمرشد الربوبي للنفس المهذب للأخلاق فقال :

بيان وظائف المعلم المرشد

« اعلم ان للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال اذا صاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن

السؤال وحال اتفاق على نفسه فيكون متنقلاً وحال بذل لغيره فيكون به سخيًا متنقلاً وهو أشرف أحواله . فكذاك العلم يقتضى كمالاً فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يفنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وهو الذي يدعي عظماني ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكذلك الذي يطلب غيره وهو طيب . والذي يعلم ولا يعلم به كالمعلم الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكذلك الذي يشهد غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح (فتيلته) تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل :

ما هي الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آداباً ووظائفه (الوظيفة الاولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجربهم مجرباً يبينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد بولده » (٥) بأن يقصد إتيانهم من نار الآخرة وهوأم من إتيان الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الآخرة الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك تعود بالله منه

« وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتعاون ولا يكون الا كذلك اذا كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا . الخ أقول غرض أبي حامد رحمه الله تعالى أن أول شيء يطلب من المعلم المرابي

(٥) رواه أبو داود والنسائي وأبنا ماجه وحبان من حديث أبي هريرة وليس

فيه كلمة « للولد » ولفظ أبي داود « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم » الخ وفي مسنده من تكلم فيه

هو أن يكون تلاميذه كأولاده في تربيتهم بالشفقة والرحمة دون الغلظة والقسوة ومن لوازم الرحمة والشفقة حفظ كرامة الناشئ وتربية ملكة العزة والشرف في نفسه ومن لوازم القسوة إهاتته وتحقيره ولا شيء يفسد الاخلاق كالتسوة في التربية وامتهان المربي واحقاره بالقول أو المعاملة . ولا أعون على التربية مع الرحمة والتكريم من السير فيها على هدي الدين من قصد الآخرة والتجذير من الفرور بمفاسد الدنيا وحفظها الحقيمة وتدجى أهل المدارس الدنيوية في هذا المص على طريقة الرحمة والتكريم في التربية ولكنهم أهملوا أمر الدين فكان أكثر المتخرجين في مدارسهم لاهم لهم من حياتهم الا التمتع بالشهوات وطلب المال من غير مبالاة بمحرام ولا حلال . ثم قال

﴿ الوظيفة الثانية ﴾ أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات عليه وسلامه فلا يطلب على إفاضة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكرا ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هدبوا قلوبهم لأن تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يسيرك الأرض لتزرع لنفسك فيها زراعة فنفتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقدر منة ؟ وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المعلم عند الله تعالى ولولا المنعم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل (٢٩:١١) ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري الاعلى الله) فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن من رب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب العلم بالمال كان كمن مسح أسفل نعله بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوماً وذلك هو الاتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في المرض الأ كبر مع المجرمين نا كسي رءوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم ه فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيما وفي غيرها فانهم يبدلون المال والجاه ويحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم

« ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويمادي عدوه ويتنهض حماراً له في حاجاته مسخراً بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً الى الله تعالى ونصرة لدينه : فانظر الى الإمارات ، حتى ترى ضروب الاعتقارات »

أقول أما أخذ الأجرة على التعليم ففيه بحث وان كنا لانخالف أبا حامد في كون ما ذكره هو الكمال اللائق بعلماء الدين لاسيما اذا كانوا في سعة من العيش ولكن التعليم قد صار صناعة لا يتقنها الا من انقطع لها عن الأعمال والمكاسب فن كانت هذه حاله لا يمنع إخلاصه في التعليم وابتغاء وجه الله به قبول الأجرة عليه لاسيما اذا كانت الأجرة من المصالح العامة كالأوقاف وخزائن الحكومات وادارات المدارس التي تنشئها الجمعيات أو الأفراد

وأما ما قاله في العلماء الذين جعلوا الدين أحبولة لصيد المال والجاه والتقرب من الأمراء والحكام فهو الحق الأبلغ وكذلك كلامه فيمن يحاولون استخدام تلاميذهم وتسخيرهم في منافعهم والانتصار لهم . واذا كان هذا شأن الكثير من الفقهاء والمتكلمين في عصره فاذا كان يقول لورأى علماء الدين في عصرنا هذا ؟؟ فليضرب المتصرون ثم قال

(الوظيفة الثالثة) أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من لتصدي لرتبة قبل استحقاقها واتشغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي . ثم ينبه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا لدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها : تعلمنا العلم لنبر الله فأبى العلم أن يكون الا لله : وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة

ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه ينشمره طمعاً في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره اذ فيه العلوم الخوفية من الله تعالى المحقرة للدنيا المظلمة للآخرة وذلك يشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويمجى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالى انفع ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لاجراء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم

« فاما الخلافات المفضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريم الغربية (أي في الفقه) فلا يزيدانفرغ لها مع الإعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى ونماديا في الضلال وطلبا للجاه الامن تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر يا أخي واعتبر واستبصر لتشهد تحقيق ذلك في المباد والبلاد والله المستعان »

أقول هذا ما يقوله حجة الاسلام في الفقهاء والمتكلمين أيام كانوا أئمة في هذه العلوم بهم ارتقت واتسعت دوائرها وكانت محتاجا اليها لوجود الفلاسفة والمبتدعة الذين يرد عليهم المتكلمون ويكون جميع الاحكام في بلاد المسلمين كانت جارية على أحكام الفقه وهو مع ذلك يعد علومهم دينوية ويقول إنه علم بالتجربة كما علم بالبرهان أنها لا تزيد انقلب الا قسوة وحبا في الدنيا وإعراضاً عن الله تعالى فاذا نقول في المنقطعين لهذه العلوم اليوم وهم مقلدون لأوائلك الذين كانوا في عصره ولمن دورهم ممن بدم والحاجة الى علومهم الآن ليست كالحاجة اليها في عصره فان معظم فقهم لا يحكمم به أحد من حكام المسلمين اليوم ومعظم علم الكلام الذي يراولونه لا حاجة اليه لأنه عبارة عن رد على الفلسفة اليونانية التي نسخت بالفلسفة المصرية وعلى المصترفة الذين اقرضوا

مع هذا ترى شيوخ العصر في الأزهر وأمثاله من المدارس الاسلامية في سائر البلاد يشجعون بأنهم رجال الدين المحافظون عليه وهم لا يلتفتون الى علوه

لحقيقة التي تهذب النفوس وتصلح القلوب وتربي الارواح من التفسير والحديث والاخلاق ومنن الله في الأقس والآفاق وحكمه في المخلوقات كما أوضحه حجة الاسلام في الاحياء . وقد تعب الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله تعالى واجتهد وقاضى البلاء ليجعل علم الاخلاق وتاريخ نشأة الاسلام والتفسير الحقيقي مما يدرس في الازهر فلم يصادف من التوم الا اعراضا فاما تفسير كتاب الله على انه هدى ورحمة وموعظة وعبرة فقد أحياه بنفسه ولذلك مات بموته وأما الأخلاق وآداب الدين وتاريخ الاسلام فقد تقرر بسعيه تدريسا رسميا ولكنها لا تدرس ولا يحفل بها أحد ومع ذلك كله كانوا يحاربونه بزعم أنه يشغلهم عن علوم الدين ويرددون بالسنتهم وأقلام الجرائد المنتصرة لهم كلمة « الازهر مدرسة دينية محضة » فليعرضوا هذا القول على مآثره حجة الاسلام في الاحياء في هذا الموضوع وغيره ولينظروا بعد ذلك مكانه من الصدق . ألا إن الازهر وأمثاله مدارس دنيوية محضة بحسب مآثره أبو حامد ولا نعرف أحدا من العلماء نازعه فيما قرره ويشهد لذلك أننا لانرى المتخرجين فيها يحفلون بأمر الدين وإرشاد المسلمين .

أبن المنصرون لتهديب النفوس وتربية الأرواح ؟ أين حماة العقائد من شبهات المولم المصرية ، وأهل النبوة على دين النابتة الحديثة ، أين أنصار السنة ، الخاذلون للبدعة ، أين الدعوة الى الدين ، بحسب ما يلقى بحال المعاصرين ؟ مهيا رقت صوتك بانتهاء لاتسمع منهم مجيباً . ثم قال أبو حامد

(الوظيفة الرابعة) وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح و بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهية ويرث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لقتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء » (هـ) و ينهيك على هذا

(هـ) قال العراقي في الحديث لم أجده الامن حديث الحسن مرصلا وهو ضعيف رواه ابن شاهين : قال شارح الاحياء ووجدت بخط الداودي مانصه : ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشرك لقالوا فيه الند » وفي معناه حديث آخر

قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهبها عنه فما ذكرت القصة لتكون مسرا بل لتنبه بها على سبيل المبرة . ولان التعريض أيضا يعيل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح النطق لمنه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا ينبغي عن فطنته »

أقول رحم الله أبا حامد ما كان أحرصه على تكريم الطلاب وتنشيتهم على المزة والشرف فهو يدخل على هذا المعنى من كل باب ، ويؤصل اليه بأنواع الاسباب ، فأين من هذا ما يجري عليه شيوخ مشهورون من الغلظة والاسباب ، ونيز تلاميذهم بأقبح الألقاب ، حتى صار الذين ينطقون في المدارس اللانيوية يظنون أن التزاهة والتكريم للطلاب ، مما وضعه الافرنج من الآداب ، وهكذا جردنا أنفسنا من آداب ديننا ، حتى صارت تعزى الى غيرنا ، ثم قال

(الوظيفة الخامسة) إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عاده تقييح علم الفقه ومعلم الفقه عاده تقييح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسامع وهو شأن المجازي ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حوض النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم ينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة »

أقول ان السبب في مدح كل متكفل بمن أو علم له وذم غيره أو تقليل شأنه هو ما يسمونه حب الذات فهو لا يريد بذلك الامدح نفسه وتفضيلها على أقرانه ومعاصريه فهو قد يذم العلم الآخر وان كان عارفا بفائده فكيف اذا كان جاهلا به . ثم قال

(الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يأتي اليه مالا يفهمه عقله فيفهمه أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاصر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على

قدر عقولهم « (١) فليث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » (٢) وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره : إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حلة : وصدق رضي الله عنه (وفي نسخة الشارح عليه السلام) في قوله قلوب الأبرار قبور الاسرار

(١) هذان حديثان أوردهما في سياق واحد أما الأول فقد ذكر في الجامع الصغير وفي كنوز الحقائق من حديث عائشة بلفظ « أنزلوا الناس منازلهم » معزواً في الأول الى مسلم وأبي داود وفي الثاني الى مسلم فقط . وعزوه الى مسلم سهو من السيوطي والمناوي فإن مسلماً لم يخرج في صحيحه وإنما ذكره في مقدمته بغير إسناد وغير جزم إذ قال « ويذكر عن عائشة » وأما أبو داود فقد أخرجه في الأدب من سننه ورواه كثيرون فمنهم من تكلم في سننه كقول أبي داود إن ميون بن أبي شبيب لم يدرك عائشة ومنهم من صححه كالحاكم وابن خزيمة وقال السخاوي حديث حسن . ورواه بعضهم عنها بلفظ « أمرنا رسول (ص) أن نزل الناس منازلهم » وورد بألفاظ أخرى

وأما الثاني فقد روي في الجزء الثاني من حديث ابن الشيخ عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ « أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » كذا قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء والمخالف السخاوي في كتابه الجواهر والدرر وفي معناه حديث « حدثوا الناس بما يعرفون أتر يدون أن يكذب الله ورسوله » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي مرفوعاً وهو في البخاري موقوف ووضع السيوطي في الجامع الصغير بجانبه علامة الحسن .

(٢) ذكر المصنف هذا الحديث في باب قبل هذا الباب بلفظ « ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم » وتقل شارح الكتاب عن المحافظ العراقي أنه قال : أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه : اه قال الشارح ولفظ حديث ابن عباس « ما أنت يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا اذا كان على بعضهم فتنة »

فلا ينبغي ان ينفي العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً
للاطلاع به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام « لا تملقوا الجواهر في اعناق
الخنازير » فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك
قيل : كل لكل عبد بمقيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ، وينتفع
بك ، والا وقع الإنكار ، لتفاوت المقيار ، : وسئل بعض العلماء عن شيء فلم
يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كتم
علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجأً بلجام من نار » ؟ () فقال أترك اللجام واذهب
فان جاء من يفقه وكتمه فليجمني فقد قال الله تعالى (٤ : ٤) ولا توتروا السفهاء
أموالكم) نذيباً على ان حفظ العلم ممن يفدده وبضره أولى وليس الظلم في
إعطائه غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق » اهـ

أقول جعل بعض أهل النظر هذه المسألة - إظهار الحقيقة لكل أحد في
كل وقت - محل بحث وبحث فيها من الجهة النظرية مجال ولكن من بلا الناس
وعرف شوونهم يحكم في هذه القضية بالسلب حكماً لا ترد فيه ولقد كان الانبياء
المؤيدون بعناية الله وآبه يظهرون حقائق الدين بالتدريج ويستعملون الكلام
الجهل والكنائيات والتجوزات والمتشابهات التي يأخذ منها كل ذي عقل وفهم
على مقدار عقله وعلمه . نعم لا يجوز لأحد ان يقول قولاً يخالف الحقيقة ليقبله الناس
فان فاعل ذلك من الكاذبين افاشين ، لامن الحكماء الناصحين ، واذا كان هذا
ينافي الصدق والحكمة ، فهو أشد منافاة للنبوة ، ومن ثم تعلم ان ما يقوله بعض
الباطنية حتى في زماننا هذا من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قالوا اشياء
تخالف الحقيقة مراعاة لافهام الناس واستمدادهم هو من الباطل الذي لا يدنو من

() قال الحافظ العراقي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد وانقله
عند السيوطي في الجامع الكبير « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر
الدين ألجئه الله يوم القيامة بلجام من نار » اهـ أقول وفي الجامع الصغير من
حديث ابن مسعود عند ابن عدي « من كتم علماً عن أهل الجهم يوم القيامة
لجاماً من نار » وهو ضعيف

الصواب منه بل هو دليل على ان هؤلاء الباطنية يستحلون الكذب والنس والحداع فلا ثقة بأقوالهم ولا بعقائدهم أعني انه لا يوثق بأنهم يعتقدون ما يقولونه ويدعون اليه بل هم طلاب رياسة من طريق الاتحال في الدين وتشكيله بشكل وثي كما يعلم من تاريخهم منذ وجدوا الى أن ظهوروا باسم البائية والبهائية في هذا الزمان . ولهذا الذي قرره أبو حامد في هذه الوظيفة جعل كتابه هذا مرتباً على ما يشبه ترتيب الفقه الذي كانت الرغبات كلها أوجها متوجهة اليه في ذلك العصر استدراجاً لقلوب اليه في ذلك العصر وحثراً أن تنفر منه كما صرح بذلك في فاتحته ، ولأجله جعل أحكام الفقه فيه على مذهب الشافعي إلا قليلاً على أن رأيه في الإصلاح قائم على قاعدة إبطال التقليد كما سيأتي عنه فكانه أراد أن يجعل الأحياء مقدمة لما قرره في كتبه التي ألفها بعد ذلك كالتسطاس المستقيم والمنقذ من الضلال والمضنون به على غير أهله . ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان المعلم القاصر ينبغي أن يلقي اليه الجملي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتور رغبته في الجملي ويشوش عليه قلبه ويوم اليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حفاقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله

« وهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه اله تائد المأثورة عن السلف من غير تشبيهه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلت عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره . بل لا ينبغي ان يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصدرها ويملاً قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه وييسر عليه حلها فيشقى ويهلك

« وبالجملة لا يفتح على العوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص »
أقول أرشد في هذه الوظيفة الى نوع من أنواع التدريج في تعليم طلاب العلوم والى طريق تعليم العامة ومن هذا يتبين لك ان ما يلح بالدعوة اليه من الاعراض عن الدنيا والرغبة في معرفة الله تعالى والعلوم التي تقرب اليه انما هو موجه الى الخواص اصحاب الاستعداد للكمال كما أشرنا الى ذلك ومستزيد بياناً . ثم قال

(الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملاً بطله فلا يكذب قوله فله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خاف العلم العمل منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه صم مبهك سخر الناس به وأجهوه وزاد حرصهم على ما هو عنه فيقولون لولا أنه أطيب الاشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومي استوي الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى (٢ : ٤٤) أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر إذ يزل بركه عالم كثير ويقتدون به « ومن من سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها » (« ولذلك قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان عالم متبئك ، وجاهل متبئك ، فالجاهل يضر الناس بتبئكه ، والعالم يفرم بتبئكه ، : والله أعلم » اهـ

أقول يجب أن يكون المعلم مريباً وقوام التربية بالقدرة فاذا كان المعلم لعلوم الدنيا أو الدين سيء الاخلاق فاسد الآداب فإنه يفسد نفوس تلاميذه بالفعل وما يقوله لهم من النصائح يكون عندهم من الأقوال التي يقصد بها النفس والرياء فالجهل بها خير لهم من معرفتها

أثار من التاريخ

قطعة من مکتوب شهاب الدين بن مري تلميذ ابن تيمية يعزي اخوانه تلاميذ
 شيخ الاسلام عنه ويحثهم على جمع مصنفاته
 (أبها الاخوان)

لافتسوا تقريرات شيخنا الحاذق الناقد الصادق قدس الله روحه لما في قوله ببارك
 وتعالى في بيان الحكم الرابع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر
 الرسول في يوم أحد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء
 وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فلا تهملوا أمر الفكرة الصالحة في
 هذه المآني الشريفة وغيرها ولا تهمزوا لما حصل فإن الله حي لا يموت وهو المتكفل
 سبحانه بنصر الدين وأهله والمختبر لعباده فيما يتلبيهم به والخبير بمجملات مصالحهم
 والرواف بهم والمهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم ولا يهلك على الله الا هالك
 والسعيد من قام بما عليه الى وقته ومن أراد عظيم الاجر التام، ونصيحة الانام،
 ونشر علم هذا الامام، الذي اخطفته من بيننا محتوم الحمام، ويخشى دروس كثير
 من علومه المنفردة الفاتحة مع تكرر مرور الليالي والايام، فالطريق في حقه هو
 الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار، على جليتها من غير تصرف فيها
 ولا اختصار، ولو وجد فيها كثير من التكرار، ومقابلتها، وتكثير النسخ بها واتاعتها
 وجمع النظائر والاشباه في مكان واحد واغتنام حياة من بقي من اكابر الاخوان، فكاننا
 جميعاً بكال الفتوق وقد حان، ويكفينا ما عندنا على ما فرطنا من عظيم الأسف، فلو جه
 الله معشر الاخوان لا تماموا الوقت الحاضر بما عاملهم به الوقت الذي قد سلف،
 فان حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمورة الاستدراك الفارطات الفاتحات،
 وتكامل الغايات والنهايات، فاعتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل،
 ولا تشاغل ولا بخل، لان هذا المهم الكبير، أحق شي يبذل في تحصيله المال الكثير،
 وقد علمت بمضرة التعليل والتسويق وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح
 الدنيا والآخرة فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله (١) أيده الله وبما عنده من الخاتمة

والنفاس وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألمت أحيانا من مطالبته لأنه قد بقي في فمه فريدا ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق وكل أحوال الوجود لا بد فيها من العوارض والافتقار فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وأنهبوا بمجموع كلفته فإن الشدائد تزول والخيرات تنضم فاكتبوا ما عنده وليكتب ما عندهم وأنا أستودع الله دينه وما عنده وأوصيه بالصبر أيضا وبعمارة الله سبحانه فيها هو فيه وإن قصر الإخوان في حقه وليلتطلب نصيبه من الله تعالى متكلا عليه في رزقه المضمون ومجلا في الطلب لأن ما قسم لا بد أن يكون وإنما أحت همكم الصالحة عليه تحصيل كراريس الرد على عقائد الفلاسفة لأنه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخرستان الشمالي من مدرسة شيخنا وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى أنه أودع المجموع في مكن حربي ولقد شح علي بانفاذ هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام ولا قوة إلا بالله والكراس الرابع منها أخذه أبو عبد الله من يدي وهو عنده ونسخة الأصل التي بخط الشيخ هي في القطع في الكبير وكانت هناك أيضا وقد بقي من آخر نسختي أثر من ورقة فأوصلوا ذلك إلى أبي عبد الله ليكمل النسخة إلى عند قوله « فهذا باب وذلك باب والله أعلم بالصواب » والطولسي نسخة بخط كيس وكلوها لأنه مؤلف لا نظيره ولا يكسر الفلاسفة مثله ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شنائها، ونعوذ به من عوارض القواطع وأقائها، لأن الفتور صعب، وغائلة التفريط رديئة، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجصها لمصالح الدنيا والآخرة وما يعقلها إلا العالمون، وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكاملة والمقصرون، كما ندم المنخيون بطول حياة الشيخ والمفترون وهذه الأمور التي قد أشرت إليها في هذه الأوراق الخفيفة هي أعلا أبواب النصيحة وأتمها فيما أعلم لأن الذهاب مضي، والوقت سيف متضي، وكل من ذهب بده من أكابر الإخوان ما عنده عوض والدمر في إديار والشروع في زيادة وإذا جمعت هذه المؤلفات العزيرة الكثيرة وقيل من المسودات ما لم ينقل وقبل رأي أبي عبد الله في ذلك كله لأنه على بصيرة من أمره وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح

المفردة التي قد انقطعت مادتها وقبول كل ما يكتب مع أصلح الجماعة أو على نسخة الأصل وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين الذي هو بقية الخير لثقتة وخبرته وشفتته ومحرقة على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود ولسمه عليه واحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف وروجع الشيخان المالان الفاضلان المحققان (القاضي شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر) فانهما أحقق الجماعة على الاطلاق في المناهج العقلية وغيرها واذكرهم للباحث الاصولية فيما يشبهه من المقاصد خوفا من التصحيف وتغيير بعض المأني وروجع غيرهم من أكبر الجماعة أيضا كان في ذلك خير كثير واستدراك كبير ان شاء الله تعالى

(والشيخ أبو عبد الله) سلمه الله هو بلا تردد واسطة نظام هذا الامر العظيم فساعدوه وأزيلو ضرورته واجمعوا همته واغتموا بقية حياته واقبلوا نصيحتي فيما اتفقته من هذا كله كما كنت أتتق ان اغتنام أوقات الشيخ وجمعا على التأليف والاتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المفاكة الذنينة والمنادمة والنفوس فرطت كثيرا في ذلك الحال والله المسؤول بأن يكفينا مضرة كمال الفتور الذي لا عوض عنه بحال ، انه رؤف رحيم جواد كريم ، فان يسر الله تعالى وأعان على هذه الامور العظيمة صارت ان شاء الله تعالى مؤلفات شيخنا فخرية صالحة للاسلام وأمله وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم «لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرما يستعملهم فيه بطاعة الله» وقال «لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى تقوم الساعة» والله سبحانه يقول في كتابه (ويخلق ما لا تعلمون) وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده ان شاء الله تعالى فاتبعوا أمر الله واقصدوا رضی الله بجمع كل ما تقدرت عليه من أنواع المؤلفات الكبار وأشقات المسائل الصغار ومعها نسخ الفتاوى المتفرقة وسائر كلامه الذي قد ملئ به وجه الحمد من الفوائد والفرائد والشوارد فأيقظوا الهمم واذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصيرة له فهذا هو الذي يلزمنا من حيث

الاسباب، والنهائم على رب الارباب ومسبب الاسباب، وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤمله لذلك من أنواع الخاص والعام، وكل مجزي في القيامة بصله (وما ربك بظلام للعبيد) وقد علم أن الامام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الامر الكير فنقلوا عليه وبينوا مقاصده وشهروا فوائده فانتصرت طريقته واقتضت آثاره لأجل ذلك والوجود هو على هذه الصفة قديما وحديثا فلا تياسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فإنه والله الحمد مقبول طوعا وكرها وأين غايات قبول القلوب السليمة اكلمانه وتببع الهمم الناقذة لمباحته وترجيحاته ووالله ان شاء الله يقيم الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهيمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائب رجاله الى الآن في أصلاب آباؤهم وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده والذي وقع من هذه الأمور في انكون لا يحصي عدده غير الله تعالى ومن العلوم ان (البخاري) مع جلالة قدره أخرج طريدا ثم مات بعد ذلك غريبا وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لاخطر في باله ولا امر في خياله من عكوف الهمم على كتابه وشدة احفظها به وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته وعظمة قدره وحسن ترتيبه وجمعه وجميل نية مؤلفه وغير ذلك من الاسباب ونحن نرجو أن يكون لولفات شيخنا (أبي العباس) من هذه الورثة الصالحة نصيب كثير ان شاء الله تعالى لانه كان بنى جملة أمور على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد نحر الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه لا يهاب مخافة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة وتبيين هذه الحقيقة وقد علم ان لكتبه من الخصوصية والنفع والصحة والبسط والتحقيق والاتقان والكمال وتسهيل الصبارات، وجمع أشدات المتفرقات، والتطوق في مضائق الأبواب، بمحائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب مسائل أصول الدين، وغيرها من مسائل المحققين، لانه كان يحمل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما ينبي عليه ثم يعضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك

وبغيرها ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه العقولات ويلتزم حل كل شبه كلامية وفلسفية كما تقدمت الاشارة الى ذلك ويلتزم أيضا الجمع بين صحيح المنقول وصريح العقول ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال أن كان عقليين أو عقليا وتقلييا قال لان الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فاما ان لا يكونا قطعيين واما أن لا يكون مدلولاهما متناقضين وعلى هذا المقصد الجليل نبى كلامه المئين وتقاسيمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي انفها في دفع تعارض العقل والنقل فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجبا من عجائب الوجود وكان يقول لا يتصور ان يتعارض حديثان صحيحان قط الا ان يكون الثاني منها فاسخا للاول قال والامام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه وانا في زمني التزم حكم هذه القاعدة أيضا والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها وكان رحمه الله ورضي عنه يذنب عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم ولا ينفي عما يتحقق عنده ولم يزل على ذلك الى ان قضى نحبه، ولقي ربه، قدس الله روحه، ونور ضريحه، ونصر مقاصده، وأيد قواعده، والله سبحانه يعلم حسن قصده وصحة علومه ورجحان دليبه وهو ناصر الحق وأهله ولو بعد حين

وجميع ما وقع من هذه الامور فيه من الدلالة ان شاء الله على شمول أمره وظهور كلمة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ولا قوة الا بالله غير ان الاشياء المقدورة تقتصر الى أسبابها المعلومة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصر في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جليلة مصارع القوم ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلا له: يا رسول الله أهكذا مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك: لم يترك استغاثته بر به لعله ان الأمور المقدرة لا بدان تقع بأسبابها اللازمة لها المعروفة بها ومصداق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الامر وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ نستغيثون ربكم فاستجاب لكم أي ممدكم بالف من الملائكة من دفين » وما جعله الله الا بشري وانطقن به قلوبكم وما النصر الا

من عند الله ان الله عزيز حكيم) لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلاشك أعلا مراتب العبودية، واتباعها وارفها في حق مجموع البرية، فأكثرها من استعمال هذا الامر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلام على جميع الصالحين



نموذج من أنجيل برنابا

الفصل السبعون^(١)

- ١ وانصرف يسوع من اورشليم بعد الفضح ودخل حدود قيصرية فيليس^(٢) ٢ فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذي نجم بين العامة قائلاً : « ماذا يقول الناس عني ؟ »
- ٣ أجابوا : « يقول البعض انك ايليا وآخرين ايرميا وآخرين أحد الانبياء »
- ٤ أجاب يسوع : « وما قولكم أنتم في ؟ »
- ٥ أجاب بطرس « انك المسيح بن الله »
- ٦ فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلاً : « اذهب وانصرف عني^(٣) لأنك أنت الشيطان وتحاول ان تسيء الي »
- ٧ ثم هدّد الاحد عشر قائلاً : « ويل لكم اذا صدقتم هذا لأنني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا »
- ٨ وأراد ان يطرد بطرس ٩ فتضرع حينئذ الاحد عشر الى يسوع

(١) سورة العنق على النصار

(١) قابل هذا بما في مت ١٦ : ١٣ - ٢٠ - (٢) مت ١٦ : ٢٣

لأجله فلم يطرده ١٠ ولكنه اتهمه أيضاً قائلاً : « حذار ان تقول مثل هذا الكلام مرة أخرى لان الله يلعنك »

١١ فبكي بطرس وقال : « ياسيد لقد تكلمت بعبادة فاضرع الى الله

ان يتغري لي »

١٢ ثم قال يسوع : « اذا كان الهنا لم يرد ان يظهر نفسه لموسى عبده ولا لاييليا الذي أحبه كثيراً ولا لني ما أتظنون ان الله يظهر نفسه لهذا

الجيل الناقدا لايمان ١٣ بل ألا تعلمون ان الله قد خلق بكلمة (أ) واحدة

كل شيء من العدم وان منشأ البشر جميعهم من كتلة طين ؟ ١٤ فكيف

إذا يكون الله شبيهاً بالانسان ؟ ١٥ ويل للذين يدعون الشيطان يخدمهم »

١٦ ولما قال يسوع هذا ضرع الى الله لأجل بطرس، والأحد

عشر وبطرس يكون ويقولون : « ليكن كذلك أيها الرب المبارك

آلهنا (ب) »

١٧ وانصرف يسوع بهد هذا وذهب الى الجليل إخماداً لهذا الرأي

الباطل الذي ابتداءً أن يلق بالعامية في شأنه

(ت) الفصل الحادي والسبعون

١ ولما بلغ يسوع بلاده (١) ذاع في جهة الجليل كلما أن يسوع النبي

قد جاء الى الناصرة ٢ فتنقذوا عندئذ المرضى بمجد وأحضرهم اليهم توسلين

(١) خلق الله كل شيء في كلام واحد بلا شيء منه (ب) يا الله سلطان

(ت) سورة البقرة

(١) ص ١٥٢ - ١٢

اليه أن يلمسهم بيديه ٣ وكان الجمع غفيرا جدا حتى ان غنيا مصابا بالشلل لما لم يمكن ادخاله في الباب حمل الى سطح البيت الذي كان فيه يسوع وأمر القوم برفع السقف ودلي على ملاء أمام يسوع ٤ فتردد يسوع دقيقة ثم قال : « لا تخف أيها الاخ لان خطاياك قد غفرت لك »

٥ فاستاء كل أحد لسامع هذا وقالوا : « من هذا الذي يتفر الخطايا؟ »

٦ فقال حينئذ يسوع : « لمر الله إني لست بقادر على غفران

الخطايا ولا أحد آخر ولكن الله وحده يتفر (١) ٧ ولكن كخادم لله أقدر أن أتوسل اليه لأجل خطايا الآخرين ٨ لهذا توسلت اليه لأجل هذا

المريض وإني موقن بأن الله قد استجاب دعائي ٩ ولكي تطمئنا الحق أقول لهذا الانسان : « باسم الله (ب) أبائنا اله ابراهيم وأبناؤه تم معافي »

١٠ ولما قال يسوع هذا قام المريض معافي ومجد الله

١١ حينئذ توسل العامة الى يسوع ليتوسل الى الله لأجل المرضى

الذين كانوا خارجا ١٢ فخرج حينئذ يسوع اليهم ثم رفع يديه وقال : ١٣ « أيها الرب اله الجنود والآلهة الحقيقية الآلهة القدوس الذي لا يموت (ت)

ألا فارحمهم ١٤ فأجاب كل أحد : « امين » ١٥ وبعد أن قيل هذا

وضع يسوع يديه على المرضى فقالوا جميعهم صحتهم

١٦ حينئذ مجدوا الله قائلين : « لقد اقتدنا الله بنيه فان الله أرسل

لنا نبيا عظيما »

(١) قال عيسى أقسمت (أقسمت ؟) بالله الحي أنا لا أقدر ان يغفر ذنبا من ذنوب

لا يغفر ذنوب الا الله منه (ب) يا ابن الله (ت) سلطان الله حي حق ولي وياق

الفصل الثاني والسبعون^(١)

١ وفي الليل تكلم يسوع سرّاً مع تلاميذه قائلاً: ٢ «الحق أقول لكم ان الشيطان يريد أن يفر بكم كالخطة^(١)» ٣ ولكني توسلت الى الله لأجلكم فلا يهلك منكم الا الذي يلي الجبال لي» ٤ وهو انما قال هذا عن يهوذا لان الملاك جبريل قال له كيف كانت ليهوذا يد مع الكهنة وأخبرهم بكل ما تكلم به يسوع

٥ فاقرب الذي يكتب هذا الى يسوع بدموع قائلاً: «يامعلم قل لي

من هو الذي يسلمك؟»

٦ أجاب يسوع قائلاً: «يا برنابا لست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها

ولكن يطن الشرير نفسه قريباً لاني سأنصرف عن العالم»

٧ فبكي حينئذ الرسل قائلين: «يامعلم لماذا تركنا لان الا حرى بنا

ان نموت من ان تركنا»

٨ أجاب يسوع: «لا تضرب قلوبكم ولا تخافوا^(٢)» ٩ لاني لست

انا الذي خلقكم بل الله الذي خلقكم بحميتكم^(ب) ١٠ أما من خصوصي

فاني قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله^(ت) الذي سيأتي بخلص للعالم

١١ ولكن احذروا أن تُنشوا لانه سيأتي أنبياء كذبة^(٣) كثيرون

بأخذون كلامي وينجسون انجيلي

١٢ حينئذ قال اندراوس: «يامعلم اذ كر لنا علامة لتعرفه»

(١) سورة العلامه رسول الله (ب) الله خالق وحافظ (ت) رسول الله

(١) نو ٢٢: ٣١ (٢) يو ١٤: ٢٧ (٣) مت ٢٤: ١١

١٣ أجاب يسوع : « انه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يطل أنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً ١٤ في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل (أ) رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم ١٥ وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الاصنام من العالم ١٦ واني أسر بذلك لانه بواسطته سيطن ويمجد الله ويظهر صدقي ١٧ وسينتقم من الذين سيقولون اني أكبر من انسان ١٨ الحق أقول لكم ان القمر سيمطيه رقاداً في صباح ومثي كبرهوا أخذه (١) بكفيه ١٩ فليحذر العالم أن يبيده لانه سيفتك بعدة الاصنام ٢٠ فان موسى عبد الله (ب) قتل أكثر من ذلك كثيراً ولم يبق يشوع على المدن التي أحرقوها وقتلوا الاطفال ٢١ لان القرحة الزمنة يستعمل لها الكي ٢٢ » وسيجيء بحق أجلى من سائر الانبياء وسيوبخ من لا يحسن السلوك في العالم ٢٣ وستحي طربا ابراج مدينة آباتنا بمضيا بمضاً ٢٤ فتى شوهه سقوط عبادة الاصنام الى الارض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم ان نبي الله (ب) حينئذ يأتي

(النار) وفي موضع آخر من هذا الانجيل بيان سبب تسمية سيدنا عيسى إلهوا ابن الله وهو أن الرومانيين الذين كانوا يحكمون اليهود يومئذ رأوا آياته عليه السلام في إبراء البرص وغيرهم من المرضى فقالوا هذا إله إسرائيل قد افقد شعبه كعادتهم في إطلاق اسم الإله على كثير من المخلوقات الخ

(أ) الله مرسل (ب) رسول الله

(١) الآية للهمة في القرآن سورة ٥٤

فتاوى المتبائين

ضعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الي اسمه بالحروف ان شاء ، وانفذ كرا الاستة بالتدريج فالباور وما قدمنا من آخر السبب كعاجة الناس الي بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا . ولن يضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عدو صريح لا نقاله

حكم من قال أنا في جاه النبي وحديث توسلوا بجاهي

(ص ٤٨) من أحمد أفندي البدوي في (القطاير الخيرية)

ملخص السؤال ان بعض المجاورين في الأزهر عندما اتخذد كانا كبير البيع الحلاوة وقد وقف خطيباً على جمهور من الافاضل وقال لهم : من قال انا في جاه النبي فقد كفر : فقال له اسائل قال عليه الصلاة والسلام « توسلوا بجاهي فان جاهي عظيم » فأجاب بان هذا حديث مكذوب هات لي حديثاً من الكتب السنة أو آية من القرآن . ويطلب بلسان أهل البلد بيان الحق في ذلك

(ج) ان الرجل قد أخطأ في كلمة وأصاب في كلمة أخطأ في تكفير من قال انا في جاه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصاب في قوله ان عبارة « توسلوا بجاهي » الخ ليست حديثاً مروياً عنه صلى الله عليه وسلم بل هي من الموضوعات كما سبق لنا القول في المنار غير مرة . أما الكفر بمعنى الارتداد عن الاسلام فهو انما يكون بانكار شيء مما جاء به صلى الله عليه وسلم علم من الدين بالضرورة إجماعاً كالقرآن كله أو بعضه وكون الصلوات المفروضة خمساً . ولعل الرجل ما قال بالتكفير الا وهو يظن ان من قال تلك الكلمة فهو يعني بها ان النبي صلى الله عليه وسلم ينفع أو يضر من دون الله . وهي ليست نصاً في ذلك واذا كان من لوازمها القرية أو البعيدة فلازم المذهب ليس بمذهب لاسيا في باب الردة . واتى أرى الناس يستعملون هذه الكلمة « انا في جاه النبي » لانشاء استعظام الأمر أو استفظاعه يقول قائل : فلان شرير يخشى ضره انا في جاه النبي : ويريد الآخر ان يبالغ في تصديقه

فيقولها أيضاً ولا يكاد قائلها يقصد الاستئانة بالنبي صلى الله عليه وسلم لينقذه من شر الرجل . هذا وإن الكلمة لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا أثر عن الصحابة أو الأئمة ، فتركها أسلم من استعمالها وإن لم تكن كفراً . فلا يليق أن يجعل اسم النبي (ص) عنواناً على الاستفطاع كما هو المستعمل وإن قصد قائلها أنه ينجو من الشر والمذاب ويصيب الخير والثواب بجعل نفسه في جاه النبي صلى الله عليه وسلم قولاً قصده هذا مخالف لمهدي النبي وما جاء به من أن النجاة في الآخرة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح وأن أمر الدنيا مبني على الأسباب وسنن الله التي لا تتغير والتي بمراعاتها انتصر المؤمنون معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم فئة قليلة وولوا لأدبار يوم حنين وهم كثيرون وانكسروا كذلك يوم أحد .

﴿ صخرة بيت المقدس ﴾

(س ٤٩) من محمد أفندي عبدالكريم بمدرسة الناصرية بمصر
ما قولكم في الصخرة المقدسة الموجودة ببيت المقدس ببلاد الشام وفي أي زمن قدست ومن أطلق عليها اسم القديس وهل هي حقيقة متصلة بالجبل ومعلقة بين السماء والأرض وما هي الحقيقة فيها ؟ لازلم كمالواردين وملجأ الصدين ودمتم (ج) لم يردني كتاب الله ولا في أحاديث رسوله وصف الصخرة بالمقدسة وإنما وصفت تلك البلاد كلها بالأرض المقدسة لظهور الأنبياء والمرسلين فيها وبارشادهم تتقدس نفوس الناس من الشرك والذائل . وكانت الصخرة وما زالت قبلة اليهود فهي معظمة ومعدودة من الآثار الشريفة لأنها من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليست متصلة بالجبل ولا واقفة في الجو وإنما هي سقف انفارة صناعية وقد سبق لنا وصفها فراجع ص ٢٦٦ من المجلد السادس

﴿ مشكلتان في القضاء الإسلامي ﴾

﴿ أحدهما واردة على حكم القاضي باجتهاده والثانية على تمدد المذاهب ﴾
وجه اليأس السوالين الآتين بهض كبار علماء القوانين والفتة في هلا من لفضلاء سامرين عنده ورغب اليأس أن نجيب عنهما في المنار وقال أنه سأل بهما بعض الفقهاء المشهورين فلم يجزوا جواباً وقد أجبنا هناك جواباً مجزلاً فنصله هنا

﴿ السؤال الاول ﴾

(س ٥٠) قرر الفقهاء ان يكون القاضي مجتهدا ومضاه الله يحكم بما آداه اليه اجتهاده ويلزم من هذا ان يكون المتحاكمون جاهلين بالاحكام التي يحكم لهم أو عليهم بها وفي ذلك ما فيه وهو مما يعد على الفقه الاسلامي

(ج) ان الدين الاسلامي لم يأت بقوانين واحكام منفصلة لجميع ما يحتاج اليه الأمة في ماملاتها الدنيوية وإنما جاء ببعض القواعد العامة والاحكام التي احتجج اليها في عصر التنزيل وفوض القرآن الأمر فيها يحتاج اليه من أمور الدنيا السياسية والقضائية والإدارة إلى أهل الرأي والمعرفة بالمصالح من الأمة بقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (٤ : ٨٣) ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلموه الذين يستنبطونه منهم) ولهذا أمر بطاعة هؤلاء الذين سماهم أولي الأمر وهم أهل الشورى في الآية الأخرى فقال (٤ : ٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فهذا ما جاء به الاسلام وهو هداية تامة كاملة لانعمل بها أمة الا وتكون مستقلة في أمورها مرتقية في سياستها واحكامها يسير بها أهل الرأي والمعرفة في كل زمان ومكان بحسب المصلحة التي يقتضيها الزمان والمكان ومن ذلك ان يضعوا القوانين وينشروها في الأمة ويلزموا القضاة والحاكمين باتباعها والحكم بها ولكن المسلمين لم يهتدوا بذلك على وجه الكمال أما أهل الصدر الأول فقد قاموا بما تقتضيه حال الزمان والمكان بقدر الإمكان لاسباب على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد كان ما هو معروف عندهم أنهم المعرفة من احكام القرآن وأفضية الرسول وسنته في تحري العدل والمساواة واقياً بمعظم حاجاتهم القليلة بمقتضى السذاجة الفطرية وشطف العيش والتمسك بالدين ومن توازنه قوة لا اعتماد والاحتياط فكان يكتب في القاضي أن يكون عالماً بما ذكر صاحب بصيرة فيه وعدالة في نفسه بحيث اذا عرض له قضية لم يرد فيها كتاب ولا تمض بها سنة - ولعل ذلك قليل أن يعمل وأيه تطبقها على العدل وقيسها بما يشبهها مما ورد . ولم يكن الناس في ذلك العهد يشعرون بأهم في حاجة الى معرفة ما عساه يعرض من احكام القضاة غير المنصوصة ليدون وينشر بل لم يكن ذلك

متيسرا لفظة الأهمية على المسلمين وتفويضهم أمر الدين يدخلون في ذمتهم الى حكم أنفسهم بأنفسهم ونتيجة ذلك أنهم لم يكونوا محتاجين الى وضع القوانين ونشرها ولذلك صرفوا همتهم الى الدعوة الى الاسلام وما يتبع ذلك من الفتوحات ومما يدل على أن ما كانوا عليه كان كافيا في إقامة العدل وراحة الناس وأمانهم بحيث لا يشعرون بحاجة الى معرفة ما كانوا يحكمون به، ما رواه ابن سمي في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر يأمر عماله أن يوافقوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال (أي على مسمع الملاء من أهل الموسم الواردين من الجهات) : « يا أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أضراركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم » فما قام أحد الا رجل قام فقال : يا أمير المؤمنين ان عاملك فلان ضربني مئة سوط : قال : فمضربه ؟ قم فاقص منه : فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك : قال (عمر) « أنا لأأقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ (١) قال (عمر) فدعنا لترضيه : قال « دونكم فأرضوه » فاقبدي منها بمئتي دينار عن كل سوط بدينارين اه والشاهد في عدم قيام أحد من أهل الموسم بشكوا العمل غير هذا الرجل وقد كتبنا في المجلدين الرابع والخامس من المنار مقالات أو نبذا في القضاء في الاسلام ومما كتبناه في أول النبعة الرابعة مانعه (ص ١٦٦ م ٥)

« أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة - الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر - وإنها لأركان عظيمة » وأصول قوية ، والاساس الذي بنيت عليه هذه الاركان « درء المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولذا كان الاجتهاد شرطا في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على ائتمه في كل زمان ومكان بحسبه » وأقول الآن فقد كان قضاء المسلمين ممن يسهون بلسان الاوربيين الآن بقضاة العدل والانصاف . ثم أوردنا الاحاديث وآثار الصحابة الدالة على تلك الاركان ومما أوردناه في سننهم في الاستشارة

وعدم الاستبداد فيما لانس فيه ما جاء في (ص ١٧٢ م ٥)

« روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فأن علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال « أأناي كذا وكذا فظفرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ » فربما قام الرهط فقالوا : نعم قضى فيه بكذا وكذا : فأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وان أعياء ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم (أي الذين هم أولو الأمر في الآية) فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك « وكان يرجع الى أفضية أبي بكر الخ أقول فأتت ترى ان ماجروا عليه في الصدر الأول كان متعياً الكمال الممكن في عهدهم الكافل لحاجتهم

ولكن حدثت للمسلمين بعد ذلك حاجات أخرى فقد فتحوا المداخن والامصار ودخل الناس في دينهم أفواجا من جميع الأمم والملل فكثرت حاجات العمران وحدثت للناس أفضية كثيرة لم يكن لها نظير في الصدر الأول كما قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أفضية بحسب ما أحدثوا ثم ان هؤلاء الناس لم يكونوا من فهم الدين والاهتداء به كما كان أهل مصر الأول ومن ثم احتجج الى وضع قوانين عامة يعرفها الناس ويتقاضون بها وكان يجب بمقتضى هداية القرآن ان يجمع لذلك أولو الأمر وهم المعبر عنهم في الآثار المذكور آنفا رؤوس المسلمين وعلمائهم فيضعوه وتجري ما يظن لهم ان الامة الاحكام عليه ما لم يروا نحو يره وثقيحه والكنهم تركوا ذلك للأفراد يكتبون متفرقين محتاجة اليه فكثرت المذاهب والآراء وكان ينصب القاضي من هؤلاء الأفراد المنصرفين الى وضع الاحكام برأيهم واجتهادهم حتى اذا ما ضعف العلم بشئ وتقليد أفراد من المصنفين في الاحكام صار الاحكام المستبدون يولون القضاء أفرادا من منطلي مذاهبهم فكان ذلك تقصافي القضاء عند المسلمين ، سببه عدم الاهتداء بما سبق تقريره من أصول الدين ، مع ما طرأ عليهم من الأمراض الاجتماعية

والفتن السياسية ، فتبعة التصغير على المسلمين لاشي منه يلصق بهدابة الاسلام
فوض القرآن لجماعة أولى لأمر أن يستنبطوا الأمة ما تحتاج اليه بالشورى
فلم يفعلوا ونهاهم عن تقليد الأفراد قتلدهم ونهاهم في آيات كثيرة عن التفرق
والخلاف ففترقوا واختلفوا ولو وضع لهم أولو الأمر قانونا مدونا لاخلاف فيه
يجب يعرف الحاكم والمحكومون ما به يتون الحكم اكانوا مهتدين بهدي الاسلام
ولم يمنع ذلك من أن يكون القاضي مجتهدا كما كان في عهد السلف مع التزام أحكام
الكتاب والسنة فان ما يرضه أولو الأمر لمصلحة الدنيا واجب الاتباع بنص القرآن كما
يجب اتباع الله ورسوله وحينئذ يكون جل اجتهاد القاضي في تطبيق أحكام الكتاب
والسنة وقانون أولى الأمر على القضايا وأقله فيما عساه يمرض من القضايا التي أغفلها
القانون ولا نص فيها ويشترط في ذلك أن يقرن اجتهاده باجتهاد غيره كما يحصل
نظير ذلك في محاكم الاستئناف على الطريقة الأوروبية

(السؤال الثاني)

(م ٥١) ان ماجرى عليه المسلمون من حكم القاضي بأحد المذاهب التي
قلدها الجمهور (وهو مذهب الحاكم العام في كل مملكة غالبا أو دائما) يستلزم اذا استبدل
قاضي تابع لمذهب باض تابع لآخر أن يحكم القاضي الجديد بمذهبه بين المتعاقدين مع
مراعاة مذهب من قبله وقد تكون الشروط الأولى التي التزموا ورضوا بها لموافقتهما
المصلحة باطلة عند القاضي الأخير فتفسد المصلحة على أحد المتعاقدين أو كليهما .
ومما يدخل في هذا الباب انتقال المتعاقدين أو الشريكين من بلد الى بلد آخر
بخلاف مذهبه مذهب الأول . ومثل هذا مما صرحت قوانين الأوربية بحكمه
(ج) هذا مما يرد على المسلمين وفقههم ولا يرد على أصول الاسلام نفسه
وهي التي نلتزم في المنار بيان موافقتها لمصلحة الناس في كل زمان ومكان اذا أقيمت
على وجهها دون هذا الفقه وبيان ذلك يعلم مما تقدم في المسألة السابقة من ان
القرآن وكل ذلك الى أولى الأمر يستنبطونه بالمشاورة بينهم لا يلتزمون في ذلك
الا الأصول المنصوصة المجمع عليها من إقامة ميزان العدل ودرء المفسد وحفظ
المصالح وهذا لا يمكن مع التقليد الذي هو التزام الأمة مذهب أحد أفراد اهلها

السابقين ولذلك نحي دائماً على التقليد وتقول انه والاسلام ضدان . والحكم بما
 يضمه اولو الأمر على ما ذكر ليس تقليدا بل هو عين الاجتهاد . ولا يرد عليه
 ما يضمه جماعة منهم في مملكة وبراعية الناس في عقودهم ومعاملتهم ثم ينتقل بهم
 الى مملكة أخرى وضم أولو الأمر فيها قوانين أخرى على فرض ان الاسلام يميز
 وجود مملكتين مختلفتين في الاحكام ولا ما يقع اذا مات واضع قانون وخلفه
 آخرون وأوا تغيير بعض أحكامه فان مثل هذا واقع الآن في الأمم المرتقية
 في علم الحقوق فان الأمم يخالف بعضها بعضاً وكل أمة تنسخ وتبدل بعض
 أحكام قوانينها آناً بعد آناً ويراعون في ذلك مصلحة من تعاملوا من قبل هذا النسخ
 والتبديل . وأي مانع يمنع المسلمين من ذلك غير هذا التقليد الذي خافوا به
 القرآن والسنة ، وأقوان جميع الأئمة ، ؟

وجهة القول ان كل بلايا المسلمين في علم الحقوق عندهم منبها التقليد وهي
 كثيرة جداً ولو اتبعوا هدي الكتاب والسنة ، لا نكشف عنهم كل غمة ، فقد
 وسع الله عليهم ، ولكنهم ضيقوا على أنفسهم ، ولا يمكن اخراجهم من هذه الهوة
 أو انقاذهم من هذا المضيق الا بتزع أغلال التقليد من اعناقهم وكسر قيوده
 التي في أرجلهم وحينئذ يتسنى لهم في أي مملكة لهم فيها حكم أن يولفوا لجنة
 من أهل العلم والرأي والمكانة في الأمة نضع لهم القوانين والأحكام التي ندرأ
 هذه المفاسد الكثيرة وتسهل لهم سبل المصالح التي تقتضيها طبيعة زمانهم ومكانهم
 عملاً بهدي القرآن الحكيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ حديث « ان للاسلام صوى ومنااراً » في طرة المنار ﴾

(ص ٥٢) من م . ح . ن . بالحجاز

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم العالم الرباني سيدي السيد محمد رشيد رضا
 أفندي ان يفيدني عن هذا الحديث « ان للاسلام صوى ومناارا كمنار الطريق »
 في أي كتاب من الكتب الحديثية المتوفرة هو وفي أي باب هو فصحيح هو
 أو ضعيف ويشرح لي معناه لازل في مقام كوريم ، على رغم أنف كل حاسد

لهم ، أمين

وقد رأيت في (الرحمة الهداة لمن يريد الزيادة على حديث المشكاة)
لنجل المرحوم السيد صديق حسن خان ملك بهو بال في باب السلام حديثاً يخالف
ما هو على طرة المنار الأغر « ان للاسلام صوي بينا كمنار الطريق » وهو طويل
ما أعلم هل الذي على طرة المنار له زيادة أم هو كما هو على طرة المنار أرجو الاقادة
عنه سيدي

(ج) نرون الحديث في الجامع الصغير باللفظ الذي نرونه في المنار معزو
الى الحاكم عن أبي هريرة وبجانبه علامة الصحة ونرون بعده حديثاً آخر « ان للاسلام
صوي وعلامات كمنار الطريق ورأسه وجماعه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً
عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتحماته الوضوء » وهو معزو الى الطبراني
عن أبي النرداء وبجانبه علامة الضعف . أما معناه فالصورة بضم الصاد المهمة
كالكوة حجر يكون علامة في الطريق يهتدي به المارة والجمع صوي ككوى وهو جمع
قيامي كغرفة وغرف . قال في لسان العرب : وفي حديث أبي هريرة « ان للاسلام
صوي ومنارا كمنار الطريق » . . . قال أبو عمرو والصوي أعلام من حجارة منصوبة
في النياتي والمفازة المجهولة يهتدى بها . وقال الاصمعي : الصوي ما غلظ من الأرض
وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً : قال أبو عبيد : وقول أبي عمرو أعجب الي وهو أشبه
بمعنى الحديث : اه وقال في مادة (نور) : والمنار والمنارة موضع النور : ثم قال
أيضاً : والمنار العلم بوضع بين الشيئين من الحدود وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
« لمن الله من غير منار الأرض » أي أعلامها والمنار علم الطريق . وفي التهذيب
المنار العلم والحد بين الأرضين والمنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين
ومنار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
على أقطار الحرم ونواحيه وبها تعرف حدود الحرم - الى أن قال - وفي الحديث
عن أبي هريرة رضي الله عنه « ان للاسلام صوي ومنارا » أي علامات وشرائع
يعرف بها : اه

ومنه يعلم أن نسبة ما بيني في الموائى ووضع فيه النور لتهتدي به السفن ليلاً

٦٢٤ الرخصة لاصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والفدية (المادة ٨-١٠٠)

بالمنازل وجهاً أحدهما انه موضع للنور وثانيهما أنه علم يهتدى به ولكن الناس يسمونه الفار وهو لفظ أعجمي لا يبعد أن يكون محرفاً عن النار . ويصح أن تسمى الأعلام الحديدية التي توضع في السكك الحديدية هداية الوايورات بالمناور أيضاً هذا واننا قد اقتبسنا اسم المنار من الحديث الشريف فتأولاً بأن يكون ميناً لصوى الاسلام وناصباً لأعلامه وموضماً لنور الحقيقة التي نحتاج إليها في حياتنا المليئة والاجتماعية والله الموفق والمعين

﴿ الرخصة لاصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والفدية ﴾

(ص ٥٢) من أمين محمد افندي الشباصي بمصلحة السكة الحديدية بأبنا (السودان)
فضيلة الاستاذ المرشد

بعد تقديم واجب الاحترام أرجوكم الجواب على السؤال الآتي وهو اننا عمال مصلحة السكة الحديد السودانية نشغل باجهاد انفس في ورش جدرانها وأسقفها من حديد ولا يخفى على فضيلتكم أن موقع السودان وشدة الحرارة وتأثيرها في تلك الورش شديد جداً كما لا يخفى على فضيلتكم ما لفصول الاعمال البدنية من تشييط المهضم وسرعته فهل يرخص الشرع الشريف للمسلم الذي يحيطه مثل هذه الظروف بافطار شهر رمضان أم لا وإذا رخص الشرع الشريف فما الذي يجب على المفطر اداؤه جزاء على هذه الرخصة أفيدونا على صفحات مناركم الاغفر وفضيلتكم الثواب

(ج) جاء هذا السؤال قبل طبع المزمة الاخيرة من هذا الجزء فبادرنا الى الاجابة عنه من غير مراعاة ترتيب الاسئلة فنقول : يباح لاصحاب الاعمال الشاقة التي عليها مدار معيشتهم اذا كانوا يتحملون مشقة شديدة بالصيام ان يفطروا ويطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكيناً لأن المخرج من فروع من الدين بنص القرآن وقد ذكر ذلك الفقهاء كما في شرح المنهاج للرملي (ص ٣٣٩ ج ٢) وبه فسر الاستاذ الامام قوله تعالى (٢ : ١٨٤) وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (راجع ٦٥١ م ٧) وأقل ما يطعمه المسكين مد من الطعام وقدر يمن كفي الرجل المعتدل من القمح واذا غراه أو عشاها أو أعطاه ما يكفي ذلك من الطعام الذي يأكله هو كفي

أثر علي بن بريدة

﴿المطبوعات الجديدة﴾

﴿ كتاب غريب القرآن للسجستاني ﴾

كتب علماء الاسلام في غريب القرآن كتبا كثيرة منها المطول والمختصر ومنها المنشور والمنظوم ومنها مختصر للشيخ أبي محمد بن عزيز السجستاني سماه زهرة القلوب وهو مراتب على حروف المعجم ترتيبا خاصا . وقد طبعه في هذه السنة محمد افندي الخانجي وشركاؤه طبعا جميلا ضبطت فيه كلمات القرآن في الأكثر . فبجاء كتابا لطيفا بشكل صغير يوضع في الجيب وهو مفيد يفسر الكلمات غالبا بالمعنى المراد وثارة يذكّر أصل الاشتقاق

﴿ غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ﴾

كتاب للشيخ محمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨ شرح منظومة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القوي المرادوي الحنبلي المتوفى بالثام ٦٩٩ أحد شيوخ ثقي الدين ابن تيمية في العربية . وهذا الشرح يدخل في مجلدين فهما من الاخبار والآثار والفوائد والشوارد مالا يوجد الا في الاسفار الكثيرة فقد كان السفاريني واسع الاطلاع حسن الاختيار في الغالب . وقد طبع كتابه هذا الشيخ عبد الفتاح الحباروي النابلسي باذن أحفاد المؤلف وثمان النسخة منه عشرون قرشا وأجرة البريد في القطر المصري أربعة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكاتب المشهورة

﴿ كتاب الأماي لأبي علي القالي ﴾

سبق لنا قول في هذا الكتاب النفيس وهو جزآن يتلوهما جزء لطيف سماه ذيل الأماي وجزء آخر اللف منه سماه النوادر وقد تم طبع الجميع في مطبعة بولاق لأمانة علي نفقة الشيخنا سما علي بن يوسف بن صالح بن دياب القزويني

قلنا في الجزء الاخير من السنة الماضية ان هذا الكتاب من افضل كتب الأدب وقد عده ابن خلدون أحد أركانها الأربعة التي تعد سائر الكتب فروع عنها .
والثلاثة الأخرى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ .
ففي الكتاب من مختار المنظوم والمشور للعرب والمخضر مبن وكبار المولدين ومن مباحث الفنة والأدب ما هو خير عون على طبع ملكة البلاغة في نفس من يزاول قراءته .
وأما طبعه فميد القول بأنه لم يطبع بمصر فيما نعلم كتاب بعد المخصص منه في الضبط والاعتقان مع جودة الورق فسي ان يقبل عليه عشاق الأدب ولا بد أن يتناع نظارة المعارف طائفة من نسخته

﴿ سفينة النجاة ﴾

كتاب في النحو وضعه لتعليم في مدارس القرير أحد أسانديتها (الاخ بلاج) وهو مؤلف من أربعة أجزاء لطيفة - الأولى والثاني ذكرت في المسائل بأسلوب السؤال والجواب وضبط بالشكل التام دون التمرينات الملحقة بها وهما لتعليم المبتدئين في السنة الأولى والثانية ومسائلها تليق بهم ووضع الثالث والرابع شروح في هوامشها وقد أهدانا المؤلف نسخة من طبعه الكتاب الرابعة فإذا هي بمكانة من الجودة والضبط والاعتقان .
ففي نجد في الأزهر مثل هذه الكتب لتسهيل التعليم التي سبق علماءنا إليها الاجانب ولولا أن نظارة المعارف سبقت الى مثل هذه الكتب وان هذا المؤلف أخذ عنها وحذا حذوها لساغ لنا أن نقول أن الاجانب خير منا في خدمة لغتنا

﴿ سفينة البقاء ﴾

وأهدانا هذا المؤلف أيضاً نسخة من رسالة في علوم البلاغة الثلاثة سماها سفينة البقاء وهي نحو ستين صفحة فنشكر له هذا وذاك

(التقدم) جريدة سياسية يومية أنشأها في تونس البشير الفورني وبن ان من مقاصدها الدعوة الى الاعتصام بالدين والدفاع عنه وخدمة الجامعة الاسلامية في بئل النضائح لأهل الوطن في جميع الشؤون والاعتدال في تنبيه الحكومة الى ما يجب فتح القراء والكتاب على تهذيبها بالاقبال عليهم واسماها على هذه الخدمة الجليلة

بِأَنَّهَا كَيْفَ الْأَنْبَاءِ

سياسة إيطاليا بطمعها في بلاد المسلمين

دولة إيطاليا تحاول مجازاة الدول الاستعمارية ولكنها تجهل الاستعمار فسلك إليه غير طريقه وتأتيه من غير أبوابه . ومن المعروف المشهور أن طامعاً قديماً في ولاية طرابلس الغرب العثمانية وقد علمنا في هذه السنة أن طامعها قد نطقت بولاية اليمن وأنها منذ زمن غير قريب تدس المسائس إلى امام الزيدية فيها لتقوى عزيمته على محاربة الدولة العلية وتتوهم أنها تدخل اليمن في ظلمات هذه الفتنة فلا يفتن لها أحد . وإن طمعها في اليمن لأدل على جهلها بطرق الاستعمار من طمعها في طرابلس الغرب لا لأن عرب اليمن أشجع وأمرن على الحرب من عرب طرابلس ولا لأن الزعيم الديني الذي في اليمن سياسي حربي بالفعل والزعيم الهنبي (وهو السنوسي) الذي في صحاري طرابلس ليس كذلك بل لأن اليمن والحجاز صنوان فالدولة التي يستقر سلطانها وقوتها في اليمن تكون خطراً متصلاً بالحجاز فأول من يتألب عليها إذا كانت غير مسلمة عرب الجزيرة ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ان يكونوا عوناً لهم بكل ما يستطيعون فكانت دولة إيطاليا بطمعها في اليمن تهدد المسلمين بهدم الكعبة والقضاء على الاسلام في حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم

ومع هذا نرى لبعض خدمة هذه الدولة وسائل سياسية تضطك الشكل يبراد فيها غش المسلمين ويقناعهم بأن إيطاليا محبة للإسلام والمسلمين منها تلك الهدية التي أرسلتها إلى السنوسي وما أمكن ان ترسل إليه الا باسم رجل مسلم من مستخدميه ثم كتب إليه بعد ذلك بأن ملك إيطاليا دفع عنها حبه الشديد في الاسلام نفسه وفي المسلمين عامة والسنوسي والسنوسية خاصة . ومنها ما ذكرناه في بعض أجزاء منار هذه السنة من استخدام الشيخ عبد الرحمن عيش في بناء مسجد وإيقافه ليصل فيه على روح أمير المؤمنين الأول ملك إيطاليا السابق ليصبحوا ذلك بين جهالة مسلمي طرابلس

والعجم والصومال والشيخ عيش يصفه بالإيمان ليوم الناس أنه كان مسلماً !!
ومنها أنشاء مجلة بمصر نصفها عربي ونصفها طلياني كتب عليها «عربية تليانية
إسلامية» ويدير أعمالها وسياستها رجل طلياني ويكتب فيها من الخبط والخلط
في الدين والتصوف ما يكي المسلم الصادق، ويضحك المارق والمنافق، وأما الحب
الذي يضعه مدير سيامة هذا الفخ حوله ليجذب به إليه من يراه من أغرار المسلمين
الذين يشبهون الطير في غاراتها فهو مدح الاسلام ودعوى إقناع الأوربيين بفضله
وأى نضيجة على المسلمين أشنع من ثقتهم بأن بعض الأجانب الذين يخدمون دولة
طامعة في بلادهم هو الذي يبين لأوربا والمسلمين جميعاً حقيقة الاسلام وفضله وهو
لا يعرف أحكامه ولا يستخدم إلا الجاهلين بها ؟؟ ولماذا لم يجعل هذه الخدمة للاسلام
بلغات الدول التي يقول أنها أعدى أعدائه كانكرا وفرنسادون لغة أهل العربية
ولغة محبيه بزهم وهم الإيطاليون ؟

وقد وقع لبعض جرائد المسلمين تقيظ لهذه الصحيفة الخادعة ولله كان قبل
التأمل فيها، والتفطن لما في أحشائها ومطاولها فافسى أن لا تعود هي ولا غيرها إلى ذلك
(حزب الأمة)

انعقدت الجمعية العمومية لشركة (الجريدة) المصرية في ١٣ شعبان فخطب فيهم
حسن باشا عبد الرازق (لا عنذار رئيس الجمعية محمود باشا سليمان عن الحضور بسبب
صحي) خطبة سياسية اجتماعية جمعت بين الحكمة والبلاغة وقد سمي فيها الجماعة
المؤسسة للجريدة بحزب الأمة وبين مقاصده في ست جمل كلية فوافق من حضر
على ما قال باجماع عقب مناقشة . وقد تاتي العقلاء ظهور هذا الحزب بالقبول وما
زال الناس يدخلون فيه فرادى وثبات ، وفقه الله للخير وأيده بالثبات ،
(رزء عظيم بعظيم من زعماء المسلمين)

روت الأهرام عن بعض الجرائد الانكليزية ان المالك الهندية قد أصيبت
بوقاة النواب محسن الملك الناظم الاعزازي لدرسة العلوم الكلية في عليكره .
فوجلت منا القلوب لهذا النبا العظيم ، والرزء الأليم ، الذي أصاب المسلمين عامة
في ذلك العقل الحكيم ، والقلب الرحيم ، والعلم الواسع ، والتدبير النافع ، والقلم

الكاتب ، والرأي الصائب ، وأصاب صاحب هذه المجلة بصديق صادق ، ومحب مخلص ، وانني أكتب هذه الكلمات لأحشرها في المجلة وقد تمت موادها بعد حذف شيء مما جمع منها وان لنا لعودة الى الكلام عن هذا الرجل العظيم وعسى ان يمن علينا الله كنور ضياء الدين أحمد بترجمة حافلة له رحمه الله

الرد على فريد أفندي وجدي

قد علم قراء المنار أننا ما تصدينا للرد على ما يكتبه محمد فريد أفندي وجدي إلا لأنه يتكلم في أصول الدين وفروعه بغير علم (إلا ما يقتبس من المجلات والجرائد وبعض الكتب العربية والفرنسية التي ينظر فيها عند الحاجة) وأنه لما رأى ذلك فزع الى جريدة اللواء فأرسلنا فيها سباً وشتماً وتهديداً ووعداً ومزج ذلك بشيء من المغالطة جعلها كالرد لما اتقدنا به كلامه في فلسفة التشريع . ولكته رأى اننا رددنا هذه المغالطة ردّاً محكماً لا يقبل المراء وأنتم نبال بتهديده ووعديه بأنه سيتبع سقطات المنارخي لا يدعنا نرفع رأساً ! بل اظهرنا له السرور بتصديده لنقد المنار (ان كان يقدر على ذلك) لان النقد علينا ضائتنا التي نشدها دائماً نهددنا وتوعدنا في مجلته بأنه قد كتب الى كثير من علماء الدين يطلب منهم الرد علينا وانه سيطبع ما يرد عليه من ذلك متى كثرت في كتاب ويوزعه كأنه موقن بأن سيجيبونه الى ما طلب !! وجعل ذلك خاتمة لمقالته في السب والشتم والدعوى والتبجح استخرقت أربع ورقات سماها المروس الاول وقال « وانني لن أزال أتي عليه من هذه المروس مادام لم يعرف قدره حتى يفتق من هواه وبنيء الى أمر الله » !! ويعني بأمر الله فيما يظهر ترك نصيحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإنما أمر الله بالتناصح والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تبرك ذلك وما رأيت أحداً من العقلاء اطلع على كلامه هذا أو على مقالاته في اللواء إلا وقال انه أهان بها نفسه اهانة لا يستطيع ان يلحقها منه الاعداء وانها أشد عليه من نقد المنار لكلامه وكأن بعض محبيه بين له ذلك ونصح له بأنه اذا لم يستطع مقابلة المنار الا بمثل هذه المروس التي هي تبجح واطراء لنفسه وازراء بمنظره فالسكوت أجدر به وأحفظ لكرامته ولعله يسكت المنار عنه فكتب الياناما يأتي

مصر في ١٨ - ٩ سنة ١٩٠٧

الى حضرة الشيخ رشيد

أرجوكم أن لا ترسلوا الى المنار مادتم تسبوننا فيه فقد عرمت ان لا أرد عليكم ولا يتم عزمي هذا الا اذا ابتعدت عن كل ما يثير نفسي. ولو كنت أعلم ان فيما تقولون ظلام من الحق والصدق لقرأه صاغراً ولكنكم اتخذتم اليوم خطة أتم أعلم بصبر السالكين فيما وقد تكلفت كتابة هذا الخطاب اليكم ابقاء على مجلتكم من الرد بالبوسة

كاتبه فريد وجدي

فينظر أهل الفهم والعقل الى هذا الكلام وليجيبوا من قوله - وكله مواضع عجب - «لو كنت أعلم ان فيما تقولونه» الخ فهل يستطيع أحد من خلق الله ان يحكم على قول يقال في المستقبل بأنه ليس فيه ظل من الحق والصدق الا اذا كان موثقاً بأنه يعلم الغيب وأنه معصوم في كل ما يقول ويكتب ؟

لقد كان مما قلته ان موضوع علم الحديث كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والافعال والصفات الخوانه مخطىء في جملة موضوعه الأقوال فقط . ومنه تخطت في قوله أنه لم يصح عند البخاري الا كذا حديثاً اذا قلت عن البخاري نفسه أنه صح عنده أكثر من ذلك . فاذا كان أعلم بما صح عند البخاري من البخاري والحفاظ الذين نقلوا عنه لأنه يعلم الغيب مثلاً فهل يأتي ذلك في الحكاية عن الاصطلاحات كموضوع علم الحديث الذي قال فيه عن المحدثين ما هم مجمعون على خلافه ؟ نعم كان مما قلت انه غير صادق في قوله ان مشيخة الأزهر قررت كتابه كنز العلوم والفن في الأزهر وملحقاته وإنما اشترت مكتبة الأزهر بعض النسخ منه . ثم تبين لي أن أمين المكتبة الأزهرية لم يشر هو باستحسانه ولا بأمر شيخ الجامع شيئاً من الكتاب وأن ما وجد في المكتبة وظننت أنها اتباعته منه فهو مما أرسله اليها ديوان الأوقاف فان بعض أصحاب فريد أفندي سعى له في الديوان فاشترى الديوان بعض النسخ وأرسلها الى مكتبة الأزهر وله المادة في ذلك . وواقع أنه لم يظهر لي أن شيئاً مما كتبه مخالف للحق ولو بوجه ما الا ذلك الظن بأن مكتبة الأزهر ابتاعت بعض نسخ ذلك الكتاب . ولكن ظهور الحق في ذلك أشد على فريد أفندي وجدي من خفاه .

فيهم جادى الدين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتاهم هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

بوتى الحكمة من يشاؤون بوقت الحكمة فقد أوتى
غورا كبيرا وما يدركه إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر رمضان سنة ١٣٢٥ - آخره الاثنى عشر ٦ نوفمبر (ت ١) سنة ١٩٠٧ ﴾

► نموذج من انجيل برنابا ◀

الفصل الرابع والتسعون^(١)

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « اني أشهد امام السماء وأشهد كل ساكن على الارض اني بريء من كل ما قال الناس عني من اني أعظم من بشر^٢ لانني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله^(ب) أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام^٣ لعمر الله^(ت) الذي تقف نفسي بحضرة إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته ؛ ليلطف^(ث) الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحمل بها نعمة عظيمة لهذه الخطيئة »

٢ فقال حينئذ الكاهن : « ليقر لنا الله^(ج) أما أنت فصل لاجلنا »

٣ ثم قال الوالي وهيرودس : « ياسيد انه لمن المحال ان يفعل بشر ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول »

٤ أجاب يسوع : « ان ما أقوله لصدق ان الله يفعل صلاحاً بالانسان كما ان الشيطان يفعل شر^٤ لان الانسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه^٥ ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك أنتم تقولان هذا لانكم اجنيان عن شريعتنا لانكم الوقرأتم العهد وميثاق الهنا^(١) (٢) رأيتما ان موسى حول بمصاه البحر دما والنبار براغيث والتدي زوبعة والنور ظلاما^٦ أرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطت الارض وقتل الابكار وشق البحر وأغرق فيه فرعون^٧ ولم أفضل شيئاً من هذه^٨ وكل يسترف بأن موسى اتماهوا الآن رجل ميت^٩ أوقف^(٢) يسوع الشمس وشق

(١) سورة المؤمنین (ب) الله حکیم (ت) الله حي (ث) أستغفر الله

(ج) بلاء على فرعون وغرق ذكروه

(١) خر ٧ (٢) يش ١٠ : ١٢ - ١٤

الاردن وهما مالم أفعله حتى الآن ١٤ وكل يعترف بأن يسوع إنما هو الآن
رجل ميت ١٥ وأنزل ايلى النار من السماء ^(١) عياناً وأنزل المطر ^(٢) وهما
مالم أفعله ١٦ وكل يعترف بأن ايلى انما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من
الانبياء والاطهار واخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبغ كنهها عقول الذين
لا يعرفون هنا ^(٣) القدير الرحيم المبارك الى الأبد «

الفصل الخامس والتسعون ^(ب)

١ وعليه فان الوالى والكاهن والمالك توسلوا الى يسوع ان يرتقى مكاناً
مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم ٢ حينئذ ارتقى يسوع أحداً للحجارة الاثني
عشر التي أمر يسوع الاثني عشر سبطاً ان يأخذوها من وسط الاردن
عندما عبر اسرائيل من هناك دون ان تبطل أحذيتهم ^(٤) ٣ وقال بصوت عال :
« ليصعد كاهنتنا الى محل مرتفع حيث يتسكن من تحقيق كلامي » ٤ فصعد
من ثم الكاهن الى هناك ٥ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من
ساعه : « قد كتب في عهد الله الحي ^(٥) ^(٦) وميثاقه ان ليس لاهلنا
بداية ^(٧) ولا يكون له نهاية ^(٨) »

٦ أجاب الكاهن : « لقد كتب هكذا هناك »

٧ فقال يسوع : « انه كتب هناك ان هنا ^(٩) قد برأ كل شيء »

بكلمته ^(١٠) فقط «

(١) الله قدير على كل شيء والرحمن (ب) صورة لاله الا الله (ت) الله حي

(ث) الله قديم (ج) الله باق (ح) الله خلق (خ) خالق الله كل شيء في كلام واحد منه

(١) امل ١٨ : ٣٨ و ٣٩ (٢) امل ١٨ : ٤١ (٣) يش ٤ : ٨ (٤) مز ٩٠ : ٢

(٥) مز ٤٣ : ٦

٨ فأجاب الكاهن : « انه لكذلك »

٩ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الله لا يرى (أ) وانه محبوب (ب) عن عقل الانسان لانه غير متجسد (ت) وغير مركب وغير متغير (ث) »

١٠ قال الكاهن : « انه لكذلك حقاً »

١١ قال يسوع : « انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لا تسعه (١) لان آلهنا غير محدود (٢) »

١٢ قال الكاهن : « هكذا قال سليمان النبي يا يسوع »

١٣ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لا يأكل ولا ينام ولا يمتريه نقص (ح) »

١٤ قال الكاهن « انه لكذلك »

١٥ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان المنافي في كل مكان وان لا اله سواه (خ) الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد (ز) »

١٦ قال الكاهن : « هكذا كتب »

١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال : « أيها الرب آلهنا (د) هذا هو ايماني الذي آتي به الى دينوتك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك »

١٨ ثم التفت الى الشعب وقال : « توبوا لانكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن انه مكتوب في سفر موسى عهد الله الى الأبد ١٩ فإني

(أ) الله لا تدركه الابصار (ب) الله خفي (ت) لا بدن له (ث) لا يختلف الله منه (ج) الله عظيم (ح) الله غني (خ) قال عيسى لا غير اله إلا اله تامنه (د) « الله سلطان

بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وانه
 كان لي بداية وسيكون لي نهاية واني لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة «
 ٢١ حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: « لقد أخطأنا اليك
 أيها الرب الهنا (أ) فارحمنا (ب) » ٢٢ وتضرع كل منهم الى يسوع ليصلي
 لاجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفنها الله في غضبه لتدوسها الأمم (ن)
 ٢٣ فرم يسوع يديه وصلى لاجل المدينة المقدسة ولجل شعب الله
 وكل يصرخ: « ليكن كذلك آمين »

الفصل السادس والتسعون (ن)

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال: « قف يا يسوع
 لانه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لامتنا »
 ٢ أجاب يسوع: « أنا يسوع بن مريم (ج) من نسل داود بشرمات
 وبخاف الله وأطلب ان لا يعطي الإكرام والمجد الا لله »
 ٣ أجاب الكاهن: « انه مكتوب في كتاب موسى ان الهنا سيرسل
 لنا مسياً (ح) الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله ؛ لذلك
 أرجوك ان تقول لنا الحق هل أنت مسياً (خ) الله الذي نتظره ؟ »
 ٥ أجاب يسوع: « حقاً ان الله وعد هكذا ولكني لست هو لانه
 خلق قبلي وسيأتي بعدي (١) »

« ا » الله سلطان « ب » استغفر الله « ت » الله تبارك « ث » سورة البشر
 « ج » قال عيسى أنا عيسى بن مريم « ح » الله مرسل وروسل « رسول » « خ » رسول

٦ أجاب الكاهن : « انا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي و قدوس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان تهيدنا حياً في الله بأية كيفية سيأتي مسياً »

٨ أجاب يسوع : « لعمري الله (أ) الذي وقف بحضوره قسي اني لست مسياً الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله ابانا ابراهيم (١) قائلاً : بنسلك ابارك كل قبائل الارض : ٩ ولكن عند ما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأنني الله وابن الله ١٠ فيتجسس بسبب هذا كلامي وتطلمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً ١١ حينئذ يرجم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة (ب) وسيبيد الاصنام وعبدة الاصنام ١٣ وسيترزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً »

الفصل السابع والتسعون (ت)

١ « ومع اني لست مستحقاً ان أحل سير حدائه (٢) قد نلت نعمة ورحمة من الله لاراه »

٢ فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لا نزعج نفسك يا يسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لا تحدث في زمنا مرة أخرى ٣ لاتنا

سنتكب الي مجلس الشيوخ الروماني المقدس باصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله «

- ٤ فقال حينئذ يسوع (أ) : « ان كلامكم لا يعزني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ه ولكن تعزيتي هي في عجيء الرسول الذي سينيد كل رأي كاذب في وسيمتد دينه ويم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ٦ وان ما يعزني هو أن لا نهاية لدينه (ب) لأن الله سيحفظه (ت) صحيحاً »
- ٧ أجاب الكاهن : « أيا تي رسل آخرون بعد عجيء رسول الله (ث) ؟ »
- ٨ فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد غير من الانبياء الكذبة وهو ما يحزني ١٠ لان الشيطان سيثيرهم بحكم الله (ج) العادل فيسترون بدعوى انجيلي »
- ١١ أجاب هيرودس : « كيف ان عجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ »

- ١٢ أجاب يسوع : « من العدل ان من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعتة ١٣ لذلك أقول لكم (ح) ان العالم كان يمتن الانبياء الصادقين دائماً وأحب الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وأرميا (١) لان الشبه يجب شبيهه » (خ)

« ا » قال عيسى صفائنا جثة رسول الله لانه اذ جاء في الدنيا يرفع اعتقاد السوء من أهل الدنيا لنا ودينه يضبط جمع للدنيا لدنيا منه « ب » دين رسول الله أبدي لانه تعالى يحفظ دينه منه « ت » الله حافئظ « ث » رسول الله خاتم الانبياء « ج » حكم الله عادل « ح » والى بني آدم « خ » الجنس مع الجنس منه

١٣ فقال حينئذ الكاهن : « ماذا يسى مسياً وماهي العلامة التي تظن بجيئه (أ) ؟ »

١٤ أجاب يسوع : « ان اسم مسياً (ب) عجيب لان الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهامساوي ١٥ قال الله : « اصبر يا محمد (ت) لاني لاجلك (ث) أريد أن أخلق (ج) الجنة والعالم وجما فقيراً من الخلائق التي أمهبا لك حتى ان من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ١٦ ومتى أرسلتك (ح) الى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى ان السماء والارض تهناز ولكن ايمانك لا يهن أبداً ١٧ ان اسمه المبارك محمد :»

١٨ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : « يا اللهم أرسل (خ) لنا رسولك (د) يا محمد (ذ) تعال سريعاً لخلاص العالم ا »

الفصل الثامن والتسعون (ر)

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس وهم يحتاجون في يسوع وتطيحه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالي ان يكتب

« ا » جات طاقة من اليهود عيسى يسألون عن اسم النبي الذي يبعث في آخر الزمان فقله عيسى ان الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان ووضع في قنديل من نور وسماه محمداً قال يا محمد اصبر لاجلك خلقنا كثيراً وحببت لك كله فمن رضي منك فانا راض منه ويبغضك فانا برىء منه فاذا أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام وشريعتك باقوال أبدأ الأبدین « ب » رسول « ت » محمد « ث » الله محب ووهاب « ج » الله خالق « ح » الله مرسل « خ » الله مرسل « د » رسول الله « ذ » يا محمد « و » سورة طاعم « طمام »

بالامر كله الى رومية الى مجلس الشيوخ فقبل الوالي كذلك ٣ كذلك
 نحن مجلس الشيوخ على اسرائيل وأصدر أمراً أنه ينهي ويتوعد بالموت
 كل أحد يدعو يسوع الناصري نبي اليهود إلهاً أو ابن الله ؛ فطلق هذا
 الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس» الخ



خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي (*)

تلاها باللغة التركية في ردهة فندق الكونتيل بالقاهرة على نحو ثلاث مئة
 رجل من جميع الطبقات المتعلمة (ماعدا الامراء) وقرأ ترجمتها بالعربية الشيخ
 عبد الوهاب النجار :

— شيء من أحوال المسلمين في البلاد الروسية —

نشأت لمسلمي روسيا في الأزمان السالفة دولتان كبيرتان . احدهما دولة
 « آلتون أوردو » وكانت عاصمتها مدينة « سراي » قرب بحر قزوين والآخرى
 الدولة التيمورية . ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على أنقاضهما
 خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي امارة سيير ياوا امارة قزان و امارة استراخان
 و امارة قريم و امارات القاقاس نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى و خيوا
 و خوقند و عدة جمهوريات صغيرة . اذا صح هذا التمييز - في تقوم الدولة
 الإيرانية الشمالية .

ثم دار الزمان دورته وحم لامارني بخارى و خيوا أن تصيرا داخل حدود
 المالك الروسية و تدخلت تحت حمايتها . وأما بقية الامارات فقد استولت عليها
 الروس استيلاء كاملاً وصارت الآن ولايات روسية صرفة
 أول الامارات سقوطاً هي امارة قزان وسيبيريا وأما الجمهوريات التركمانية
 فلم تخضعها الروس الا في العهد الاخير

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القوقاس وقسم عظيم منهم يقطنون الولايات الداخلية والشرقية من أوروبا الروسية وقليل في شبه جزيرة قريم وعدد المسلمين الساكنين في القوقاس الشرقية وداعستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك . وأما في سيبيريا فهم الاقلون . والساكنون منهم في الولايات الشرقية من أوروبا الروسية مختلطون بالروس وسائر الاجناس . وهم الاكثرون في ولاية أوقا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم . وأما عدد مجموعهم فهو يناهز - بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ - سبعة عشر مليون نسمة . واذا ضمنا اليهم أهل بخارى وخيوا جاوز عددهم ٢٠ مليوناً . ولا ينبغي أن يفوتنا العشرة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينية (كشمير) الذين تجمعهم ومسلمي روسيا أوامر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك « مجتمع جنسي » مؤلف من ثلاثين مليون نسمة .

تسعة وعشرون مليوناً من هؤلاء سنين ومليون واحد شيعيون . وأما من حيث الجنسية والغة فكلمهم ترك سوى ثمانمائة ألف من قبائل الشركس القاطنين في جبال القوقاس ولهم مع ذلك اللام باللغة التركية .

يشتغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالتجارة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم ، وكانت لهم في سائر الايام صناعات تذكر . ولكنها أخذت تسقط رويداً رويداً من مكائنها الاولى بمزاحة مصنوعات المعامل الأوروبية الحديثة كما هي الحال في الأقطار الاسلامية قاطبة . والتقريجين منهم معروفون بجهل البساتين وانماء الفواكه المختلفة الطيبة

والقرواقيون أو القوقاسيون يشتغلون في الغالب بتربية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة . وقد انتشرت بينهم في العهد الأخير زراعة القطن انتشاراً عظيماً . وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانماء الفواكه وزراعة القطن . والجهات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والاراضي القاحلة ويندر فيها الماء العذب السائغ وتقلب في ارجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها . في ولايات أوروبا الروسية والقوقاس أربع مشيخات اسلامية . ثلاث منها

للسنين وواحدة لثيمة . ولدى كل مشيخة مفت (أوشينغ اسلام) وثلاثة قضاة أو أعضاء . وتنظر هذه المشيخات في الامور الدينية البعثة كالنكاح والطلاق والمواريث والنسب وتقسيم التركات وتوزع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما إليها مما يقع في أحيائهم . وتقسم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك الوصايا الاسلامية لا يحسبها القانون الروسي بسوء .

في كل قرية اسلامية - في أوربا الروسية وفي القريم - مسجد وكتاب . وأما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتائب

وفي أوربا الروسية والقوقاس مئمة آلاف مسجد ومئمة آلاف كتاب وما ينيف على مائة مدرسة دينية وأكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد المتعلمين من البنات في الكتائب يساوي ثلث المتعلمين من الذكور وبما يحسن ذكره هنا ان جماعة من الفتيات المسلمات يتعلمن في مدارس البنات التجهيزية الرسمية . وكذلك تعلم اليوم في القسم الطبي من « جامعة » بطرسبورغ أربع عشرة فتاة مسلمة . وقد كانت أكلت دروس الطب فيها فتان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة « رضية » احدي تينك الطبيتين في الجامعة بسعي المرحوم شاكر باشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لدي الآن تفصيل بشأن الكتائب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسية ولكني أعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركمانية واني لأتملك ان أذكر هنا بكل أسف ان تلك المدارس لا تبرح تسود فيها الفوضى والخلل في طرق التعليم . ومن أجل ذلك لا تأتي بفوائد ينفعها هذا الزمان ونطاق جرماتها أضيق من أفكار الامة القائمة فيها بالتعليم والتدريس وليست يتنا الى الآن مدارس للمعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس

من هذا القبيل قد حدثت في العهد الاخير
انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتقدم منذ ربع قرن انتشاراً
يذكر . ومن ثمرات هذه الفكرة أهم جعلوا في العهد الاخير يصلحون كتابتهم
ومدارسهم وينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم المصرية والادبيات التركية وطقوا
ينشئون المعاهد العلمية على الطراز الحديث ويرسلون التلاميذ الى المدارس الروسية
والاوروبية والى الامتانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة المصرية والعلم العربية والدينية .
ويهاز عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم المصرية والادبية
نحو خمس مئة كتاب

وعدد المطابع الاسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي:

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قزان وثنان في تفليس وثنان في باكو وواحدة
في باغجة سراي . وفي قزان ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع
ثلاث عشرة مطبعة . وأما الصحف المنتشرة الاسلامية في البلاد الروسية فهي
صحيفتان في بطرسبورغ واربع في قزان وثلاث في أوردنبورغ وثلاث في باكو
وواحدة في طاشقند قاعدة تركستان اليوم وواحدة في تفليس وواحدة في باغجة سراي
واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربية والبقية بالتركية . واحدى الصحف
التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك العثمانيين والبقية تكتب الآن بلغات
تركية مختلفة باختلاف الاقاليم . والرجاء أن تتعددت هذه الصحف أو تتقارب كل
التقارب في مستقبل قريب أو بعيد . وهذا الاتحاد القوي غاية ما يري اليه المصلحون
والمثقفون منا وثلاث صحف من تلك الصحف علمية أدبية والبقية سياسية أيضاً . وأما
من جهة الخطة فتلاث عشرة صحيفة منها وطنية معتدلة وثنان رومان الى غاية
اشتراكية ديمقراطية .

وفي روسيا اثنا عشرة جمعية خيرية اسلامية غرضها اسعاف المعوزين والاخذ
بأيدي البائسين والمساكين ولها قوانين مصدق عليها من الحكومة
ويتجاوز عدد الكتاتيب التي أصلح أمرها ألف كتاب تعلم فيها القراءة التركية
والكتابة والقرآن والمعائد الدينية ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ الاسلامي

وشيء من علم حفظ الصحة

وأما المدارس الدينية فقد أصلحت منها مدرسة في تزان وأخرى في أورنبورغ وثالثة في أونا . وفي تلك المدارس تدرس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقوم البلدان والتاريخ . دع عنك العلوم العربية والدينية بأنواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا أفراد جادوا بأموالهم وأنفس أملاكهم في سبيل ترقية المعارف واعلاء قدر الأمة والملة . وأخص بالذكر من بينهم المرحوم الحاج نعمة الله قراميشف السيبيري الذي بذل أموالاً طائلة في سبيل انشاء مئة كتاب ومئة مسجد وأنفق مبلغاً عظيماً لتأسيس مكتبة عامة أو دعماً أنفس الكتب وأندرا الآثار . أكرم الله مثواه وأحله مقاماً كريماً . وأنفق الناجر القزاني المرحوم أحمد الحسيني في انشاء معاهد العلم وترقية المعارف ثلثمائة ألف روبل . وأنشأ شقيقه عبد الغني الحسيني مئتي كتاب على نسق حديث وقد نشر بهمة الشماة فكرة اصلاح الكتابات وكذلك الاصول الحديثة المعروفة بالاصول الصوتية التدريجية الى تخوم الصين وذلك بانشاء الكتابات في تلك الديار النائية كما أنشأها في الولايات الروسية المتوسطة جزاهم الله عنا وعن العلم والقراء جزاء حسناً

ومن تقضي علينا الانسانية ان نذكر اسمه مقروناً بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاغيف الباكوي لان خدمة هذا المثري الكريم في سبيل نشر العلم واسعاد الفقراء أكثر وأجزل

أنشأ هذا الرجل في داغستان مئة مسجد ومئة كتاب . وأنشأ في ضواحي مدينة باكو حقلاً نموذجياً . وأنشأ للدفاع عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية

وبذل ملايين من الروبلات لتعليم أناس كثيرين في الجامعات الروسية والاوروية . وما معظم الاطباء والمعلمين والمهندسين المسلمين الذين تفتخر بهم الامن آثار همة هذا الرجل الكريم . ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات أيضاً فقد أنشأ في مدينة باكو مدرسة شامخة للبنات أنفق على بنائها فقط عشرين ألف جنيه . ووقف عليها وقفاً يأتي بإيراد قدره ثلاثون ألف جنيه سنوياً ولا يمد أن

تصبح هذه المدرسة ذات يوم « المدرسة الجامعة » للآناث ولم يجئني هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مديدا المعونة الى ايران أيضا . وقد طبعت هناك كتب جمعة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدر ما ساعد به المنكوبين والبائيسين في البلاد الفارسية بمليون رو بل وزيادة .
أيا السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للانسانية والخادم للفضيلة .
أمال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان .
وأما الاغنياء الذين أنشوا كتابا أو كتابين ومدرسة أو مدرستين فهم كثيرون جداً يتعذر على الآن احصارهم وما الخطوة التي خطوناها الى الامام في ميدان التقدم الا بفضل هذه الكتابيب والمدارس التي أسست ووصلت بهمة أمثال من ذكرنا أنماهم من أولي الهمم العالية الى ما وصلت .



وها قد آن لنا أن نوجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية .
ان لدى المسلمين الساكنين في آسيا الوسطى وأوروبا الروسية قوة تذكر في هذا الشأن . ولكنه لا بد من أعدادها وتنميتها بنشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام الذين يتفق للمسلمين ان ياروم في ساحة الاعمال التجارية أشداً أقوياء فيما يجارسون . فلهي روسيا - عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية - من الاراضي ما يكفيهم للاستغلال . وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين الآخرين منها تولداً يبشر بحسن المنبة ان شاء الله . وأهل تركستان يارعون جداً في أمور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم - من الوجهة الاقتصادية - لا الروس ولا مهاجرو الالمان .

وم يكدهون في أمر الزراعة كدحاً لا يعرفون فيه الملل والسامة . فهم يشبهون المصريين من هذه الوجهة كل الشبه ولكن أراضيهم الغالة أكثر وأفسح من أراضي القطر المصري . ونصف القطن الذي تحتاج اليها معامل المنسوجات الروسية يرد من الخارج وأما النصف الآخر فهو ثمرة كدح أهل تركستان وخدمهم . فزراع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الاوروبية الى بلادهم مبالغ طائلة .

وأما المسلمون القاطنون في مدينة قزان وما يتاخها من البلدان فلهم كثير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جعلتها معامل « آقجورين » المئري المسلم الشهير . وتبيع هذه المعامل سنويا الى الجيش الروسي من الجوخ ما يناهز مليون متر . والمئري الشهير الحاج زين العابدين ثاغيف الذي تقدم ذكره معمل للمسوجات القطرية فيه أربعة آلاف عامل . وأكثرهم من المسلمين . وكذلك المهندسون وزعماء العمال فيها . وأما مديرتها فكان من قبل انكليزيا ولم يبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبها يديرها بنفسه وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشغل باستخراج النفط والبترول يبلغ ما يتعامل به أحدم عشرة ملايين روبل

وأكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك للمسلمين والفواكه الطيبة التي تنفك بهار روسيا كافة تاتي كلها من المسلمين في القريم . لا يظن ظان ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم عظيم . لان كل ما ذكرناه عن مسلمي روسيا هو شيء طفيف ناه جدا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهيع التقدم والارتقاء بخطا العفاريات، وتتهدي الى أسباب النجاح والافلاح اهتداء الحريث، وعمضى في سبيل الخير والصلاح الاصليت ولكنه لا ينبغي لنا ان لا نياس ونتقاعد عن النظر فيما يرقى شؤونا ويصلح حالنا اذ كل من سار على الدرب وصل

ولا شك ان مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد تنبئت أفكار الأمة في السنين الثلاث الأخيرة تنبها عظيما واتسع نطاق الآمال اتساعا جسيما . حقا ان انقلاب روسيا اثر تأثيرا يذكر في مسلمي روسيا وأقام بفوائد جمة . ولست الآن بمكثف بتعداد تلك الفوائد جملة بل أحب أن أذكر هنا أهمها وأعودها عليهم برادة

أيها السادة : ان مسلمي روسيا أنشأوا لأنفسهم حزبا سياسيا دستوريا ديمقراطيا باسم « ائتلاف مسلمي روسيا » فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلفة في

أغسطس سنة ١٩٠٥ في مدينة « نيجني نوفغورد » غير أن الوالي لم يسمح بمقد الاجتماع رسمياً . ولم يكن الوقت لينسح لتحصيل الاذن من العاصمة . ففقد المنديون اجتماعهم على ظهر باخرة استأجروها للتنزه عليها في نهر « فولجا » . فقررت الآراء في ذلك الاجتماع انشاء (حزب اتناق المسلمين) وانشاء فروع له في الولايات فذهب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية .

وقد أنشئت لهذا الحزب الذي يتقوى يوماً فيوماً فروع في بعض الولايات بالفعل ورفعت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعاً غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسمياً في « نيجني نوفغورد » وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبع مئة رجل وامتدت مدة المناقشة والمناقشة خمسة أيام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الافكار السياسية بين المسلمين انتشاراً زائلاً فحسب لهم أن ينتخبوا منهم أربعة وعشرين نائباً للدوما الأولى و٣٦ نائباً للدوما الثانية ولا يسعنا هنا الا الاعتراف بأن هذا النجاح الباهر في الانتخاب في حينك المرتين لم يحصل بهمتنا فقط بل كان فيه لقوانين المادة ومعاملة احرار الروس لنا معاملة شريفة تأثير كبير لا ينكر

نعم ان احزاب التقدم من الروس ينظرون الى « اتناق المسلمين » نظر المتعاطف المنشط ولكنه غير خارج عن دائرة القانون حتى تكرهه الحكومة وليس حزبا يسمى لا يباع التفرة بين الرعايا الروسيين حتى ينفر منه الاحرار من الروس . ومما يحسن ذكره هنا أن المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوثام . وأمة الروس كثيرة الجروح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين نظر المتعيب المزدرى بل يعاملونهم معاملة القرين لقرينه وأرباب الجمعيات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في العاق بأهلها نعم قد حدث في الايام الخابرة بتأثير الكنيسة وجماعة المشركين بعض الحوادث المؤلمة ولكنها قد زالت أسبابها بعد أن أعلنت الحربة كل الزوال ونومل

أن تحسن أحوالنا في المستقبل أكثر مما نحتسب . رأينا كثيرين ممن أكرموا زمن الاستبداد على التصرف قد عادوا إلى الإسلام وكذلك اتحل الإسلام انفس من الروس الأصليين رجالا ونساء . والفضل في ذلك كله لحرية التي ترقى بها الامم وتكمل الانسانية

﴿ مسألة التعليم العام ﴾

إذا أرادت معظم أمم الأرض أن تدخل في دور التمدن والرقى يكفينا النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الأمة الإسلامية فأبها مطالبة بأن تمد نظرها إلى الماضي أيضاً فليس في الأمم الأخرى في غابر أزمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . أما الأمة الإسلامية فإن أحوالها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الأمة الإسلامية الحاضرة تتماز على غيرها في هذا المبدأ فلا بأس من أن تعيد نظرة إلى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

ان مصر هذه التي تعد منبعا للمعارف ومهدا للمدنية وان كانت في سالف أيامها أي منذ ٤٠ قرنا اشتهرت بارتقائها في العلوم الا أن هذه النعمة ماقتت اذ ذلك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة لتقوية أهوائهم ثم انتقلت القراءة والكتابة إلى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كمدارس سقراط وافلاطون وارسطاطاليس الا أن هذه المجامع لم تكن على شكل مدارسنا اليوم ، بل كانت أشبه بمجالس المذاكرة خاصة يختلف اليها المؤمنون بالبحث والمنظرة وأعيى بذلك أنها لم تكن عامة للتدريس يهرع اليها كل طالب . انتقلت المدينة اليونانية بعد ذلك إلى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدما عظيما ولم تنبه فيهم أيضا فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار إلى أن قبض الله تعالى للعالم الانساني الأمة الإسلامية التي اهدت إلى هذه الفكرة لأول وهلة فأخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظها من التوسع والانتشار . ومنشأ ذلك الإسلام نفسه لانه كما أتى بالتوحيد التي بما يدعو إلى وجوب تعليم العالم . فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل مسجد مقام فيه الشعائر

الاسلامية كتاباً او مدرسة لتعليم العام مجاناً . فاصبح التعليم العام المجاني من جهة الخيرات التي انتجتها المدنية الاسلامية في العالم الانساني . ثم لم تلبث هذه النعمة العظيمة في ايدي المسلمين زماناً طويلاً حتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت ما ناله من الحفاوة والاجلال فتقدمت تقدماً باهراً وانتشرت انتشاراً عظيماً فوا أسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا ووا أسفاه على ذلك الاهمال الذي أنقض بنا الى ضياع هذه النعمة من أيدينا بعد أن ورثناها عن آباءنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لا مزيد عليه . فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها ولم نعمل على انمايتها بل المدارس والمعاهد العلمية التي هي تذكور المتقدمين لنا لم نسع في ترقيتها فبدل أن نعرفها ونرفع اعلام مجدها السابق سعينا في تخريبها أو هدمها .

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد والغزالي وعلمي الدين بن العربي أصبحت منذ عدة قرون دوراً للمعزة الضعفاء ومسكناً للمعطلين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكامل والاهمال الذي أسبل ستار الغفلة علينا وحال دون تذهبنا الى حالة الامم الاخرى .

أما الآن فقد أقبل . وقد الحمد والثناء - على الأمة الاسلامية دوراً التيقت فأخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلامية فأصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات للتفكير في شؤون التعليم والمدارس ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الخطة المطلوبة نحن مسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لأوروبا غنائم كثيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها اليها . ولكن قدحان الآن وقت الاعادة فليتنا أن نسترددها منهم استرداداً يحمل ما توفر لديهم حتى الآن من انمايتها . ولا يقال هنا أن الشرق غريم للغرب اذ لا يقصد منه الا الذهب الذي لا يساوي شيئاً اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب ففرامة الغرب لنا هي أعظم بكثير من غرامتنا له فلي الدائن أن يطالب المدين

وليست هذه الكلمات من بنات أفكارى الخاصة كلا بل يقولها فوالب المتقن الألماني ودرابر العالم الأمريكى وما سأعرضه أيضاً مما يثبت تاريخ التعليم لا ينكر اليوم أحد من العقلاء المستعيرين ضرورة التعليم العام لتفوق البشري وخصوصاً للأمة الإسلامية فان ديننا القويم يقضي علينا بتصدق هذا الأمر وقبوله وإبرامه ووضع موضع الاجراء . وفي نظري أن هذا الأمر ليس من قبيل المسائل حتى يتناقش فيه بل هو أمر ديني قطعي فما علينا إلا أن نتناقش في كيفية اجرائه وإيجاد الطريق القوية الموصلة الى هذا المقصد لتسهيله فقط .

وقد أثبتت تجارب أعظم الامم المتقدمة في هذا العصر أنه لا يمكن تعميم التعليم ونشره الا بوجود كتاب واحد لكل ستين أسرة من الأمة .
وأما طريقة اجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي .

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة فققدار ما يلزمها من الكتابات هكذا . يتعين أن تقسم هذه العشرة الملايين على خمسة (أقار) ثم تقسم الحاصل وهو مليونان على ستين فيبلغ عدد الكتابات على هذا الحساب نحو ثلاثة وثلاثين ألفاً وهذا هو المقدار الممين الكافي لعشرة ملايين نفس

فلو بلغت مصاريف كل كتاب مع نفقات الأدوات ومرتبات المعلمين نحو ٤٠ جنياً يكون المجموع ١٣٣٠.٠٠٠ جنياً . فإذا أضفنا اليه مبلغ ٢٠٠.٠٠٠ جنياً وهو ما يلزم للانفاق على ارادة تلك الكتابات وغيرها من مدارس المعلمين نحتاج في إيجاد التعليم العام الابتدائي الى ميزانية قدرها ١٥٠٠.٠٠٠ جنياً

وهذا لا شك مبلغ جسيم الا أنه لا ينبغي أن لا يروعنا بحجمته . لان الفائدة التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت أو معنوية أعظم وأرقى بكثير من ذلك المبلغ . فانسبة مبلغ ١٥٠٠.٠٠٠ جنياً لعشرة ملايين نسمة الانسبة جزئية جدا تقضي بدفع ١٥ قرشاً على كل نفر في السنة و٧٥ قرشاً عن كل أسرة . وربما يقال هنا إن طائفة العمال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لاننا لو فرضنا أن عاملاً يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل قسمة ٧٥ قرشاً عليها ما يمين ونصفاً فقط وهو ما يطالب باقتصاده من مكسبه اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلاً

لا يكلفه إخراج ذلك منه الا أن يتنازل عن فئان من الثروة يتناوله يومياً وعن
سبجارتين على الا كثر

فبقي علينا أن نبحث في النفقة اللازمة لبنائنا فإذا فرضنا أن نفقة كل كتاب
على حدته هو ١٥٠ جنياً تبلغ نفقات ٣٣ ألف كتاب ٥ ملايين من الجنيئات .
وحيث قد تقع في مشكلة عظمى أيضاً وهي خلو اليد من النقود . فما الحيلة ؟ الجواب
سهل . وهو ان الأمة مادامت حية فالنقود توجد ألبنة أولاً يد من وجودها .
النقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام الجسبية لم لا توجد لبناء مدارس ؟
وإذا كان يجوز للامم الحية اقراض المال لانشاء السكك الحديدية والبرازخ والترع
فماذا لا يجوز اقراضها لانشاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة أخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تجزئة مدة
الا كتاب الى عشر سنين لأنه من البديهي أن مثل هذه المشروعات المهمة
لا تتم دفعة واحدة كما أنها لا تتم الا باكتساب ثقة الامة ورغبها في المشروع .

﴿ الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام ﴾

نرى المسلمين اليوم تنهبوا بعض التنبه في الاقطار الاسلامية كافة . وهب
فضلاؤهم لانشاء الصحف والجرائد التي لها أثر عظيم في تنبيه الافكار والارشاد
الى الخير والصلاح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية .
هذه علامات خير تقربها عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا ألبنة ان تجترى
بهذه العلامات الحسنة ثم نخذل الى أرض الدعة والكسل . فالمستقبل الحسن لمن
يدأب ويعمل . لاجرم ان المرء يرى اذا جاء طرفه في الاقطار الاسلامية من
مدينة قران الشمالية الى مصر الجنوبية ومن مرا كش المغربية الى جاوا الشرقية
علامات الانحطاط أكثر من علامات الارتقاء .

فقد عادت معظم المدارس مثابة للماجزين والباطالين . ودثرت الصناعات
الوطنية أو أشرفت على الدور . أصبح حفظنا قليلا من تجارة العالم وبدنا ضئيلة
في الصرف والشؤون المالية ونصيدنا عدما في التجارة البحرية . وليس لهذه الامة
التي ينفق عددها على ثلاث مئة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما أنها

لا تملك مصرفاً رأس ماله خمسة ملايين جنيه مثلاً .
ليس في أيدينا ما نفيس به غير الأراضي الخصبة التي ورثناها عن آباءنا .
تأتي لنا هذه الأراضي بالقمح والفلل والبن واقطن والقز والفواكه وغيرها .
ولكننا نجهل أساليب بيع هذه الفلوات بيعاً رابحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح
تلك الحاصلات من أيدينا إلى أيدي التجار الأجانب وجزء عظيم إلى شركات
تسيير السفن الأجنبية

ولا تكاد تجد تاجراً مثلاً في جميع البلدان الأميركية والأوروبية إلا في
النادر وإذا رأيت هناك تاجراً شرقياً فهو إما أرمني أو روسي أو بودي هندي أو صيني
إذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالكنا لا نعمل في بلادنا أيضاً . ما نحن
أولاء نرى معظم التجارات المهمة في البلاد الألمانية والبرانية وروسيا والمغرب الأقصى
والهند بأيدي النزلاء الذين يتقاطرون إلى البلاد الإسلامية من أقطار العالم المختلفة
نحن لا نقول : أمطرت السماء فشر بنا وأنبتت الأرض فأكلنا ولكن
ينبغي لنا أن نعرف أننا إذا عشنا على العمل بهذه القضية في الأيام القليلة يستعمل
أن نبقى بها فيما نستقبله من الأيام

إذا فقدت أمة من الأمم استقلالها ووقفت تحت حكم الأجنبي فأنها تخسر
خسراً مائناً . بيد أن هذا الخسران لا يقام له وزن - في مذهبي - في جانب
الخسارة التي تخسرها الأمة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكاتوا في
ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة الالهية التي وقعت فيها الأمة الإسلامية ؟ ليس
لنا أن نقول : ان السبب هو الجهل : ثم نسكت ؟ اذ يرد عليه سؤال آخر وهو : وما
هو سبب الجهل ؟

إذا أغضبي عن ترقى الأمم الأوروبية ألا يجب على كل مسلم ناصح لأمته
أن يسأل : كيف ارتقى الأرمن والروم والكرج والبلغار واليهود والمندوس الذين
كانوا قبل اليوم نصف قرن يعيشون بيننا ويشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا
ونحن بقينا وراءهم ننظر إليهم بين الإعجاب ؟

حالتنا أيها السادة مما يرثي له ولكن لا يجوز لنا البتة أن نكتبها لأن ذلك
الكتمان هو عين الخطأ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا
بل يحق لنا أن نجاهر بها في كل ناد ونسعى لتشخيص الداء، حتى نصف له
العواء، هل من الرأي أن يكتم الانسان مرضه اذا لم يكن عدو نفسه، وليست منبهة
من يكتم مرضه الا الملاك .
اذا كنتم تنتظرون الجواب عن الاسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر الى
القول بأنه أعجز من ان يجيب على أمثال هذه الاسئلة العظيمة . لأنه يبحث عن
الجواب ولا يجده

أيها السادة ان استعداد الأمة العربية للمدينة قد ثبت عندنا بتاريخها
التألي اللامع

وبرشدنا الى استعداد الأمة التركية للمدينة ما تركه لنا علماءهم من المؤلفات
النافعة . وأطلال مرصد سمرقند تشهد بشغف هذه الأمة بالعلم والعرفان ثم الأبرى
الفنانيين والمجريين والاقوام المتعددة ومجاورهم في كل شؤوهم . ونحن نعرف
ان هاتين الامتين والترك يتفرعون من أصل واحد *

القصد أيها السادة من سرد جميع هذه الادلة التاريخية اثبات أنه ليس منبب
انحطاط العرب والترك اليوم هو نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . وأما الذين
الاسلامي الذي ندين به فهو دين مخاطب العقل ويحث على العمل والتدووب وبنوط
نجاح الانسان بعمه . ولكن سيرتنا تخالف هذه الاصول الكريمة الدينية مخالفة
ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة أيضاً ؟

اني أرى أيها السادة أن الجواب على تلك الاسئلة المهمة وكشف النقاب عن
أسباب انحطاط الأمة الإسلامية لا يتمسرتيسراً كاملاً لفرد أو فردين بل لامندوحة
للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه علماءنا وفضلاؤنا ثم
يتفاوضون في الشؤون الاسلامية .

* قال الخطيب أنه سقط من الخطبة ذكر الفرس والهنود وأهل الافغان
وجاره المغرب والمراد ان فطرتهم قابلة للعلم والمدينة كالعرب والترك وسائر الاجناس

لا يفهم أحد اني أرمي باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة الى غاية « بانسلاميزم » أي الجامعة الاسلامية التي ينشأ من الأورويون . وأما فرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر هو البحث عن أسباب انحطاط الامة الاسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي نصل بنا الى أخذ نصينا من المدينة القرية الحاضرة .

ولا ننكر انه كان لاكتشاف أمير كاور في الصناعات والميكانيكات في الغرب تأثير يذكر في انقار الشعوب الاسلامية وفقدان وجوه الكسب . بيد أن العامل القوي في انحطاطنا - علي ما أظن - هو الجلود على بعض الماديات والقواعد الواهية والاهام والخرافات التي ورثناها عن آباؤنا وتسربت اليها من الأمم الاخرى بحكم الزمان . ومن أجل ذلك أبادي وأعيد ان حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف الحجب عن الحقائق

فاسمعوا لي أيها السادة والامر على ما ذكر ان أقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتطرق قط الى البحث في الامور السياسية وتكون باب داره مفتوحة لكل أحد ممن يحبون اسماع المذاكرات وتنتشر خلاصات المناقشات في الصحف المنتشرة وأرى أن يعقد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة أو بعده . ويحسن ان ينقد هذا المؤتمر في الاستانة العلية أو في مصر المركز الثاني . ولا أرى سبباً يحملنا على عقد هذا المؤتمر الذي يتفاوض فيه بالمسائل المدنية (*) والطينية في جنيف مثلاً

أيها السادة: اذا واقفتموني على هذا الاقتراح فلا بد من التمهيد لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتعم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتورين تشغل بهذا التمهيد مثلاً: تجهز هذه اللجنة الحكومة المحلية بجمعية الامر وتضع للمؤتمر برنامجاً اجمالياً وتبين زمن انعقاد زمن المؤتمر وتقول مراسلة من يرجعون اليها من صائر الاقطار .

(*) لعل الاصل المراد «الدينية» فهي التي لا يليق تخصيص مثل جنيف بعقد

ولاريد ان هذه اللجنة تفتقر الى قدر من التودد . ولكني لاأظن مطلقا
أن المانم يكون من الوجهة المالية
ومن منا يمتنع أيها السادة أن ينفصل على هذه اللجنة بما في استطاعته من المال ؟
هل يجيب المسلمون داعي هذا المؤتمر ؟ هذا سؤال أنا أجيب عن جزء
منه قائلا أني على ثقة من أن خمسة عشر أو عشرين مندوبا من روسيا ومن ايران
يجيبون الطلب .

أيها السادة : هذا ما أردت عرضه على حضراتكم في هذا الاجتماع . وقد
استوفتكم زمانا طويلا . فأسألكم أن تصفحوا عن هذا العاجز صفحا جميلا . اه



بحث في المؤتمر الاسلامي

(تعارف المسلمين والبحث عن أسباب ضعفهم وطريق علاجه وتاريخ الدعوة اليه)
أول صوت سمعناه في هذا العصر يدعو المسلمين الى التعارف والائحاد
والتعاون في الرأي والسعي على تدارك ما حل بالمسلمين من الرزايا الاجماعية التي
هبطت بهم من ذلك الأوج الذي كانوا فيه الى الحضيض الذي صاروا اليه حتى
سبقتهم أهل الملل من الكتابيين والوثنيين في المدنية هو صوت الحكيمين الفيورين
المجاهدين في سبيل الله الجهاد الذي لايفضله جهاد في هذا العصر - السيد جمال
الدين والشيوخ محمد عبده ورحمهما الله تعالى وجزاهما عن نفسها وعن الامة والملة
خير الجزاء

لسيد جمال الدين مقالات كثيرة في تنبيه المسلمين من رقدتهم وإعلامهم
بأسباب تمزيق قوتهم ، ودعوتهم الى الوحدة ، ودلائيمهم على وسائل القوة ، وله من
الهموس والخطب والمهاورات في ذلك ما هو مشهور بين المارفين ، وان لم يقيد بالتدوين ،
ولما اجتمع الشيوخان في باريس وأصدر اجماعهم «العروة الوثقى» كان قطب سياستهما
دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم الى

ما ينهض بهم إلى مجارة الأم العريضة وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وإن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز يأتمر فيه من يحضر الموسم من أعضاء جمعية العروة الوثقى فيما بينهم وما كانا يكتبان في هذا الإرشاد بما ينشر في جريدة العروة الوثقى بل كانا يكاتبان من بزوه أهلا لذلك في أقطار المسلمين . وفي الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام نموذج من كتبه لبعض أولئك الأعضاء (راجع ص ٤٨٨ - ٥١٢)

وقد جاء في قائمة العدد الأول من جريدة العروة الوثقى بعد ذكر تنبيه عقلاء المسلمين وسعيهم في معالجة طلبهم مانصه :

« وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام في كل عام ، يجتمع إليه الشرقي والغربي ، ويتآخى في مواقعها الطاهرة الجليل والحقير ، والفني والفقير ، كانت أفضل مدينة تتوارد إليها أفكارهم ، ثم تنبث إلى سائر الجهات والله يهدي من يشاء إلى صواب السبيل »

وجاء في خانة مقالة نشرت في العدد الخامس عنوانها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إرشاد إلى كيفية الوحدة في الإصلاح الديني رمت « ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يجمعون إليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة إلى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ويجمعون أطراف الوشائج إلى مفرد واحد يكون مركزه الأقطار المقدسة وأشرفها مهدي بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان » الخ (فراجع في ص ٢٥٤ من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام)

وجاء في آخر مقالة منها نشرت في العدد العاشر عنوانها حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ما يؤتي (كما في ص ٢٩ من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام)

« وأرى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لا يصل أصوات بعض المسلمين إلى بعض لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بصير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل

مسلم ان يحجه ما استطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع اجيال المسلمين وعشائرم وأجناسهم الخ
هذه إشارة مما كتبه الاستاذ الامام ، باتفاق الرأي بينه وبين حكيم الاسلام،
منذ ربع قرن فان العدد الاول من العروة الوثقى قد صدر في ٥ جمادى الاولى
سنة ١٣٠١

ثم اتنا لما أنشأنا المنار في أوخر سنة ١٣١٥ كتبنا في العدد اثلاثين و ٤٠
من السنة الاولى مقالاني (الإصلاح الديني) اقترحنا فيها على مقام الخلافة تأليف
جمعية اسلامية في مكة المكرمة يكون لها شئب في كل قطر اسلامي ونصلنا ما يجب
ان تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام
القضائية والمدنية واللفنة ومن تلافى البدع والتعاليم الناسدة (٥)
وانما جعلنا هذا الإصلاح مقترحا على سلطان آل عثمان لبيان انه واجب
عليه لأنه هو القادر على تنفيذ ذلك ويمنع من ينصدي له هناك من دونه
ثم ان السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله تعالى) قدم الى مصر في
سنة ١٣١٨ ونشر فيها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك
الجمعية المقترحة خفية بدون علم الحكومة العثمانية وأمير مكة المكرمة (الشريف)
وان ذلك كان في موسم سنة ١٣١٦

كل ذلك كان الإصلاح الديني فيه ممزوجاً بالاصلاح السياسي على النهج
الذي جرى عليه المسلمون من اشمال الدين على كل شيء وكذلك كانت فكرة
المقترح الأول السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ثم ان الاستاذ الامام وجه ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوربا
وعودته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى إصلاح حال المسلمين
باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين وتعليمهم فكتب ثلاث

(٥) قد مرق المرحوم ابراهيم بك نجيب من هذا المقال وغيره من فضول المنار
ما شاء وأودعه مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان (حياة الاسلام)

لوائح (*) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة وقدمها الى شيخ الاسلام في
الاستانة سنة ١٣٠٤ ليقدمها الى السلطان والثانية لاصلاح سوريا وقدمها الى
واليها بعد ارسال الاولى الى الاستانة . والثالثة لاصلاح التربية الدينية والتعليم
في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداها
به لعلت ما يصجز عن كل مثله جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين

ثم رأينا الاستاذ الامام في السنين الأخيرة من عمره قد استقر رأيه على
البأس من حكم المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح
حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ومسألة أهل السلطة سرا
وجبرا والرضي منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب
وروابط الاجتماع الأهلية والقومية . فان عارضوا فالرأي أن يندل الجهد في
إقناعهم وكان يرى أن هذا متيسر للمصلحين العقلاء مع حكم المسلمين الأوربيين
اذا ظهر لهمؤلاء أن الأمر لا سياسة فيه . ومن الأمثال المأثورة عنه « ما دخلت
السياسة في عمل الا وأفسدته » واننا نرى عقلاء المسلمين يكادون يجمعون على
هذا الرأي

جاء مصر في هذه الأيام اسماعيل بك غصبرنكي صاحب جريدة ترجمان
التريكية التي تصدر في بطنج مرابي من بلاد القريم التابعة لروسيا وثلا على جمهور
عظيم من سكان مصر الخطبة التي نشرنا ترجمتها قبل هذه المقالة واقترح في آخرها
تأليف مؤتمر إسلامي ينقد في مصر لبحث عن الاسباب التي كان بها المسلمون
متأخرون عن غيرهم من الأمم واشترط أن لا تطرق مباحثه باب السياسة بل تحصر
في الاسباب الاجتماعية والاقتصادية . وما هي هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية؟
نحن نقول ان المسلمين كغيرهم من البشر مستمدون لكل ارتقاء وحضارة
وان المانع لهم من ذلك أمران استبداد السياسة والجود على التقاليد الدينية التي
قيدهم في كل شيء حتى في تصرفهم في بيوتهم وأموالهم . واضرب لهم مثلا
علماء الأزهر الذين يستكرون أشد الاستنكار لبس الأحذية السوداء المعروفة

(٥) راجع فصل اللوائح في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٢٣٨)

هنا بالجزم (جمع جزمة) وقضاة الشرع الذين يأبون ان يكون في المحكة الشرعية اجراس كبر بائية لطلب الكتاب والمخضرين والحدم لأن هذا وذاك عمالا يلبق بأهل الدين اولاً به لا يخلون كراهة شرعية . فهذا المثل الصغير ، ينبي عن أمر كبير ، وان هزى به الجهلاء ، أو اشتغل به عن الموضوع أهل الأهواء ، فهو كمثل البعوضة والذباب في القرآن فالمسلمون لا يقنون على مجاراة أمة مطلقاً من القيود التي تعيد المنكر أن يأخذ مداه في كل علم ورأي وتعيد الإرادة أن تمتد كل عمل يظهر للمفكرين انه نافع ومفيدون فكراً واردة إما بالتقاليد الدينية وإما بالسياسة الاستبدادية . فعمل المؤتمر محصور بالطبع في تلك القيود التي تعيد المسلمين حتى يكونوا أحراراً مستقلين ، فاذا حظر أهل على أنفسهم البحث فيما هو سياسي منها بقي لهم ما هو ديني فقط ومنه ما يتعلق بحكاهم ومنه ما لا يتعلق بهم

مثال ذلك الشركات المالية التي هي أعظم أو كان الثروة في هذا العصر ولا أذكر فيها مسألة فرضية بل مسألة واقعة هي في تاريخ مصر الحديث أصل الانقلاب السياسي والعمراني ، ولافتات على المسلمين فيما أقوله فيها اقتياتاً ، أو استنبط خلاصهم فيها استنباطاً ، وأما أروي فيها رواية تنبي عما عليه المسلمون من القيود التي تمنعهم من مجاراة غيرهم في تحصيل الثروة التي هي أساس العمران

زرت وزير مصر الأ كبير رياض باشا فأنفبت في حضرته جماعة من أكابر المسلمين منهم العالم الأزهرى والمهندس والمورخ والطبيب ومن كان ناظراً لبعض المدارس العليا وكل واحد منهم يعد من أكبر رجال طبقة وأعلمهم وهم يتذاكرون في مسألة شركة رعة السويس وأن شراء أسهمها غير جائز شرعاً لأن عملها غير مشروع وكان أشدم عارضة في ذلك الطامة الأزهرى (طبعاً) ولا أحب أن أذكر شيئاً من أدلتهم المبني بعضها على ان الماء لا يملك وان أوراق السهام لا قيمة لها في نفسها الخ وما عجت لتقول أحد كمجبي من موافقة واحد منهم لهم في ذلك أعهد منة الميل الى كسر مقاطر التقليد ورأيت في هذه السنة يسمى في تأسيس بنك أهلي وهو أشد من أعرف اهتاما بمشروع المؤتمر الاسلامي . وقد جبرت هناك باستغراب جعل هذه المسألة موضعاً للبحث وجزمت بمجواز عمل الشركة

وشرء سهامها مصرحاً بأن أوراق السهام ليست هي التي تقابل الثمن وإنما هي مثل أوراق الصكوك والحجج التي تكتب لمن يشتري عقاراً أو يقترض آخر مالا . جهرت بهذا ولكنني لم أسمع من أحد كلمة موافقة ولكنني أظن أنه أعجب بمضى الحاضرين ورأيت الوزير هش له

فإذا كان أرقى مسلمي مصر الذين يمدون الآن في مقدمة شعوب المسلمين علماً وقرباً من المدينة يتباحثون حتى اليوم في أعلى محافلهم الاجتماعية في شركة ترعة السويس ويقولون بعدم جواز شراء سهامها وهي هي السهام التي براها وراشها أميرهم اسماعيل وأعطاهم لأورويا فخار بنهم بها واحتلت بلادهم وملكت عليهم أمرها، فهل يلام مسلمو مراكش إذا قال عالمهم الكتاني إن شر عمل عمله محمد علي باشا هو بناء القناطر الخيرية وكان ينبغي أن ينفق المال الذي أضاعه في بناءها على بناء المساجد ؟ كلا إن على المسلمين واحدة ولو كان محمد علي مقيدا بالتقاليد الدينية لما أنشأ القناطر الخيرية

إن شركة ترعة السويس وأمثالها من أمور العمران التي لم تكن معروفة في عصر التنزيل فيرد فيها كتاب أو تخفي بها سنة ولكن الفقهاء المستقدمين قد وضعوا أحكاماً للشركات وغيرها من المعاملات المتعارف عليها في عصرهم فجهد المتأخرون عليها إذ عدوها ديناً يجب اتباعه في كل زمان ومكان فهل يسهل على المسلمين الذين يريدون مجارة الأوربيين في الكسب أن يدرسوا قبل كل عمل هذه الكتب الفقهية الضيقة الواضحة ويتقيدوا بها ثم يجرون وراء المطلقين من القيود فيلحقون بهم ويظلمون في مسابقتهم ؟ لا يسهل الجواب عن هذا على فقيه يعرف الأحكام المدونة في هذه الكتب ولا يعرف حال العصر في الأعمال المالية والاجتماعية ، ولا على رجل مالي أو « ممدن » كما يقال لم يقرأ كتب الفقه ، وإنما يسهل على من عرف الأمرين أن يجيب عنه بحق ولكن جوابه لا يكون إلا سلباً

أعرف بمصر كثيراً من المسلمين المدنين يرون أنه لا علاج لتأخر المسلمين عامة إلا نشر العلوم المصرية ومحاولة فهمها بقدر الطاقة وترك الدين وشأنه بحيث لا يتعلم ولا يدافع عنه ولا يتعرض عليه حتى يحكم العلم والزمان فيه حكماً ومن

هو لاء من هو مسلم جنسية فقط يرى ان الدين عقبه يزيلها العلم ومنهم من يؤمن بالله ورسوله وكتابه ويرى ان الدين قد اصطبغ بغير الصبغة التي أنزلها الله تعالى وان العلم المصري يتزعمه من سلطة المحافظين على الصبغة الحادثة ويساعد على إعادته الى أصله فاذا قام مصلح ديني يمكنه ان يهدي المتعلمين للعلوم المصرية الى حقيقة الاسلام ولا يمكنه ان يهدي غيرهم من علماء الصبغة الحديثة للدين والمقلدين لهم وهم جماهير العوام الا أن يتعدوا على الطريقة الحديثة

ونحن نقول انه يمكن الجمع ابتداء بين حقيقة الاسلام وصبغته الإلهية وبين جميع العلوم والفنون والاعمال التي عليها مدار المدنية المصرية وان إصلاح حال المسلمين بغير هذه الطريقة متعذر ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لمناظرة كل من يخالفنا في هذا الرأي

وجهة القول ان المسلمين لا يجارون غيرهم من الامم في ميدان المدنية والعمارة الا اذا أطلقوا من القيود السياسية والدينية التي قيدت استعدادهم الفطري وليس في نصوص كتاب الله المنزل ولا في سنة رسوله المتبعة القطعية شيء من هذه القيود الدينية بل فيهما الاطلاق المكل لفطرة وانما القيود قسبان بدع محدثة وتقاليد مستنبطة من أقوال البشر وقواعدهم تعرف بالاحكام الاجتهادية

فاذا حظر المؤتمر على نفسه البحث في القيود السياسية انحصر عمله في القيود الدينية أي التقاليد والبدع التي فشت في المسلمين باسم الدين الا ان يكون غرض أهله الرقي الديني بدون دين

واذا انحصر عمله في حل القيود الدينية دون السياسية خشية أن تقاوم المسلمين حكومات أوروبا المستعمرة لبلادم فيجب أن لا يدخل في أعضائه أحد من المشتغلين بالسياسة لتأييد ملك أو أمير لأن ذلك يجعل المؤتمر في موضع الريية والظنة عند تلك الحكومات ولذلك صرح الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد علي مسع من نحو خمسين رجلاً ممن دعوا للبحث في المؤتمر بأن من مصلحة المشروع ان يخرج هو وحافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر ونفر آخرون من لجنة المؤتمر فلا يكونوا من الأعضاء العاملين فيه

ثم أنه ينبغي أن تكون القاعدة الأساسية الأولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجمع عليه من المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة - ونفي بالسنة معناها القوي الذي كان فيها الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمسين ركعات كل صلاة منها كذا بقرأ فيها كذا ويركع في كل ركعة مرة ويسجد مرتين، ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف - ذلك أن المؤتمر عام لجميع المسلمين وفيهم السني والسلفي وغير السلفي والشيعي والاباضي ومن السنة الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بجمل الدعوة سائر المسلمين إلى الاعتصام به (راجع التفسير من هذا الجزء وما قبله)

ثم يرض ما يقرره من الإصلاح الاجتماعي الموافق للاجماع على شعوب المسلمين مبيناً لهم أن من عمل به لم يكن عمله منافياً لأصل الإسلام الذي لا خلاف فيه فمن اكتفى بذلك وعمل به فيها ونعمت ومن حاول تطبيقه على المسائل الاجتهادية في مذهبه وقيد بها فهو وشأنه

بهذه الطريقة يفيد المؤتمر المسلمين أكبر فائدة دينية بما يعلمهم من الأصول المتفق عليها بين المسلمين التي بها يكون المسلم مسلماً أخاً في الدين ثلاث مئة مليون يوافقونه في اعتقاده وأكثر المسلمين يجهل ذلك بالتفصيل ولا يكون جانياً على مذهب أحد ولا حائلاً بينه وبين عالم يتقلد رأيه ولكنه يطمه إذا كان متبعاً لمذهب ان ما يفرد به في مذهبه لا ينافي أخوة الإسلام بينه وبين من لا يتبع مذهبه يتيسر هذا المسلك لأعضاء المؤتمر الا إذا كان فيهم العلماء بالكتاب والسنة وثار يخ الإسلام والعلماء بشؤون العصر وما تقتضيه المدنية من العلوم والفنون والاعمال بحيث يكون عند علماء الدين من علوم الدنيا وعند علماء الدنيا من العلم بالدين

ما يمكن الفريقين من الاتفاق على الجمع بين الدنيا والدنيا كما تقتضيه مزية الاسلام الذي هو الدين الموافق لمصلحة البشر في كل زمان ومكان

يقول بعض الباحثين في مسألة المؤتمر انه يجب ان يكون في أعضائه بعض الشيوخ من علماء الرسوم التقليديين للمذاهب الأربعة ليثق بما يقرره عوام المسلمين؛ ويورد عليهم آخرون قائلين ان الاصلاح لا يأتي من العوام وانما يأتي من خواص العقلاء وان هؤلاء التقليديين اذا وجدوا في المؤتمر محافظين على تقاليدهم فهم الذين يحولون دون الاستفادة منه ومن بهم إدارة العوام لا يأتي منه اصلاح اذ يكون العوام حينئذ أعمى له في الحقيقة وان كان يتوهم انه سيؤمهم بالحجة فالمصلح الحقيقي هو الذي لا يخاف في بيان الحق لومة لائم ولا نفور عاصي ولا مقاومة خاصي بل يقرر الحق ويدعو أمثاله من العارفين الى موازرتة وموالاته والحق يعلم ولا يعلى وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه

ذلك قال عاقل من المظالم اتى لافهم معنى « مؤتمر اسلامي » يتصدى للقيام به من لم يبحث في عمره يوما واحدا عن الاصلاح الديني ولا عن أسباب مآل المسلمين وانما يكون انشاء المؤتمر معقولا اذا تصدى للدعوة اليه من جعلوا جل همهم البحث عن أحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وأسباب ما عرض لهم في دينهم بما ليس منه كفلان وفلان فهم الذين يجب ان يختاروا من يروونه اهلا لا مثال هذه المباحث ويقول بعض أهل البحث والرأي أن الشعوب الاسلامية لما تستعمل هذا المؤتمر فهو غير ممكن الآن من حيث طبيعة الاجتماع وان كان ممكنا في نظر العقل يعني أن الاصلاح المطلوب يرجع الى مسائل يقل العارفون بها في بعض الاقطار ويمز اجتماعهم واجتماع غيرهم لا يفيد المطلوب . واذا اتفق أن اجتمعوا فلا بد أن يترجوا بغيرهم ممن لا يوافقهم على رأيهم فاذا كان لديهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر بالحق يطمونه غير مباينين بطعن الطاعنين فلا يرى أن يتقرر ما يروونه ودر بما تقرر رفضه وإعلان مخالفته للدين فيكون ذلك مبعدا للاصلاح وعقبة في طريقه يقبها المؤتمر فينمكس الأمر ويتبدل الوضع ويكون المؤتمر ضارا لا نافعا ويقول آخرون ان أقل فائدة يجنيها المسلمون من المؤتمر وراء تعارف أهل الفضل والرأي منهم هو ان ما يتفقون عليه يكون جديرا بالقبول ولا يمكن أن يتفقوا

كلهم أو أكثرهم على شيء ضارّ فاذا لم يهتدوا الى كل المطلوب من الاصلاح فلا بد أن يهتدوا الى بعضه وما يفوتهم منه في الاجتماع الأول يرجى أن يهتدوا اليه في الاجتماعات التي تليه وأمر الاصلاح لا تكون الا بالتدرج . ولكن هذا يتوقف على أن يقوم بالأمر أهله

ومن الناس من يرى أن اجتماع المؤتمر يتوقف على اذن الحكومة ومساعدتها ولذلك اقترح داعيته اسماعيل بك فيما اقترح استئذانها وماضمنه من اجابة طائفة من الروسيين والايرائيين مبني ذلك والحكومة المصرية لا تأذن بهذا المؤتمر ولا تساعد القايمين به لاسيما اذا كان فيهم من يشغل بالسياسة ومن يتهم بالفرض لأنه ممن لم يعرف عنه قط البحث في أمور الدين وطرق اصلاح المسلمين كبعض المعزولين والمتقاعدين (المحالين على العاش) واذا لم تأذن به الحكومة إذنا رسميا فان سائر الحكومات لا تأذن لمن يدعون اليه بالسفر لحضوره ، وأهل الرأي والفضل لا يسافرون لمثل هذا الأمر بدون اذن حكوماتهم لئلا يكونوا عندها في موضع التهمة ويقول آخرون ان هذا مؤتمر حر لا يتوقف على اذن الحكومة ولا على مساعدتها وانما اذنها ومساعدتها مزيد كمال فيه اما اذا أرادت منه فلا شك في قدرتها على ذلك ولكنه مما لا يظن فيها اللهم الا اذا حصل في الاجتماع شغب أو فتن مما يمنع مثله كل حكومة مهما كانت عريقة في الجرية

أما سلطان المسلمين الأعظم فلم أر أحدا من أهل الرأي يشك في استيائه من هذا المؤتمر وحرصه على منعه اذا أمكن . وقد جاء من أخبار الاستانة في بعض الجرائد ما يؤيد هذه الآراء وأن السلطان سيكتب الى الأمير والمعتمد الخاص (مختار باشا النازي) بتلاني ذلك . وأنه أمر بمنع الحجاج بالتعريض على مصر . ويزعم بعض الناس أن الأمير كوتب في ذلك بالفعل . وكراهة السلطان للمؤتمر مما يجعله عند كثير من المسلمين مكروها يخشى ضره ولا يرجى نفسه ويحول دون نشر الجرائد العثمانية شيئا من أخباره قبل انعقاده به ما يقرره ان هو انقده . فلا معنى لجعله تحت حمايته

هذا أهم ما خطر لنا بيانه الآن من فكرة الدعوة الى مؤتمر اسلامي وتاريخها وما يجب أن يكون أساس المؤتمر المقترح الآن والآراء التي نستحق الاعتبار فيها .

﴿ النسخ في الشرائع الإلهية ﴾

للدكتور محمد توفيق أفندي صديقي الطبيب في مستشفيات سجن طره

النسخ هو ابطال حكم لبدل أو لغير بدل . وهو واقع في جميع الشرائع الإلهية والوضعية خلافاً لمن أنكر ذلك من الجهلاء . أما الشرائع الوضعية فوقعه فيها مشاهد معروف . وأما الإلهية فشاهد وقوعه فيها عديدة أغفنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الأئمة الإسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمؤلفه العلامة المحقق رحمة الله الهندي . فقد أتى فيه بما يفهم كل مكابر ويخرس كل عنيد .

يقع النسخ على ضربين ١ نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فما يلائم البشر في زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كبرهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الإنسان في صحته قد لا يوافق في زمن مرضه . لذلك اقتضت حكمة الشارع العليم أن ينسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب . قال تعالى (٢٨: ١٣) لكل أجل كتاب ٢٩ بحول الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الأحكام (الأوامر والنواهي) ولا يقع في القصاص أو في القضايا العقلية إذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما أنه لا معنى لوقوعه في الألفاظ . فلنستأمن بسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون . أو بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون إذ لو سلم ذلك لكان دليلاً على جهل الشارع أو خطاه أو عبثه نسباً حان ربك واسع العلم والحكمة عما يصفون

قدمنا ذلك لنعلم أن النسخ مقتضى أو لحكمة لا عيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفعل ، فانكاره جهل ، أو مكابرة للمحسوس

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الإسلامية ، مقتضيات الأحوال في الأمة العربية زمن التشريع . فكان للشريعة إذ ذاك صورتان:

(١) صورة تمهيدية وقتية

(٢) وصورة ثابتة باقية

فالصورة الاولى هي التي صارت منسوخة لا يعمل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ وطولب الناس أجمعون بالعمل بها . أما الصورة الاولى فوجد لها أمثلة عديدة في الاحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلتها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف) .

وإذا قشنا الاحاديث المنسوخة وجدنا بعضها نسخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . وإذا قشنا القرآن لا نجد فيه ما نسخ بقرآن مثله ولا ما نسخ به حديث كما بينا ذلك في مقالة لنا نشرت سابقا في المنار (في الجزء الثاني من المجلد التاسع صحيفة ١١٠) . فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الأصفهاني . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في النسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوءها إذ لا يمكن الاستغناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها . فكان إذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم ما يخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له ما يجب العمل به فلا غرابة إذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال ان هذا الحكم منسوخ بذلك

وقد نثر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لا نثر . ولكن جميع هذه الروايات لا يمكن القطع بصحتها وخصوصاً ما كان منها واردا في تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد الأئمة وهو الامام أحمد « ثلاثة لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي » ولا يخفى على أحد قدر أحمد في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظهر لنا من الآثار المختلفة على علائها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كعمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الأقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف ان سلم نسخ حكما » راجع ما قلناه في المقالة السابقة . على أن رأي أي واحد منهم

لا يجوز الأخذ به بدون دليل .

والذي نراه نحن أن العقل لا يستتبع وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ . أو أن رسول الله صلى عليه وسلم يبين ذلك بياناً يقتل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين . وإذا لم يكن هذا ولا ذلك فالقائل بالنسخ يعرض الدين لطمع الطاعين واستهزاء الهازئين، وعبث اللاعبيين، الذين جعلوا القرآن عضيماً فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعاً لأوهامهم وأهوائهم فما جزاء من يفعل ذلك منهم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ومن العجيب دعواهم النسخ في الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه عقلي أو قلبي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (٢٧: ١٨) لا تبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله إذ التكررة « أي لفظ مبدل » في سياق النبي تم يقول المحققون منهم « إن النسخ خلاف الأصل ومنى أمكن التفسير بدونه وجب المصير إلى ذلك التفسير » وأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن تفسير جميعه بلا حاجة إلى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبديل فيه؟ وإذا كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفاً وغير يقيني (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) وإذا كان لا حاجة إليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه - إذا كان كل ذلك فبأي شيء يتمسكون؟ أما قوله تعالى (١٠٦: ٢) ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٠١: ١٦) وإذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرناهما في المقالة السابقة بما يشفي العلة وبروي العلة . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل . وقد نزلت هذه السورة قبل إيجاب القتال على المؤمنين أي في مدة أوفي أوائل مدة المدينة (٥) كما ندل على (٥) الظاهر أنها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة أي قبل إتيان النبي بأحكام الشريعة

ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (١٦:٤١) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولا جراً لآخره أكبر لو كانوا يعلمون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله في آخرها (١٦:١٢٦) وان عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به وان صبرتم لهو خير للصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) واذا كان نزولها في مكة فالمراد بالهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأبي حكم من أحكام الشريعة الاسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مقتر) ؟ الظاهر أن القول بأنه مقتر انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم يهل ما حرمته الشريعة الموسوية من المطومات كما في سورة الانعام المكية الذي ورد فيها قوله تعالى (٦:١٤٥) قل لا أجد فيما أوحى اليّ محرماً على طاعم بطعمه الا أن يكون ميثماً الى قوله -١٤٦- وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورها أو الجوايا أو ما اختلط بغضظ ذلك جز ينهم يفهموا وانا لصادقون ١٤٧ فان كذبوك قتل ربكم ذورحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقد أشار تعالى في سورة النحل الى هذه الآيات بقوله (١٦:١١٨) وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبوه كما أخبر فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : واذا أتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما أنت كذاب تخلق الاحكام وتنسبها الى الله : الى آخر الآيات . أما تفسير هذه الآية وآية ما نفسخ فهو بخلاف السياق في كل منهما . وينافي قوله تعالى (١٨:٢٧) أتلى ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) الآية والخلاصة أن القرآن لا ينسخ فيه مطلقاً . أما السنة القولية (الاحاديث) في بعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى . وعندما أنه لم يبق منها شيء : يجب العدل به غير موجود في القرآن لانها لم تكن الاثرية وثنية

تمهيدية لشرعية القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قولية هيبت الصحابة عن كتابتها ولم يعاملها النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عمل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر (*) فلا يعملون بها كما بينا ذلك في مقالات لنا سبقت في المنار. وان انكر علينا منكر ونسبنا للمروق فلنا له :-

(١) اذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) واذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) واذا كان العمل بالظن مذموماً في القرآن الشريف . وكل ما ورد فيها من الأحكام ظني باجماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد - اذا كان كل ذلك مسلماً به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأي شيء خالفته في الاجماع أو ابتدعة حتى أرى بالمروق ١٩

أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد الملحة والتاريخية أو الفوقية أو الاديوية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف . الدين الذي يكفر منكره شيئاً : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . لأن انكار المتواتر مكابرة وجحود فلا يجب التعويل إلا عليهما . ولا الرجوع إلا إليهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرد الى الله يكون بالرجوع الى كتابه . والى الرسول بالرجوع اليه في حياته أو الى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته . ولم يقل القرآن الى من ظنتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان الا بالتواتر أو بالدليل العقلي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله الا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين لأن الله أراد أن تكون سنن الأقوال شريعة زائلة . أما سنن الاعمال المتواترة فقد أراد الله أن تبقى بين المسلمين . لا يوضح الكتاب ولتصوير ما أراد به بالفعل ككيفية الصلاة والحج . لأن الايضاح بالعمل أبلغ من كل قول . ولذلك أجل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاءً بعمل النبي صلى الله عليه

(*) حاشية للكاتب - لا يرد على ذلك وجود الاحاديث الكثيرة بينهم لانها

كأها تقريباً مشكوك فيها

وسلم لما بين جواهر الناس الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب . - وهما مما يحسن
إتيانه في الجماعة . بل لا يصح اتیان أحدهما (أي الحجج) الا فيها . فلا خوف
عليهما من الضياع أو النسيان . ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفهما عن وضعهما
قد بلغنا والله الحمد من التواتر ما يمنع كل ذلك .

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ماداموا جامدين على الأحاديث ،
(وقد انقضى زمنها) كافرين بالروايات ، وهي ممتلئة بالأكاذيب والأوهام والخرافات .
وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في عملها واعتقادها

ألا فلنحارب الترهات ، ولنقضي على الضلالات ، ولنمت على ديننا : كتاب
الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نبها الا بهما في الدنيا والآخرة ،

(تذييل) ذكرنا في الصفحة ٩١٣ من المجلد التاسع من المنار ملخص معاملة النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه للأحاديث . ونذكر الآن ملخص آراء أئمة المسلمين فيها
ليعلم القارئون أننا لم نفتجر شيئاً في الدين فنقول : -

إن الأحاديث التي رويت متواترة لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهي
مع ذلك لا تدخل لها في أحكام الشريعة الإسلامية كحديث « أنزل القرآن على
سبعة أحرف » وحديث « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب عليّ
منعددا فليتبوأ مقعده من النار » وسائر الأحاديث الأخرى رويت آحاداً .
وبعضها عندهم منسوخ . وأما التي لم يقولوا بنسخها فهاك آراءهم فيها : -

(١) رفض أبو حنيفة مع قربه من زمن الرسول (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠)
جميع الأحاديث لعدم صحتها عنده الا بضعة عشر حديثاً (راجع كتاب روح
الاسلام) . وعول هو واتباعه في مذهبه على الكتاب والقياس فقد موها على الحديث
(٢) قدم مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة على الحديث . والسنة عند السلف
هي الطريقة المثبتة عملاً لا الأحاديث

(٣) أنكر الشافعي جواز نسخ القرآن بالأحاديث ولو كانت متواترة

(٤) أنكر الامام أحمد صحة الأحاديث التي رويت في تفسير القرآن الحكيم

(٥) قالت الظاهرية إنه لا يجوز تخصيص عموم القرآن بها . وإن العمل بها غير

واجب مطلقا بل هو مذموم ظنية والعمل بالظن مذموم في القرآن الشريف
(٦) رأي المحققين من علماء المسلمين انه لا يجوز الاخذ بها في العقائد،
فهذه هي آراؤهم فيها كما في كتب الأصول . فأبي شي . ابتدعته أو اقتصرته
أو خالفت فيه الاجماع اذا كان ما ذكرت هو حكما عند أئمة المسلمين . فليبرؤ
المنصفون، وليتدبر العاقلون، (وذکر فان الذکرى تنفع المؤمنین) م
(المنار) ان لنا قولاً في هذه المسائل ننشره في جزء آخر وتقبل من العلماء
اباحين كل ما يرد الينا في ذلك لا يشترط فيه الا التزام ما يليق بالعلماء من الأدب
والتزاهة وبناء المناظرة على احترام اعتقاد المناظر

خطبة اسماعيل بك عاصم

المحامي

التي ألقاها في الحفلة (*) التي أعدها في داره لطباء الكتاب اصحاب المجالات
المصرية ومحريها احتفالا بآعام مجلة المنار للسنة العاشرة من عمرها
(مساء ١٢ شوال سنة ١٣٢٥ - ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على من اجتباه، فان براعة استهلاكي
هي تقديم الشكر والثناء لحضر اتمكم على اجابة دعوتي وتشريف هذا الاحتفال
الادبي باكمال مجلة المنار الزهراء لصديقنا السيد محمد رشيد رضا السنة
العاشرة من عمرها

(*) راجع خبر الحفلة في باب الأخبار والا راء

ولعل هذه أول مرة قام فيها انسان عربي مصري بمثل هذه الحفلة
ودعا اليها أعظم أصعب المجالات وأفضل محرريها سروراً وإبتهاجاً
بمجة علمية اتمت العقد الأول من عقود الاعداد . وأرجو أن يكون
هذا الاجتماع فائحة لامثاله في المستقبل

اني يا حضرات الافضل عرفت مجلة المنار في السنة الثانية من
نشأتها اذ نهني اليها صديقي المرحوم ثقولا بك توما الاصولي الشهير وكان
في يده نسخة منها قال لي انها أحسن مجلة دينية، وأفصح صحيفة عربية
أدبية ، فالتمت النظر فيها فأنقيتها جديرة بالمطالعة والادخار وحيثذات
نفسى لمعرفة محررها وقابله فوجدت منه انساناً فاضلاً أدبياً ، وكاتباً
عالماً أريباً ، كما تشاهدون وتشهدون ، فعاشرته ثمانية أعوام وهو يزداد
كمالاً في محاسن أخلاقه، وتزداد مجلته جمالاً بالمباحث الاخلاقية العالمة،
والافكار الصحيحة البعيدة عن التقليد الاعمى ، وبالمقالات الحكيمة
الممرانية، من الوجهتين الدينية والمدنية ، فازداد حبي له كما ازداد اعجابي
بثباته بالرغم من مقاومة الدين لا يفقهون ما يقول أو يفقهون قوله ولكنهم
يبرم عليه الجهل الذي قد يثور بأهله البسطاء، على المصلحين الاذكياء،
فازدادت مجلته انتشاراً، ولاقت عند أهل الحجا اعتباراً، حتى غبطه عليها
محبوه، وانما يعرف الفضل ذروه

ومن المقرر أيها السادة ان الصحف هنا قسمان أحدهما سياسي وينب
عليه اسم الجرائد . وهي تبحث في النالب عن الحكومة وعلاقتها بالامة
والدول ، وعن الامة وعلاقتها بالحكومة ، وعن حقوق كل منهما التي لها
أو عليها للاخرى ، وتراقب ما يتجدد من التقنين والتشريع، وتنبه الى المدالة

والاعتدال، والاتصار للمقاوم، والأخذ بيد صاحب الحق المهضوم، ونحو ذلك . فهي نم المرشد الأمين إذا أخلصت في النصيح والارشاد، ولم تسلك سبل التعيز والهوى والعناد

والقسم الثاني علمي أدبي ويناب عليه اسم المجلات . وهي تبحث عن تقيم الاخلاق ، وتهذيب النفوس ، وتثقيف الطباع ، وتصحيح الافكار ، واحياء اللغة التي بها حياة الامة ، وانماء الصنائع ، والتثنيه الى المحترعات المفيدة، وبث روح العلوم النافعة الجديدة، الى غير ذلك مما يرقى المرقان، ويزداد به العمران

وهذه ربما كانت أتمع للامم وخصوصاً للحديثة العهد منها بالمدينة لانها مما تضاربت أفكارها، وتسابقت أقلامها، فهي انما تكون للبحث في مسائل علمية اجتماعية، أو أمور صناعية عمرانية، فلا يحدث عن احتكاك بعضها ببعض غير اشعة تستفيء بنورها العقول

ولهذا وجب على أرباب المجلات ان يتبعوا الرذيلة فيطمسوا رسومها، ويتعاونوا على قلع جذورها من النفوس الضالة، بأوتوا من الهداية والحكمة، والموعظة الحسنة وقوة البرهان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) - وان يتبعوا التسمية من طريق الشرائع السماوية، والنواميس الاجتماعية، ويثبتوها في النفوس حتى تنطبع في مرآة أخلاق الامة وشعورها (والناس تسعد بالاخلاق ما صلحت

فان هم فسدت أخلاقهم فسدوا)

فاذا أنتم قمم بهذه الواجبات، وأديتم المطالب من مجلاتكم حق الاداء، فاستنارت بها عقول الامة، وارتقت أفكارها، وعظمت نفوسها، فمرفت

قيمة الاجتماع، وقوة التعاون، فوجدت المدارس والمستشفيات، والمصارف والكليات، والجامعات العالية تقدر الحاجة إليها، ثم ذاقنا لذة القيام بنفسها، وانفتحت اجابة كل داع يغلبها عن السبيل السوي، - هنالك يتيسر لها إيجاد المجالس النيابية، واللجان التشريعية، التي تطلبها الجرائد السياسية، ويتصانها كل محب لنفسه ووطنه

لا يخفى على حضراتكم ان من الادلة على حياة الامة وارتقائها ان تعرف قيمة رجالها العاملين لنفعها، فتقدرهم حق قدرهم، وتشجعهم على أعمالهم حساً ومعنى، فيذوقوا من حلاوة الاحترام والاكرام، ما يقوي منهم الآمال بالاصلاح العام، فيزدادوا نشاطاً وتفتناً في عملهم، ويتقدم بهم غيرهم، فيزداد ارتقاء الامة بقدر زيادة التابنين فيها،

لهذا رأيت من الواجب علي لصديقي «المرشد الرشيد» ان احتفل باكمال مجلته (المنار) للسنة العاشرة من ظهورها في هذا اليوم المبارك ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ فقد كان في مثله ظهور أول عدد منها سنة ١٣١٥ ويحسن بي ان أعرض على نظركم هذه النسخة من العدد الاول المذكور واقتطف منه زهرات متفرقة يتأرجح نادينا بمرقها

قال في المقدمة الافتتاحية - أيها الشرقي المستغرق في منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض واستولى أخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار، وأولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور، واخترق الجبال، واخترع أعماق البحار، وعرف مساهة الهواء، وجمع بين أقطار الارض، بل عرج للقبة الفلكية فعرف الكواكب ومادتها الى أن قال -

وان هذا العصر عصر العلم والعمل فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكير
والاماني والتشهي (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فليها)

ثم قال ان من وظيفة هذه المجلة الحث على تربية البنات والبنين
واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد
الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال
المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتسليم بالخرافات صلاحا واختيال
العقل ولاية والخنوع والنيل تواضعا والتقليد الاعمي علما وايقانا

ومن غرضها رد الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض
مزاعم من زعم انها حجاب بين العاملين بها وبين المدينة ، واقناع
أرباب النحل المتباينة ، بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر
والاحسان ، وان المعارضة والمناسبة تقضي الى خراب الاوطان ، وتقضي
على هدي الاديان؛ فهذا ما أرادت أن أجتنبه لكم من ازهار هذه المقدمة
ومن أبدع ما رأيته أن سعادة العالم الفاضل أحمد قحبي باشا زغلول استشهد
في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصفحة السابعة
بشذرات من فاتحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها، وحازت
الثقة عند اكابر الامة منذ نشأتها

فهذا ما دعاني اليها الاخلاء لا تخاذ هذه المناسبة اللطيفة ، والمصادفة
الجميلة ، وسيلة حسنة للتشرف بدعوة حضراتكم لنجتمع على مائدة
السر الادبي فوق أرائك المحبة والصفاء فينبىء بعضنا البعض على هذا
الاجتماع الاخوي المفيد ، ونهنيء كلنا هذا الاخ العزيز المحتفل به على
توفيقه لهذه الخدمات التي نوهنا عنها، ونسأل الله أن يمنحه الصحة ويزيدني

عمره وعمر مجلته ليزداد به النفع العام، وهذا جهد ما يستطيع مثلي عمله والسلام
(لا خيل عندي أهديا ولا مال فليسمع النطق ان لم تسمع الحال)

ثم اني أشكر حضراتكم بلسان الامة المصرية على جزيل فوائدهم مجلاتكم
الزاهرة فاتها طالما نشرت من اريج دوحها ما تطرت به النفوس وأتمنى
ان يتكرر مثل هذا الاجتماع ولو مرة في كل شهر لتبادل الآراء في ما
يكون به زيادة ترقية الافكار

وفي الختام ابتل الى الله ان يؤيد مولانا الخليفة والسلطان الاعظم بروح
من عنده وان يوفق خديونا المعظم ورجال حكومته وعقلاء الامة لما فيه نفع
البلاد وخير البلاد آمين

حجته الاسلام ابو حامد الغزالي

(٣)

﴿ رأيه في العلوم الدنيوية ﴾

قال في بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الباب الثاني من كتاب احياء
العلوم الذي بين فيه العلوم المأمورة والمدمومة
« اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر العلوم . والعلوم بالاضافة الى
الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد
من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة
مثل الطب ولا السماع مثل اللغة

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى
ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالتب والحداب وذلك ينقسم الى

ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس فريضة
«أما فرض الكفاية فهو ما لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو
ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة
الوصايا والمواريث وغيرها . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها خرج
أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتمجب من
قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من
فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحياطة والحياطة فإنه لو خلا البلد
من الحجام تسارع الملاك اليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك (١) فإن الذي
أنزل الدواء أنزل الدواء (٢) وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز
التعرض للهلاك بإهماله

«وأما ما يمد فضيلة لا فريضة فالتمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير
ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
«وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبة والتلييات
«وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا تخف فيها وتواريخ الاخبار وما
يجري مجراه » اهـ

أقول لا يظهر وجه ما قاله في الاشعار والتواريخ الا فيمن يقرأهم الهض السلي والتفكه
فأما قراءة الاشعار لاجل معرفة الفقه مفرداتها وأسايلها واكتساب ملكة البلاغة وتعمير
الصحيح والفتيح من غيره فهو على قاعدته من فروض الكفاية بل ربما يستنبط من
كلامه في كتاب إجماع الروايات عن علم الكلام ان معرفة الفقه العربية فرض عين على
كل مسلم بحيث يفهم الكلام البليغ ويميز بين الحقيقة والهجاء والكناية فإنه قال هناك

(١) كان هذا المثال مطابقا للحكم في زهـ « كان الاطباء لا يعرفون علاجاً
لتبيخ الدم في بعض الاحوال الا الحياطة أو الفصد وكان يتولى ذلك الحجامون
(٢) هذا المعنى رواه البخاري من فروعاً بلفظ « ما أنزل الله دواء الا أنزل له شفاء »
ورواه غيره ولفظ ابن ماجه « الا أنزل له الله دواء » وعند مسلم « فإن أصبت دواء
الله يرى بأذن الله »

إن ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لا يجوز أن يؤخذ بالترجمة فإن غير العربية لا تؤدى ما يؤدى القول الوارد فيها على وجهه في كل صفة من تلك الصفات وضرب لذلك الامثال

وأما تواريخ الاخبار - ولعله يعني بها ما يقابل تواريخ المحدثين - فقد كانت في زمنه قليلة الفائدة وهي في هذا العصر مادة السياسة التي قال بأنها فریضة وينبوع العلوم الاجتماعية التي تشرح لنا سنن الله تعالى في الامم وهو يد العلم بسنن الله تعالى في خلقه كالملم بصفات اوله وكما له أعلى العلوم الدينية كما سيأتي عنه فلو كان في هذا العصر نقال في الشعر والتاريخ قولاً مفصلاً على نحو ما قلنا

﴿ رأيه في علوم الفلسفة ﴾

ثم تكلم عن العلوم الشرعية وأورد على نفسه هذا السؤال « فإن قلت فلم لم نورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهم مذبذبون أو محمودان » وأجاب عن علم الكلام بما سنذكره في الكلام عن العلوم الدينية وإن كان لا يعده منها وعن الفلسفة بما يأتي

« وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضمير عنه لئلا يئنه كما يصان الصبي عن شاطيء النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع ان القوي لا يتدب إلى مخالطتهم

« و(الثاني) المنطق وهو يبحث عن وجه الدلائل وشروطه وهما داخلان في

علم الكلام .

« و(الثالث) الإلهيات وهو يبحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته

وهو داخل في الكلام أيضاً والفلسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من السلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة

هو (الرابع) الطبيعيات وبعضها يخالف للشرع والدين الحق فهو جبل وليس يعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها يبحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استعالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها اه

وقد أوسع المجال لذلك في كتابه المنقذ من الضلال قال :

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الفرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهيبة وسياسية وخلفية أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالامور الدنيوية تقيا واثباتا بل هي أمور برهانية لا سبيل الى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفان (الاولى) من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تناووه الالسن فيكفر بالتقليد المخض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالقسام كفرهم وجددم يستدل على ان الحق هو الحمد والانكار للدين وهم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواء واذا قيل له الخافق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الخافق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالمغليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل يتوافقها البراعة والسبق وان كان الحق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي أخذنا كذا) بالتقليد

لم يقع منه موقع القبول بل تمحله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب التكاسب على ان يصر على محبين الفتن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بأمر الدين لكن لما كانت من مبادي علومهم يسري اليه شرم وشوهم قتل من يخوض فيه الا وينظم من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الاية الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزداد قنطلة حبا وللإسلام يفضأ ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض هذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية وقوله عليه السلام «ان الشمس واقمر آياتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فانزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة» ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس واقمر واجتماعها أو مقابلتها على وجه مخصوص وأما قوله «ان الله اذا تجلى لشيء خضع له» فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا فهذا حكمة الرياضيات وأفتها

(وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين تقيا واثباتا بل هو النظري طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم إما تصور وسبيل معرفته الحدوا ما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يمارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ويزيادة الاستقصاء في التعريفات والتسميات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (أ) (ب) (ب) ان بعض (ب) (أ) أي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويبرهن عن هذا ان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية. وأي تعلق

لهذا بهمت الدين حتى يجحد وينكر فاذا أنكر لم يحصل من انكاره عند أهل المنطق الاسوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الانكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجزمون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراها واضحة فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة بمثل تلك البراهين فاستجبل بالحرف قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة أيضاً منظره اليه

﴿ وأما علم الطبيعيات ﴾ فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين انكار ذلك العلم الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيها فنحن تأمل يدين انها مندرجة تحتها وأصل جهلتها ان يعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبايع مسخرات بأمره لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته ﴿ وأما الالهييات ﴾ ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذا كثرت الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها من مذاهب الاسلايين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولا يبطل مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفاً كتاب التهافت. أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم ان الاجساد لا تنحسر وإنما المثاب والمقاب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لاجسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية فانها كائنة أيضاً ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا بالشرية فيها فظفروا به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى

يعلم الكليات دون الجزئيات فهو أيضاً كافر صريح بل الحق أنه (لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك قولهم بقدوم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من تفهيم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم زائد على الذات وما يجري مجراه فذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين فيه فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه

(وأما السياسات) فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحة المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الاولياء

(وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وم التألمون المتألمون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلك الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلاً بالتجمل بها الى ترويع باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألمين لا يخفي الله العالم عنهم فاتهم أوتاد الارض بركتهم تنزل الرحمة الى أهل الارض، اه المراد منه

أقول هذا آخر ما استقر عليه رأي الامام أبي حامد في هذه العلوم لأن هذا الكتاب من آخر ما كتب . ومنه يعلم أنه لا ينكر من علومهم شيئاً يعده مخالفاً للدين الامسائل معدودة من الفلسفة الالهية وانا نزيد المسألة بياناً بإيراد ما كتبه قبل ذلك في مقدمة كتابه تهافت الفلاسفة قال :

«أما بعد فأني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظر ، بمزهد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا طوائف الاسلام والمبادئ ، واستحقوا واشعائر الدين ووظائف الصلوات ، والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعبدات الشرع

وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقبوده ، بل خلعوا بالكلية ربة الدين ، فنون
من الظنون ، ينبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً وهم بالآخرة
م كافرون ، ولا مستند لكفرهم غير سماع النبي كتقليد النصارى واليهود اذ جرى
على غير دين الاسلام نشوءهم وولادهم ، وطبه درج أباهم وأجدادهم ، ولا عن
بحث نظري صادر عن التعر باذيال الشبه الصارقة عن صوب الصواب ، والانخداع
بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما اتفق لطوائف من النظائر في البحث عن
المقائد والآراء ، من أهل البدع والاهواء ، وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسامي
هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم ، وإطاب طوائف متبهمهم
وضلالهم ، في وصف عقولهم ، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية ، والمنطقية
والطبيعية والالهية ، واستبدادهم بفرط الذكاء والفطنة ، واستخراج تلك الامور
الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزائة عقولهم ، وغزارة فضلهم ، منكرون للشرائع
والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الاديان والملل ، ويعتقدون أنها نوايس موفقة ،
وحيل مبرحة ، فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكي لهم من عقائدهم طبعهم ،
تجملوا باعتقاد الكفر نخباً الى غمار الفضلاء برعهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترفعوا عن
مساعدة الجماهير والدماء ، واستكفوا من القناعة باديان الاباء ، ظناً بأن اظهار
التكاسيب في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم
عن أن الانتقال الى تقليد عن تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أحسن من رتبة
من تجعل تبرك الحق المعتد تقليداً ، بالتسارع الى قبول الباطل دون أن يقبله خبراً
وتحفظاً ، والبله من العوام يعزل عن فضيحة هذه المهواة ، فليس في سجينهم حب
التكاسيب بالشبه بذوي الضلالات ، والبلاهة أدنى الى الخلاص من فطانة براء ،
والعنى أقرب الى السلامة من بصيرة جولاء

فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هولاء الاغبياء ، ابتدأت بتحرير
هذا الكتاب رداً على الفلاسفة القدماء ، مينا نباهات عقيدتهم ، وتناقض كلتهم ،
فيما يتعلق بالالهيات . وكاشفاً عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق
مضاحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكياء ، أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدماء ،

من فنون العقائد والآراء ، هذا مع حكاية مذهبهم على وجهه لئدين لمولاه الملاحدة
تقليداً اتفاق كل صرموق من الاوائل والاواخر ، على الايمان بالله واليوم الآخر ،
وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين الذين لاجلها
بث الأنبياء المؤبدون بالمعجزات ، وأنه لم يذهب الي انكارها الا شذمة يسيرة
من ذوي العقول المنكوسة ، والآراء المعكوسة ، الذين لا يوبه لهم ، ولا يعاب بهم ،
فما بين النظار ، ولا يعدون الا في زمرة الشياطين الاشرار ، وغمار الاغبياء والأغمار ،
ليكف عن غلوائه ، من يظن أن التجميل بالكفر تقليداً يدل على حسن رائه ،
أو يشعر بفضته ودكائه ، اذ يتحقق أن هؤلاء الذين تشبه بهم من زعماء الفلاسفة
وروسائهم ، برآء عما قذفوا به من جحد الشرائع ، وأنهم مؤمنون بالله ، ومصديقون
لرسله ، ولكنهم اختبطوا في تفاصيل بعد هذه الاصول ، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا
عن سواء السبيل ، ونحن نكشف عن فنون ما اتخذوا به من التخاييل والأباطيل ،
ونبين أن ذلك هو بل ما وراءه محصيل ، والله تعالى ولي التوفيق ، لاظهار ما قصدناه
من التحقيق ، ونصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن مساق الكلام في الكتاب

(مقدمة)

ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل ، فان حبلهم طويل ،
وزاعمهم كبير ، وآرائهم منتشرة ، وطرقهم متباعدة متدايرة ، فلنقتصر على اظهار
الناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق ، والمعلم الاول ، فانه رتب
علومهم وهذبها بزعمهم ، وحذف الحشوم من آرائهم ، وانثى ما هو الاقرب الى
أصول أهوائهم ، وهو ارسطاطاليس وقد رذ على كل من قبله حتى على أستاذه
اللقب عندهم بافلاطون الالهي ثم اعترض عن مخالفته أستاذه بان قال افلاطون
صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه (وإنما) نقلنا هذه الحكاية عنهم ،
ليعلم أنه لا ثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم ، وأنهم يحكون بظن وتخمين ، من غير تحقيق
ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية ، بظهور العلوم الحسائية والمنطقية ،
ويستدرجون به ضغفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين ، نقية عن
التخمين ، كعلوم الحسائية والمنطقية ، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسائية ، ثم

الارجون لكلام ارسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل ما عرج الى تفسير وتأويل، حتى آثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا . فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجرناه واستنكفناه من المتابعة فيه لا يتارى في اختلاله، ولا يفتقر الى نظر طويل في ابطاله، فليعلم اننا مقتصرون على رد مذاهبهم بحسب قتل هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار المذاهب (مقدمة ثانية)

ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام (قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كسميتهم صانع العالم تعالى عن قولهم جواهر مع تفسيرهم الجوهري بأنه الموجود لاني موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجوهري التحيز على ما أراده خصومهم ولنا نخوض في ابطال هذا لأن معنى القائم بالنفس اذن صار متفقاً عليه. رجع الكلام في التعبير باسم الجوهري عن هذا المعنى الى البحث عن اللغة وأكثرم لا يسمونه جوهراً وان سوغت اللغة اطلاقه. رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث الفقهية فان تحريم اطلاق الاسامي وابطاحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع. ولعلك تقول هذا انما ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن اللغة فلا ينبغي أن يلتبس عليك حقائق الامور بالامادات والمراسم قد عرفت أنه بحث عن جواز التلغظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الافعال

(القسم الثاني) مالا يصدى مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن أمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض اقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعها في القطبين على دققة واحدة . وهذا الفن أيضاً لينا نخوض في ابطاله اذ لا يتطابق به غرض . ومن ظن أن

المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جى على الدين وضعف أمره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها رية فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يجبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه وهو كاقيل عدو عاقل خير من صديق جاهل

(فان قيل) قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا ينكفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيت ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة » فكيف يلام هذا ما قالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والظهور من أين يعبد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا

(فان قيل) فقد روي انه قال في آخر الحديث « ولكن الله اذا تجلى لشيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي

(قلنا) هذه الزيادة لم يصح اقلها فيجب تكذيب ناقلا وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تاويله أمر من مكابرة أمور قطعية فكيف من ظواهر أولت بالادلة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يقدح به المصلحة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فواء كان كرة أو بسيطا أو مشنأ أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمتصور كونها من فعل الله فقط كيفما كانت

(القسم الثالث) ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكر واجمع

ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه
(مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود ثبته من حسن اعتقاده في الفلاسفة فظن
أن مسالكهم تقيّة عن التناقض ببيان وجوه تماهقهم فذلك أنالاً أدخل في الاعتراض
عليهم الا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعاً
به بالزامات مختلفة فالزمهم نارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا
مذهب الواقفية ولا أنتهض ذابا عن مذهب مخصوص بل أجمل جميع الفرق إلبا
واحدا عليهم فان سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل وهو لا يتعرضون لاصول
الدين فلتظاهر عليهم فنند الشدائد تذهب الاحقاد (الكلام بقية)



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

مَجْلَدُ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماجل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان
التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر اسلامي
جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بزيارة اصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين
منهم بما جاء لأجله فوعده صاحب جريدة المؤيد منهم بالمساعدة ودعو الناس الى سماع
خطبته التي أعدها لذلك. وقد طبع أوراها للدعوة ووزعها على نحو ٦٠٠ من اخيار من الوجهاء
والفضلاء وكان موعدهم ليلة السبت خمس بقين من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر
كثيرون لم يدعوا فازدحموا على باب فندق الكونتنتال وتصدر تقديم المدعوين على
غيرهم فكان السابق هو المقدم كان كل واحد منهم كان يرى أن الداعي والمدعوين وغيرهم
من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة
(المنار ٩) (٨٩) (المجلد المباشر)

كان عدد المجتمعين زهاء ثلاث مئة رجل فقرئت عليهم الخطبة التركية ثم رجتها العربية وبعد ذلك قام صاحب المؤيد قد كر بدعمه وجزير- في كون فكرة المؤتمر ناضجة قد استمدت لها النفوس- أسماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجوه العاصمة قال لهم أذنوا له بأن يذ كر عنهم أنهم أجابوا الدعوة وهم الأ سائدة المشهورون الشيخ سليم البشري والشيخ محمد توفيق البكري والشيخ محمد شا كر والشيخ محمد نجيت والشيخ محمد حسين المدوي والشيخ حسين والي، والباشوات حسين واصف واسماعيل أبانته والدكتور حسن رفي وعلي شعراوي والدكتور علوي وموسى غالب، والبكرات أحمد تيمور ومجد العزيز فهمي الهامي ورفيق العظم وطلعت حرب وحتي العظم وابراهيم الهلباوي الهامي واحمد زكي ويوسف صديق ومهر لطفي الهامي ومحمد فريد وعلي بهجت واسماعيل رأفت وحسن بكري المقاول ومحمد أحمد الشريف ثم ذ كر من الصحافيين نفسه وحافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أ كثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعاهم الى ذلك دعوة خاصة فرضوا وأذنوا له بذ كر أسماءهم . وقد انتقد بعض الناس هذا وقالوا أنه عبارة عن إجابة الدعوة قبل سماعها وظنوا أنه لا يخلو من تواطؤ خاص ثم أشيع في البلد أن وراء الستار إرادة تدبر أمر المؤتمر ونصرف كبراء المشتغلين به في علمهم ورأيت غير واحد ممن ذ كرنا أسماءهم آ فنا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجوه على صاحب المؤيد أن يدعو كبراء من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يقده لبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة التاسعة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في ردهة الدار وكان صاحب المؤيد قد دعاهم من حضر من ذ كر أسماءهم من قبل وسام اللجنة التحضيرية الى مخدع بجانب ردهة المؤتمر ويختصمون في اقترح عرضه عليهم وهو أن يخرج من اللجنة أناس منهم بعد اختيار من يرضاه ويرضونه ليكون مكانهم فلم يفتقروا على ذلك اذ رأى بعضهم أنه لاحق لهم ان متبدوا بالصلح ومن يشارونه

ولما طال الانتظار ومل الحاضار ظهر النضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جمهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا الهامي ويخلو بنفر من دوننا في مخدع يآتمرون بينهم سرا؟ ما هذا الا اهانة وعمل غير معقول: فرأى من القوم ارياحا لقوله ومواقفة له عليه وصاروا يقناجون بينهم: إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدا بالمشروع لا مساوير يدان أن يختار المآر من يرضيان ليم ذلك الأمر وكان ذلك الغاضب قد دس على النفر المآرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدير أمر مشروع المآر وهذا غير صحيح وانما خلونا لتتذا كرفيا نعرضه عليكم وهواننا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عرضت وحسن باشا رفقي واسماعيل باشا أباطه وفلان وفلان فالرجو منكم ان تنتخبوا بدلم من الحاضرين لانعام اللجنة التحضيرية للمآر: أو ما هذه خلاصته فبرأ نفسه بخروجه مما ظن فيه الظانن

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سميتموهم اللجنة التحضيرية لم يُنتخبوا فالمدل أن ينتخب جميع الاعضاء ابتداء . فحاول صاحب المؤيد والسيد البكري ان يثبتا عدم الحاجة الى جعل أحد ممن ذكرت أسماءهم ليلة الاحتفال بالخطبة موضعا للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المآر وجمهور من حضر خطبت ولم يبارض في أحد منهم أحد! والسيد البكري سمي ذلك انتخابا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماءهم الآن على الحاضرين ونأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يظن في كفاءة أحد في وجهه ولا على مسمع الملاء ولذلك اتفقت الامم كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سرا فنعن نجل ونحترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى اناننا آخريين أولى بهذا العمل من بعضهم فكل واحد ينتخب سرا من يعتقد كفايته لهذا الأمر مع حفظ كرامة الآخريين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماءهم ليلة الاحتفال وسكوت السامعين فلا يسي انتخابا اذ لم يخطر في بال أحد من السامعين ان تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأيه فيها ولا ان له الحق في جرح أحد ممن ذكر

ثم اقترح بعض الحاضرين أن يكون البحث قبل كل شيء، إمكان المؤتمر وعدمه، وإذا ظهر أنه ممكن فهل الأولى أن يكون عاماً أو خاصاً بمصر وطال الجدل في ذلك. واقترح بعضهم بيان موضوع المؤتمر أولاً فكان السيد البكري أحسن من أجاب إذ قال مأمثاله موضحاً أن السيد جمال الدين قال أنه لا فرق بين المسلمين وبين ماثر الشعوب الأخرى ولا يمكن أن يكون دين الإسلام في حقيقته هو السبب في تأخرهم لأنه هو الذي كان السبب أولاً في جمع كلمة العرب ونقلهم من الجهل والأمية إلى العلم ومن البداوة إلى المدنية ومن الفقر والضعف إلى الغنى والسيادة فالشيء الواحد لا يكون سبباً للشيء ولضده معاً فلا بد أن يكون فهم الدين قد تغير ودخل فيه ما ليس منه فكان أثره في الآخرين ضد أثره في الأولين ولا يصلح حال المسلمين إلا بالرجوع إلى حقيقة الدين (قال) هذا ما سمعناه من السيد جمال الدين وهذا ما سمعناه من الشيخ محمد عبده وعليه جميع المعارف من الكتاب والباحثين ومنه يعرف موضوع المؤتمر. وعند هذا قال بعض الحاضرين لبعض منهم أحمد بك زكي الأمين الثاني لاسرار مجلس انتظار أن هذا عمل قامت به مجلة المنار. وقام الشيخ اسماعيل خليل فقال قولاً جاء فيه إشارة إلى ما صرح به غيره من جواب هذا القول وهو أن ما يكتب في المنار وكذا في بعض الجرائد أحياناً من البحث في أسباب ضعف المسلمين وطرق علاجه يكون محلاً لانتقاد بعض الناس فإذا كان مثل ذلك معزواً إلى طائفة كبيرة من علماء المسلمين وفضلائهم وأهل الرأي فهم يرجي أن يكون مقبولاً نافعاً وقد أشرنا إلى ذلك في مقاتلتنا عن المؤتمر في هذا الجزء.

وبعد كثرة الجدل انفض القوم ولم يتفقوا على شيء فعزم من حضر ممن ساهم صاحب المؤيد اللجنة التحضيرية على أن يسموا أنفسهم اللجنة التأسيسية أو لجنة التأسيس للمؤتمر وأن يضموا إليهم من يختارونه للعمل معهم.

ثم اتهم بعد ذلك اجتمعوا واختاروا الشيخ ساجداً البشري رئيساً للمؤتمر وعمر بك لطفى المحامي كاتباً للسرا وناطوا بتحديد موضوع المؤتمر ونظامه بلجنة مؤلفة من الشيخ نوفيق البكري وصاحب المؤيد إبراهيم بك الهلباوي وحسن باشا رفقي ورفيق بك العظم

حجوزة مصر بحسن باشا عاصم

رزئت مصر في ثالث شوال برجل الجدة والعمل والثبات والاستقامة والعدل
والنظام خادم الأمة المخلص نابغة النوابع نادرة العصر ينمية المصاميين الصماء
حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه .
واننا نكتب في شأنه كلمات لا تقصد بها مجرد الرثاء والتأبين ، ولا محض الترجمة
والتاريخ ، بل العبرة والموعظة للأمة ، عسى ان يكون فيها لاهل الاستعداد حسن الاسوء ،
من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهذه الألقاب والتعوت مخالفاً
عادته في ذكر الناس بأسمائهم ؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يؤبته المنار وقد
مات كثير من الأمراء والباشوات وكذا العلماء ولم يذكر خبر موتهم ولا عزى
البلاد عنهم ؟

كان حسن عاصم رجلاً من الرجال الذين تهض بأمثالهم الأمم اذا كثروا
فيها ولو كثرت أمثاله في مصر لا ذغت انكلترا بأن المصريين قادرون على أن
يحكموا أنفسهم كأرقى أمة أوربية فقد كان اذاً روحاً من أرواح الحياة القومية ،
وركناً من أركان النهضة المدنية ، وان كان عمله مما كانت تبهله الأمة ، وقلما
تهتف به ألسنة الخاصة ،

كان ربما يزور هذه البلاد السائح المورخ فيقرأ جرائدها ، وينحش أنديتها
ومماهدا ، ويتحدث مع الخواص والعوام ، والمحكومين والحكام ، فيسمع ويقرأ
أخبار الأحزاب ومؤسسيها ، والتعزيب لها أو عليها ، والمهاورات في التفاضل بين
أفراد ، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد ، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه
المواضع ذكراً ، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خيراً ، فكيف كان لحياة البلاد
روحاً مدبراً ، ولنهضتها ركناً مشيداً ، والأمة في مجموعها غافلة عنه ، جاهلة عمله ،
ويتنازع زعامة النهضة فيها زيد وعمر ، وخالد وبكر ، ؟

الجواب عن هذا ان الرجل كان فعالاً ، ولم يكن قوَّالاً ، وأمتنا في مثل هذا
الطور تشغلها الأقوال ، وتقرها الدعاوى العراض الطوال ، ووب قول كبير
الدعوى ، تدبر على التفرير ، لو كثرت أمثاله في الأمة ما زادوها الارهاق ، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد - وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه - إلا ويجهز بأنه لو كان فينا عشرون رجلاً مثله في صفاته وأعماله لتفضوا بنا نهضة لا تخطر في بال الذين يقولون مالا يفعلون ولكأنا حجة لنا على الأجانب لا يكابر أحد في دحضها . ولكن يوجد في البلاد مئات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا بالسنتيم وأقلامهم ما يشتهر بمثله المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي فعل بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي فقد كان لا يقلد أحداً في رأيه وإنما ينظر في الأمر ويبطل فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب وإنما نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قبلوه بأدي الرأي ولا محل هنا لكشف التلبس في ذلك

(استقلال الإرادة) كان رحمه الله تعالى مستقلاً لإرادة قومي العزيمة أعني أنه كان يعمل دائماً ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وإن كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا الخلق فينا أضعف من سابقه ولو كان عندنا كثير من الحكام والعمالين الذين يعملون بما يعتقدون أنه الخير والمصلحة للبلاد لكننا من أرق الشعوب فنحن فينا عدداً كثيراً من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء العزائم فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالجيل الراسخ في ثباته على رأيه وحمه واستقامته في سيرته وهذا كان نافعاً في استقلاله وقوة إرادته فن العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت وللرجل القلب فإن الإمة التي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفاً في العمل بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قوياً . وكان رحمه الله لا يشك من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

أكثر مما يجب لأنك لما فخرتها : وقال لي مرة أو غير مرة ما معناه اننا اذا دعونا الى هذا العمل نجد المهيين اليه كثيرين في أول الأمر ثم يتسلون لو اذا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحتمال) كان على نحاقة بدنه آية في الصبر على العمل واحتمال المشقة لا يمل ولا يسأم ولولا الصبر والاحتمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يعده عدة رجال حتى كان يمل ويتملل كل من يشتغل معه لاسيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضفاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيعجب كل عاملها من صبره وجده - وهي ادارة القصر المالي وإدارة شركة الأمير محمد ابراهيم وادارة الجمعية الخيرية ومدارسها وادارة الشركة الانكليزية المصرية - هذا وهو غير مهمل لادارة منزله بل مقيم لها على أكل نظام

(النظام والاتقان) كان عاشقا للنظام كفا باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتباً منظماً متقناً حتى قال فيه سعد باشا زفول انه خلق منظماً بالطبع . ومن ينظر بياله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشتغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيها يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية ؟ خطر له أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لا برسم المصحف المنبع عن الصحابة عليهم الرضوان فبدأ أولاً بالبحث عن جواز ذلك واستقى فيه الاستاذ الامام فافاد . ووجد نصاً من الامام مالك يجوز في مصاحف التعليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبعث بنفسه مع أهل العلم في الكلام الذي يشبه في رسمه بكلمة (الضحى) تكتب ألفها بصورة الياء أم ملساء والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لأجل الوقت . فكنا نسهر منه الليالي ذوات العدد نتباحث في هذه الكلمات . ثم ناط ضبط ذلك كله ونصحح الأصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء ليطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراءات لكي لا يخرج الرسم عن أداء التواتر منها ثم انه كان يراجع

بنفسه كل ما يصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من سنتين على طبع كتاب العمدة في الادب لابن رشيق بنفقة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت اليه المطبعة الاميرية نموذج المزمة الاولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابلته على النسخ قرأها فتوقف في فهم بعض عبارتها والاحاديث وأيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب المنار غير مرة كنا نراجع فيه الاحاديث في كتبها والاشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هو ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في المزمة عبارة غامضة يرجح انها محرقة ووافق يسأل ويبحث عن نسخة أخرى من العمدة ليحلبها أو يستسخنها من القطر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خالق الاثقان وامانة العلم ان يطبعها وهو يعتقد أن فيها تحريفاً تقبارك من أنتم عليه بهذه الاخلاق ، وبأيت الذين يتجرون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يعنون بعض هذه العناية بالضبط والاثقان

(الجد والرصانة) كنا نرى كثيراً من الناس ينتقدون منه رصانته وجدده في كل وقت وحال ونعجبه المزمل والدعابة وتحاميه المزاح والمفاكة في الحديث الا قليلا وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعباً يعتقد أنه يكتر فيه الطيش والحفنة ويطلب على أكثر أفرادهم المزمل والهوى والمب في زمن بزاحمه فيه أهل الجد والعمل من الشعوب الأخرى على بلاده وينازعونه جميع مقومات حياته لولا هذا ان الحنقان لما قدر على كل ما عمل . ولكننا لا ننكر مع هذا ان استغراق جميع الاوقات في الجد والتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المنتقدة في الفضيلة ولكن لا يقبل انتقادها الا ممن يصرف أكثر أوقاته في الجد ويفرغ في أقلها للاهل والمصحب بما كرههم ويمارحهم وينسب اليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً (الاقتصاد والوفاء) اشتهر فقيدنا المبكي بأعين الفضلاء بالمباينة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يفتن فيه بالبخل والانتقير وهو لم يكن بخيلاً ولا مقتر في النفقة بل كان في الاتفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٧: ١٥) لينفق ذو سعة من سعته

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه) كان يكتب لبيته ميزانية السنة قبل دخولها فيجعل المخرج غير مستغرق للدخل كله ويحصى كل أنواع النفقات ويضيف إليها مبلغاً احتياطياً ثم يردى كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والفرنجية في أواخر شهر ديسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم فيأخذ أول وصل ما وصلات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر ومن كل شيء يشتره في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في المعاملة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستغناء عن الاقتراض والاصطفاء بالربا نعم ان اقتصاده المبني على قواعد العلم الحديث والتزامه النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الأمور مخالفة يستنكرونها فيسبونها بغير اسباب . فمن ذلك أنه كان اذا دعا الى طعامه تقرا من أصحابه وزواره عند وقت الطعام أو قبليه صاحب آخر فانه لا يدعوهم معهم بل كان بعض أصدقائه ربما يتعد أن يقول: بلغني أن فلانا وفلانا سيأكلان الشاء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيبه بحريته المهدودة : انه ليس لك كرمي على المائدة في هذه الليلة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يهيء الطعام على قدر حاجة الآكلين المعلومين بلا تقدير ولا تبذير . وكيف يوصف بالتقدير من كان خدماًه يأكلون من جميع ما يأكل منه أهل البيت وضيوئهم من الألوان والحلوى حتى الفاكهة في الشاء

و بلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يرمي ورقة مكتوبة من الاوراق التي لم تبق من حاجة إليها الا بعد أن يقص منها ما عدا المكتوب ان كان ينتفع به بإمكان كتابة شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثلاً وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبني لقاء الأمير وكان هو رئيس التشرفات فأرسلت إليه بطاقة الزيارة للاستئذان ولما هممت بالخروج من حجرتي قال لي خذ هذه البطاقة - وكانت لا تزال في يده - فانها أدت وظيفتها الآن ويمكن أن تؤديها مرة أخرى : فقلت له ذكرني هذه الدقة في الاقتصاد كلمة للامام الخزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجح بالحبة لا يرجح بالقطار لأن القطار مؤلف من الحب

فاذا ألقى في الميزان حبة بعد حبة لم يكن الرجحان إلا بحبة : فأعجبه هذا القول وكان يشغل به

ومن الناس من يهزأ بهذه الدقائق ويمدحها من الصفات التي لا تنبغي لأهل النفوس العالية . وهذا خطأ وجهل يزينه لصاحبه الأسراف والحرق واعتياد الخلل والحرمان من النظام فإن الكاتب (المخطاط) الذي لا يبنى بكل حرف من الكلمة لا يكون مجموع خطه كامل الحسن، والبناء الذي لا يبنى بضبط كل حبر ينحط لا يكون بناؤه رصينا محكما، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صورته مطابقة لما صورته . وهكذا يضيع المال الكثير في غير فائدة من فرط في حفظ القليل بوضعه في غير موضعه

إن كثيرا من المسرفين الذين يسميهم الحق أسخياء وأجوادا يعطون أصحاب الحقوق ويلوونهم وهم واجدون ما يفون به ولا يكادون يبدلون شيئا في سبيل الله وإذا خرج منهم الحق لا يخرج إلا نكدا ولكنهم يراون الناس باضاعة المال في أمور لا يحمد فاعلها عند العقلاء ولا يؤجر عند الله . ومنهم الذين يضيعون ما هو ثوابهم من الثروة الواسعة أو غير الواسعة فيتمون في القل المروج ، والفقر المدقع ، وما أكثرهم في هذه البلاد وإنما أكثر الناس لا يعتبرون

قال الفقهاء يكره في الوضوء أن يفسل الوضوء العضو أكثر من ثلاث مرات لأن ذلك من الأسراف ولو كان بثوفا من البحر إلا أن يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالبرد ولكن لا ينوي بها العبادة وقالوا إن حكمة الشرع في ذلك هي أن تعلم الأمة الاقتصاد في الأمور كلها فلا تفرط في شيء وتضيعه في غير منفعة وإن لم يكن في أضاعته ضرر

أي ضرر يتصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيعون شيئا بوضعه في غير موضعه ولا يؤخرون حقا عن مستحقه ويجهلون في السبق إلى مساعدة الجماعات الخيرية؛ أما والله إن أمة يكثر فيها أهل هذا الخلق لجديرة بأن تكون أسعد الأمم (لترجمة بقية)

(يسدر هذا الجزء من المنار في سلخ شوال وهو شهر سلخ رمضان)

﴿ الاحتفال بالقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشئ المنار في سنة ١٣١٥ و صدر العدد الأول منه في مساء اليوم ٢٣ من شهر شوال من تلك السنة ثم زحزحنا أول سنته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة الهجرية هي سنة المنار الحساوية منذ سنته الخامسة أي سنة ١٣٢٠ وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطر لاسماعيل بك عاصم الخطيب والحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالاً ينوه فيه ببلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قصى بإرجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذا كرتني في ذلك فأخبرته بتاريخ انشاء المنار فسر بذلك وعزم على ان يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدده وهو ٢٢ شوال فوزع رقايع الدعوة على أصحاب المجلات الشهيرة في مصر ومحوريها ليجتمعوا مساء ذلك اليوم في داره بالعباسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر محبون كثيرون من عليا القوم ومنهم من يقدر على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الاصلاح بالترويج به وبالعون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الاصلاح لبساعة عرضت أوفكرة سنحت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فطرتة وهدته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكارم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وإيداعها ما يراه مناسبا لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترغيب في الآداب النافعة وبالعون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامه مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويعطي (الجوق) سنين جنيها اعانة له على تمثيلها بمصر: على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذ كرت هذا قبل الكلام عن كيفية الاحتفال لبيان بعض مزايا المحتفل لمن لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضاً فإنتي سمعت كثيرين يقولون

بلهجة الاعجاب والتعجب كيف خطرت افلان هذه الفكرة يظنون انها سانحة عرضت ، لم تأت عن ملكة رسخت

اسماعيل بك عاصم يطالع المنار بدقة متنبأ سير الإصلاح فيه وكثيرا مايفدا كرني في مسائل منه يعجب بها فضل إعجاب ومائل ينتقدها أويري فيها غموضاً أو إيهاماً فطعه بخدمة المنار علم تفصيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يجب أن يجعله سنة دائمة فجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعوا تجمعهم رابطة العلم والأدب اجماعا لايفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وهم الأ كثر بالطبع) والفارسي كالك كزور محمد مهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالك كزور جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولا الاختلاف في الوطن فان منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي وهو فرج أفندي مراد المحامي محرر مجلة التهذيب الدينية الأ دية لطائفة القرايين)

تم اجتماع القوم بعدالمساء الآخرة في الساعة السابعة مساء وكانوا قد أقبلوا فرادى ومثنى وثبات ، وطفقوا يتسامرون بالطف الكلام والبشر يتدق من وجوههم سرورا بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحد بالحفاوة وانبشر حق كأن سروره بهم يرجح بسرور مجموعهم . وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانظفوا حولها كعقد اللؤلؤ المنظوم ، أو كمنطقة مؤلفة من النجوم ، ولا بدع فهم نجوم الهداية الى الاداب والعلوم ، وقد أعجبوا بذوق صاحب الدعوة ورب المدار، فيما على المائدة من تنسيق الرباحين والأزهار، واختيار أنواع الفاكهة والثمار، مع حسن نظام المدار، ومايزينها من نألق الأنوار، فإنه جلب اليها صنوف الفاكهة السورية كالمنب الزبي والزعرور اللبناني وحب الآس وغير ذلك علما منه بأن المحتفل لاجله ونحو نصف المدعوين وهم سوريون يحنون بذلك الى ما ألفوا في سن الصبا، وأن سائر المدعوين يسرون منه بمجد الطريف، ومازال الانسان يحن الى غير المبدول المعروف ،

مكثروا نحو ساعة ونصف يمزجون أطيب الطعام ، بأطيب الكلام ، ويجمعون
 بين أحسن الفاكحة ، وأحسن المفاكحة ، ثم طافت القناني على الأكواب ،
 تترعها بالماء الفارزي (النازوزه) الممزوج بأحلى الشراب ، فأكلوا هنيئاً مريئاً ، وشربوا
 حلالاً طيباً ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيباً ، مرحباً بالقوم ترحيباً ، فألقى الخطبة التي
 نشرناها في هذا الجزء من المنار ، وزاد عليها نحوها من عقائل الكلام وورقاتي الأشعار ،
 وههنا أقول إن اسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يتعود تأليفها
 وحفظها ثم تلاونها كما يفعل كثير من يدعون الخطابة فضلاً عن كتابتها وتلاوتها
 في الورق . ولكنه في هذه المرة خاف عاقبته وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعا
 ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما تعود فألقاها بالمعنى غالباً
 وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالاً وكان مما زاده الثناء على هذا العاجز بأكثر مما في
 الخطبة فأخجلني ذلك جدا

قت بعد إمامه ماجاد به لأشكره ولاخواني الحاضرين فضلمهم وأقول
 شيئاً يناسب المقام فأوحى إلي سلطان الحجل الذي كان يحكم في وجداني حكماً
 استبدادياً لا مائة لي بدفعه أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في
 الإصلاح والعلم فهو ينضم من الثناء على نفسي وأرتج علي أو كاد حتى لم أجد من
 القول إلا الاعتذار عن الشكر بالمجزء عنه إذ لم أوتجراًة الخطيب وطلائعه وعن
 الكلام في المسائل العلمية والأدبية بأنني أفصح عيني فلا أرى أمامي إلا العالم
 التحرير ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف المدقق ، أو المؤرخ المحقق ،
 فإذا عساني أفيد هؤلاء الفحول ، وهم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو
 أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان ييسر لي أن أصرف بصري
 عنهم ، وأخاطب بما يفتح علي غيرهم ، فقبلوا بكرمهم العذر ، وأعجبهم الاعتراف
 بالمجزء ، ولكنهم تواضعهم عدوه من التواضع

ثم قام يعقوب أفندي صروف الذي كثر في العلم والفلسفة وعمر مجلة المتكف
 المفيدة فألقى خطاباً مفيداً افتتمه بقوله أنه عند ما قدم السيد رشيد رضا إلى هذه
 الديار كتب إلى بعض أهل العلم (و ذكر اسمه) كتاباً يقول فيه أنه قد ظن

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حر لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جازمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهوان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المنار وكذا الى المرحوم المفتي (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصرارى في أوروبا الى لوثير وكافن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدينة قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . انا لا نبعث في أصول الاديان لأننا كلنا نعتقد أنها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصددهم عن المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوربا يفهمون الدين المسيحي فهما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعدها ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأً لمدينتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهما دفهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وأن فلانا هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا الاصلاح في مجلته المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمهامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً يسهل سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكيها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويمدونه خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لاذني لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم المنصر الاكبر فيه وأنتي على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما اتيه من المصاعب وصبره عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم وجهه له وإكرامه لآله ،

هذه فحوى ما فاه به الدكتور الحكيم ملخصاً وقد كان موضوع الاعجاب والاستحسان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، نطق بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصفيق اليديان ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (وناظر المدرسة التحضيرية الكبرى) وارنجل خطبة ضافية الذبول ، متدققة السيول ، مدح فيها العلم وأهله ، وحمد فيها المحتفل وأطرى المحتفل لأجله ، ومما قاله انه عرف صاحب المنار ، أول مقدمه لهذه الديار ، وعلم ان سينشيء صحيفة إصلاحية فيها لذلك كان من المواطنين على قراءة المنار والاستفادة منه منذ ظهر الى الآن . وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتاً ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والخرافات . ثم ذكر ما تلقى المنار من المقاومة والمعاداة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تعليمه وانفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد انقصوا هم أنفسهم به وصاروا يفكرون في حالهم وما آلمهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في هذا العصر . وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتحميته بالألقاب التي لا يستحقها اذ لم يكن يشير اليه الا بكلمة « استاذنا » وما يصله بها من النعوت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيراً . وقد أثنى على المحتفل الكريم في قائمة القول وختامه ، بل في كثير من أجزائه وأقسامه ، وصفق له السامعون مراراً

ثم قام توفيق أفندي عزوز صاحب مجلة المفتاح خطيباً وهو من كتاب وخطباء القبط . أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ان مجلته قريبة من مجلة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على الجرائد وأثنى على المحتفل وهنا المحتفل لأجله

وكان حسن بك حماده صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أعد شيئاً وكتبه ليجهده أصلاً لخطبة يلتقيها فضايق الوقت باطالة الخطيبين الأخيرين فمنه كفيده عن الخطابة فأعطاني ما كان كتبه وهو بنصه :

« لو مضت سنة الادب بأن لا يهنأ الشخص بساراً ، الا بعبارة تحيط بوصفه ، مسبوكة في قالب من البلاغة مساو لبلاغته ، لوجب على حضرة الاخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أن يقوم بهنئة نفسه ويؤدي هذا الفرض عن هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على تصورهم عن أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخليق بخلق مولاه فأطلب اليه أن يتقبل

تهنئة هذا الضيف له على ثبات ارادته ومغالبته لما اعترضه من الصواب في سبيل عمله الجليل الذي يؤديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعة علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر السروز بهذا الميد الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه لخدمته، ومصرف مواهبه في القرب عن حوضه، يوجب علينا ذلك مرات كثيرة، وقد ضمنا من وراثتها ادب اقناه مقام الوالد .

واني احس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير الانسانية وبعبارة اجلى كما يحس كل شخص ضمنه حاشيتنا هذا المفضل الزاهر بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا المقد من السنوات خطوة واسعة في ارتقاء الآداب، ودررة تيمنة في تاج المجلات التي تصدر في هذا القطر المبارك، بل فخر لحياة المجلات التي تصدر في الشرق اجمع .

واني عن مجلة الاحكام الشرعية احيي مجلة المنار الاسلامي بدخولها في المقد الثاني من حياتها المباركة واسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فيما قصد . هذا وليس بحجيب أن يقوم حضرة الاصولي المفضل انما عجل عاصم بك الخطيب الشهير بمظاهر هذا الميد فطالما خدم العلم والادب وكانت له اليد الطولى على الجمعيات الادبية في موطن كثيرة وله منا جميعاً أجمل الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والسلام .

وقدم الينا الطالب النجيب محمود أفندي رمزي التاريخ الآتي فنشرناه شكر الله وتنشيطاً

مؤسس عيد المنار على السمعان والسنن الطاهره

دعوت الجهادية الصالين وأهل المعارف في القاهره

ومن كل شهم اذا ما تحمد ث ينطق بالدرر الساحره

ليعبي المنار ورب المنار وعاصم والسادة الحاضره

بيد المنار فأرخ الا يمن لقد بلغ العاشره

بعض معادى الذين يستمعون القول فيلبسون آية
أولئك الذين هم أقرا وطعمهم أولو الألباب

المعجم

بوتني الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة فقد أوتوا
غزوا كبيرا وما يكفر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثر الطريق

(مصر شوال سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ٥ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٧)

الماديون والآهيون (١)

سجدة فلسفة صحيحة

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم)

- « تمهيد - غرور الماديين بمعلوماتهم - الجوهر الفرد - المكان - الزمان - قوى المادة - ماهو البرهان الصحيح ؛ المهجرات - الفئات الطبيعية - مذهب داروين - القضاء والقدر - أبسط الاحياء - الفعل المنعكس في السلسلة الحيوانية - عمل المنعكس هو فعل منعكس متضاعف - الانسان مضطرب في صورة مختار - اختلاف أحوال المادة - الظلم - تهيئة الخالق منه

الانسان مفتون بنفسه ، مفرور بعقله ، لا يعرف من الأمور الا ظاهرها ، فيظن أنه أدرك باطنها ، فيثبه إعجابا ، وبنأى بجانبه تمردا وامتكبارا ، عرف الماديون شيئا من أسرار الوجود فوجدوا لذة وراحة عقلية ما كانوا يشعرون بها من قبل وتوهموا أنهم فهموا هذا الكون وسبروا غوره وأمكنهم التعليل عن منشأه وأصله بدون الاحتياج الى شيء ليسابهم تلك اللذة الفكرية التي حصلوا عليها

(١) لادكتور محمد توفيق افندي صديقي الطيب بسجن طره

قام الدين يناديهم بالاذعان لمة العطل ومسبب الأسباب ووصفه لهم بما لم يمكنهم إدراكه ولا يقدر على تصويره فكبر عليهم مادعاهم اليه . وعز عليهم ترك ما هم فيه ، فأعرضوا عن الدين وأظهروا المداء له ، وقالوا ما لنا ولهذا الهذيان ونحن (ولطيفة الحد) قد وصلنا الى درجة من العقل لا تتفق مع هذا البهتان الكبير شرب بعض المقلدين لهم من حياض أفكارهم فتملوا بها ، وفاتهم أن الدين الصحيح يذهب بمتبعيه الى بساطين الحرية والراحة العقلية التي يرح فيها المؤمن ، ويسلو على دوح التصورات الفكرية حتى يباغ الملوكوت الأعلى ويصل الى معرفة واجب الوجود فينزل الى المادة وقد عرف علتها الحقيقية التي لا يبروها الوهم ولا يدنو منها الخطأ أو الشك

إن كان الماديون يذكرون وجود الله لأنهم لا يمكنهم أن يدركوا كنهه تعالى فأبي شيء . أدركوا؟ هل أدركوا المادة . أم هل أدركوا قواها ؟
أسمع صوتا من بعيد أظنه من بعض الغافلين يقول « نعم قد أدركوا كل شيء . - أما قرأت علومهم؟ أما سمعت بمكتشفاتهم؟ فأبي شيء . لم يدركوا ؟ »
أذن مني باهذا ولا تسجل عليّ فاني آتيك بالخبر اليقين . ومخبرك بحقيقة علمهم .
ففكر معي تفكيرا ، وتروّ في الأمر طويلا ،

خذ قطعة من أبسط الاشياء كالحجر مثلا واسحقها ثم خذ بين أصبعيك منها أصغر ذرة فقد رعلينا ثم سر في تقسيمها الى أصغر منها بالعقل . فهل تقف عند حد أو لا تقف؟ إن قلت انك لا تقف قلت اذا هذه الذرة مركبة من ذرات (١) لا عدد لها وليس لها حصر . فكيف ذلك وهي محصورة بين أصبعيك قلبها كيف شئت؟ فهل يكون غير المتناهي متناهيًا وغير المحصور محصورا؟ أي تناقض أصرح من هذا؟ وان قلت انك تقف عند حد سألتك هل الذرة التي تقف عندها لها امتداد أم ليس لها امتداد . فان كان لها امتداد فلم لا تصور تقسيمها ولم تقف عندها؟ وان لم يكن لها امتداد (وهو الصحيح) فهل يمكنك أن تدرك ما بهتلك أو تصورها

(١) هذا بقطع النظر عن نظريات علم الكيمياء واصطلاحاته فانها لا تناقض هذه المسألة

في فكرك؟ كلا !! اذا أنت لا تدرك شيئاً من مادة هذا الوجود الواقع تحت حسك؟ فكيف يوجب الوجود (والله تعالى) !! ولم ننكر وجوده وقد قامت عليه الدلائل القاطعة كالتالي بينها في بعض مقالاتنا السابقة في المنازل؟

تفكر ثانية في تلك الذرات التي لا امتداد لها فهل يمكنك أن تتصور كيفية اجتماع بعض أجزائها ببعض حتى تتركب منها الاجسام الشاغلة للفراغ؟ اذا وضع ثلاث منها بعضها بجانب بعض فهل تثبت للوسطى منها جانبيين أم لا؟ فان أثبت ذلك لها كان ذلك تقضا لقولك الأول انها لا امتداد لها وأمكنك قسمتها . وان لم تثبت لها الجوانب فهل تتصور كيفية وجودها واتصال بعضها ببعض؟ كلا إنه لا يمكنك ولا يمكنك ذلك اذا لا يمكننا أن نتصور حقيقة الاجسام ولا الفراغ ولا المكان لأن ما يقال في الاجسام يقال مثله في المكان وما قيل في الذرات التي لا تقسم (وهي الجواهر الفردة عند الفلاسفة والمفكرين) يقال في النقط الهندسية عند الرياضيين ثم تفكر ثالثاً في وجود هذه الذرات منذ الأزل على اعتقادك مع قولك بحركاتها التي ليس لها أول وخذ حركة منها لتتكلم عليها . أليس قبل هذه الحركة حركات لا عدد لها لأنها أزلية كما تقول؟ واذا كان الأمر كذلك فكيف أمكن اقتضاؤها جميعاً وكيف جاز أن تأتي تلك الذرة بحركات لا عدد لها قبل كل حركة . أليس ذلك قولاً بأن ما لا يعدد أمكن عدده؟ وما لا يمكن الاثبات عليه قد أمكن الاثبات به؟ أوليس هذا تناقضاً بيننا؟

ومثل الحركات الأزلية لحظات الزمان فانه يستحيل وجودها منذ الأزل فهل يمكنك بعد ذلك أن تقول بأنك تفهم الأزل أو تفهم الزمان؟ إلى هنا قد تبين بأجلى برهان أن المادي لا يفهم كنهه المادة ولا مكانها ولا زمانها

إنه كما خرج من تناقض سقط في آخر . فهل يفهم شيئاً من خواص المادة وقواها؟ إن للمادة قوى كثيرة عرفنا بعضها كالكمهربية والمغناطيسية والجاذبية العامة بين الارض والاجسام التي عليها وبين الأجرام الكونية بعضها مع بعض أليست كل هذه الفاظاً لا تعرف لها معنى حقيقياً . وما مثلنا في ذلك الا كمثل الذي دفسر الماء بعد الجهد بالماء ؟

خذ مثلا قوة الجاذبية التي بين الشمس وأحد السيارات كالأرض أو كزحل
فما هو هذا الشيء الذي به الجذب ؟ هل هو مادة أو غير مادة ؟ فان كان مادة
فكيف يحصل به الجذب ؟ وان كان غير مادة فهل يمكننا تصوره ؟ وكيف يحصل
الجذب بين الحديد والمغناطيس ؟ وما الجواب الثاني عن مثل هذه الاسئلة ؟

فاذا كان الماديون لا يفهمون المادة ولا زمانها ولا مكانها ولا قواها فأي شيء
يفهمون أو يدركون ؟ أنهم لا يلمنون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الحقائق غافلون
وإذا لم يكن عدم إدراك الشيء عقبة في سبيل التسليم بوجوده فلماذا ينكرون
وجود الله تعالى ؟ وأي فرق بين المادي والآهي في الحرية العقلية الآهية
يعتقد بوجود اشياء لا يدرك عقله كنهها لأنه قام عنده عليها الدليل . وكذلك
المادي يعتقد ولا يمكنه أن يدرك كنه ما يعتقد ؟ فهل يكون أحدهما أكثر تنمقا
بالحرية العقلية من الآخر ؟ كلا !! فماذا يفتخرون ؟

ان عدم إدراك الشيء ليس دليلا صحيحا في نظر العقل على عدم وجوده
والألا يمكننا أن نقول إننا لا ندرك شيئا من كنه هذا العالم المحسوس فهو غير
موجود : حينئذ تقع في السفه . ومن بلغت به درجة المكابرة الى هذا الحد
فلا يصح مخاطبه . ولا التكلم معه لأنه ليس بما قبل

البرهان الصحيح على وجود الشيء أو عدمه (إن لم يكن محسوسا) هو ما بني
بناء منطقيا صحيحا تنهني مقدماته الى البديهيات العقلية . وأشهر هذه البديهيات
وأكثرها ورودا في المدلال : ان الضدين لا يجتمعان وقد يرتفان ، والتقيضين
لا يجتمعان ولا يرتفان : مثال الضدين البياض والسواد . ومثال التقيضين البياض
وعدمه أو النفي والاثبات في كل شيء . فكل ما أدى القول به الى ما يخالف
البديهيات كان باطلا واستحال وجوده وكل ما لم يؤدي الى ذلك كان جائزا وامكن
وجوده وان لم يمكن للعقل ادراك كنهه ومعرفة كيفية وجوده . ويجب الايمان به إن
قام عليه الدليل وإلا بقي في حيز الامكان

هذه المسألة هي أصل الاصول . ومرجع البشر قاطبة في جميع علومهم
الصحيحة ومن لم يفهمها ولم يمكنه أن يميز بين ما يصادم البدهية وبين ما لا يمكن

إدراك كنهه فهو غير أهل لأن يتلقى شيئاً من العلوم العقلية . ولا يمكنه أن يعرف الحق من الباطل ولا أن يفرق بين الخطأ والصواب

وإذا كان عدم ادراك كنه الشيء ليس موجبا لانكاره كما قررنا فن باب أولى تكون مخالفة الشيء لما اعتدناه لا تقتضي عدم تصديقه . فن انكر خوارق الماديات (المعجزات) التي يدعيها أهل الملل لانياتهم وجزم بعدم امكان وقوعها لذلك السبب (أي غرابتها واستبعادها) فهو يخيف العقل جاهل إذ ليس كل غريب مستحيلا وإلا لما أمكن للبشر إنطاق الجماد (كما في الفيزوغراف) ونقل الكلام الى مسافات بعيدة كما في (التليفون) والسير بسرعة عجيبة كما في الآلات البخارية والكهربائية التي غير ذلك من الاختراعات الفيزية التي ما كان يعلم بها الاولون ولو أخبروا بها لكذبها كقولهم كما يكذب المعجزات بهض أهل هذا الجيل الحاضر الذين فتوا بمعلوماتهم التي هي بالنسبة لماخفي عنهم ليست الإجهالات مركبة

ولو عمل الانسان بهذا المبدأ السخيف وهو الجزم باستحالة الشيء لعدم اعتياده له لما تقدم خطوة الى الامام في سبيل الاختراع والاكتشاف. أما إذا كان انكار المعجزات مبنيا على ادعائهم استحالة خرق نواميس الطبيعة فهي دعوى لا يمكن اثباتها ووجودها في عالم الحيوان والنبات من الشواذ ما يكذبها ولا يمكن تعليلها ولا تبين سبب مخالفتها للمهود كما في الاجنة التي تولد مختلطة بعضها ببعض أو ناقصة أو زائدة عضوا أو جزءا منه . فلم لم نهر هذه الاشياء على ما اعتدناه؟ على أننا لا نعرف جميع نواميس الكون حتى نجزم بأن كل ماخالف ما علمناه منها يكون خارقا لما فلم لا تكون تلك المعجزات تابعة لنا موص لا نصله الى الآن؟ ومتى علمناه أمكننا تفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً

ألم تر الى العلماء قبل ان جاء داروين بنظريته في ارتقاء الأواع بعضها عن بعض كيف كانوا لا يفهمون معنى للأعضاء الأثرية ولا يدركون سبباً لظهور بعض الاشياء في أجنة الحيوانات ثم انمحائها قبل ان تقوم بأية وظيفة أو تؤدي أي عمل كالاسنان التي تظهر في طور التكوين في الفك الأعلى لأجنة الحيتان

والحيوانات المجترة ولا عمل لها إذ ذاك ثم نزول ولا يبقى لها أثر حتى ظن بعض الناس أن ظهورها هذا عجب ولو لم نشاهد بالحس لانكر المكابرون وجودها .
فليأدب الانسان وليعلم أنه لم يؤت من العلم الا قليلا . ولا يفترن بما علم من ظواهر الامور .

الانسان طائش . اذا جهل حكمة شيء اسرع بتكذيبه وانكاره . ولكن ذلك لا يغنيه عن الحق فنبلا . جهل حكمة الخالق لهذا الوجود وكنهه فتسرع في انكار وجوده فهل أراحه ذلك بما أحاط به من المضلات التي يناجيه بها عقله ويطلبه مجلها ؛ أنت مسكين أيها الانسان ؛ وبفكك حيران ! !

نظر المادي نظرة سطحية في الكون . ودعاء الدين للإيمان باليوم الآخر وبقضاء الله وقدره . فقال : لو آمنت بذلك لآمنت بظلم مبين ، فأنا أنكره كله لأستريح من هذا العناء الأليم ؛ والتجأ الى جبر التكذيب فلقته فيه ما فر منه ، ولكي تفهم ذلك يجب أن تصفى لما سأتلو عليك : -

إن أبسط الأحياء في هذا العالم ما كان ذاتية واحدة كالحيوان المنسي « أميبيا » هذا الحيوان هو قطعة صغيرة من مادة حية تسمى البروتو بلازم (١) ولها من خواص الحياة ما هو معلوم للفسيولوجيين فاذا نبهت بأي منه تحركت

إذا ارتقينا الى ما فوق هذا الحيوان في الرتبة وجدنا أن هذه الخاصية وهي إجابة التنبيه بالنحرك أخذت في التضاعف في الحيوانات المركبة وامتاز بعض أجزائها (وهي أيضاً عبارة عن خلايا بروتو بلاسمية) باقحامها دون سواها . فبعد أن كانت « الأميبيا » هي التي تقابل بنفسها التنبيه فتتحرك بجملتها صانفي الحيوانات الراقية بعض الأجزاء مختصاً بمقابلة التنبيه فتجيب عنه أجزاء أخرى بالحركة . أما الاجزاء الاولى فهي الأعصاب الحساسة التي تحمل التنبيه إلى المراكز العصبية كاتي في النخاع الشوكي فيرتد فيها إلى أعصاب أخرى تسمى الأعصاب المحركة حتى يصل الى العضلات فيؤثر فيها تأثيراً مخصوصاً يظهر لنا بانقباضها . وهذا هو

(١) هي كلمة يونانية ومعناها المكون الأول لأنها عنصر الحياة ومنها ركب

ما يسمى بالفعل المنعكس (ومن أراد زيادة التفصيل فعليه بكتب الفسيولوجيا) وهو يشاهد في جميع الحيوانات حتى في الانسان نفسه . ولو أعقنا العلاقة بين المخ وبين النخاع حتى لا يبقى لارادة الانسان سلطان عليه تم هذا الفعل أيضا رغم أنه كما يشاهد في حالات البارابليجيا أي الشلل النصفي السفلي وكذا في اصابات النخاع العارضة إذا كانت فوق المرا كز التي تقوم بالفعل المنعكس

أما ما يصل الى المخ من التنبيهات بواسطة الحواس فليس من الضروري أن يجيب عنها في الحال كما هو شأن النخاع وشأن الحيوانات الأولية . ولكنها تهتدث فيه آثارا مخصصة عليها مدار ما يأتيه الانسان من أقوال وأفعال

قال العلماء الفسيولوجيون والبيكولوجيون إن أعمال الانسان هي أفعال منعكسة مرآة متضاعفة . والفرق بين ما يأتيه باختياره وبين ما يحصل بدون اختياره (كالأفعال المنعكسة للنخاع) إنما هو في مدة حصول كل منهما كما صرح بذلك العلامة أغسطس د . ولله الفسيولوجي الشهير فالفعل القهري ينعكس بسرعة وما نسميه اختياريا ينعكس ببطء وكلاهما في الحقيقة فعلا منعكسان . ولا يصدر عن الانسان إلا ما كان نتيجة ما وصل إلى مخه مما أحاط به من الظروف والأحوال وما لحقه بسبب الوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد

فالانسان في الحقيقة مضطر في صورة مختار كما وصفه بذلك عندنا علماء الكلام كالامام فخر الدين الرازي . فهو ليس الا آلة لانعكاس ما حوله ولا يصدر منه شيء ابتدائي مطلقا . إذ جميع أعماله إنما هي نتيجة تربيته ومعلوماته وما ورثه وما أحاط به من ظروف واحوال وغيرها أي هي نتيجة مزاجه والوسط الذي نشأ فيه وإلا فكيف تفسر ميل هذا للشرب وميل ذلك للخير إذا كان كل شيء فيهما متساويا ؟ على أن القول بتساوي البشر في الطباع والاخلاق والظروف مما يكذبه الحس والعيان . ولو كان صحيحا ما وجد بينهم اختلاف ما في الميل . ولو وجد الاختلاف لجاز حصول الملول بدون علة أو الترجيح بدون مرجح وهو محال

هذا هو تقرير العلم والمقل هذه المسألة . فإذا كان البشر لم يخلقوا متساوين وليسوا في الظروف متقنين (ولا دخل لهم في ذلك) وجميع انفعالهم ليست الا نتيجة تركيبهم . والمؤثرات المحيطة بهم - اذا كان الامر كذلك فهل يقال أن لهم ارادة حقيقية متصرفة في شيء ؟

الحق أقول ان اختيارهم ليس إلا أمراً ظاهرياً . وإذا كان كذلك فلماذا نناقشهم على ما يرتكبون في هذه الدنيا وهم لا شك اليه مسوقون، وعليه مدفوعون ؟ الجواب سهل وهو أن المقاب من العوامل المؤثرة في النفس فتزجج له وترتدع بسببه وكذلك يؤثر في نفوس غيرهم ممن رأوه أو سمعوا به ، فنقل الشرور في هذا العالم (ولكم في القصص حياة يا أولي الالباب) ولكن هل يسوغ لنا هذا ظلمهم بالمقاب مع علمنا بأنهم مكرهون ؟ ان كان هذا غير مسوغ فنحن اذا جميعاً ظالمون !! وهناك مسألة أخرى أيها المادي . وهي لماذا كان بعض المادة جهادا لا يشعر وبعضها الآخر نباتا أو حيوانا يحس ويتألم وينفذ ؟ ولم كان الناس مختلفين ما بين غني وفقير وصحيح ومريض ومنعم ومعذب وفرح وحزين الى غير ذلك من التباين والاختلاف بين اجزاء المادة ؟ أليس هذا ظلما في رأيك ؟ فان كان ظلما فالكون كله ظلم في ظلم ونحن ظالمون مظلومون ولا يخلصك من ذلك انكارك لوجود الخالق أو اقرارك به فانت أنكرت ما أنكرت فرارا من القول بالظلم فوقيت فيه !!

قد يقول إنني بانكاري الخالق تكون تبعه هذا الظلم ليست واقعة عندي الا على الوجود ولكنها عندي واقعة على الآهكم : ونقول ان الظلم أمر اعتباري فما نسميه أنت ظلما يراه الآخر عدلا ولذلك اختلف الناس في ذبح الحيوان وأكاه مثلا فبعضهم يستقيح ذلك وبعضهم لا يرى فيه عيبا فما عرفت به الظلم بمثل ذلك فيه غيبك ويقول ان الظلم هو التصرف فيما ليس بحق المتصرف . والعدل هو تصرف المالك في ملكه بما يرى . فاذا ملكت بعضا من الانعام قد بحت بعضها وأطقت بعضها الآخر قلت بظالم واذا خول القانون للقاضي الحكم في مسألة باحدى عقوبتين فاختر ماشاء منها فليس بظالم . وان لم تسلم هذا

التعريف أو ما يقاربه وأصررت على القول بالظلم فنحن لا نرى فرقا حقيقيا بين قولك ان تبعة هذا الظلم عندك على الوجود أي ليست على أحد بينه وبين زعمك إن تبعته عندنا على الله لأن الله تعالى فعل ما فعل حسب ما قضت به ارادته الازلية ولم يكن في الامكان غير ما كان . لان الارادة في جانب الله معناها تخصيص بعض الممكنات ببعض الممكنات الاخرى وهو ما يسمى بالترجيح . وهذا الترجيح حاصل منذ الازل أي لأول لوجوده فلا يمكن أن يوجد غيره . أما دعوى أنه أزلي وأنه كان يمكن وقوع غيره كما يدعيه بعضهم فهي مصادمة لهداهة العقلية . وان قيل ان الارادة سالحة لترجيح هذا على ذلك ولكن لم يقع الترجيح بالفعل الا في غير الازل أو كما يعبر المتكلمون في مثل ذلك ان لها تعلقين : تعلقا صلوحيا قديما وتعلقا تنجزيا حادثا (١) ان قيل ذلك قلنا ان اختيار هذا الشيء دون ذلك مع انها بالنسبة له تعالى سواء من كل وجه هو عين الترجيح بلا مرجح . ولا يصح أن يقال ان صفة الارادة هي المرجحة لان نسبتها أيضا لاحدها نسبتها الى الآخر تماما . ولو اختلفت النسبة لكان الترجيح أزليا والا لتخلف المماثل عن علته وهو محال . وان كان المرجح شيئا غير الارادة فإما أن يكون قديما أو حادثا فان كان قديما لا يمكن تخلف المماثل عن علته كما قلنا وان كان حادثا يحتاج هو لمرجح يرجع وجوده على عدمه وذلك يؤدي الى القول بالتسلسل وهو باطل . وان لم يكن هذا ولا ذلك بان كان المرجح يوجد في المستقبل (وهو غير مقول) فلم كان الترجيح لاجله حادثا ولم يكن أزليا ؟ فلا مفر اذا من القول بأن تعلق الارادة التنجزية هو قديم أما التعبير عن الارادة بالمضارع بدل الماضي في نحو قوله تعالى (ذو العرش المجيد فقال لما يريد) فله شواهد كثيرة في اللغة وفي القرآن الشريف كقوله تعالى (لو يطعكم في كثير من الأمر لئنم) بدل أطاعكم . ويراد به إفاضة استمرار الفعل . فمضى الارادة القضاء الأزلي الذي أوضحناه وقد قضى تعالى بما قضى ولا يزال قضيا به . وجميع ماورد في حقه تعالى من أمثال ما يستعمل في حق البشر كالرحمة

(١) المسلمون يقولون إن كليهما قديم كما بين برهان ذلك في المتن (كذا في الاصل)

والغضب والكره ونحوها له معان في جانبه غير معناه في جانبنا . فتفسر هذه اللفاظ في كل مقام بما يناسبه وبما يليق بالله تعالى وصفاته . مثلا إذا قيل « الله رؤف بعباده » فعناه أنه تعالى هو المنعم عليهم بكل خير أو نحو ذلك لأنه جل شأنه منزّه عن الانفعالات النفسية والاضطرابات العصبية والجولات الفكرية . فليست رأفة أو غضبه كراقتنا أو غضبنا تعالى عن ذلك علوا كبيرا وليست أفعاله مسبوقه بتفكير أو تردد أو ما شابه ذلك من صفات المحدثين

والخلاصة أن ترجيح بعض الممكنات على بعض حاصل منذ الازل فما كان يمكن أن يحصل غيره اذ لم يسبق بعدم ولم يكن لوجوده أول . فان سلم أن فيما حصل ظلم فلا تبعه فيه على أحد لأنه تعالى هكذا موجود من القدم ولا بد من انفاذ ما كان بلا تردد . ومن تفكر فهم . ومن تصدق عرف . ولا أزيد عن ذلك فسر القضاء أو شك أن يتضح . بل هو للعارفين قد انضح . إذ انما يجده المادي من الحرية في وجوده بجمده المؤمن في ايمانه . ولكن المؤمن يفوقه في كونه عرف علة الوجود وما اقتضته . فخلص من التناقض الذي وقع فيه المادي بسبب زعمه قدم الجواهر الفردة على ما بينا هنا في صدر هذه المقالة وفي مقالتنا الاخرى في الالهيات التي سبق نشرها في المنار

فذا هو ما أردت بيانه (وعلى الله تصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

الدكتور محمد توفيق صدقي طيب بسجن طره

(المنار) ما كتبه الدكتور في الارادة والاختيار غير محرر وقد أطال في ذلك المتكلمون وأوردوا فيه ما قيل من أن تعلق الارادة الالهية بفعل الشيء يقتضي وجوبه واستحالة مقابله وبذلك ينفي الاختيار واجابوا عنه بأن الارادة لا تعلق الا بفعل الممكن لذاته وما كان ممكنا لذاته اذا صار واجبا بتعلق الارادة به كان وجوبه عين الاختيار اذ لا معنى لاختيار الباري تعالى الا كون ما يصدر بقدرته من الافعال له انما يصدر بتخصيص ارادته لذلك الفعل على ما يقابله من الممكنات فالاختيار عند המתقين لازم للارادة لزوما عقليا وبهضمي مجعما بمعنى واحد وغاية ما فرق به المدققون بينهما هو ان المختار ينظر الى الشيء والى مقابله ويرجع احد المتقابلين أو

المتقابلات على غيره والمريد ينظر الى الشيء الذي يريد فيحرك القدرة الى فعله . يعني ان كلامنا الارادة والاختيار يفيد التخصيص والترجيح ولكن الفاعل للشيء يسمى مريدا له باعتبار القصد المجرد ويسمى مختارا باعتبار ملاحظة شيء آخر غير ما قصد الى فعله منه كان يمكن ان يكون بدلا منه لولا الترجيح والتخصيص

وأظهر من هذا ان يقال الاختيار عبارة عن كونه تعالى غير مكروه ولا مجبور على ما أراد وما يريد لانه ليس فوقه سلطان يلزمه بشيء ما فتكون ارادته تابعة لارادته وإرادته مستقلة بالتخصيص بحسب علمه . أما نحن البشر فاننا قد نعلم ان المصلحة في فعل كذا وان مقابله مفسدة ونحب أن نفعل ما هو المصلحة ولكننا قد نخصص ونرجح المفسدة باكره من هو اقوى منا سلطانا فلا تكون ارادتنا مستقلة بالتخصيص ولا نحن مختارين في العمل وقوله ان فهم الارادة والاختيار بهذا المعنى يستلزم الترجيح بلا مرجح مصادرة فان الارادة اذا لم تكن هي المرجحة لزم في الوجود الترجيح بلا مرجح لا اذا كانت هي المرجحة يلزم ذلك كما يقول

نعم ان ما يخصص بالارادة يكون على حسب الداعي وهو العلم والمعلم ليس يلزمما بالفعل (ونريد به ما يم الكف والترك) لانه عبارة عن انكشاف المعلوم فتوجه نفس الفاعل الى فعل بعض المعلومات دون بعض معنى آخر يسمى ارادة ومشيئة ومن اثبت الارادة المستقلة يكون مثبتا للاختيار . و ارادة العالم الفعل تكون عند الفعل حتما وقد تكون قبله بمعنى أن نفسه تكون متوجهة الى فعل كذا في زمن كذا من المستقبل ولذلك قالوا ان للارادة تطلقا قديما أزليا وتطلقا حادثا وما ذكره الدكتور صدقي في الهامش من كون الارادة ليس لها الاتعلق قديم غير صحيح لانه يلزم منه أن يكون تعالى غير مريد للشيء عند ايجاده بالفعل وهو بديهي البطلان على أنه هو قد صرح باستمرار الارادة الازلية والمراد منه ومن التعلق الحادث واحد لكن ما يتبادر الى الفهم من مجموع كلامه في هذا المقام يخالف لما هو مقرر في العقائد ومن يتأمل فيه يتشكك منه انه بما قرره من أزلية الارادة وعدم امكان شيء غير ما قصدت به في الازل حاول ان ينفي ما يبر عنه القدرية بقولهم « الامر آتف » (بضم الهمزة والتون) أي ان الله لم يقدر الامور ولم يعلمها ازلا وانما

يأتونها علما حال وقوعها . والقائلون بهذا هم غلاة القدرية المتقدمون ويقرب من عقيدتهم ما يفهمه كثير من العوام من معنى الاختيار قياسا على اختيارهم الذي يكون بعد تردد وبعد مخالفة لقصد سابق

ومن مقاصد القدرية في مذهبهم نفي الظلم عن الباري عز وجل وهو ما قصده الدكتور صدقي بنقيض مذهبهم ولكنه على موافقته لاهل السنة في الارادة الازلية من جهة قد خالفهم من جهة أخرى فجعل الارادة منافية للاختيار . وعلى موافقته لهم في نفي الاعتراض على الباري بالظلم خالفهم في طريق الاستدلال فوقع في شر مما هرب منه اذ جاء بما يوهم جواز وقوع الظلم الحقيقي مع الاعتذار عنه بكونه أزلية وكل ذلك لعدم تحرير العبارة فيما أظن

وجملة القول ان جميع الممكنات التي نعرفها وفي حكمها مثلها مما لم نعرفه من الموجودات صادرة عن الوجود الواجب الازلي أو قل عن واجب الوجود القديم ولما كانت مشتتة على النظام والاحكام دلت على أن لواجب الذي صدرت عنه قد أوجدها بعلم كامل و ارادة مستقلة وأنه مختار في ذلك لا مجبور ولا مكره . ولما كانت ارادته للاشياء عن علم محيط وجب أن تكون افعاله كلها موافقة للحكمة البالغة والنظام التام والعدل التام فلا يقع منه الظلم لا لأن ما نفهمه من معنى الظلم إن وقع منه تعالى لم يكن ظلما كما يقول الاشاعرة فان هذا غير صحيح كما بيناه في التفسير من هذا الجزء ولا لأنه أزلي و ارادته أزلية كما قال الدكتور صدقي فإنه تعالى منصف بالكمال في الازل وفيما لا يزال ، والظلم ينافي الكمال ، وهذا الذي ما قرناه هو ما كان عليه السلف الصالح في مسألة استحالة الظلم عليه تعالى . وما يظنه الجاهلون بالله وبسنة ظلال الخرافة لاهوائهم يسهل على العارفين بالله ان يبينوا لهم أنه ليس بظلم

وأما ما قاله في مسألة كون الانسان مجبورا غير مختار في افعاله فله فيها وجه فلسفي يقول به بعض فلاسفة الافرنج الآن وصبقهم اليه بعض أئمة المتكلمين والحكباء من المسلمين والفرزالي فيه أقوال من تبيل أقوال فلاسفة الافرنج من أوضحها وأبلغها بما كتبه في كتاب التوحيد والتوكل من الاحياء . وقد اشبهه

على أكثر عدائنا الفصل بين هذا النوع من الجبر وبين الجبر الذي يعترض به على أصل التكليف والفرق مثل الصبح ظاهر فمدار التكليف على ما يعلمه الانسان من نفسه علماً ضرورياً من أنه متمكن من فعل هذه التكليف وتركها وهذا التمكن يسمى اختياراً ويسميه الاشاعرة كسباً ولا ينبغي كون الانسان لا يعمل عملاً الا بعد العلم بأن فعله خير له من تركه وتكون هذا العلم منه الضروري وغير الضروري وان ما كان منه غير ضروري في بدياه يصير ضرورياً بعد الجزم به كما هو ظاهر أو كون هذا العمل فعلاً منعكاً بسرعة أو بطء . وربما عدنا الى الاسباب في ذلك يوماً هذا هو اعتقاد أهل الحق في هذه المسألة وما قبلها وأظن أن الدكتور محمد توفيق افندي صدقي لا يخالفه وان أوهمت عبارته الخلاف لعدم وضوحها

خطبة التدوين في الاسلام *

سأدني الكرام

حقاً أبي حري بالفخر، حقيق بتقديم واجب الشكر، على ان ننازلتم بقبولي هذه المرة خطيباً في ناديكم الجامع لنوايغ الامة ونخبة أهل الفضل والهم منها وانني أعترف بأن موقفي بينكم موقف صعب لا يجرأ على الوقوف فيه ضعيف مثلي ليس في مراتبكم السامية في العلم والاطلاع فأنس منكم لهذا السبب المعذرة اذا ظنتم لساني واضطرب جناني والكرام بعذر على كل حال

ولقد اخترت موضوعاً لبعثي هذه المرة أظنه لا يخلو من فائدة تاريخية مع ما أعتقد في نفسي من العجز عن اعطاء مثل هذا الموضوع أو البحث حقه من البيان والتدقيق لكن قاعدة « مالا يدرك كله لا يترك كله » ربما سمحت لي بعرض معلوماتي في هذا الشأن على مسامح سادتي الحاضرين مهما كانت قيمتها هينة في نظركم ونظر التاريخ

للموضوع - هو التدوين في الاسلام أو مبدأ الكتابة وتقييد العلم في الصحف

عند المسلمين

(*) خطبة ألقاها رفیق بك العظيم في نادي المدارس العليا بالقاهرة

ان الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على يده عن اذهان كثير منا لهذا المهدي هو تصدي بعض الباحثين لطريق الوهن والتجريح الى العلوم التي وصلت اليها من أسلافنا في الصدر الاول كالحديث وآداب اللغة العربية والتاريخ فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني والثالث وان الاخبار التي تلقى بالرواية مدة قرنين ثم نكتب بعد ذلك الامد الطويل فلما يوثق بسلامتها من التعريف والتبديل وذلك قياس لاخبار العرب على غيرها من أخبار الامم الاخرى التي لم تكتب صحيحة في حينها وانما كتبت بعد مرور زمن طويل أو تصير عليها مشوهة بأفة التبديل والتعريف فسقط اعتبارها على ظنهم في التاريخ وهذا الزعم بالنسبة اليها مردود من وجهين:

الوجه الاول: ما عرف عن العرب من اتقان الحفظ والرواية وكونهم مطبوعين على ذلك

الوجه الثاني ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام من أوائل القرن الاول أي من عهد صاحب الرسالة وأبي بكر الصديق وثبوت عناية العرب المسلمين بالكتب أو العلوم المدونة منذ ذلك القرن

أما الوجه الاول فيأبه ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الفطرة اذ المشاهد ان الانسان اذا فقد اداة من قواه العاقلة أو مشاعره قويت فيه اداة أخرى . فضعف الذمكرة يكون قوي التفكير بحكم الحاجة الى استحضار صور المعلومات التي تعيب عن حفظه . وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك والعرب لما كانوا أمة أمية قلبي العناية بالكتابة التي هي أداة من أدوات الحضارة استعاضوا عنها لاستبقاء أخبارهم وتداولها بقوة الحفظ فقرأوا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملكة لا يحتاج صاحبها الى تكلف عناية في حفظ ما يرد على سمعه من الاخبار والاشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف لذلك كانت أخبار العرب وأشعارهم التي وصلت اليها الى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرواية ثم قيدها هؤلاء بالكتب في العصر الاول وما بعده وكلكم تعلمون أيها السادة مبلغ قوة الحفظ عند العرب بما تقرأونه من أخبار

حماد الراوية الذي كان ينشد عدة قصائد على قافية واحدة لمدة شعراء وكذا
تقرأون أخبار غيره النبي من هذا القبيل وقد كان عبد الله بن عباس يحفظ القصيدة
الطويلة بجمعها مرة واحدة وها أنا ذا أورد لكم خبراً من أخباره في الحفظ يستدعي
اعجابكم بذلك الرجل الجليل الذي كان يشوعب ذهنه من شرائع الاسلام وأخبار
العرب وغيرهم ما لا تسوعبه مكتبة من المكتبات الضخام

روى هذا الخبر صاحب الاغانى بسنده قال بينا ابن عباس في المسجد الحرام
وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين
مصبوغين موردين أو محمرين حتى دخل وجلس فأنشده ابن عباس فأنشده قصيدة

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غدام رائح فبهجر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع ابن الازرق فقال الله يا ابن عباس إنا
نضرب إليك أكباد الابل من أقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتناقل
ويأتيك متوف من مقرني قر يش فينشدك

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيخزي واما بالمشي فيخسر

فقال له ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالمشي فيخسر

فقال ما أراك الا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل وان شئت أنشدك

القصيدة كلها : قال فاني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها

فانظروا الى هذا الذكاء العظيم الذي اخص به أولئك القوم حتى لقد بلغ من
ثقتهم بقوة الحفظ والرواية ان كانوا لا يثقون بخبر مكتوب الا اذا كان مصرفا
بالسند والرواية . ولما أخذ العلماء يتدوين الاخبار النبوية وأخبار الصحابة ثم نار يخ
الخطاء ذنوباً هذه الاخبار مدعومة بالرواية ولم يكتبوا بقيد ما في الصحف مجردة
عن الاسانيد خوف دخول التعريف عليها واطمئنانا للرواية المعروفة بالسند المستوفية
لشروط الصحة على الترتيب المعروف عند المحدثين الى الآن

وفي اعتقادي أن الذي ذهب بالباحثين الى الظن بعدم تدوين الاخبار الا

بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد
مادون قبل ذلك لتقدمه لحسن التنسيق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لاسيا
من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي
في الحضارة كما سننكلم عليه بعد

هذا بيان الوجه الأول وأما الوجه الثاني وهو ثبوت التدوين وكتابة الاخبار
في الاسلام في أوائل القرن الأول فالأدلة عليه كثيرة وتشتها في ثنايا الكتب
وتقاريق السطور لا يمنعنا أن نجتري، منها بالقليل المقنع الذي وسعنا حمة، ولأقدم
بين يدي ذلك مقدمة قصيرة فأقول

إذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على اطلاقه بل ربما أطلق
هذا الوصف على عرب البادية اطلاقاً أعم من اطلاقه على غيرهم من سكان المدن
وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة
وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومعهد كالتبابعة في اليمن والمناذرة
في العراق والحوارث في أطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا
الذين تنسب اليهم الزباء « زنوبيا » وزوجها أذينة (أوذينوس) ومنهم ملوك
غسان في جنوب سوريا وثارينجهم مشهور معروف

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية بالنسبة لحالة كل
عصر كانوا فيه وإنما غموض تاريخهم وطموح آثارهم أضاف تاريخهم الى التاريخ
انقديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلا مما وقف عليه الباحثون من آثار الكتائية
للعميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دهبهم على
البحث وتبع الآثار أكثر من ذلك

وحسبكم شاهدا على أن الأمية لا يجوز اطلاقها على كل العرب ما كان موجودا
من كتب أهل الحيرة الى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد
ابن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج أخبار العرب
وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أهار من ولي منهم لآل كسرى
وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

أما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البضّة أنها كانت موجودة ولو مع الندرة يدلك عليه كتابة المطقات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تعاقبت فيها قرش على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعاقروها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي وتارة بالخط الحبري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط العبري ومن عرف منهم بكتابة هذا الخط ورقة بن نوفل بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما جاء الاسلام كان النبي عليه السلام يحض على تعلم الكتابة وتعلم الفئات الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة وأبناء الصحابة وبها ضبط الوحي وحفظ القرآن فكانت كلما نزلت آية كتبها الكاتبون في الحال ومن هؤلاء الكتاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والملاء الحضرمي وحنظلة ابن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الأرقم الزهري وهؤلاء كتب الوحي والرسائل كتبوا للنبي عليه السلام وأما من عداهم من كتاب الصحابة فكثيرون منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم . ومن أبناء الصحابة عبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص (هو صحابي) وعبد الله بن الحارث بن هشام وغيرهم

إذا علمت مما تقدم أن الكتابة كانت شائعة على عهد النبي عليه السلام بين المهاجرين والانصار وإن أول ما كتب بها هو القرآن الكريم وكانوا يكتبونه على الرقاع والاضلاع وسعف النخل والحجارة الرقاق البيض ثم جمعه أبو بكر رضي الله عنه ودونه في الصحف على ما هو معروف مشهور

أما الحديث وفيه تاريخ الصدر الأول وهو الذي عليه مدار بحثنا الآن فإنه كان يكتب كذلك على عهد النبي عليه السلام على نحو ما كانوا يكتبون عليه القرآن وقد رخص لهم النبي بكتابه كما أمرهم بكتابة العلم مطلقاً . فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدا العلم بالكتاب » وروى بسنده عن عمرو

ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قالت يارسول الله أكتب كل ما أسمع منك؛ قال نعم . قالت في الرضى والفضب ؟ قال نعم « فإني لأقول في ذلك كله لاحقاً » وروى بسنده عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله فنخطب فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يارسول الله أكتبوا لي . فقال رسول الله « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة - وروى ابن عبد البر أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر بن حزم وغيره . وأخرج عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أ كثر مني حديثاً الا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب . وروى عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهني قريش وقالوا انك كتب كل شيء أسمعه ورسول الله يتكلم في الرضى والفضب ؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه الي فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق »

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب أكثر من اربعمائة حديث . وفي تنوير الحوالك على موطأ مالك وغيره من كتب الحديث أن عمر حاول مرارا أن يكتب السنن ثم عدل خوفاً من انكباب الناس على كتب السنن مع وجود كتاب الله

وأخرج ابن عبد البر عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وأخرج عن معمر قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحاف أنه بخط أبيه بيده

هذه الاخبار الصحيحة وما ماثلها تدلنا على أن الحديث كتب ان لم يكن كما نجله على عهد الرسول وأصحابه الكرام والحديث يشتمل أكثر تاريخ الخلفاء كما تعلمون . وكتب فن النحو الذي أملاه علي بن أبي طالب على أبي الاسود الدؤلي . وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص كتاباً في الاحداث وكتاباً فيما تضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها منه شفي بن مانع الأصبحي فقد نقل

المقريزي من رواية أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر عن حياة بن شريح قال : دخلت على الحسين بن شفي بن مانع وهو يقول فعل الله بفلان قتلته ماله فقال حمد الى كتابين كان شفي (يعني أباه) سمعا من عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكر الكتابين قال فأخذهما فرمى بهما بين الحوتة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر مما يلي القسطنطينية

وأما في عصر التباسين وتابعيهم فقد كانت العناية بكتابه الاخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عمرو عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتيبي بأهلي ومالي : وكانت وقفة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري من علماء المائة الأولى ومولده في سنة إحدى وخمسين ووفاته بعد المائة إذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فثقلته عن كل شيء كما ذكر ذلك ابن خلكان والزهري . هذا هو الذي كتب السنة في دفاتر أو كتب وزعت على الأمصار بأمر عمر بن عبد العزيز

ولم يأت القرن الثاني من الهجرة حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والادب فكان منها مكتبات لبعض الافراد ما أظنها توجد عند أحدنا الآن فقد ذكر ابن خلكان وغيره في ترجمة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المولود بين سنة خمس وستين وسبعين للهجرة والمتوفى في منتصف القرن الثاني أنه كان أعلم الناس بالقرآن والادب والعربية والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم إنه تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى علمه لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه

هؤلاء الاشخاص أيها السادة هم الذين ظفرت باسمائهم وكانوا ممن اقتنوا الكتب من منتصف القرن الاول الى منتصف القرن الثاني فما بالك بما لم أظفر بهم وعن لم يأت ذكرهم في التاريخ ولا جرم أنهم كثيرون جداً وربما لم يخل منهم مصر من الأمصار الاسلامية في ذلك العصر

ما هي هذه الكتب وما هي كتب عمرو التي احترقت سنة ثلاث وستين ؟

ألست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها؟ وهل احترقت كتب عمروة في اليوم الذي دونت فيه؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الاول أو على مدى هذا القرن. فاذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال للريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول؟ وهل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت معان من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكائين وتحريف الناسخين

لا جرم أن القوم الذين يوجد فيهم من ينصرف عن الملك الى علوم الطب والكيمياء التي ندر من (كان) يشتغل بها من الامم الراقية في ذلك العصر ووثاق في هذين العلمين حربون بتدوين اخبارهم والعناية بأدبهم. فقد ذكر المورخون في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي في سنة خمس وثمانين للهجرة أنه كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لها وله مسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار اليها وله فيها أرقام كثيرة مطولات ومقاطع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه. وكانوا يميون به على اشتغاله بهذه العلوم وتركه جبل الملك والخلافة على القارب حتى تمكن من سلبه منهم بنومسوان ومن المؤقتين في ذلك العصر أي العصر الاول غير خالد بن يزيد زيادة بن سمية الذي ألحقه معاوية في اولاد أبي سفيان فجعل الناس يطمنون عليه فألف كتابا في علم الانساب في مثالب العرب وطمع فيه في انسابهم فكفوا عنه كما ذكر ذلك ابن النديم

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفى أبو الصلت الكوفي قال ابن النديم مات سنة احدى وستين أو ستين وله من الكتب كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب الزهد وكتاب المناقب

ومنهم عبيد بن شربة الجرهمي وكان في زمن معاوية وأدرك النبي ووفد على معاوية من اليمن فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والمعجم وغير ذلك من

المسائل فأجابها عما سأله من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد أصحاب علي بن أبي طالب وله كتاب في الحديث ويوجد هذا الكتاب الى الآن في مكتبة السيد ناصر حسين الموسوي امام الشيعة في مدينة لكناؤ في الهند كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان الهندية في المذد السادس من سنة الرابعة وذكر غير ذلك عدة كتب لاصحاب علي موجودة عن الشيعة الامامية يضيئ المقام عن ذكرها

وأظن أن في هذا كله بياناً كافياً يقنع القاهين الى ان المسلمين لم يدونوا الحديث والعلوم الا في القرن الثاني للهجرة أو بعده وان رواية الاخبار والآثار التي التزمها المسلمون في كتبهم المكتوبة بعد القرن الثاني انما كانت شرطاً في صحة الاخبار التي نقلوها عن كتب قبلهم لوثوقهم برواية الرواة الكثيرين أكثر من وثوقهم بخبر لكتاب الواحد

اذ الخبر الذي يكتب في صحيفة ثم يترك لأيدي الفساح والمعرفين والساسين ليس في الصحة بمنزلة الخبر الذي يكتب ثم يناقشه الرواة قراءة ورواية بحيث يأخذ الواحد عن الآخر كما كتب بحرفه أو معناه الى ماشاء الله

وأظنكم ايها السادة تسلمون معي ان هذه الطريقة في النقل لا تعد ثلثة في تاريخ الاسلام يتطرق منها اليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقاً للاخبار بالفاحد الامانة والتمحيص لم تسبق اليه أمة من الامم غير المسلمين

بقي هنا اعتراض ربما يرد على ما تقدم من الكلام وهو قولهم : أين هي تلك الكتب التي دونت في القرن الاول الى منتصف القرن الثاني مع انه لم يصل اليها منها الا ما ذكرت من الكتب الموجودة عند الامامية وهي في الحديث وفيها روي عن علي من بعض الخطب والاخبار وان أقدم ما وصل اليها في التاريخ كتاب فتوح الشام لابن اسماعيل الأزدي البصري من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وأين هي كتب الزهري التي جمع فيها الحديث ووضعها عمر بن عبد العزيز على الامصار

فالجواب على هذا سهل وهو أن المسلمين كانوا يثقفون كتب الاخبار قراءة

ورواية كما تقدم يانه فلما استبحر المران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتياً وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لاصول كل فن أو فروعها أدجت تلك الروايات أو الصحف المشتتة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة مع محافظة المؤلفين على اسانيدها وفاء بحق الامانة وتصحيحاً للاخبار كما تزور ذلك في كل كتب الفنون التي اشتمل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني مدعومة بالرواية على طريقهم السابقة البيان كالتاريخ والحديث وآداب اللغة العربية ولما ائتمت الحاجة الى تلك الكتب القديمة قضت على اعيانها سنة بقاء الانسب بالدثور بضرورة الحال واما ما كتب فيها فهو هو بينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر فاذا دثرت تلك الصحف التي خطتها أنامل العرب في العصر الاول فان ما كان فيها لم يزل باقياً يشهد بصحة تاريخ الاسلام والسلام اه

(المنار) نشرنا هذه الخطبة النفيسة بنصها لفائدتها واجابة لاقتراح من اقترح علينا نشرها مع كتابة شيء في الموضوع استدرا كما أو انتقاداً . وقد اقترح علينا من قبل غير واحد بأن نكتب شيئاً في مسألة كتابة الحديث منهم الدكتور صديقي ومنهم الشيخ صالح اليافعي في حيدرآباد فانه أرسل إلينا رسالة مطولة في الرد على ما كتبه الدكتور صديقي في السنة الماضية بعنوان (الاسلام هو القرآن وحده) ولكن سقط منها ورقات طلبناها منه فأجابنا بأنه لا يوجد عنده أصل لما فقد واقترح علينا ان نكتب في الموضوع

أما الانتقاد على خطبة رفيق بك فلا أرى فيها شيئاً يهم انتقاده الا قوله بصحة الاخبار التي نقلها في تدوين الصحابة للحديث وستعلم ما فيه وأما الاستدراك فبابه الواسع حتى يمكن وضع مؤلف خاص في هذا الموضوع من فصوله كون تعلم الكتابة لاخراج العرب من حجر الأمية الغالبة عليهم الى بمبوححة العلم من مقاصد الاسلام ، وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (٢:٦٢ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحسنة) الآية فالكتابة مصدر كتب (كالكتابة) ولكن في المصدر الأول أكثر مصادر

«كتب» استعمالاً كما تروى في المأثور وهذا التفسير هو المختار الذي جرينا عليه وبيننا ترجيحاً في التفسير عن الاسناد لامام . ويدخل في ذلك ما ورد في تعليم الكتابة في الاخبار النبوية وآثار الصحابة وذلك كثير

ومن نصوله مسألة كون أهل البدو أحسن حفظاً من أهل الحضرة لاسيما العرب منهم وقد انتقد اليونانيون وأنكروا تعلم الكتابة لأول عهدا بحجة ان الناس يتكلمون على ما يكتب فيضمف حفظهم وذاكرتهم . ومنها بحث الاحتجاج بالكتب وشرط الوثوق بها عند المحدثين ولا بن الصلاح في ذلك كلام حسن

وقد كتب السيد عبد الحميد 'فندي الزهراوي' مقالة موضوعها الكتابة والتدوين والحفظ عند العرب نشرها في الجريدة (عدد ١٢٥ الصادر في ٢٤ جادى ٢) بن فيها ان من يجتهد في البادية اليوم وما لهم من قوة الحفظ وكثرة المحفوظ لضعفهم ووقائهم وخطبهم وأنسابهم لا يجب مما نقل في حفظ سلفهم . وذكروا من كتابتهم في الجاهلية المملقات وتخص أبطال الفرس كرسم واستشهد على كتابتهم المعاهدات والمهالفات بقول الحارث بن حلزة البشكري في معلقته :

واذكروا حلف ذي الجارود . اقام فيه اليهود والكفلاء

حذر الجور واتمدي وهل ينقض ما في المارق الا هو

فالمارق جمع مهرق وهي الصحائف وقيل المهرق ثوب حرير أبيض يستعمل الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . وذكر أيضاً قول هشام بن الكلبي كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن زبيدة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

وذكر من شواهد تدوينهم بعد الاسلام مسألة أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة السنن نقلاً عن ابن عبد البر وما جاء في اعلام الموقعين عن سفیان بن عيينة عن ادریس بن ادریس قال أتيت سعيد بن أبي بردة فسأته عن رسل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها الى أبي موسى الأشعري وكان أبو موسى قد أوصى الى ابن أبي بردة فأخرج اليه كتباً منها : قال كتب عمر الى أبي موسى الأشعري «أما بعد فإن

القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة الخ
 أقول لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين في القرن الأول وجعل
 ما كتبه مصنفًا مجموعًا خالد بن معدان الحمصي روي عنه أنه لقي ٧٠ صحابياً
 قال في تذكرة الحفاظ وقال بحبر: ما رأيت أحداً أزم للعلم منه وكان علمه في
 مصحف له أزرار وعري: والمراد بالمصنف المصحف المكتوبة المجموعة ولا
 يوجد في العربية لفظ كهذا يدل على هذا المعنى بالنص فإن لفظ «الكتاب»
 المستعمل للدلالة على المصحف المجموعة في نحو جلد يطلق على الورقة أو الصحيفة
 الواحدة ولذلك اتفقوا على تسمية القرآن المكتوب عند جمعه بالمصنف وكان قبل
 ذلك يسمى كتاباً ولا يسمى مصنفًا خالد بن معدان جمع علمه في مصنف واحد
 جعل له وقاية لها أزرار وعري تمسكها لئلا يقع شيء من تلك المصحف وكان ذلك
 في القرن الأول طبعاً فإنه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة

ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن
 شهاب الزهري القرشي ولعل سبب ذلك أخذ امرأه بني أمية عنه:

قال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والمصحف
 يكتب كل ما سمع: يعني من الحديث وغيره فقد روى أبو صالح عن الليث قال
 ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري يحدث في الترخيب فنقول لا يحسن إلا هذا
 وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن القرآن
 والسنة فكذلك: وقال عبد الرزاق سمعت معمرًا يقول كنا نرى أبا عبد الله
 عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فإذا الفقار قد حملت على الدواب من
 خزائنه يقول من علم الزهري . اهـ من تذكرة الحفاظ

وجاء في ترجمته فيها أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يعلي على بعض
 ولده شيئاً فأملى عليه أربع مئة حديث . . . ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال
 الزهري إن ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملأها عليه ثم قابل بالكتاب
 الأول فما غادر حرفاً واحداً . (قال) ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في
 ثمانين ليلة . وفي هذا دليل على أن كتابة الحديث كانت شائعة في عصره أي

أواخر القرن الأول وأوائل الثاني فقد ولد الزهري سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة ولا تنس ما كتبه آتفاً عن خالد بن معدان وقال الحافظ في ترجمة عمرو بن دينار انه كان يحدث علي المعنى ويقول لا أخرج علي من يكتب عني . وهو قد ولد سنة ست وأربعين ومن أراد تتبع تراجمهم في كتب المحدثين يجد من هذه المسائل شيئاً كثيراً وما رأينا أحداً وفي البحث في تدوين الصحابة والتابعين للحديث حقه مثل الحافظ أبي هريرة بن عبد البرواتنا نقل ما كتبه في ذلك برمه ثم نستدرك عليه مارواه غيره أو شايه على مارواه ثم نبين رأينا فيه . قال في جامع بيان العلم (نقلاً عن مختصره)

﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف ﴾

عن أبي سعيد الخدري (١) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليحبه ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر انساناً أن يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فحماه . وعن عبد الله بن يسار قال: سمعت علياً يخطب يقول: أغرم علي كل من عنده كتاب إلا رجم فحاه فأما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نصر (٢) قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فتحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب (٣) أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع

«١» هو سعيد بن مالك الصحابي الجليل ولأبيه صحبة وروى الكثيرات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التقريب «٢» هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوفي مات سنة ١٠٨ هـ من التقريب «٣» أمير المؤمنين والخليفة الثاني ملاً طباق الأرض وعنده رضي الله عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة ٥١ هـ من التقريب مع زيادة

كتاب الله . قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فأنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه . وعن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطلق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له . فقال : اني كنت أريد أن أكتب السنن وانني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبروا عليها وزكروا كتاب الله وانتي والله لا أشوب (وفي نسخة لا أنسي) كتاب الله بشيء أبداً : وعن ابن عباس أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه : وعن الشعبي (١) أن مروان دعا زيد بن ثابت وقوماً يكتبون وهو لا يدري فأعلموه فقال أندرون لعل كل شيء حدثكم به ليس كما حدثكم وعن ابن سيرين (٢) قال إنما ضلت بنو إسرائيل بكتب ورثوها عن آباؤهم

وعن الأسود بن هلال (٣) قال أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فحماها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقته ثم قال أذكر الله رجلاً يملأها عند أحد إلا أعلمني به والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغيره لا ينظر فيه . وعن ابن عباس أنه كان ينهي عن كتاب العلم وقال إنما ضل من قبلكم بالكتب

١١٥ هو أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن ابن عمر مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وإني لأعلم بها مني . وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة ١٠٤ هـ فجأة هـ من ابن خلكان ٢٣ هـ هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة ١١٠ هـ بالبصرة هـ من ابن خلكان ٣ هـ الحارثي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة ٨٤ هـ من التزيدي

وعن أبوب قال سمعت سعيد بن جبيرة (١) قال كنا نختلف في أشياء فنكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً فلو علم بها لكانت الفيصل بيني وبينه وعن عبد الرحمن بن الأُسود عن أبيه قال أصبت أنا وعائمة صحيفة فانطلق هي إلى ابن مسعود فيها وقد زالت الشمس أو كادت تزول فجلسنا بالباب ثم قل للجارية انظري من بالباب فقالت عائمة والأسود فقال إنني لما دخلنا فقال كأنك قد أطلتما الجلوس قلنا أجل قال فما منكما أن نمتأذنا قالا خشينا أن نكون نائمًا قال ما أحب أن نظننا في هذا إن هذه ساعة كنا تقيسها بصلاة الليل قلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قل هاتها، يا جارية هاتي الطست واسكبي فيه ماءً فجميل بمحوها بيده ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) قلنا انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجميل بمحوها ويقول إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالفراغ ولا تشغلوها بغيره قال أبو عبيد (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذا كره عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لعلمة الكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى أريد أن أحفظها ثم أحرقتها وعن القاسم أنه كان لا يكتب الحديث وعن ابن شبرمة (٢) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت سواداً في بياض قط ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين. وعن إسحاق بن اسماعيل الطالقاني (٣) قال قلت لجريري يعني ابن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المعتز يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومنيرة والاعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الأوزاعي يقول كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه

«١» الأُسدي بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ للهجرة بواسطة ه من ابن خلكان
«٢» هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي ثقة فتيه مات سنة ١٤٤ ه من التقريب «٣» زيل بغداد يعرف باليقيم ثقة تكلم في معاصره من جريرو وحده مات سنة ٢٢ ه من التقريب

قلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله وعن الفضيل بن عمرو (١) قال قلت لأبراهيم إني آتيتك وقد جمعت المسائل فإذا رأيتك كأنما تخنس مني وأنت تكره الكتاب قال لا عليك فإنه قلما طلب انسان علماً إلا آتاه الله منه ما يكفيه وقلما كتب رجل كتاباً إلا انكسر عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به وثلاً يتشكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كما قال الخليل (٢)

﴿ ليس يعلم ما حوى القمطر * ما العلم الا ما حواه الصدر ﴾
وأنشدني بعض شيوخى لمحمد بن بشير باسناد لا أحفظه

﴿ أما لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذلك ما أجمع ﴾
﴿ ولم أستفد غير ما قد جمعت لقليل هو العالم المقنع ﴾
﴿ ولكن نفسي إلى كل فن من العلم تسمع ثمزع ﴾
﴿ فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع ﴾
﴿ ومن بك في علمه هكذا * يكن دهره القهقري يرجع ﴾
﴿ اذا لم تكن حافظاً واعياً * فجهمك للكتب لا ينفع ﴾
﴿ أحضر بالجهل في مجلسي * وعلمي في الكتب مستودع ﴾

وقال أبو العتاهية (٣)

«١» الفقيه أبو النضر الكوفي ثقة مات سنة عشر ومائة ٥٥٥ هـ من التقريب «٢» ابن أحمد الأزدي الهمداني كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الأصبغاني في حقه في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث البصحيح . وبسبب فان دولة الاسلام لم تخرج أبداع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ هـ من ابن خلكان

(٣) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم الهنزي بالولاء الشاعر المشهور والمتوفى ببغداد سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المختصر هـ من ابن خلكان كذا في هامش الكتاب

(من منيع الحفظ وعي * من ضيع العلم وهم)
وقال أعرابي حرف في تامورك خير من عشر في كتبك (وقال أبو عمر) التامور
عانة القلب وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد

(استودع العلم قرطاساً فضيحه * وبش مستودع العلم القراطيس)
قال يونس قاتله الله ما أشد صيانه للعلم وصيانه للحفظ ان علمك من روحك وان
مالك من بدنك فمن علمك صيانتك وروحك رصن مالك صيانتك بدنك
(قال أبو عمر) من ذكرنا قوله في هذا الباب فانه اذهب في ذلك مذهب العرب
لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن
عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا
قد طبخوا على الحفظ فكان أحدهم يجترى بالسمعة ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب
أنه كان يقول اني لأمر بالبيع فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا
فوالله ما دخل آذني شيء قط فنسيت وجاء عن الشعبي نحوه وهو لاء كاهم عرب
وقال صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمية لانكذب ولا نحسب » وهذا مشهور ان العرب
قد خصت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أرقام بعض في سمعة واحدة وقد جاء عن
ابن عباس انه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم أنت غاد فيكر) في سمعة
واحدة فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا لولا الكتاب لضاع كثير من العلم
وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخص فيه جماعة من
العلماء وحمدوا ذلك ونحن ذا كروه بعد هذا بعون الله إن شاء الله وقد دخل على
ابراهيم النخعي (١) شيء في حفظه تركه الكتاب وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف
الحديث فقلت له إن سالم بن الجعد يتم الحديث قال إن سالما كتب وأنا لم أكتب
(قال أبو عمر) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب

﴿ باب الرخصة في كتاب العلم ﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كر

(١) أحد الأئمة المشهورين تابعي جليل ونسبته الى النخع قبيلة من مذحج

الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له أبوشاة فقال
 يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتبوا لأبي شاة » يعني
 الخطبة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اكتب كل
 ما أسمع منك قال « نعم » قلت في الرضى والنضب قل « نعم فإنني لا أقول في ذلك كلمة
 الا حقا » وعن م هام بن منبه (.) أنه سمع أباهريرة يقول لم يكن أحد من اصحاب محمد
 أكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب وعن عبد الله بن عمرو
 قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه
 فنهتني قريش وقالوا أنكئب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 يتكلم في الرضا والنضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأومى بأصبعه إلى فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه
 الا حق » وعن مطرف بن طريف (٢) قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال
 قلت له لي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى
 القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فها في كتابه
 وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكك الاسير وأن لا يقتل
 مسلم بكافر: وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجهان أحدهما تحريم
 المدينة ولعن من انتسب الى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه « المسلمون متكافأ
 دماؤهم » الحديث رواه عن علي يزيد التميمي وحلاص وكتب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لمعرو بن حزم وغيره وعن
 أبي جعفر بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة
 مكتوب فيها « ملعون من أضل أمي عن سبيل ملعون من سرق تخوم الأرض
 ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم الله به » وعن عبد الله
 ابن عمرو قال ما يرغبني في الحياة الا خصلتان الصادقة والوهط (٣) فأما الصادقة

(١) بن كامل الصنعائي أخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ هـ تقريب (٢) ثقة

فاضل مات سنة ١٤١ وقيل به - دها هـ تقريب التهذيب لابن حجر (٣) لو هط
 المكان المطمئن من الأرض وقيل موضع وقيل قرية بالطائف هـ لسان العرب

نصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو ابن العاص كان يقوم عليها . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدا والعلم بالكتاب » وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول « قيدا والعلم بالكتاب » وعن من قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده وعن أبي كبران قال سمعت الضحاك يقول إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في حائط : وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن أبي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان وعن أبي النبيع قال يعيون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى (٥٢:٢٠) علمها عند ربي في كتاب) وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قالت يا رسول الله أأقيد العلم قال « قيدا والعلم » قال عطاء قلت وما تقيد العلم قال الكتاب . وعن عبد العزيز بن محمد الداودي (١) قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتجج اليه علمت أنه أعلم الناس . وعن سوار بن حيان قال سمعت معاوية ابن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما . وعن محمد بن علي قال سمعت خالد ابن خديش البغدادي (٢) قال ودعت مالك بن أنس فقالت يا أبا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله وعن الحسن أنه كان لا يري بكتاب العلم بأسا وقد كان أملي التفسير فكتب وعن الأعمش قال قال الحسن ان ااكتبا تتعاهدا . وقال الخليل بن أحمد اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك لثمنقة . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة (٣) وكان يقول وددت لو أن عندي كتي بأهلي ومالي . وعن سليمان ابن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل

١٥ صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ تقريبا

٢٥ أبو الهيثم الهلبي مولاهم البصري صدوق بخطه مات سنة ٢٢٤ هـ تقريبا

٣٥ الحرة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحرة أيام يزيد هـ قاموس

ورجل لا يكتب (١) ويسمى ذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتقي وهو خيرهم وهذا هو العالم . وعن اسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا . قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال أحمد سواء . وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت سفیان الثوري يقول اني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث رجل أكتبه أريد أن أخذه ديناً وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعاب به . وقال الأوزاعي تعلم مالا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به وعن سعد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفراً دفراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفراً . وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الفلظ . وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هو لاء الامراء فرأينا أن لا نمنه أحداً من المسلمين . وذكر المبرد قال قال الخليل بن أحمد ما سمعت شيئاً الا كتبه ولا كتبه الا حفظته ولا حفظته إلا نعتي ، اه كلام ابن عبد البر

استدراك علي ابن عبد البر

في الاذن بكتابة العلم والمنع منها ومن خرج أحاديثه

روى ابن النجار في تاريخه من حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلم وإنما ذهاب العلم بموت العلماء » والحديث لا يصح وهو عام في كل علم وروى الديلمي من حديث علي « اكتبوا هذا العلم فانكم تنفعون به إمامي

« المنار: كذا في الأصل والظاهر أن (لا) زائدة ليكون من الشواهد على الكتابة . وحاطب ليل مثل يضرب لمن لا يميز فيما يسمه أو يأخذه بن غث وسمين وتافع وضار كن يحنط ليلاً فيأخذ الأفي والحجر فيما يجمعه يظنها حطبا . والذي ينتقي هو الذي يحص ما يسمع فيميز بين الصدق والكذب والمقول وغير المقول

دنياكم واما في آخرتكم وان العلم لا يضع صاحبه « وفي سنده محمد بن علي بن الاشعث كذبوه فالحديث موضوع

وروى الحاكم وابو نعيم وابن عساکر من حديث علي « اذا كتبتهم الحديث عني فاكتبوه باسناده فان يك حقا كنتم شركاء في الاجر وان يك باطلا كان وزره عليه « وهو ينادي على نفسه بالوضع وان واضعه جاهل بالمرية الصحيحة به النصيحة فان الاسناد من اصطلاح المحدثين والكتابة عنه صلى الله عليه وسلم تنافي الاسناد

وروي ابن عساکر في تاريخه من حديث أبي بكر « من كتب عني ما أو حديثاً لم يزل يكتب له الاجر ما بقي ذلك العلم والحديث « وهو ضعيف وفيه عطف الحديث على العلم وذلك يقتضي المناورة بينهما ولو بالعموم والخصوص وروى الحكيم الترمذي والطبراني وسمويه والخطيب في تقييد العلم عن رافع ابن خديج قال قلت يا رسول الله انا نسمع منك اشياء فنكتبها قال « اكتبوا ولا حرج « وهو حديث ضعيف كما علم من ايراد السيوطي له في الجامع الكبير وروى الحكيم الترمذي وسمويه من حديث أنس « قيدوا العلم بالكتاب « وهو ضعيف ايضاً . أما سنده عند ابن عبد البر ففيه عبد الحميد بن سليمان بن عبد الله بن المنفي وقد أورده الذهبي في الميزان وقال عبد الحميد وأخوه فليح ضعيفان . وذكروا قبل ذلك تضعيف غير واحد لعبد الحميد . والحديث مروى عن عبد الله ابن عمرو كما تقدم عن ابن عبد البر

ومن الآثار ما رواه ابن عساکر عن الحسن بن جابر قال سألت أبا امامة عن كتاب العلم فلم يبر به بأساً . وهو عام في كل علم وسنده ضعيف . وروى الحاكم والدارمي عن عمر أنه قال « قيدوا العلم بالكتاب « وهو عام وأما رأيي في الحديث خاصة أو السنن وهي أهم من الاحاديث فقد تقدم فيما رواه عنه ابن عبد البر انه ما كان يرى ذلك وروى عنه ابن سعد مثل هذا أيضا

ومن الاستدراك عليه في النهي عن كتابة الحديث خاصة ما جاء في
كتر العمال نقلا عن الجامع الكبير للسيوطي وهو :

« قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في مسند الصديق قال الحاكم أبو عبد
الله النيسابوري حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو حدثنا موسى بن حماد ثنا الفضل بن
غسان ثنا علي بن صالح حدثنا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن ابراهيم
ابن عمرو بن عبيد الله التيمي حدثنا القاسم بن محمد قال قالت عائشة جهم أبي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا
قالت نفسي فقلت تتقلب اشكوى أو لشيء بأمك فلما أصبح قال «أي بنية هلي
الاحاديث التي عندك فجمته بها فدعا بنار فأحرقها وقال خشيت أن أموت وهي
عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون
قد تقلدت ذلك » وقد رواه القاضي أبو أمية الاحوص بن المفضل بن غسان الفلابي
عن أبيه عن علي بن صالح عن أبي موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي
طالب وعن ابراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد أو ابنه عبد
الرحمن بن القاسم - شك - موسى فيهما قال قالت عائشة قد كره وزاد به بقوله: فأكون
قد تقلدت ذلك: » ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال لو كان قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما غيبي على أبي بكر إني حدثتكم الحديث ولا أدري لعلني لم أسمعه
حرفا حرفا » قال ابن كثير هذا غريب من هذا الوجه جدا وعلي بن صالح لا يعرف
والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا المقدار بألوف وعلقه
إنما انتقى له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر

(قال السيوطي) « قلت ولعله جمع ما قاته نياحه من النبي صلى الله عليه وسلم
وحدثه به عند بعض الصحابة كحديث الجدة ونحوه والظاهر أن ذلك لا يزيد على
هذا المقدار لأنه كان احفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم
كحديث ما دفن نبي الاحب يقبض ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكره
تقلده ذلك وذلك صريح في كلامه

حجج التماثل والترجيح بين روايات المنع وروايات الرخصة

الأحاديث في باب الرخصة بكتابة الحديث أو العلم مروية عن نفر من الصحابة
(١) حديث أبي هريرة « اكتبوا لأبي شاه » وهو في الصحيحين وموضوعه خاص
وروى عنه البخاري قوله إن عبد الله بن عمرو كان يكتب وانه هو لم يكن يكتب .
وله حديث عند الترمذي أن النبي (ص) أذن لرجل مني الحفظ بأن يستعين يمينه

(٢) حديث أنس « قيدوا العلم بالكتاب » تقدم أنه ضعيف

(٣) حديث أبي بكر « من كتب عني علما أو حديثا » تقدم أنه ضعيف أيضا

(٤) حديث رافع ابن خديج « اكتبوا ولا حرج » تقدم أنه ضعيف أيضا

(٥) حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء » ضعيف أيضا كما

تقدم بل يشم منه رائحة الوضع

(٦) حديث علي في الصحيفة وهو صحيح رواه أحمد والبخاري والثلاثة

وموضوعها خاص ومنسوب الى الوحي . وحديثه « اذا كتبت عني الحديث » الخ
تقدم ما فيه وكذلك حديثه « اكتبوا هذا العلم » الخ

(٧) كتاب الصدقات والديات والفرائض لعمر بن حزم رواه أبو داود

والنعماني وابن حبان والدارمي وموضوعه خاص . وإنما كتب له ذلك ليحكم به
اذ ولي عمل نجران

(٨) حديث عبد الله بن عمرو هو أكثر ما ورد في الباب وقد جاء بألفاظ مختلفة من

طريقين فيما أعلم الآن عند أحمد وأبي داود والحاكم فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده أي عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده . وهذا الطريق فيه مقال مشهور

للمحدثين لم يمنع بعض المتأخرين من الاحتجاج به وهو تساهل منهم . وأما المتقدمون
فقد قال في الميزان قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث إذا شاؤوا

احتجوا بعمر بن شعيب عن أبيه عن جده وإذا شاؤوا تركوه : يعني أنه رددهم في
شأنه . وقال عبد الملك الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول : عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده له أشياء منا كبر وإنما نكتب حديثه لنعبر به فأما أن يكون
حجة فلا : وقال أبو عبيد الآجري قيل لأبي داود : عن عمرو بن شعيب عن

أبيه عن جده حجة؛ قال لا ولا نصف حجة . وقال ابن أبي شيبة سألت ابن
الديلمي عن عمرو بن شعيب فقال ما روى عنه أيوب وابن جريج فذلك كله صحيح
وما روى عمرو عن أبيه عن جده فأما هو كتاب وجده فهو ضعيف؛ فهذا قد
ضمنه لأنه اعتمد على ما رآه مكتوباً وهو لم يروه رواية

والطريق الثاني عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عن بلظ
« قيدا العلم » وعبد الله بن المؤمل قال أحد أحاديثه منا كبير وقال النسائي
والدارقطني ضعيف. ولا حاجة إلى مراجعة طريق ابن عساكر فقد جزم السيوطي بضعفها
أما ما رواه عنه ابن عبد البر من قوله « ما برغبني في الحياة الاخصائين » الخ
ففي سنده ليث عن مجاهد . وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعفه يحيى والنسائي
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال ما رأيت يحيى بن سعيد أمراً
رأيت في أحد من في ليث ومحمد بن اسحق وهمام لا يستطيع أحد أن يراجعهم فيهم .
ذكره في الميزان وذكروا أنه اختلط في آخر عمره

وأما ما ورد في النعم فأقواه حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عن كتاب
العلم لابن عبد البر « لا تكتبوا عني شيئاً الا القرآن فمن كتب عني غير القرآن
فليحبه » وهو في صحيح مسلم ومسنده الامام أحمد وهو أصح ما ورد في باب
الزهي عن كتابة الحديث والسنة . ولا يمارضه حديث « اكتبوا لابي شاه »
ومافي معناه من الأمر على تقدير صحته ولا يقوم حجة على من يقول إن النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة حديثه لأنه لا يريد أن يكون ديناً عاماً
دائماً كالقرآن

ولذلك وجوه (أحدها) أن ما أمر بكتابه لابي شاه - وهو خطبته ثاني
يوم فنج مكة - محتمل أن يكون خاصاً . (ثانيها) أنه كان ما قال فيه « فليبلغ
الشاهد الغائب » كخطبته يوم حجة الوداع . فلما طلب أبو شاه أن يكتب له
ما قاله فهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا ييسر له هذا البلغ الا اذا كتبه
وله كان سيء الحفظ فأمر أن يكتب له كما طلب (ثالثها) أن حديثه
عن الكتابة مقيد بابقاء المكتوب وفيه الرخصة التي هي

بحوه . ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عبد البر عن زيد بن ثابت وابن مسعود وعلي في نحو المكتوب وما رواه من قول مالك « فمن كتب منهم الشيء فأما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه .

وهذا الوجه يصلح جواباً عن حديث الأذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة ويؤيده قول عبد الله : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريد حفظه » فصرح بأنه كان يكتب ليحفظ . وقد علمت ما قال أئمة الحديث في رواية حفيده عن النسخة المكتوبة . ويصلح أيضاً جواباً عن صحيفة علي وكتاب عمرو بن حزم

ولو فرضنا أن بين أحاديث النهي عن الكتابة والأذن بها تمارضاً يصح أن يكون به أحدها ناسخاً للآخر لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر بأمرين أحدهما استدلال من روي عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ولو دونوا ونشروا لتواتر ما دونوه

فهزيمة علي من عنده كتاب أن يحوه - وقول أبي سعيد الخدري « تريدون أن تملوها مصاحف ؟ » وقول عمر بن الخطاب عند الفكر في كتابة الأحاديث أو بعد الكتابة « لا كتاب مع كتاب الله » في الرواية الأولى - وقوله في الرواية الثانية بعد الاستشارة في كتابتها « والله اني لأشوب كتاب الله شيء أبداً » - وقول ابن عباس « كنا نكتب العلم ولا نكتبه » أي لا نأذن لأحد أن يكتبه عنا - ونهيه في الرواية الأخرى عن الكتابة وقوله الذي تقدم في ذلك - ومحو زيد بن ثابت للصحيفة ثم احراقها وتذكيره بالله من يعلم أنه يوجد صحيفة أخرى في موضع آخر ولو بعيد أن يخبره بها ليسمى إليها ويحرقها وقوله الذي تقدم في ذلك - وقول سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه لو كان يعلم بأنه يكتب عنه لكان ذلك فاصلاً بينهما - ومحو عبد الله بن مسعود للصحيفة التي جاءه بها عبد الرحمن بن الأسود وعلمته وقوله عند ذلك « ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره » - كل هذا الذي أورده ابن عبد البر وأمثاله مما رواه غيره كاحراق أبي بكر لما

كتبه وعدم وصول شيء من صحف الصحابة إلى التابعين وكون التابعين لم يدوروا الحديث
 لنشره إلا بأمر الأمر أي ما ورد من أنهم كانوا يكتبون الشيء لاجل حفظه ثم يحون به
 وإذا أضفت إلى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم
 عنه بل في نهيمهم عنه قوي عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث
 ديناً عاماً دائماً كالقرآن . ولو كانوا فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد
 ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة ولجمع الراشدين ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه
 إلى عالم ليفروه ويعملوا به ولم يكتبوا بالقرآن والسنة المتبعة المروقة للجمهور بجرمان
 العمل بها . وبهذا يسقط قول من قال إن الصحابة كانوا يكتبون في نشر الحديث بالرواية
 وإذا أضفت إلى ذلك كله حكم عمر بن الخطاب على أعين الصحابة بما
 يخالف بعض تلك الأحاديث ثم ما جرى عليه علماء الأمصار في القرن الأول
 والثاني من اكتفاء الواحد منهم كابي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وانقل
 وعلم تعنيه في جمع غيره إليه ليفهم دينه وبين أحكامه قوي عندك ذلك الترجيح
 بل تجمد الفقهاء - بعد اتفاقهم على جعل الأحاديث أصلاً من أصول الأحكام
 الشرعية وبعد تدوين الحفاظ لها في الدواوين وبيان ما يحتاج به وما لا يحتاج به -
 لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به فهذه كتب الفقه في المذاهب
 المتبعة لاسيما كتب الحنفية فالملكية فالشافعية فيها مئات من المسائل المخالفة
 للأحاديث المتفق على صحتها ولا يعد أحد منهم مخالفاً لأصول الدين
 وقد أورد ابن القيم في اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء
 للأحاديث الصحيحة عملاً بالقياس أو غير ذلك ومن أعربها أخذهم ببعض الحديث
 الواحد دون باقيه . وقد أورد لهذا أكثر من ستين شاهداً (فلتراجع في ج ١٤
 و١٥ و١٦ من مجلد المنار السادس) . وسنورد في الجزء الآتي شيئاً مما ورد في نهيم
 الصحابة عن الرواية وفي عملهم بالحديث كيف كان ، فقد أطلنا الآن ،

(تصحيح غلط مهم في ص ٧٥٢) ففي س ٢١ الواسع وصوابه « واسع »

وفي س ٢٤ يتلوا عليهم : وصوابه « يتلوا عليهم » وفي الكتابة وصوابه « الكتاب »

وفي أول س ٢٥ فالكتابة وصوابه « فالكتاب » وفيه : أكثر : وصوابه « كان أكثر »

إصلاح الأزهر

يرى أصحاب العقول الكبيرة من مصالح الأُم ما لا يراه غيرهم من العقلاء
 إلا بعد زمن طويل من دعوتهم إليه فقد رأى الاستاذ الامام في أواخر مدة
 طلبه للعلم من حاجة الأزهر الى الإصلاح ما لم يكن يراه غيره من قومه وكان
 يدعو الى ذلك في كل وقت بما تقتضيه حاله حتى كان في أول ولاية العباس ما كان
 من سعيه لديه في الإصلاح المعروف وكان من قواعد الإصلاح المتبعة عند الاستاذ
 الامام ان يكون اصلاح الأزهر بشيوخه وان لا يكون للحكومة سلطان عليه في ذلك
 حتى قال لي غير مرة : اني مادم في الأزهر لا أدع سيلا لتداخل الحكومة فيه
 وكان للأمر رأي في الأزهر ذكره في خطابه الذي ألقاه على العلماء يوم خلع
 على الشيخ عبد الرحمن الشريفي خاتمة مشيخة الجامع وهو ان يبقى على حاله وان
 لا يكون للحكومة شأن فيه الا حفظ النظام وتسييس عن تربيته وتعليمه لقضاء
 الشرع بإنشاء مدرسة خاصة بتخرجون فيها

وبعد ان أنشئت مدرسة القضاء الشرعي على أحسن وضع ممكن بدا للأمر
 في إصلاح الأزهر فأمر بتأليف لجنة رئيسها نظير الحفانية ومن أعضائها مدير
 الاوقاف ورئيس الديون الخديوي للنظر في طرق الإصلاح ووضع تقرير فيه .
 وقد بلغنا ان هذه اللجنة تستمد من تقرير ملخص من تقريرين للاستاذ الامام
 رحمه الله تعالى قدم أحدهما الى الامية وموضوعه إصلاح التعليم في الأزهر والآخر الى
 ديوان الاوقاف وموضوعه زيادة المرتبات الشهرية للعلماء على طريقة تساعد الإصلاح
 وقد شاع أن أساس الإصلاح الجديد هو أن يكون للأزهر مجلس أعلى فوق
 مجلس ادارته من أعضائه رئيس الديوان الخديوي ومدير الأوقاف وعضو من
 أعضاء مجلس شورى القوانين وعضوان من المشتغلين بالتعليم في المعارف . وباقي
 أعضائه شيخ الأزهر وهو الرئيس والمفتي وأحد أعضاء مجلس ادارته وأحد مشايخ
 الأروقة فيه وهذان يختارهما الأمير . ومن الإصلاح الجديد أن يكون لشيخ الأزهر
 وكل من حقوقه أن يقوم مقام شيخ الأزهر عند غيبته في كل شيء . وقد اضطرب شيوخ
 الأزهر لهذا النبأ وطفقوا يكتبون عرائض الشكوى وربما استقال شيخ الجامع .

الأحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس وتبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولاً وما زالت الجرائد الآن تكاثره نقول ان في مصر حزبا وطنيا سياسيا حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد لهذا العهد إذ كان كل متحمس بذلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتقاعس عن مشاركة ذويها يزن بالميل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني، ويظن بعض المفكرين ان للانكبايز غرضاً في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعماً اليه

ومن الناس من يقول أن تسمية أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزبا خطأ عربي أو لقوي إذ يفهم منه ان في البلاد حزبا آخر وأحزابا أخرى يناظر ويمارض بعضها بعضاً ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وإنما كان السواد الأعظم مشبوطاً بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المحتلين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيب أو ضار لما أقامهم النظر في المواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يمارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكشف صديقه من الآخرين برأيه، والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ «حزب» لئلا فان الحزب كما في الماچم جماعة الناس والصنف والطائفة منهم وقال الراغب: الحزب جماعة فيها غلظ: وفي لسان العرب «وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه» ثم قال « وكل قوم نشاكت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضاً » فانت ترى أن تسمية أولئك القوم حزبا وجهاً في اللغة وجيباً ولكن للأحزاب في أوربا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المتشاكين في القلوب - أي الشعور بالحاجة الى مصلحة عامة - وفي الأعمال لهذه المصلحة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر الا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر
وحزب الاصلاح الدستوري والحزب الوطني وسمنا أيضا نفمة حزب آخر سمي
الحزب الجمهوري . ولذلك سمي هذا العام بعام الاحزاب وقال الشيخ عبدالمحسن
في قصيدة يذكر فيها مرضه وشيئا من العبارة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاسقام ما برحت تنتاب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعمائها واحد المتصد منه
خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف بينها في الألفاظ والأشخاص فقط .
والصواب أن لكل حزب منها قلبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه الموثوق به عند
المؤسسين المتعارفين المستعدين لمشرب الحزب الا حزب الأمة فان رئيسه ليس هو
المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإنما هو منتخب انتخابا حقيقيا لرئاسة شركة
الجرادة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطعم سائر
الأحزاب في سقوط هذا الحزب لأن الشرق لم يثور الأعمال المشتركة وإنما اقوام أموره
بالأفراد ولأن أفراده ليسوا منقنين على مقاصده ولا متعاضدين فيه بل منهم من
يربص به للدوائر ويساعد غيره عليه ولأنه ليس له سلطة بأوي اليها ويمتد على مساعدتها
وإمدادها والسلطة في هذه البلاد سلطان سلطة الأمير الرسمية في الأحكام الحقيقية في
فوق الجمهور ميلا وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال . وهذا الحزب يريد
أن يكون وسطا بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكيز كما أشيع
ولا مع الأمير فيما يجب الأمير في السياسة وإن كان مخلصا كغيره للخديوية نفسها .
هذا هو مبدأ العاملين فيه الآن فهو لا سند له الا من ذاته فاذا نجح كما نحب ذلك
من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية واذا هو سقط فسقوطه برهان على أن
الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي اليه والمدافع عنه
بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معبته) وهو كاتب
محمد بالفرنسية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وإنما يكتب عنه محمد
وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كإبر وغيره ولم

يدخل فيه أحد من أكابر البلاد، وافراده أقل من أفراد سائر الأحزاب وهو يمتاز بكثرة الحث على مسألة المحتلين وإثناء على ما يستحسن من أعمالهم في البلاد فهو جبراه هذه الكلمة « سلامة مصر بين في مسألة المحتلين » فهو لا يخالف غيره من الأحزاب الا في هذا وهو خلاف قولي اذ لا يقول حزب من الأحزاب بوجوب مقاومة المحتلين ومعاداتهم بالعمل وإنما قصاراهم أن يبالغوا في انتقاد ما يرونه منتقدا من أعمالهم ويكبروه ويسكتوا عن الثناء على ما يرونه حسنا نافعا أو يصغروه . فذاك يمدح ولا يذم ولا ينتقد وهم يذمون وينتقدون وتلما يمدحون ولا خلاف في سائر المطالب الأساسية بل في وقتها وطريق طلبها

وأما حزب الإصلاح الدستوري فهو سسه الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وهو رئيسه وقد اختار له من الأعضاء من يفهم الرأي وترشدهم الروية وثبتهم الركن الركين الذي يأرون اليه قفاونه أوضح قوانين الأحزاب ورجاله أدهى رجالهم والشيخ على نفسه أبعد المثقلين بالسياسة المصرية غورا وأشد هم حزما وأحدقهم في الدخول في الأمر والخروج منه . والفرق الحقيقي بين هذا الحزب وغيره من الأحزاب التي تشارك في الخدمة العامة للأمة انه مؤيد لسياسة الأمير لا يتحول عنها في حال من الأحوال يتهم اذا اتهمت وينجد اذا أنجحت ويوالي من والت ويمادي من عادت فهو حزب طبيعي متين والرجاء في ثباته وبقائه أقوى من الرجاء في سائر الأحزاب بحسب ما عليه مصر من الحالة الاجتماعية والسياسة الآن ولا دليل على تغيرها في زمن قريب

وما صرح به هذا الحزب في قانونه من كون طلب المجلس النيابي أصلا من أصوله لا ينافي تأييده لسياسة الأمير صاحب الحكم الشخصي فإن طلب المجلس النيابي مرضي للأمير أيده الله بتوفيقه كما علم من حديثه المشهور مع كاتب جريدة الطان الفرنسية بل لا يبعد أن يكون هو أول من فكر بوجوب طلب الأمة له كما يقول بعض المتقلاء وأما الحزب الوطني فهو سسه الآن مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء وهو رئيسه وهو جزء من الحزب الوطني الذي كان موجودا بالقوة أو بالفعل من قبل على ما بيناه في صدر هذا المقال والقسم الآخر من ذلك الحزب هو حزب الإصلاح

الديستوري . والفرق بين هذين الحزبين على ما أرى - وهو رأي يوافقني عليه كثير من العقلاء - هو أن حزب الإصلاح الدستوري يجمعه الرأي وبه يعمل والحزب الوطني يجمعه الاحساس والشعور وبه يعمل وأن شخص صاحب جريدة المؤيد ليس ركناً من أركان الحزب الأول - وإن كان قطبه وأقدر العاملين فيه - ولكن شخص صاحب جريدة اللواء ركن من أركان الحزب الآخر مقصود بالذات منه ولذلك انفقوا على أن يكون رئيس الحزب مادام حياً بلا شرط ولا قيد . ويظهر لنا أن المعجبين بالحزب الوطني أكثر عدداً من المعجبين بغيره من الأحزاب . لأن منهم فيما يقال أكثر تلاميذ المدارس والمحاضرين في السياسة من العامة وذلك معقول لأن هؤلاء هم الذين يتبعون داعي الشعور ويخضعون لسلطان الوجدان ويحبون اللواء أكثر من عداهم . وقد سلكت جريدة اللواء طريقة تحريك الوجدان وتهييج الشعور الوطني بعناية عظيمة تناسب الاستعداد الغالب على الشعب . ويظن أن غرض صاحبها من ذلك ومن نشر الدعوة إلى حزبه في الأرياف هو أن يستميل رأي السواد الأعظم إلى نفسه حتى يكون زعيماً حقيقياً إذا دعا إلى شيء تروى به الأمة بالمال والحال . . . وادعائه هذه الزعامة من قبل دليل على استمدادهما فإنا قد تعودنا أن نرى كل رأي لواء معزوا إلى الأبهة برمتها حتى مثل الفقير أو عدم مقاصد ذلك المجرم القاتل في السودان . وقد أمدته في استمداده هذا الجرائد الانكليزية في أثناء حادثة العقبة إذ كانت تصفه بالزعيم المهيب وغرضها من ذلك معلوم فيأله من دهاء الانكليز

هذا وإن في كل حزب من الأحزاب من الرجال المحبين لخير البلاد والمخلصين في خدمتها بحسب اعتقادهم من يعتمد عليهم في القيام بشؤونها . وقد جعل بعض الحقيقة من قال إن كل حزب قد أنشئ لتأييد جريدة ومدير تلك الجريدة هو منشئه ومسخره لجزئته ومن أنه لا فرق بين هذه الأحزاب في المقصد ونرجو أن يكون إنشاء الأحزاب في مصر آية من آيات الأخذ بالارتقاء الاجتماعي وإن يكون تعددها سبباً لطول حياتها لما تقتضيه المباراة والمزاومة من تمسك كل حزب بما قام به ونسأله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والمصالح للبلاد

أوروبا والاسلام

مقابلة بين الاسلام والمسيحية في المدينة لوزير فرنسي

كتب السيد محمد الامرم من فضلاء التونسيين والموسيو دوديانوس المراقب المدني الفرنسي في بلدة موسى من أعمال تونس بالاشتراك تقريرا في الاحوال التونسية . وقدم هذا التقرير الى مؤتمر الاستعمار الذي اجتمع في مرسيليا سنة ١٩٠٦ الموسيو ميلي الذي كان في منصب الوزير المقيم لفرنسا بتونس وجعل له مقدمة بقلمه تلاها في المؤتمر . وقد ترجمها في هذه الأيام بعض التونسيين ونشرها في جريدة الزهره فرأينا أن ننشر الترجمة في المنار بعد تصحيح ما لبارتها وهي : هذا التقرير على صغر حجمه يبين مسألة من أكبر المسائل الحالية وهي العلاقة

بين أوروبا والاسلام

كانت هيئة الاجتياح المسيحية في خلال القرن السابع للمسيح على حالة محزنة تتنازعها من جهة غاية التوحش ومن أخرى ما أصاب الفكر من التعق والتدقيق في مفاهيم الألفاظ، وعلى ههناك سياسية دخلت في من الهرم وسفاسف دينية حلت محل اتساع انظار القرون الاولى . فالسلطة كانت تميل أحيانا إلى البطش وطورا إلى مقتضيات الضعف لكنها في كاتا الحالتين كانت مقلقة للبلاد فرومية كانت في جدال مستمر مع الاستانة (يعنى بابا روميه وبطرك الامانة) ولم ينهض منصب البابا بالسلطة ويتخلص من الروابط الملوكية والنظالي في اعتقاد القديسين (المرابطين) الا وقد سنط في مهواة الوثنية ، وتركت الواجبات العسكرية واستبدل الأجورون بالمسك النظامي ، واضطحت العائلة بالانجاني عن القيام بالواجب ولم تكن هناك حرية في الاعتقاد بل لم يكن رواج الاسخط القسوس واضطهادهم لمن ينس بينت شفة للاثلام أغراضهم . وبالجملة فالحالة كانت في تلك المصور محفوفة بجميع موجبات التأخر والانحطاط فظهر الاسلام والحالة هذه ونجح في تقدمه العجيب بسبب ما أحدثت السلطة اليونانية في النفوس من الآمة والمفت

جاء الاسلام مخالفاً لكثير من الاديان التي ضاعت حقيقتها في غمرات الاوهام فان هذا الدين تنزه عما لا يعقل من الخوارق وقام على الحجج البينات التي لم تنزل الى الآن موجودة غير أنهم في الغالب يجحدون به عن مقاصده لأهم يريدون اختلاق الخوارق له مع أنها لم تكن ويتضح كل الانضاح ان سلطنا ان الاسلام جاء مقاوماً للمسيحية حسياً كان يفهمها اليونانيون أنه أي الاسلام جامع بين السلطين الدينية والسياسية كما ان ملوك بيزانس أي ملوك اليونان كانوا يدعونها وهو أي الاسلام قليل الغرابة في أصوله لأنه لم يكن المقصود منه في ذلك الوقت تجديد اعتقاد الناس بل تغيير انقيادهم الظاهري - فلما أثقلت كاهل المسيحية اليونانية فلسفة النوم المنكرة جاء الاسلام بنسخ التثليث وإزالة ادراك الفلسفة الاسكندرانية - ولما بعدت حقيقة المسيح الكنيسية شيئاً فشيئاً عن البشرية وفشا اعتقاد وتنظيم القديسين حتى انحدر بالناس الى عبادة بعض الاشياء من الكائنات جاء الاسلام بإرجاع المسيح - على تكريمه اياه - الى نسبة البشرية وبانكار القديسين - ولما أضعفت أديار الرهبان الدولة والعسكرية جاء الاسلام باطالها - ولما كانت الغاية المسيحية اضافة العائلات بإثارة العزبة على التزوج جاء الاسلام بكرامة تمتد قطع النسل وبالحث على التنازل بإباحة تعدد الزوجات - ولما كانت الهيئة المدنية المسيحية منقسمة الى مراتب وراثية متشعبة وكانت الرتبة الاولى فيها للقسيسين جاء الاسلام بابطال سلطة القسيسين وازالة حق الوراثة في المراتب والاستعاضة عنها بالاستحقاق الذاتي (لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالملم والتقوى) كما انه أزال الوساطة بين الخالق والمخلوق وبين الرئيس والمرؤوس - ولما كان الملوك هم المحافظين على أصول الدين واستحوذوا بذلك على التصرف في العقائد والمنتقدين من رعاياهم جاء الاسلام بالتسامح والحرية في الدين على شرط قبول الداخلين تحت سيطرته من غير المسلمين بأداء الجزية وهو أداء خفيف جداً - ولما كانت الصدقة الانجيلية قد ضعفتم تقريباً تحت استئثار اصحاب الرتبة المفضلة من الهيئة جاء الاسلام بالحث على المادلة والتماضد الى حد لا نهاية بعده - وبالجملة ان الديانة المسيحية لم يكن تأسيسها الا على الخوارق فالاسلام قد عدل عنها تقريباً وجعل نبيها بشراً كسائر البشر

هكذا كانت طباع الاسلام الاولى وان اعترى فروعه تغيير بسبب ما اعترى المسلمين من الأوهام فأصوله لم تنزل ثابتة الى الآن وقد تجلى الاسلام مبسرا ومستكلا للانسانية وهنرهما عن الفروض ببساطة الوجدانية المعقولة وبذلك تباعد عن قضايا المعارضة بأنواعها، ولم يصد نموه ستة قرون مضت في المجادلات الدينية، وأربعة مثلها مضت على الادارة الرومانية (١) ولم يكف ذلك حصنا للمسيحية بل حصل هذا الدين الجديد على كثر عشرين بسرعة عجيبة (٢) وهو رغم مأسطوره كتبنا مستمر الدوام واذا تمحض لا ترفع بتنزهه عما ذكر من الادران أمكنه تقديم متميه على متبني المسيحية نحو ثلاثة أو أربعة قرون فان معالم بضداد وقرطبة الملوية كانت منابع الانوار الساطعة عند ما كانت معالمنا المسيحية منحنية على الجهل المطبق فكل الملوم وكل الصنائع وكل الفنون كانت تأتي من الشرق وجمهوريات البحر المتوسط كانت تكتسب بساطتها من علاقتها مع مخالفيها في الدين

وان زهرة هذا المدن النفيسة المحفوظة في أوانيها الجميلة الانيقة تنقصر اشبيلية وجرهاء غرناطة لم تنزل تمجلا اشرف المسيحيين حتى بعد اضمحلال الميرية بحيث ان مدة الاسلام المشعة دامت نحو ثمانية قرون نهايتها سقوط غرناطة، وكانت بعد ذلك فتوحات الهمانيين الذين تراهم على عدم التفاتهم لانفتاح الزهرة الفكرية قد اثبتوا للاسلام مدة قرنين أو ثلاثة عظمة سياسية وعسكرية وعليه فان الديانة الاسلامية حافظت مدة ألف سنة على قوة انتشارها ونظامها ولذا يصح ان نقول بحسب المدة على الاقل ان وظائفها تماثل وظيفتي اليونان والرومان معا هذا وبعد وقوف الشجرة الاسلامية عن النمو والازهار والاشجار لم تنزل عروقها آخذة في الاستداد الخفي وتنشق أرضها عن أخلاف غليظة في أماكن السودانين كما ان أخلافها في آسيا تحمل مع الراحة مادة التلقيح الهندي والماليزي والصيني (٣)

(١) كذا في الاصل والله يشير الى الحروب الصليبية (٢) والله يعني بالكثرة المتوحشات
(٣) الأخلاف جمع خلفه بالكسر وهي ممرودة يراد أن الاسلام لا يزال بهد ذلك

فإنه الحقائق هي التي ينبغي استحضارها في الذهن عند ارادة التكلم عن

الاسلام باستخفاف !!

فإن قيل كيف طرأ السكون على أهل عقيدة شريفة متمولة مثل عقيدة الاسلام
ولماذا وقفت في أفريقيا وآسيا الصغرى عن الأعمار الآن بعدما اثمرت سابقا في الفرس

واسبانيا ثم لأي سبب كان هذا التقدم الاورباوي الحالي المترقي عما سواه ؟

الجواب إن مسألة مثل هذه لا يمكن تفصيلها في هاته الاوراق لكن لما ان تقصر

على مجرد نتيجة فلسفية وهي ان تقول ان مدنيثا المسيحية الاصل قد فتحت مجالاً

متسماً للنمو المادي وان نهضتنا في القرن السادس عشر قد منحتنا جسارة في

الفكر واختبارا في الفحص العلمي ربما لم يعرفهما المسلمون وإن الذي يهم في هذا

المقام على كل حال هو اعتبار الحيثيات عند ارادة الحكم في هذا الموضوع لان تقهقر

المسلمين المشاهد اما ان ينسب الى نفس الاصول الدينية فيكون الاسلام محكوما

عليه بالاقتران على الحياة المادية، وإما ان ينسب الى أسباب خارجية عارضة فيكون قابلاً

للنهضة والرجوع الى ما كان عليه لكن هناك من السذج والاعرجار من يقضي عليه

قضاء مطلقاً بدون مراعاة الحيثيات المشار اليها ولعمري إنه يصعب عليهم بيان كيف

أمكن لهذا الدين الناصر على زعمهم انتاج ثمار عجيبة في الزمن الماضي وهم اناس

لا يحسنون معرفة التاريخ و يقتصرون في حكمهم على ما شاهدوه بأبصارهم

قد انتشر هذا الفكر بفرنسا مدة المسألة الجزائرية من حيث علاقتنا مع

الاسلام و يوجد الى الآن هناك كثير من الفرنسيين بقوا عليه . لكن وجدنا بعض

ثم بتونس مسلمين من نوع آخر ولذا لم يكن من الممكن ولا المقنع الاقتصار على

حكم استبدادي بسيط ووجب الرجوع الى الشواهد التاريخية وقد يجب الاعتراف

حينئذ بأن طباع المسلمين عامة اعترافا تفيير من القرن الثالث عشر الى القرن

الخامس عشر وذلك تحت سلطة الأتراك بالشرق وسلطة البرابرة بالمغرب ففي

اسبانيا انقطعت الملائق بين المسلمين والمسيحيين بعد سقوط غرناطة دفعة واحدة

= النمو الأول يمتد في أفريقيا وآسيا فينتج بالآيات به الهنود والماليزيون

والصينيون ولكن عبارته مجازات واستعارات وترجمتها ضئيلة

والتعصب من الجهتين هو الذي حماهم على ذلك . واما من جهة الاستانة فالملائق السياسية قد استمرت ولكن العملية سقطت في العدم فالبرابرة بالمغرب والأتراك بالمشرق سارا كأنهما جرمان ثمخينان بطرفي السلك . واما سيلان الكهر باء في الحقيقة أنه من تاريخ عدم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين قد اختارت كل فرقة من أساليب دينها ما يلائم احساسها فعميدة القضاء والقدر ليست هي أساس الاعمال في الاسلام بدليل ان القرآن لا يرى مانعا من تقدم الامم بتعاطي أسباب التقدم لكن عقيدة القدر تسري بالعرض والتمنية الى فكر المسلم الساذج بمعنى أن تصرف الخالق في المخلوق يكون مباشرة (أي بلا سعي ولا سبب) ولذا ترى المرابطين علماء اللاهوت من البربرية يباينون منذ ظهوروا في النمساك ببعض النصوص الدينية مع خلوها عن الفائدة ويخطبون في الناس كعص أهل المذاهب المسيحية مقاومين لكل تمدن واعانهم على ذلك عربان الخيام بأفريقية وعموا هذا المشروع المنتج للصلابة واليبس مع كونه انتزع من الدين لينة ومساعدته على اكتساب التمدن وتصره على حركات بدنية -- لكن الفرق المستنيرة التي يحاكي ايان أفكارها ليان البحر المتوسط اندجبت مع أمواجه وتجهمت ببلاد السواحل لتفحم تعب المدافعة ومصادمة البربرية ففي الجزائر ما بقا وفي مراکش الآن عروش الخيام يعنى الذين ولد فيهم الجهول شدة التعصب الديني هم الذين وجدناهم عرضة لنا . ويجب أن نفاهم في معنى التعصب هنا وهو ان هاته العروش انما يتصبون للاقتلال والهمجية فالدين عندهم هو الراية التي يتخذونها وسيلة لفظية بنفهم للاجنبي فالرحلون لم يكن أوائلهم مسلمين مع انهم كانوا يدون مثل هذه الاحساسات بعينها نحو الفاتح الروماني وكان الامر يشبه علينا في الزمن السابق فيظهر لنا ان الاخذ بثارنا من هاته العروش أمر طبيعي وان ذلك يكون باغصاب أملاك المساجد والجوامع مطلقا حتى أرشدنا التجربة فيما بعد الى حقائق الامور فعامنا التونسيين بمزيد الاعتبار فاحترمنا دولتهم وعوائلهم وشرايئهم وعدايتهم وجوامعهم وأملاكهم وفي الحقيقة إن ما وجدناه بتونس لم نجد بالجزائر - وجدنا بتونس نخبة من الاعيان الاهليين ومجتما ازاولة الملوم وهو جامع الزيتونة فانه وان انحطت شهرته عما كانت عليه في القديم لم تزل به مادة الحياة قوية توذن بقرب عود اخضراره

وهاته الحالة المساعدة أمكننا معها أن نخطو خطوة زائدة سنة ١٨٩٨ وهي تأسيس جمعية من شبان التونسيين المتعلمين تحت عنوان الخلدونية تذكارا للمؤرخ العربي ابن خلدون وتكملت هاته الجمعية بادخال الفنون الاوربية بين طلبة الجامع الاعظم وافتتحت دروسها بمسامرة نظامية وقام أحد مدرسي الجامع الاعظم ببيان أن لا فقرة بين الاسلام والعلوم المصرية

وأخيرا وقع اقتداء بالجزائر (كذا) قبول بعض افراد من الاهلين بمجلس شورى المصريين ولم يبق في الامكان أن نرجع فيما منحناه للاهالي من حق التكلم والمناخلة ولا ان نسد أفواههم وقد بادروا لاستعمال هاته الوسيلة بالانتقاد على عدم الاهتمام بشؤونهم وعضم جانبهم المتجدد في كل حين الذي يجهلنا على ارتكاب العجيب الاوروبي فمع كوننا نحترم عوائدهم سياسة فاننا لا يهيننا أن ندوس حقوقهم بما لنا من عدم الاثر الذي طالما انصف به الغالب المعتد أفضليته المطلقة على المقلوبه فهذه التقارير التي ستقرأ عليكم يتكون منها كرامة المطالب الاسلامية التونسية وأهم غرابتها كونها تؤذن بالمشاركة والتعاون بين العنصر الاوربي والعنصر الاهلي وفيما أعلن ان هاته اول مرة أيجح فيها مسلم انتقاد آراء غيره زيادة على ابداء رأيه في تقرير رسمي على ان استعمال السيد محمد الاصرم لهاته الحرية هو في نفسه أقوى برهان لتأييد رغائب بني جنسه ودينه ومن المستحيل ان يأتي هنا الكاتب بأكثر مما أتى به من التلطف في التعبير مع صحة المعنى واستقامة الدليل في عرضه التشكيكات المقبولة . كأن حجاباً يتمزق لبرينا من ورائه باطن هيئة لازرى منها الاظاهرها . اما قيمة النتائج التي يعرضها علينا فانها دون ما فاجأنا به من بيان مقاصد الهداية الاسلامية الحقيقية وبهاته المناسبة نبادر لزيادة الحث على قراءة الفصل ١٩ والفصل ٢٠ المتضمنين لما عليه الاسلام الآن بالايالة التونسية وما تأتيه الطرق الدينية فيها

ولا ينبغي ان الكاتب من المسلمين وهو الذي أفادنا ان عربان المروش هم من أردوا المسلمين من حيث العقائد بخلاف سكان المدن فانهم متخلقون باخلاق المسائة وان الوسيلة الوحيدة لتغلب على هذا التعصب الاعمي هو الحث

على قراءة القرآن التي تركت الآن تقريباً وعلى نشر المعارف والرجوع الى اخلاق الاسلام التي منها فعل الخير والتعاضد واتسامح وهو الذي يؤكد لنا اقبال المسلمين المستنيرين على الملوم الأوربية وهو الذي يرينا ما في الطرق الدينية والافراط في الميل الى الدراويش من الاسباب المغيرة لوجه الاسلام. ونرى مما ذكره لنا من قواعد بعض الطرق ان هناك شيئاً يشبه قواعد الجزويت اعصبة دينية ديدنها النعيل والاسنثار) وهو الاتقياء الاهي المبرعنه باللاتينية عندهم «كن كجثة» فهذه الملاحظات حرية بالاعتبار في اسباب التقهقر العارضة للاسلام الذي جاء معارضاً للخوارق المسيحية فاستقطوه فيما جاء معارضاً له باحداث ما يرمونه بالنصوف الذي تولدت منه أنواع من الخوارق ربما كانت أكثر خطراً من أمثالها في المسيحية. فالاسلام أمر بالمساواة والتوجه للعمل وعدل التمتع بنعيم الدنيا فطراً على هذه الاوامر ما اختلفت الطرق الدينية من التوكل الاعمى الباعث على عدم التبصر في العواقب ومن القتر (الزهد) والطاعة العمياء والجمود وهي كلها مهيئة لناهج كل استبداد. وثنزه الاسلام عن الموان (فرقة من الرهبان) فجاءت الاوهام البربرية وأحيته في الدراويش ونهي بالموان هذا التوارث الذي يتعاطى شيئاً من أنواع السحر والمرفوع عنه التكليف (كذا) وعليه ان كان المسلمون في تقهقر فلان الاسلام انحرف عن أصوله ووجه لغير مسامه لكن الجرائم اللازمة لتنهضته لم تزل كامنة فيه ولذلك يلزم الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج عماده بطرق الملوم المصرية - فأول أمة أوربية تنجرد عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الخطة العالية يمكنها بذلك ان تتقدم على غيرها تقدماً عجيباً فان تماطيا لما ذكر يكون له أحسن صدى في قلوب مائتي مليون من المسلمين

فاليوم اندي نشمر فيه فرانساً عن مساعد الجدوتسعي في تعليم وثرية الاهالي - ولا تقصد بذلك ان تلزمهم بنظاما تابل أن تسير بهم في مناهج التقدم الملائمة لطبائعهم - هو اليوم الجليل حسب قول ميسو جونار الذي تحصل فيه على أكثر من فتح الممالك اذ به تتحقق لها السلطنة على الارواح اه

(المنار) سنين في الجزء الآتي رأينا في هذه المقالة أو المقدمة

أعمال حسن باشا عاصم

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً عن أخلاق حسن باشا عاصم ونكتب في هذا الجزء شيئاً عن أعماله وعمدتنا في هذا وذلك الاختبار، وغرضنا منه بيان طريق التأمي والاعتبار، وإنما قدّمنا الكلام في الأخلاق، لأنها هي مصدر الأعمال، فهي الأصل الأصيل في فاضل الرجال، ولم نسلك فيما كتبنا ولا فيما نكتبه الآن سلك الاستقصاء بل نكتفي بما نل ودل

تعميد في تربيته وتعليمه

بالتربية والتعليم يتفاضل المتساوون والمتأربون في الاستعداد وقد اتفق لحسن عاصم منهما ما أظهر استعداده العظيم . كان والده من حاشية محمد باشا عاصم أحد كبار المديرين في هذا القطر ولم يكن لهذا نسل . وولد حسن في حجره فسربه وتولى تربيته بل تبناه وأضاف اسمه الى اسمه فلهذا التعليم الابتدائي والوسطي والمالي فانتقل من المدارس الابتدائية الى مدرسة الادارة (الحقوق) فكان في طليعة التاليفين ثم أرسل مع بعض التاليفين الى فرنسا على نفقة الحكومة للتزقي في علوم الحقوق والسياسة فلقاها بمجده واجتهاده حتى كان من خير التاليفين وحمله الشهادات العالية فيهما . وكيف لا وهو لم يكن يعرف اللهو والبطالة ولا من يحمل بالذات والشهوات البدنية وذلك هي قواطع طريق العلم على طلابه لاسيما في أوروبا ولا سيما في فرنسا . وما أظن الا أن بيت محمد باشا عاصم كان تقياً من اللوث الذي تلتخ به كثير من البيوتات كالسكر وما يتصل به عادة وكأني بذلك الرجل وأنا لم أعرفه ولم أعرف عنه شيئاً كان بصيراً بالفاسد التي تدب الى الناشئين في السعة فخال بين ربيبه وبينها فلم يندنس نفسه برذائل الترفين، ولا بدناءة المسوزين، فهذه التربية النقية هي التي ساعدته على كمال تحصيل العلوم حتى كانت وهو ابن الخادم مشرفاً للمخدوم بنسبته اليه ومحياً لذكوره ولولاه لما عرفه مثلي ولا دون اسمه في هذه المجلة الإصلاحية . وكم أفسدت باريس من أولاد الأسماء والوجهاء الذين هم أرفع من محمد عاصم باشا ذكرافي قوتهم

عمله في القضاء والنيابة

لما عاد من أوروبا جعلته الحكومة مساعدا للنيابة فوكيلا فرئيسا في الاسكندرية ثم في طنطا وكان قد مات محمد عاصم باشا فكان خير خليفة له في أهله حتى انه كان ينفق معظم مرتبه الشهري على قلته في المرتبات التي كان يقوم بها مرتبه الذي مات ولا مال له . بل لم يتعجل في العودة من أوروبا الى مصر لا لأجل هذا فقد كان يعني الاستزادة من العلم الى ان يصير دكتورا في العلوم التي كان يشتغل بها بعد أن نال شهادتها العاليه المبرر عنها عندهم بالليسانس ففاجأه نعي مرتبه فاكتفى بما حصل ، ورجع عما كان أمّل ، وقد كان في النيابة العامل المصلح لنظام وجمال الاجتماع إذ كان يتعقب الاشقياء المفسدين وصلبة الامن المتهدين حتى طهر منهم المديرات التي عظم بلاؤها بهم . وكان يزجي كل من تحت رياسته في الجهد والاجتهاد فلا يكادون يجدون ساعة بطالة

ولما جعل السير سكوت مستشارا قضائيا لصر وجهه الى اصلاح المحاكم الاهلية وكانت مخنلة معتلة فكان يطوف على رجال القضاء والنيابة يسألهم عن رأيهم في اصلاح وعما يشكون منه فما كان يسمع من الاكثرين الا عبارات التناء والاقرار بالرضى عن الحال الحاضرة . حتى ظفر بحسن عاصم فأخبره هذا بجميع الملل وبطرق علاجها فجاه به وبصديقه علي بك فخري الذي رأى فيه مثل نباهته واستمداده وجهارهما مقتشين للقضاء ثم عضوين للجنة المراقبة التي أنشئت في نظارة الحفانية فكانا هما الواضحين لنظام المحاكم الحاضر وطريقة المراقبة القضائية المتبعة بل كان حسن عاصم هو الذي اقترح بمواقفة رفته - اختيار القضاء من أهل الكفاءة بالاستقامة والنباهة واختيار البلاد كالتخرجين في دار العلوم وغيرهم ممن عرف بالعلم والفضل وان لم يكن متخرجا في مدرسة الحقوق وبذلك تيسر للحكومة إصلاح المحاكم بقدر الامكان .

ومن خدمة حسن عاصم للقضاء وضع مشروع المحاكم الجزئية ثم السمي مع صديقه علي فخري في انفاذه عند سئوح الفرصة لهما بثمة المدير سكوت المنتشار المحب للإصلاح بهما . وله في ذلك أعمال أخرى ليس من غرضنا تعقيبها . وكان للسير سكوت

من الاعجاب ببلده واستقامته وقدرته على العمل ما أحله عنده في أعلى منازل الثقة والكرامة . وأراد ترقية فلم ترض الوكالة البريطانية بذلك بل حاولت ان تدليه لاتبامها إياه بمناصبها ففرقت عليه السياسة الاستمرارية في عمله النافع في المهام وكذلك شأنها ما دخلت في عمل الا وأفسدته كما كان يقول الاسناد الامام . وما كانت مهمة حسن عاصم بالسياسة محض اختلاق ولكن ربما كان يبالغ فيما ينقل لوكالة عنه أو كانت لوكالة تنظر الى الامور بين الاحتياط فتراها أكبر مما كانت عليه

كانت في البلد حركة وطنية قبلتها بل روحها الامير الجديد عباس حلمي باشا تبشيرا الآمال، وتجدوها الاقوال، حتى تزجها الى بعض الأفعال، التي كان يظن انها وسائل لازالة الاحتلال ، والتمتع بكامل الاستقلال، وكان أكثر أهل الفهم والرأي من رجال الحكومة وغيرهم مغرورين بتلك الحركة ولم يسلم من شيء من ذلك حسن عاصم على أناته وبصيرته وكان صديقه ورفيقه في العمل علي فخري بك أشد منه إعجابا بل تحمسا بها بل أقول انه لم يسلم من الغرور بتلك الحركة أحد من أهل الرأي والظهور في البلد الا مادون عدد أنامل اليد الواحدة .

قد يظن بعض الشبان اليوم ان في البلاد حركة وطنية قوية لم تكن من قبل وما ذلك الا لانهم لا يعرفون شيئا عن الحركة التي كانت من نحو خمس عشرة سنة اذا كان الرجال يهجرون عربة الامير بأيديهم واذا كان الامير يمود من سياحته الصيفية فتكتظ الاسكندرية بمئات الألاف لقائه حتى قيل انه دخل الاسكندرية في يوم واحد ثمانون ألفا من أهل الأرياف . وما ذلك الا لأن السلطنة الأجنبية ثقيلة على النفوس البشرية تنفر منها بالطبع فاذا آنت بصيصا من الأمل بالتملص منها على يد من تثق بهم من أبناء جنسها السياسي أو الديني فانها لاتنهم ان تمشوا اليه، وتقول عليه ، وقد كان الشعب يرى من الامير الجديد منذ تولى ذلك البصيص بل كانت ترى من حاله ، وتسمع مما ينثر من درر أقواله، ما يجعل ذلك البصيص نورا ساطعا يملأ الجوانح آمالا ، وينفر بالنفوس الى الجهاد الوطني خناقا وثقلا ، فلا عجب اذا كان مثل حسن عاصم وهو في شبابه ممن كان يظن أن في تلك الحركة بركة لاسيما وهو مطلع على ما كانت تدبره فرنسا وما تهد به مصر وعنها

غرضنا من هذا البيان ومن سائر ما نكتبه عن الرجل ان تكون المبرة بسيرة رجل تابع منا مبنية على أصل ثابت ورواية صحيحة في زمن لا يكتب فيه عن رجال مصر الا أصحاب الصحف السياسية في الغالب وهم لا يبينون من الحقائق الا ما تسمع لهم به السياسة على الوجه الذي تحبه وترغاه

فليعلم الشبان المتحمسون في الوطنية الذين تهيجهم نغبات المتضمين بأشعارها ، والضارين على أوتارها ، ان هذا النابغة الذي يفتخر الوطن به قد تحمس في شبابه بالسياسة أياما كانت دواعي التحمس فيها أوفر ، والآمال بالانجاح أقوى ، ثم استقر رأيه بعد الاختبار على ان الماملين للوطن والمخلصين في خدمة الأمة يجب عليهم أن يتزهوا عن شوائب التحمس السياسية والتهيجات الطبيعية ، وان ياتزموا السكينة والروية ، ويجعلوا عمدتهم اتقان الأعمال ، ودون التورر بزخرف الاقوال ، والافتخار بالدعوى والدعوى العراض الطوال ، لذلك كان يعمل ليله ونهاره من غير لفظ ولا دعوى ، ولا تذر ولا شكوى ، بل كان ذلك دأبه منذ كان

كان السير سكوت المستشار المصلح المحلص على ما هو مشهور بين جميع العارفين قد وعده بأن يجعله نائبا عموميا بعد ان جهله الأ فوكا و العمومي ولكن لورد كرومر أمره بعزله كما يقال فخار في أمره وبعد العناء والجهاد قدر على ان يستبدل بالعزل جملة قاضيا في محكمة الاستئناف الأهلية بمصر بمرتب من مرتبة قبله فلم يزد ذلك الا جدا في العمل ومضاه في الاصلاح . وما يؤثر عنه انه كان يسمع خبر عزله فلا يتحدث عنده فتورا ولا مللا ولا يثنيه عن الابتداء بعمل جديد أو وضع مشروع لعمل مستقبل وان كان يتوقف تنفيذ هذا وإتمام ذلك على بقاءه في عمله . وقد كان مما اقترحه في أثناء التحدث بعزله نقل طائفة من الكتاب بالبرومية في محكمة الاستئناف لعدم الحاجة اليهم الى الحكم الابتدائية التي هي في أشد الحاجة اليهم فأخبره رئيس الكتاب بان أمر عزله قد تقر بل كتب ولم يبق دون تنفيذه الا حقه فقال رحمه الله ما مضاه ان هذه فرصة تحرر اصاعتها وانني أهل الواجب ما دمت متمكنا منه وان هذا التمكن يستمر الى أن ابغ الأمر بالعزل روسيا .

عمله في المية

عز على أصدقاء هذا العامل المصلح ان يكون ثميننا على عمله عند القوة الفعالة في البلاد، وان لا يوضع في الموضع الذي يستعته من ناصية القضاء ، ولا خلا منصب رياة التشريفات عند الأمير بنقل عياني باشا منه الى نظارة الحربية بادر الاستاذ الامام فرغب الى الأمير ان يجعل التقييد رئيساً لتشريفات فذكره الأمير رجلاً آخر من المرشحين عنده لهذا المنصب فقال الاستاذ الامام رحمه الله - وكان الأمير أطال الله عمره بقدر رأيه حق قدره - كلا الرجلين كفؤاً ويمتاز عاصم بمعارفه القضائية وأقدينا تعرض عليه القوانين واللوائح فيحسن ان يكون في ميعته من يدرسها ويبيدي رأيه فيها : ذكر لي ذلك الاستاذ في سياق عناية الأمير به وكونه هو الذي اقترح جملة مستشارا في الاستئناف ثم جملة من قبله وما كان فضل عاصم ليخفي على الأمير لذلك فضله على غيره وولاه هذا المنصب

انا نرى من المعلمين من يختار أو يختار أولياؤه له علم الحقوق ليكون قاضيا أو محاميا أو علم الهندسة ليكون مهندسا أو علم الطب ليكون طبيا مثلا . ولكننا نرى التابخين فيما يوجهون جل عنايتهم اليه قليلين وأقل من هذا القليل من يبرع في العمل كما نبغ في العلم وأقل من هؤلاء من يهتد اليه عمل غير ما استعد له واشتغل فيه فينته بعد اثنان غيره والبراعة فيه . أولئك الذين اعطوا من المواهب العقلية ما أعدم لا تقان كل عمل يشغلون به وقد كان حسن عاصم من هذا الفريق النادر فانه كان في أخلاته وجل معارفه وسابق عمله أبعد الناس عن خدمة الامراء ولكنه على هذا عمل في خدمة الأمير ما عجز عن مثله كل من كان في خدمته وخدمته أسلافه كما عجز عن الزيادة عليه من جاء بعده

كان رجال التشريفات من قبل رياسته لا عمل لهم في غالب أوقاتهم فخلق لهم من الأعمال ما استغرق عامة أوقاتهم في القصر حتى انه استخرج دفاتر التشريفات القديمة من عهد محمد علي وعرف ما في ذلك وحاضره ثم وضع لتشريفات نظاماً ثابتاً حدد فيه أوقات المقابلات الرسمية وغير الرسمية وكذلك

الدعوات وحفلة المرقص الحديري فقد كان كل ذلك محفوقاً بالفوضى والخلل .
ومن ذلك أنه اشترط فيمن يقابل الأمير شروطاً في الزي للموظفين وغير الموظفين
قد تختلف باختلاف المقابلات واختلاف زي الأمير العسكري والملكي فيها وتنفذ
ذلك كله على الوطنيين والأجانب على سواء . وما كان يسهل عليه ان يشد
عن نظامه ذلك أحد

وأذكر من تنفيذ النظام على الأجانب من كبار المخيلين وغيرهم ان بعض
كبار الموظفين منهم جاء عابدين بلباس غير ما يجب في تلك المقابلة فنبهه الى ذلك
فماد الى بيته وغيره

وأعظم من ذلك ان المرقص الحديري كان يحضره من أوشاب الافرنج من
يُعرف ومن لا يعرف . وسبب ذلك ان ديوان التشرقيات كان يرسل الى كل
وكالة سياسية للدول عدة أوراق ليس عليها أسماء ليدعي بها وجهاء الأجانب
فكان يأخذها من هم أهل ومن ليسوا بأهل لحضور مجالس الأمراء والملوك
فكان من النظام الذي وضعه له حسن عاصم أنه لا يحضر المرقص أحد الا من
دعاه ديوان التشرقيات دعوة خاصة باسمه وانه لا يدعو من الأجانب الا من
كان معروفاً عند الأمير ولو بتقديمه اليه قبل المرقص بزمن قريب كما انه لا يدعو
من الوطنيين الا من كانت صفته كيت وكيت ككونه من أصحاب الرتبة الثانية
فما فوقها أو ما يقابل ذلك . فساء هذا النظام وكلاء الدول وقناصلها فهدوا الى
لورد كرومر وهو أتدبرهم أن يترض على ذلك ويتلافاه فحكم حسن باشا فيه
فاحتج عليه هذا بتفضيل النظام على الفوضى وأطلعه على إعلان من شركة كوك
التي تتولى نقل السياح في مصر من مكان الى آخر وفيها ان سياحها يشاهدون كذا
وكذا من الآثار القديمة ويحضرون المرقص (البالو) الحديري . فقال له اللورد
انني أجل النظام ولا يلقى بي ولا بدولي ان نترض عليه ونمحن دعائه ولكنني أعلم ان
السراي لا يلتزم فيها نظام بل المستثنى فيها من القاعدة أكثر من المستثنى منه
فمحن لا نرضى ان يكون النظام سارياً علينا وهو غير مطرد : فقال له الفقيه : انني
أضمن لجنايبكم بأنني أنفذ هذا النظام ما دمت هنا بلا شذوذ قط وعليّ تبة ذلك

الا أن بإمكانه المشي فلا يمكن لحادته ان يعارضه فيه اذ يحتمل ان يقدم له شخص في غير السراي فيدعوه هو مثلا فهل يمكن ان يستل عن ذلك؟ فاقنع الورد بذلك ولم يسمه الا الرضى . سميت هذا من التقيد نفسه

وقد مكث في منصب رئيس الشريقات بضع سنين ثم رقاها الأمير فعمله رئيس الديوان الحديوي فكانت خدمته أجل وأوسع إذ تعدت خدمة الأمير الخاصة الى خدمة الأوقاف العمومية . ولكن قلب الأمير تغير عليه ففصله بعد ثلاث سنين من منصبه بالإحالة على الماش . فكبر ذلك على الناس وكثر حديثهم فيه وظهر أثر ذلك في الجرائد فكانت متفقة على اثناء على التقيد فرأينا ان نجعل ذلك وسيلة للموعظة وسوق العبارة الى المستعدين الاقتداء بعقلاء الرجال وطلاب الفضيلة والاستقلال فكتبنا برهئذ في المنار نبذة في ذلك (راجع ص ٧٧٥٨)

وقد أشار المؤيد الى نحو ما نقلناه يومئذ عن القواء مع زيادة اذ قال عند بيان سبب عزل الفقيد من رئاسة الديوان الحديوي في ترجمته له ما نصه :

« وقد أمضى الفقيد نحو سبع سنوات رئيساً للشريقات الحديوية وثباتاً رئيساً للديوان الحديوي مثلاً لا أشرف موظف نزيه بمخلص العمل والخدمة لمولاه ويؤدي الوظيفة المنوطة به أشرف أداء . ثم فصل بعد ذلك لأمر حسب نفسه فيه موهوباً واجباً كما ينبغي عليه وحسبه الجناب الحديوي متمتاً فيه . وزادت الريبة منه كلمة قالها الورد كروم لاحد رؤساء الدواوين الحديوية ليبلغها للجناب العالي إذ قال الورد « اتني أهني الجناب الحديوي بوجود رجل مستقل قوي الارادة نزيه مثل حسن عاصم باشا في معيته » فخالج الجناب العالي ذلك الفكر الذي طاف قبلا على خاطر الورد كروم لان هذا الورد كان قد اعتقد ان شدة مراس الرجل في وظائفه القضائية أو ظاهر من آثار الانحياز الى جانب المعية السنية وهي التهمة التي كانت تاقى على كرام الوطنيين للتكامل بهم . ولذلك كان يحسب الفقيد من أشد اعداء الوكالة البريطانية . فلما جاء الوقت الذي تجلت فيه صفات الفقيد كما هي شهد تلك الشهادة العالية فأولت التأويل الطبيعي الذي كان نتيجة شدة التنافر بين تصرف الدبارة وتأييدن . ولذلك قال كثيرون

من الناس ان الورد أراد بحسن عاصم باشا سواءً اذ شهد له هذه الشهادة وهو يعلم ماذا يكون وقعها من نفس مولاه في تلك الظروف اه ثم قال المريد انه لم يطل الامر بعد ذلك حتى رضي عنه الامير

ونحن نعلم ان الورد قال كلمته في التقيد عن إعجاب بزياره لا سيما بعد ما تبين له ان الحق عنده يعلو على كل شيء فلا يتحيز لغيره ولا براعي فيه مولاه الامير فضلا عن دونه . وان الذين قالوا انه أراد به سوءاً يسيئون الظن بالامير اذ يعتقدون ان الورد يتدر بكلمة واحدة ان يغيره على من يشاء وان ثبتت استقامته وكفائه بحيث صار أشهر بهما من علم في رأسه نارا ، وأظهر من الشمس في رابعة النهار ، والامير أذكي ذهنًا وأوسع فهماً مما يعتقدون

عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية

كان سبب تأسيس هذه الجمعية ان مشهورًا ميملاً أجنبياً جاء مصر من نحو ست عشرة سنة فربح منها مالاً كثيراً اراد ان يجعل ليله من ياليه لفقراء المسلمين وبلغ محافظ العاصمة ابراهيم باشا رشدي ذلك فاجتمع بعض أهل الفيرة والفضل وانتمروا بينهم في ذلك فاتفقوا على أن يزبنوا حديقة الازبكية في تلك اليلة ويضيفوا الى ألعاب المشوذبها ضروباً أخرى من اللهو المباح ومحففظوا المال ليجمروا اليه غيره بالبرع وغيره وجمروا ذلك أصلاً لجمعية خيرية اسلامية وكاشفوا المحافظ بذلك فوافقهم عليه (وقبل انزينة الحديقة كانت بعد) أولئك هم الاخلاء الصادقون في خلة بعضهم لبعض وفي حب لهم وأمتهم منهم تقيين: نا اليوم الذي نعتبر بسيرته وقهدنا بالامس الاستاذ الامام رحبها الله ومنهم سعد باشا زغول وحشمت باشا ودروش بك السيد احمد واخوانهم من الاحياء أطال الله أعمارهم وقد وضع هو قانون هذه الجمعية بشاركتهم على أساس من الحكمة متين وكان أحكم أصوله وجوب إضافة نصف الدخل (الايراد) السنوي الى رأس المال لأجل الاستقلال والنصف الآخر يكون لتتعليم واعانة الفقراء . والسبب في هذا ضعف ثنتهم بأهل البلاد في كل ما يقوم بالتعاون والاجتماع لا سيما اذا كان لمحض الخير وكان حسن عاصم أضعفهم ثقة حتى انه لم يكن يطلب من أحد معاونة ولا تبرعاً الا نادراً وكان جل خدمته لجمعية في

الإدارة الداخلية لآليها ومدارسها فكان ينظر بنفسه في الامور الكلية والجزئية حتى ما كان من شأن الكتبه . قال لي درويش بك أمين سر الجمعية انه ما كان يكلفني الا ضبط الحسابات ثم هو يقوم بسائر أعماله . وأما الأستاذ الامام فكان لا ينظر في الامور الداخلية الا الى الكليات ونحو امتحان من يرشحون للتعليم في المدارس من الجزئيات وكذا أمور التنفيذ اذ كان رئيساً ولكنه كان يسمى في الخارج لكثير مال الجمعية ويدعو الامراء والوجهاء حتى كبراء الاجانب الى التبرع لها أو الاشتراك فيها وهو الذي دفع الوشايات عنها ولولاه لما بقيت فكانا رحمها الله تعالى بكل أحدهما ما يقصر فيه الآخر

وهنا نبين الحقيقة في مسألة ألم بها المؤيد فلم يحسن التعبير ولا وافق الصواب وكانت عبارته وهو يقصد بها مدح عاصم باشا ذمالة بالاستبداد والشذوذ عن الآداب وهضمنا لحق رئيسه في الجمعية (الأستاذ الامام) وكذا لسائر اعضاء مجلس الإدارة اذ جعل وجودهم في المجلس كعدمهم من حيث أنهم لم يكن لهم رأي ينفذ اذا خالف رأي عاصم باشا . بل أقول ان هذه العبارة تفيد سلب أقوى مزايا عاصم باشا عنه وهي مزية التزام النظام واتباع القانون كأنه أص إلهي . ولا شك ان صاحب المؤيد لا يقصد هذا ولكنها زلة قلم ولا عصمة الا لكتاب الله تعالى . أما عبارة المؤيد فهي :

ولم يكن يسمح لاحد أن يعمد على النظام الذي عمله الا حتى استبد بجميع شؤونها وله في كل سنة وقفة أمام مجلس ادارة الجمعية الخيرية الاسلامية في شبي ينتهي الامر فيها الى العمل برأيه ومع ما كان من صداقته للمرحوم الشيخ محمد عبده وخصوصا حيث كان رئيساً للجمعية الخيرية الاسلامية قد أراد هذا أن يتداخل سنة ١٩٤٤ في أمر مدرسة المحلة الكبرى فرأى الفقيد أن يتداخله هذا قد يشوش عليه عنه ويجهل لاساندة مدارس الجمعية وأهالي تلامذتها مندوحة الى مخاطبة غيره في أمرها فكتب اليه تلفرافاً وهو في المنصورة يقول له (لا تضع قدمك في المحلة الكبرى قبل أن تقابلني ولا أسمح لك بالتداخل في شؤون مدرستها) أو ما هو به . فجه الاستاذ المرحوم الى القاهرة وجرى بينهما كلام ادى الى اختلافهما

في الرأي اختلافاً شديداً فإبي التقيد إلا أن ينفذ رأيه أو يعتزل عنه كما في الجمعية
 وتم له ما أراد ولم يكن قصده إلا أن يستقيم أمر المدارس على ما اعتقده أفيد لادارتها اه
 أما حقيقة المسألة التي أشار إليها المؤيد فهي ان بعض المؤسسين لمدرسة المهلة
 بما تبرعوا به من المال لهم أولاد تجاوزوا السن التي يشترطها قانون مدارس الجمعية
 الخيرية في التلاميذ الذين يدخلونها . وهم ما بذلوا المال الا رغبة في تعليم أولادهم
 في بلدهم أولاً وبالذات ثم المساعدة على تعليم الفقراء ثانياً وبالعرض فلما عهدوا
 بإدارة المدرسة الى الجمعية كما هو المقصد الأول من تأسيسها أراد حسن باشا ان
 لا يقبل أولئك الاولاد في المدرسة التي أسسها أبائهم لأن اتباع النظام والتزام
 القوانين عنده من الامور الوجدانية التي لا يناش فيها كما علم ذلك مما كتبناه في
 أخلاقه رحمه الله . وكان من رأي الاستاذ الامام رضي الله عنه أن يقبل أولئك
 الاولاد لأن رأيه في القوانين انها وسائل لدفع المضار وحفظ المصالح وإقامة العدل
 فمضى عرض من الحوادث ما يكون التزام القانون فيه مخرلاً بالمصلحة أو منافياً للعدل
 وجب أن يعمل في الحادثة التي هذا شأنها بما يقوم به العدل وتحقق به المصلحة
 وهذا ما عناه حسن باشا عاصم نفسه بقوله في تأييده انه كان في القضاء ما يعبر عنه
 الافرنج « بقاضي العدل والانصاف » وأقول - والشيء بالشيء يذكر - انه كان قد
 وشي به اذ كان قاضياً للمستشار القضائي بأنه يخالف القانون عمداً في بعض أحكامه
 فسأله المستشار عما قيل فأجاب: هل القانون وضع لأجل العدل أم العدل وضع
 لأجل القانون ؟ فقال بل القانون وضع لأجل العدل فيبين له حينئذ القضاء التي لم يلتزم
 فيها نص القانون وانه لو التزمه لخرج عن العدل ورتب على ذلك من المفاسد آتت
 وكبت فشكر له المستشار ذلك

وكان على هذا الاختلاف بين الصديقين في هذا الاصل أو المبدأ - كما
 يقال - قد حدث ان الاستاذ امر بشيء يخالف للقانون على سبيل الاستثناء لأجل
 المصلحة المارضة فأنفذه حسن باشا عمهضاً ثم قابل الاستاذ وقال له انني انفذت
 أمرك الذي كتبت اليّ به لان أمر الرئيس متى صدر بالفعل وجب تنفيذه
 كيفما كان وإلا فلا معنى للنظام ولا للرئاسة ولذمتي أرجوك أن ترجي ما تراه من

مثل هذا الى ان نجتمع وتتناكر فيه . فلما عرضت مسألة مدرسة المحلة خاف حسن باشا ان يمد رئيس الجمعية آباء أولئك الاولاد أو يكتب اليه امرا بقبولهم بطريق الاستثناء وذلك صعب عليه جدا ولا بد من تنفيذه متى امضاه الرئيس فكذب اليه يرجوه ان لا يبت شيئا في المسألة لا بالامر ولا بالوعد بل يرجي ذلك الى الاجتماع وكان الامر كذلك فاجتمع مجلس الادارة وتناقشوا فيها وكان من رأي بعضهم تغيير ما فرضه قانون المدارس في السن فعلم حسن باشا بذلك فتشدد رحمه الله تعالى في المحافظة على القانون وعدم قبولهم وكتب الى الامام اذال امام كتابا يستقبل به من ادارة المدارس ان تغيرت مادة تحديد السن في القانون - وبمد طول المناقشة تقرر باغاب الآراء تنفيذ رأي الرئيس وهو الاستاذ الامام بقبول أولئك الاولاد بطريق الاستثناء وارضاه الوكيل ومدير المدارس بوعده المجلس له بأن يكون هذا الامتناء قاصرا على هؤلاء الاولاد لا يمتداهم الى غيرهم ولا يطالب ادخال غيرهم باستثناء آخر

في ذلك اليوم الذي قرر فيه مجلس ادارة الجمعية ما ذكر ذهبت الى مكتب الجمعية لمقابلة الاستاذ الامام عند خروجه فرأيتته خارجا مع بعض اعضاء المجلس وعلت ما تقرر . ولما كتب المؤيد في ترجمة حسن باشا ما كتب كتبت أشك فيما أعلم فراجعت درويش بك سيد احمد امين الجمعية (مسكوتها) منذ وجدت فقلت له هل رأيت ما كتب المؤيد في ترجمة المرحوم حسن باشا قال نعم قلت له أن الذي علمته انا يومئذ مخالف لما في المؤيد - وذكرته له - فأبنا الناظر ؟ فقال ان الغلط هو ما جاء في المؤيد وما تذكره انت هو الذي وقع . وعجبت مما قال المؤيد ان حسن باشا كتب الى المرحوم الشيخ « لا تضع رجلك في المحلة » الخ وحسن باشا أهل أديا من ان يكتب ذلك لمن دون الشيخ في مكاتبه الذاتية وفي صدقاته له فلا أدري من أين جاء المؤيد هذا

وجملة القول ان حسن باشا رحمه الله تعالى كان شديدا في المحافظة على النظام والقوانين كما كتبنا من قبل ولكن لم يكن مستبدا في الجمعية الخيرية ولا في غيرها وكيف يكون منبع النظام مستبدا ؟ وان أعضاء مجلس ادارة الجمعية كلهم من أهل

الامتثال لما كانوا يقعون له رأيا وإنما يقول كل واحد ما يظن له أنه الصواب وكان كل شيء مختلفون فيه يقرر بأكثر الآراء ان لم يتفقوا كما هو نص القانون أقول سمعت حسن باشا رحمه الله تعالى يقول بعد ما بلغ أمر الأمير بعزله الحمد لله إني الآن صرت قادرا على ان أعطي الجمعية الخيرية حقا من الخدمة فان السراي كانت آخذة مقام وفي

وقد عين بعد ذلك وبيلا لدائرة القصر العالي وكانت مخرجة معئلة مسلوقة منهوبة قادرها بدعة ونظام بهجز عنهما سواء ممن قضوا أعمارهم في ادارة الاعمال الزراعية والادارية والمالية . وعين مع ذلك مأمورا لبركة الأمير محمد إبراهيم وهي تضاهي دائرة القصر المالي ثروة وأعمالا ومشاكل فضبطها أحسن ضبط . ولما تأسست الشركة الانكليزية المصرية بالتجار بالاراضي الزراعية كان - وهو من مؤسسيها - وكيل أعمالها وأدهش الافرنج بأعماله فيها على كثرة أعماله في القصر العالي وفي تركة لامير محمد إبراهيم وفي الجمعية الخيرية ومدارسها . ثم عين مع ذلك عضوا في اللجنة الارادية لمدرسة القضاء الشرعي فكان لما من خدمته العظيمة الحظ العظيم . وقد أشرنا في الكلام عن اخلائه الى بعض عمله في جمعية احياء الدوم العربية التي كان وكيل رئيسها بل لم يكن لها بعد الامتياز الامام رئيس سواء . كان يعمل هذه الاعمال كلها مع منتهى الدقة والاعتقان ، فيأله ولهم الرجال

وهنا أقول اني كنت أنتقد عليه كثرة العمل وأخاف ان ينيكه فيقتله، وأتسى لجسمه النحيل ان يحمته ، وقد كان ما عفت ان يكون ، فاننا لله وانا اليه راجعون ، أصابه منذ أشهر ضيف في المعدة ترك لاجله أكل اللحوم كلها حاشا السمك وقد كان صام رمضان الماضي كله على الوجبة اذ لم يكن يتسحر فكلمته في ذلك غير مرة فقال لي اني جربت مرة فأكلت في السحور شيئا من الكفاة والفاكهة ثقيل علي وأصابني منه غثيان في النهار . وكنت أراه أحيانا بعد العصر من رمضان وقد ضمنت قوته وخفت صوته ، حتي لو استغفاني في الفطرا فنته ، ولكن الله تعالى احب ان يكون ذلك خاتمة عمله فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأحسن عزاءنا عنه ، ونفنا بسيرته الحميدة عنه وكرمه

حزب رزيئة مصر بحسن باشا عبد الرازق

حق لمصر اليوم ان تتمثل بقول الشاعر
رمائي المهر بالارزاء حتى فوادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال
يحق لمصر ذلك وقد رزئت بفقد الرجل العظيم حسن باشا عبد الرازق ولم
يكن على قدمها لصديقه الكريم حسن باشا عامم الا شهر ونصف وعلى قدمها
لصديقتها الاستاذ الامام الا سنتان وأشهر
أولئك هم الرجال الماقلون الماملون الماملون المخلصون في مصالح
ومواطن لا خلف لهم فيها تنعزى البلاد بادائه ما كانوا يؤدون كما كانوا يؤدون
ولا تكفر نعمة الله على البلاد بمن بقي من اصداقائهم الماملين الصادقين الذي
نجيل ابصارنا فلا ترى للواحد منهم كفوا ولا ندا يضارعه في عمله أو يفني
غناؤه فيه بل يجب ان نشكر له تعالى هذه النعمة، مع الصبر على ما أصابنا من المصيبة،
عسى أن يبارك لنا في أعمارهم، وينقنا بأعمالهم، فإن الصبر مجلبة الرحمة، والشكر
مدعاة المزيد، ولكن «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» كما ورد في الحديث الشريف .
ليس المنار شاعراً يرثي ولا خطيباً يرثي، ولا ورخابدون، وإنما هو واعظ
ومذكر، يستخرج العبر من حيث يجدها ويسوقها الى من غفل عنها أو جهلها،
ولا عبرة أنفع بعد هداية الله من التذكير بفضل العاملين الفارين، على الوجه
الذي يزيد اناس معرفة بفضل العاملين الحاضرين، وينهض بهم المستعدين
للتأسي بأولئك ونصر هؤلاء.

أما كان حسن باشا عبد الرازق رجلاً - والرجال قليل - باستعداده الفطري
ونشأته الدينية، فأما الاستعداد فهو الأصل في نبوغ كل رجل في الشرق حتى اليوم
الا ما عساه يكون في اليابان من حسن التعليم والتربية النظامية التي تنهض بضعف
الاستعداد حتى يبد من هو أعلى منه استعدادا اذا لم يصادف هذا من يريه كثير يته
نشأ من فقدنا اليوم نشأة دينية حتى أن الحكام المستبدين عجزوا عن حملها على

السكر ونحوه وهو في ربهان شبابه ، وغضاضة إهابه ، وقد كان مرة مع اسماعيل باشا المفتش واعوانه فأرادوه على الشرب معهم فتمنع فألحوا فاستعصم فأعطوه كأساً من الجعة (البيره) باسم « افندينا اسماعيل باشا » وحلفوا عليه به ليشرين فأصر على التمتع فاستكبروا ذلك منه وطفقوا يرجعون إليه القول ويسر إليه بعضهم ما يراه وراء هذا التمتع من عاقبة إهانة الاسم الكريم (اسم الخديو) فسنت له حيلة لتخلص فاخذ الكأس فأدناها من شفثيه فألقاها منقرزا مكفها وهو يتقل ويقول : قطعت البيره وشاربها ، ، وكيف تشربون هذا الشيء المر البشع الطعم وكيف تطيقونه : فقابلوا ذلك بالضحك والسرور ولم يعودوا إلى عرضه عليه مثل هذه الواقعة بعدها بعض النابتة المتفرنجية خشونة وحشية (وقلة ذوق أيضا) ولكن من أوتي نصيبا من الحكمة بعدها آية النبوغ الكبرى لأن شرب كأس الجعة يهدم الدين فحفظ الرجل دينه بالامتناع عنه بل بدلاتها على قوة الإرادة وعدم المبالاة بلوم الأئمين في العمل بما يعتقد وان كانوا كبارا فهذه هي دعامة الفضائل وأصل الكمالات التي يكون بها الرجال رجالا ولولا هذه المزية لما كان حسن باشا عبد الرازق ذلك الرجل الذي أحسن القول فيه أصحاب الجرائد التي تناهض حزبه السياسي الوطني وعدوه من أفراد الأمة العاملين الذي يقل نظيرهم وما يقولونه هم وغيرهم من المارقين بأقدار الرجال بأسفهم أبلغ مما كتب وأكبر بموت هذا الرجل تكورت العبر التي ترشد الأمة والنابتة الجديدة منها خاصة إلى ان الشرف الحقيقي والمجد الصحيح لا يكونان للإنسان إلا بأخلاقه وصفاته النفسية ، لا بماله ونسبه ، ولا بمشيرته ونسبه ، ولا بأوسمته ورتبه ، فقد مات في هذه السنين الثلاث الأخيرة غير واحد من أكابر الأمراء والعلماء والاعنياء ولم تكتب الجرائد في أحد منهم ولا قال الناس فيهم مثل ما كتب وقيل في تأييد الاستاذ الامام ثم صدقته حسن باشا عامهم ثم صدقها حسن باشا عبد الرازق على أنه كان لكل واحد من هؤلاء حالة سياسية تقضي باحترام بعض الجرائد وعدم إرخائها العنان للقلم في تأييدهم مرضاة أو مراعاة لمن هم في جانب عنهم . فوصف كل واحد منهم بما وصفته تلك الجرائد به لا يمكن ان يمد من ليل المبالغة بل كنا نقلم ان ما علم من فضلهم أكثر مما قيل وبما كتب

خدم حسن باشا عبد الرازق أمته في حسن سيرته في قومه وفي مجلس الشورى
وفي تربية أولاده النجباء وسنين ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



سجل أقوال

(الجرائد اليومية في الاحتفال بالمنار)

علمنا ان بعض قراء المجلة في غير هذا القطر يحبون أن تنشر في المنار أقوال
الجرائد المصرية في الاحتفال بالمنار فرأينا ان نوافي المحب ولو ببعض ما يجب . وقد
كثرت الجرائد الشيرة شيئاً في ذلك قبل الاحتفال وبعده واكتنا لم نحفظه بل لم
نطلع على كل ما كتب . فما كتب قبل الاحتفال ما جاء في العدد ٢٢١ من الجريدة
الصادر في ٢١ شوال

عيد المنار

تهنيء « الجريدة » هذه المجلة الطيبة التي كم لها من موقف مشهور في الدفاع
عن الحقائق الطيبة والمذاهب المتينة في أبواب الشرع الشريف . وكم لها من
التنبيه الرشيد على وجوب التمسك بالآداب العالية وبند التقاليد التي ما أنزل
الله بها من سلطان

تهنيء العلم وفن الكتابة في شخص مجلة المنار التي فتح الله عليها بالاثبات
النادر لأمثالها في الشرق فانها ستتم بعد الفد السنة العاشرة من عمرها . ونندعو
لها بطول البقاء قائمة على خدمتها الارشادية حاملة على الدخائل التي ظن القوم انها
من الدين وليست منه في شيء . ولا شك في ان من يقف مثل هذا الموقف
غير المؤلف عند الهوام كما وقف السيد محمد رشيد رضا نفسه على خدمة الحق من
غير مبالاة بمصاعب - لولا اثبات - تذهب بزيمة القائم بها . فمن يعلم مقدار

هذه الصعوبات كما نعلم لا يتردد في ان يزف التهئة للمنار بمناسبة هذا العيد
 ولقد كان زميلنا الاستاذ اسماعيل بك عاصم أول الشعراء بن بهذا الواجب
 فانه قد توجه للاحتفال بهذا العيد اذ دعا الى منزله اصحاب المجلات العلمية
 وكتابه في مساء الخميس ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٠٧
 فتسأل المنار ان يحية الله اعواماً كثيرة ونشكر ثبات منشئه على الحق وفضل
 المحفل على حسن اعتداده باقامة منارات العلم والعرفان
 ثم كتب في الجريدة بعد الاحتفال ما يأتي (نقل عن العدد الصادر في ٢٦ شوال)

الاحتفال بمجلة المنار

لعمري كلمة واحدة على أن الديانات مصلحة للنفس وناحية بها مناجي
 الخير وكذلك اتفقوا على ان الديانات الثلاث المبروقات في ديارنا هذه لا تضاد
 بينها في الحقيقة ونفس الأمر وإنما يوجد في كل متأخرة منها عن أختها بعض
 زيادات اقتضاها تدرج الانسان أو بعض تقاسير لما تخض من نصوص ما قبلها
 لا خلاف في هذا بين أولي الألباب من اصحاب هذه الديانات على تخالف
 رسومها الظاهرة وتقاليدها في تلقين العقائد التسليمية كما لاخلاف بينهم في ان
 التقاليد التي هي في كل دين بعيدة عن أصله وغريبة عن طبعه هي مفسدة بأهل
 وان مقاومتها وازهاق روحها بعد اصلاحاً كبيراً في الأمم يستحق القائمون به
 أعظم شكر وأجزل مكافأة أدبية

ولدينا الآن مثال جديد على ما قدمنا فان حضرة الأصولي الفاضل اسماعيل
 بك عاصم خطر في باله خاطر شريف وهو ان يقوم بخدمة جليلة للاصلاح بتكريم
 أهله ووجد من المناسب لهذا ان يقيم احتفالاً لمجلة المنار الاصلاحية باتمامها
 عقداً من العمر (عشر سنين) فدعا لمنزله حضرات اصحاب المجلات العلمية
 ومحرريها مساء يوم الخميس فلبوا دعوة وانتظم في منزله عتدم فيهم المسلمون
 والمسيحيون والموسويون وقدم لهم مائدة فاخرة وبعد الطعام قام فأتى خطبة لينة
 حتى اذا أتمها قام حضرة العالم الفاضل منشي المنار فأجابه بكلمات في منتهى
 البلاغة فزاد رفعة في أعين الحاضرين ذلك التواضع الذي اشتمت عليه هذه

الكلمات . وتلاه حضرة الدكتور يعقوب افندي صروف منشىء المقتطف
 فذكر في خطبته مثل ما قدمناه من فوائد البيانات اذا احسن تفسيرها والقيام
 بها حق القيام ووجه كثيراً بفضل منشىء المنار وحسن خدمته الانسانية بخدمته الدينية
 ثم خطب الأديب توفيق افندي عزوز صاحب المفتاح فأجاد . ثم الأديب
 سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية وذكر في خطبته ما لاقاه السيد رشيد
 من الصعوبات في نصرة الحق وقال ان مخالي المنار قد اتفقوا به . وانتهت هذه
 الحفلة باجماع الحاضرين وهم نحو عشرين قاضياً على ان ما قام به حضرة اسماعيل
 بك من تكريم المسلم على هذه الصورة يستحق أعظم شكران فخرجوا وهم بلسان
 واحد يلهجون بالثناء ويتحدثون باهتمامه بالعلم والطلب
 ونحن نشارك بشكر حضرة الفاضل اسماعيل بك ونسئ ان تسري ونعم
 هذه الروح الشريفة روح تكريم العلم بشكرهم ورجاله وزوجات يكون همل
 حضرة فاتحة جميلة لأمثاله

وجاء في عدد الأهرام الذي صدر في غد يوم الاحتفال مانعه :

(حفلة أدبية)

أقام أس في داره العامة حضرة الكاتب الفاضل والمهامي المشهور
 اسماعيل بك عاصم مادة شائقة اكراما لحضرة العالم المامل السيد رشيد
 رضا واحتفالاً بمرور عشر سنوات كاملة على مجلته المشهورة والمنار . وقد دعا الى
 الحفلة أصحاب المجلات المصرية ومحربيها وأتى عليهم خطبة نفيسة ذكر فيها ما ترو
 السيد رشيد في مباحث مجلته الزهراء التي هي أكبر أمثلة الاجتهاد المناق للتعليد
 الجامد في الدينيات والدينيات وتطرق من ذلك الى ذكر خصال المومى اليه
 لكرامة من فضل وفضيلة وآداب وبعد نظر والى معاشرته اياه مدة ثمانى سنوات
 متوالية . وبين ضرورة احتفاء الامة بأصحاب المجلات الراقية بها ووجوب تشجيعها
 لهم وما يطالبون به ويرجون له ازاء ذلك من كشف الحقائق وتأيدها بالاصلاح
 الوطني والاجتماعي

وجاء في أواخر الخطبة قوله :

«ومن أبداع ما رأيت ان سعادة العالم الفاضل أحمد قنحي باشا زغلول استشهد في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصحيفة السابعة بشذرات من فاتحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها وحازت الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها »
ونحن نشي على حضرة الداعي والمدعو ونسأل الله أن يكثر من هذه الاربحية في صدور وجهائنا وفضلائنا

وجاء في جريدة الظاهر مانصه :

أرسل الينا حضرة عزتو الأصولي البارع اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير خطبته التي ألقاها في الحفلة التي أعدها أخيرا في داره لملء الكتاب أصحاب المجالات المصرية ومحرد بها بأتمام مجلة المنار لسنة الماشرة من عمرها . وقد افتتحها حضرة بمقدمة أمل فيها ان تكون الحفلة فاتحة لامثالها في المستقبل ثم استطرد منها الى ذكر مجلة المنار وخدمتها العلمية والدينية واخلاق صاحبها وعلمه وأدبه مبينا ان تقدير الماملين تنفع الامة وخدمتها ونشجعهم على أعمالهم حسا ومعنى مما يزيد في رقي البلاد وتقدمها وختمها بالشكر على الذين أجابوا الدعوة وحضروا الحفلة فنشكره أجل شكر على حسن صنيعه هذا ونرجو ان يقتدي به أدياء الامة وأفاضها لتكون الفائدة أعم والنفع أتم

وجاء في المؤيد الذي صدر في ٢٥ شوال ما يأتي

احتفل حضرة القاتوني الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي ايلة الجمعة في داره بالعباسية بدخول مجلة المنار في سننها الماشرة احتفالا شائقا دعا اليه أرباب المجالات المصرية وبعد الطعام خطبهم حضرة المحتفل في فضل المجالات واستطرد الى ذكر المجلة المحتفل بها وعدد فضل صاحبها فاجابه حضرة صاحب المنار بمبارات الشكر وأثنى على رصفائه الحاذرين أطيب الثناء ثم قام بعض أرباب المجالات وخطبوا أيضا بما يناسب وقيل منتصف الليل انصرف المدعون داعين اصحاب المنار

ومجته ومثنيين علي مرونة صاحب الدعوة ووفائه ومتواعدين أن يجتمعوا في خلال هذا الشتاء اجتماعات أخرى للبحث فيما ينفع البلاد ويرقي شأن العلم فيها

وجاء في جريدة مصر في غد يوم الاحتفال ما نصه

الاحتفال الادبي الكبير

دعا حضرة الأصولي الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير مساء أمس الى حفلة أدبية أقامها في منزله بالمباينة لحضرات أصحاب المجلات العلمية الأدبية لمناسبة دخول مجلة المنار في سنتها العاشرة وتمهيداً لموالات هذه الاجتماعات الأدبية لتكون واسطة في زيادة التآلف والتعارف بين جماعة المشتغلين بالصحافة فلي دعوته جميع أصحاب هذه المجلات الا واحداً أو اثنين اعتذرا عن عدم الحضور لأسباب قسرية فكان عدد الحاضرين منهم لا يقل عن العشرين وكلمهم من كبار رجال الصحافة المشهورين وم أصحاب المقتطف والهلل والمفتاح والمنار والمقتبس ومجلة نمر كيس والهدى وحكمت ومرآة العلوم ومجلة الاجتهاد التركية ولما انتظم عقد اجتماعهم أخذوا يتبادلون عبارات التحية والمودة ويتباحثون في ما يرتي شأن مهنتهم ويطلعي مكاتبتها ثم دعاهم حضرة المحتفل الفاضل الى قاعة الطعام التي كانت في أبي زخرفها وزينتها حيث اجتمعوا حول مائدة فاخرة على الطراز الأوربي فتناولوا ما قد وطاب ثم انبرى الخطباء منهم وم حضرات اسماعيل بك عاصم والدكتور يعقوب صروف وفارس نمر صاحب المقتطف وتوفيق افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح والسيد افندي محمد صاحب مجلة الهدى والمجلة المدرسية فتكلموا بما يناسب المقام فهنوا المحتفل به علي تقدم مجله وارتقائها وأثنوا على حضرة اسماعيل بك عاصم الذي كان واسطة عقد هذا الاجتماع وتمنوا جميعاً ان تكثر بينهم مثل هذه الاجتماعات الادبية المفيدة ثم نهض حضرة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار فأثنى على المحتفلين به جميعاً وأظهر لهم خجله من احتفائهم به واكرامهم له عن غير جدارة واستحقاق عبارات كلها في منتهى البلاغة وحسن التعبير ومن ثم انصرف الجميع وكلمهم السنة تلهج بالشكر

والتناء على صاحب هذه الحفلة بعد ان قرروا اعادة مثل هذا الاحتفال الصحافي مرة في كل شهر لما ينجم عن ذلك من الفائدة وانفع

وجاء في المقطم الذي صدر في غد يوم الاحتفال ما نصه :
 أولم حضرة الخطيب الشهير والاصولي الفاضل اسمعيل بك عاصم أمس مساء
 وليمة فاخرة في منزله بالعباسية لحضرات أصحاب المجلات العلمية والأدبية في هذه
 العاصمة احتفالاً بدخول مجلة المنار الفراء في صنفها العاشرة ومدتهم مائة من ذوات
 الأعمار من دمشق الشام وحلب وبيروت ولبنان وادار النذل (هو بضم نين خديم
 الدعوة) عليها مائة وطاب من الطعام المتعدد الألوان ولما انتهى المدعوون من العشاء وقف
 سعاده الفاضل صاحب الدعوة وسط جمع كاه من رجال العلم وارب باب القلم خطب عليهم
 خطبة غراء رنانة نشرناها يرميها في هذا العدد ليطلع القراء الحرام عليها . ثم وقف حضرة
 العالم الفاضل السيد رشيد رضى المحتفل به ورد على تلك الخطبة رداً كاه اتضاع واحتشام
 بكلام قل ودل ووقع في النفس وقماً حسناً وتلاه آخرون من المدعوين فخطبوا في
 مدح المحتفل والمحتفل به واظهروا فوائد مجلة المنار وشهدوا بالفضل لصاحبها المنفصل
 ثم اتفق المدعوون على ان يجتمعوا للانس والسر ونوثيق عمرى المودة والصدقة
 مراراً في هذا الشأن ويبحثوا في غضون ذلك عن أحسن الطرق التي تتجه مساعيهم
 فيها لخير الجمهور وتنع أهل القطر

وجاء في جريدة المنبر الصادرة في ٢٧ شوال ما نصه :
 فأتانا أن نشر الى الاجتماع الأدبي الذي عقد في منزله مساء الخميس
 الماضي حضرة صاحب العزة اسمعيل بك عاصم الهامي الشهير احتفالاً بأتمام مجلة
 المنار الفراء لسنة العاشرة من سني حياتها لقد كان جامعاً لنخبة أهل الفضل من
 أصحاب المجلات المصرية ومحرميها حافلاً بالثائق والمجرب من الآراء والافكار
 وقد استهل الاحتفال حضرة صاحب الدعوة بخطبة في اطراء حضرة المحتفل به
 وفي شؤون آخر ثم خطب على أثره بعض المدعوين في تكريم حضرة الأستاذ
 النافع صاحب المنار وتأثير المجلات العلمية في ترقية الافكار والآراء فمنه ثني
 على حضرة المحتفل وتسمى للمنار ولسائر المجلات النافعة للحياة والنيات

يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

اللهم
١٣١٥

فيشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوتى و « منارا » كمنار الطريق

مصري القعدة سنة ١٣٢٥ - آخره السبت ٤ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٨

كتابان سياسيان

للسيد جمال الدين الأفغاني (١)

الاول أرسله من البصرة الى رئيس المجتهدين في السامرة (سراً من رأى)
وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المهدية أينما وجدت ،
وحيثما حلت ، وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحققت بها ، وقامت بواجب
شؤونها ، كيفما نشأت ، وفي أي قطر نبئت ، الا وهم العلماء ، فأحببت عرضه على الكل
وان كان عنوانه خاصاً ،

حبر الأمة ، وبارقة أنوار الأئمة ، دعامة عرش الدين ، واللسان الناطق
عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة
الاسلام ورد كيد الزنادقة الأثام

لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى واختارك من العصابة
الحقة وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الفراء وحراسة حقوقها بها
وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتباب فيها وأحال اليك من بين الأئمة (وأنت
وارث الانبياء) مهام أمور تسعد بها الملة في دارها الدنيا وتحظى بالمعنى ووضع
لك أريكة الرئاسة العامة على الأئمة والنهي اقامة لدعامة العدل وانارة لمحجة
الهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والذود عنها
والشهادة دونها على سنن من مضي

(٥) منقولان من ترجمته في الجزء الأول من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن

وان الأمة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضيعةا وعاليها قد
أذعن لك بهذه الرئاسة السامية الربانية جاثية على الركب خارة على الاذقان
تطرح نفوسها اليك في كل حادثة نعروها تطل بصائرنا عليك في كل مصيبة
نمسا وهي ترى ان خيرها وسعدها منك وان فوزها ونجاتها بك وان
أمنها وأمانها فيك

فاذا اح منك غض طرف ، أو نيت (١) بجانبك لحظة ، وأمهلتها وشأنها لحظة ،
ارتجفت أفئدتها ، واخملت مشاعرنا ، وانتكمت عقائدها ، وأنهدمت دعائم ايماننا ،
نم لا برهان للمامة فيما دانوا ، الا استقامة الخاصة فيما أمرنا ، فان وهن هؤلاء
في فريضة ، أو قعد بهم الضعف عن اماطة منكر ، لا عتور أوائلك الظنون والاهام ،
ونكبص كل على عقبه مارقا من الدين القويم ، حائدا عن الصراط المستقيم ،
وبعد هذا وذاك وذلك أقول ان الأمة الايرانية بما دهمها من عراقيل
الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتناول الأ جانب على
حقوق المسلمين ، ووجوم الحججة الحق (اياك أعني) عن القيام بناصرها وهو
حامل الامانة ، والمسؤول عنها يوم القيامة ، قد طارت نفوسها شماعا ، وطاشت
عقولها ، وتامت أفكارها ووقفت موقف الحيرة (وهي بين انكار واذعان
وجحود وايقان) لا تهتدي سبيلا وهامت في بيداء المواجهس ، في عممة الوسواس ،
ضالة عن رشدنا لا تجد اليه دليلا ، وأخذ القنوط بمجامع قلوبنا ، وسد دونها
أبواب رجائها ، وكادت ان تختار ايامنا منها الضلالة على الهدى ، وتعرض عن محجة
الحق وتبعم الهوى ، وان آحاد الأمة لا يزالون يتساءلون شاخصة أبصارهم عن
أسباب قضت على حجة الاسلام (اياك أعني) بالسبات والسكوت ، وحتم عليه
ان يطوي الكشع عن إقامة الدين على أساطينة ، واضطره الى ترك الشريعة
وأهلها ، الى أيدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون ، ويحكمون فيها بما يشاؤون ،
حتى ان جماعة من الضمفاء زعموا أن قد كذبوا وظنوا في الحججة ظن السوء ،

(١) كذا في الاصل والبيت هو التمايل من ضعف وفعله كمال يكبل

وحسبوا الامر أحبولة الحاذق، وأسطورة المذق، وذلك لانها ترى (وهو الواقع)
ان لك الكلمة الجامعة، والحجة الساطعة، وان أمرك في الكل نافذ، وليس
لحكك في الامة منابذ، وانك لو أردت تجمع آحاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة
تنبثق من كيان الحق الى صدور أهل) فتروى بها عدو الله وعدوهم، وتكف
عنهم شر الزنادقة، وتزيح ماحاق بهم من العنت والشقاء، وتنتشلهم من ضنك
العيش الى ما هو أرغد وأهنى، فيصير الدين بأهلها منيعا حريزا، والاسلام بحجته
رفيع المقام عزيزا،

هذا هو الحق. انك رأس العصاة الخفة (١)، وانك الروح الساري في آحاد الامة،
فلا يقوم لهم قائم الا بك، ولا تجتمع كلمهم الا عليك، لوقت بالحق نهضوا جميعا
وهم الكلمة العليا، ولو قدمت ثبطوا، وصارت كلمتهم هي السفلى، وربما كان
هذا السير والدوران حينما غض جبر الامة طرفه عن شؤونهم، وتركهم هلا بلا راع،
ومهما بلا رادع ولا داع، يقسم لهم عدرا فيما ارتابوا. خصوصا لما رأوا أن
حجة الاسلام قدوني فيما أطبقت الامة خاصتها وعامتها على وجوبه، وأججت
على حظر الاتقاء فيه (٢) خشية لغوبه، الا وهو حفظ حوزة الاسلام الذي به يد
الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم والسعادة التامة. ومن يكون ألبق بهذه
وأحرى بها ممن اصطفاها الله في القرن الرابع عشر، وجعله برهانا للدين، وحجة على البشر،
أيها الجبر الأعظم، ان الملك قدوهنت سيرته، فسأت سيرته، وضعت مشاعره
فقبحت سيرته، وعجز عن سيامة البلاد، وإدارة مصالح العباد، فجعل زمام
الامور كايها وجزئيا بيد زنديق أثيم، غشوم ثم بعد ذلك زعيم. يسب الانبياء
في المحاضر جبرا، ولا يدعن لشريعة الله أمرا، ولا يرى لروساء الدين وقرا،
يشتم العلماء، ويقذف الاتقياء، ويهين السادة الكرام، ويمامل الوعاظ معاملة
النام، وأنه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد دخل المنار، ونهاه بشرب
المقار، وموالة الكفار، ومعاداة الأبرار، هذه هي أماله الخاصة في نفسه،
ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الابراية ومانفها لأعداء الدين - المهادن،

(١) الخفة الثابتة القوية والمراد طاقة العلماء لاصحابهم يدين منهم (٢) الاتقاء التقية

والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين فقوم البلاد ، والمخانات التي تبني على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تنسحب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول . . . نهر الكارون والفنادق التي تنشأ على ضفتيه الى المتبع وما يستنبعا من الجنائن والبروج . . . والجادة من الاهواز الى طهران وما على أطرافها من العمارات والفنادق والبساتين والحقول . . . والتبناك وما يتبعه من المراكز ومحلات الحرث وبيوت المستحقين والحاملين والبائسين أي وجد وحيث ثبت ، وحكر العنب والخمور وما تستازمه من الحوانيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد ، والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المعامل ، والبنك وما أدراك ما البنك هو اعطاء زمام الأهالي كلية بيد عدو الاسلام واسترقاقه لهم واستملاكه ايام وتسليمهم له بالرئاسة والسلطان ،

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي العامة براهي برهانه فحبق قائلاً ان هذه معاهدات زمانية ، ومقاولات وقتية، لا تطول مدتها أزيد من مائة سنة !! يا لله من هذا البرهان الذي سوله خرق الخائنين ، وعرض الجزء الباقي على الدولة الروسية حقاً لسكوها (لو سكتت) مرداب رشت وأنهر الطيرستان والجادة من أنزلي الى الخراسان وما يتعلق بها من الدور والفنادق والحقول . . . ولكن الدولة الروسية شخت بانفها وأعرضت عن قبول تلك الهدية ، وهي عازمة على استملاك الخراسان والاستيلاء على الأذربيجان والمازندران ان لم تحل هذه المعاهدات ولم تنسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماماً بيد ذاك العدو اللد ، هذه هي النتيجة الاولى لسياسة هذا الأخرق ،

وبالجملة ان هذا المجرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على الدول يبيع المزاد، وانه يبيع ممالك الاسلام ودور محمد وآله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لحسة طبعه ودنائة نظره لا يبيعا الا بقيمة زهيدة ودرهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت الثأمة والشره بالحياة والسفه)

وانك أيها الحقبة ان لم تقم بناصر هذه الأمة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرخ من يد هذا الأثيم لا أصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الأجانب (يحكون

فيها بما يشاؤون ويفعلون ما يريدون) ، واذا فاتتك هذه الفرصة أيها الخبير ووقع الامر وانت حي لما أقيت ذكرا جيلا بمدك في صحيفة العالم وأوراق الثوار يخ... وأنت تعلم أن علماء الايران كافة والامة بأجمعهم ينتظرون منك (وقد خرجت صدورهم وضائق قلوبهم) كلمة واحدة ويرون سمادتهم بها ونجاتهم فيها... ومن خصه الله بقوة كهذه كيف يسوغ له أن يفرط فيها ويتركها سدى ،

ثم أقول للحجة قول خبير بصير ان الدولة العثمانية تشجع بهضنتك على هذا الامر وتساعدك عليه لانها تعلم أن مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها تجلب الضرر الى بلادها لاجمالة ، وان وزراء الايران وأمراءها كلهم يتهجون بكامة تفيض بها في هذا الشأن لانهم بأجمعهم يهافون هذه المستحدثات طبعا ، ويسخطون من هذه المقاولات جبلة، ويمجدون بهضنتك مجالا لا بظالما ، وفرصة الكف شر الشره الذي رضي بها وقضى عليها ،

ثم ان العلماء وان كان كل صدع بالحق وجبته هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن ردعهم للزور وزجرهم عن الخيانة ونهرهم المجرمين ماقرت كساسة المعدات قرارا ، ولاجمتها وحدة المقصد في زمان واحد ،

وهؤلاء لثقاتهم في مدارج العلوم ونشا كلهم في الرئاسة وتساويهم في الرتب غالبا عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض ولا يصير أحد منهم لاهقا للآخر ولا يقع بينهم تأثير الجذب وتأثير الانجذاب حتى تمتدق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره، وكل يردع الزور وهو في مركزه، (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المنكر والبقي) . وأنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت من الدرجة السامية والمثولة الرفيعة علة فمالة في نفوسهم، وقوة جامعة لقلوبهم، وبك تنضم القوى المتفرقة الشاردة، وتلتئم القدر المتشتتة الشاذة ، وان كلمة منك تأتي بوحدانية نامة يحق لها أن تدفع الشر المحرق بالبلاد، وتحفظ حوزة الدين وتصورن بيضة الاسلام... فالكل منك وبك واليك .. وأنت المسؤول عن الكل عند الله وعند الناس

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته قد قاسوا

من ذلك القتل شذائد ما سبق منذ قرون لها مثيل ، وتحملوا لصيانة بلاد المسلمين
عن الضياع وحفظ حقوقهم عن التلف كل هوان وكل صفار وكل فضيحة .
ولا شك أن حبر الامة قد سمع ما فعله أدلاء الكفر وأعوان الشرك بالعالم
الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدر بندي . وسمع قريباً ما صنعه
الجفاة الطغاة بالعالم المجتهد التقي البار الحاج السيد علي أكبر الشيرازي ومنحبط
هنا بما فعله بحماة الامة من قتل وضرب وكى وحبس . ومن جملتهم الشاب
الصالح الميرزا محمد رضا الكرهاني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل
البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاريب النجيب الميرزا محمد
علي خان والفاضل المتقن اعماذ الساطنة وغيرهم .

وأما قصتي ، وما فعله ذلك الكنود الظلوم معي ، فما يفت أ كباد أهل الايمان ،
ويقطع قلوب ذوي الايقان ، ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الاوثان ،
ان ذلك اللثيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام في شدة
المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان و صفار وفضيحة لا يمكن أن يتصور دونها
في الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) « ان الله وانا اليه راجعون »

ثم جهني زبانيته الاوغاد وانا مريض على برذون مسهلاني فصل الشتاء وتراكم
الثلوج والرياح الزهريرية وساقني جحفة من الفرسان الى خاتقين وصحبي جمع
من الشرط ولقد كاتب الوالي من قبل والتمس منه أن يهدني الى البصرة علمانه أنه
لو تركني ونفسي لانيك أيها الحبر وبثت لك شأنه وشأن الامة وشرحت
لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق ، ودعوتك أيها الحججة الى عون
الدين ، وحملتك على اغائة المسلمين ، وكان علي يقين اني لو اجتمعت بك
لا يمكنه ان يبق على دست وزارته المؤسسة على خراب البلاد ، وهلاك العباد ، واعلاء
كلمة الكفر وبما زاده لو ما على لومه ودناة على دنائه أنه دفعاثورة
العامه ونسكيناً لطجاج الناس نسب تلك المصابة التي ساقها غيره اليهين وحمية
الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان)
الى الطائفة البابية . . . كما أشاع بين الناس أولاً (قطع الله لسانه) اني كنت غير

مختون (وا إسلاماه) ما هذا الضعف؟ ما هذا الوهن؟ كيف أمكن أن صعلوكاً
دنيء النسب، ووغداً خسيس الحسب، قد ران يبيع المسلمين وبلادهم بثمن بخس
دراهم معدودة ويزدري بالعلماء ويهين السلالة المصطفوية ويهين السادة المرئضية
البيتان العظيم، ولا يد قدرة تسأصل هذا الجنر الخبيث شفاء ان يظ المؤمنين،
وانتقاماً لآل سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام .

ثم لما رأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرة العالمة أمسكت عن بث الشكوى
ولما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر الى البصرة طلب مني ان اكتب
الى الخبر الاعظم كتاباً أثبت فيه هذه الفوائذ والحوادث والكوارث فبادرت اليه
امثالاً، وعلمت أن الله تعالى سيحدث بيدك أمراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
السيد الحسيني

.....

(يقول محمد وشيد) إن هذا الكتاب نفخ روح الحاسة والفيرة في ذلك
العالم العظيم صاحب النفوذ الروحي في الامة الفارسية فأثني بحرمة استعمال التذابك
وزراعتة واذاع العلماء فتواه بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتى قيل
ان الشاه طالب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوى الى طهران الخارجيه (الشيشة)
فقيل له انه ليس في القصر تذبك لاننا اتلفناه فسأل عن السبب مبهوتاً فقيل له:
فتوي حجة الاسلام: فقال لم لم نمتأذونني؟ قيل انها مسألة دينية لا حاجة فيها
الى الاستئذان!! واضطر بعد ذلك الى ترضية الشركة الانكليزية على أن تأخذ
نصف مليون جنيه وتبطل الامتياز . وهذا انقذ السيد جمال الدين بلاد ايران من
احتمال الانكليز لها بابطال مقدمته وهو ذلك الامتياز أو الامتيازات التي قرأت
شرحها في كتابه فهكذا تكون الرجال وهكذا تكون العلماء

هكذا هكذا والا فلا لا ليس كل الرجال تدعي رجالا

وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس ثم الظهور بما كان قاب نظام
الحكومة ونحوها عن الاستبداد المطلق الى الشورى . ولعل تلك الحادثة هي
المنبه للاول للعلماء الى ان الامر في ايديهم . فالسيد جمال الدين علي هذا هو

العامل الاول في هذا الانقلاب كما أنه سبب الانقلاب الذي حدث في مصر فان عمل جمعيته كان اول سمي في مقاومة سلطة اسماعيل باشا وتقويضها وفي نفخ روح الاصلاح في توفيق باشا حتى واثق السيد وخاصة بأنه اذا آل الامر اليه ليؤسس مجلس نواب وليعلمان وليعلمان . ولكن تداخل الجند في السياسة أفسد العمل بهد ذلك ولم يكن نجاح العلماء بسميه وارشاده في ابطال تداخل الاجانب في بلاد فارس هو المنبه وحده لكون سلطة العلماء والامة فوق سلطة الملوك بل كان تمام التذية قتل الشاه بعد ذلك وما قيل من ان قاتله من اتباع السيد جمال الدين لم يكتب السيد بتحريض كبير المهتمدين وسائر العلماء على الشاه ووزيره ولا بنجاحه في نديهم له بل ذهب من البصرة الى أوروبا وطفق بظمن فيها بالقول والكتابة وقد أسس هناك مجلة شهرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية باسم (ضياء الخائفين) أو سمي في تأسيسها وكان يكتب في كل عدد منها مقالة في أحوال فارس بموقعية المعروف (السيد) أو (السيد الحسيني) وكان الكلام في مهر من أهم مباحثها وقد فضح في مقالة عن بلاد فارس حكومتها وشاها شمر فضيحة حتى جاءه سفير المعجم في لندره يستميله ويسترضيه ليكف عن الكلام والكتابة في ذلك وعرض عليه مالا كثيراً فقال له السيد «لا أرضى الا أن تزهد في روح الشاه وبقر بطنه ويوضع في القبر» فكان هذا القول من الشبه على كون القاتل له من اتباع السيد . واننا نورد هنا بعض ما كتبه في ضياء الخائفين عن بلاد فارس تخليداً له في التاريخ وهالك ما كتبه في المدد الثاني تحريضاً للعلماء على خلع الشاه والقيام بشؤون الامة . وهذا المدد صدر في أول مارس (آذار) سنة ١٨٩٢

بلاد فارس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حجة القرآن ، وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ، ونصراء الشرح المبين ،
جنود الله الغالبة في العالم ، ووجهه الدائمة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا
محمد حسن الشيرازي . و جناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي ، و جناب الحاج
الميرزا أبي القاسم الكر بلائي ، و جناب الحاج الميرزا جواد الأقال تبريزي ، و جناب
الحاج السيد علي أكبر الشيرازي ، و جناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي ،
و جناب الميرزا حسن الأشتياني . و جناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء .
و جناب الحاج آقا محسن العراقي ، و جناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني ،
و جناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي . و سائر هداة الأمة . و نواب الأمة .
من الاحبار العظام ، و العلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين ، و أرغم
أتوف الزنادقة المتجبرين ، آمين

طلما نالت الامم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها
وشرها . و لكم سوت لها ما نزلها خدعا تتمكنها من الولوج في ارجائها وتمد فيها
سلطانها على غرة من اهلها تحاشيا من المقارعة التي تورث الضغائن فتبث النفوس
على الثورة كلما سنحت لها الفرص وقضت بها الفترات . و لكنها علمت ان بلوغ
الارب و العلماء في عز سلطانهم ضرب من المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا ،
و الناس جميعا طوع يدهم ياتمرون كيفما أمروا ، و يقومون حينما قاموا ، لا مرد
لقضائهم ، و لا دافع لحكمهم ، و انهم لا يزالون يدأبون في حفظ حوزة الاسلام
لأن أخذهم فيه غفلة ، و لا تعروهم غرة ، و لا تتمد بهم شهوة ، فخذست وهي تبصر
بهم الدوائر ، و تتوقب الحوادث ، ايم الله إنها قد اصابته فيارات ، لان العامة
لولا العلماء و عظيم مكانتهم في النفوس لانجأت بطيب النفس الى الكفر و استغلت
بلوائه خلاصا من هذه الدول الذليلة الجائرة المحترقة التي قد عدمت القوة ، و فقدت

النصفه، وانفتت المجاملة، فلا حازت منها شرفاً، ولا صانت بها نفسها حقاً، ولا انشرح منها صدرها فرحاً.

ولذا كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلاميه وثبت عليها طائفة من الافرنج ومجت انسابها، وظلمت رسماها، ان سلاطين الهند وأسراء ماوراء النهر جدت في إذلال علماء الدين فساد الوبال عليهم سنة الله في خلقه... وان الافغانيين ما صانوا بلادهم عن أطماع الأجانب وما دفنوا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت في نصابها *

ولما تولى هذا الشاه (الحارثية «١» الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجاً ويخفف شأنهم ويقتل نفوذ كلمتهم جماً بالاستبداد بباطل أوامرهم ونواهيهم، وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره، فطرد جهماً من البلاد بهوان، ونهته فرقة عن إقامة الشرح بصغار، وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والحرق (طهران) وقهرها على الإقامة فيها بذل فخلاله الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلب في أطوار الفظائع وتجاهر بأنواع الشنائع وصرف في أهوائه المدنية وملاذه البهيمة مامصه من دماء الفقراء والمساكين عصراً ونزع من دموع الأراذل والأيتام قهراً (يا الاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغداً خسيساً ليس له دين يردعه ولا عتل بزجره ولا شرف نفس يمنه وهذا المارق ما قعد على دسته الا وقام بآبادة الدين ومعاداة المسلمين وساقته دناءة الأرومة ونذالة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلاميه بغير زهيدة *

فحسبت الأفرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الإيرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذرون عن حوزة الاسلام قد زالت شوكتهم ونفذ نفوذهم فهرع كل فاعراً فاه يبغى أن يسرط قطعة من تلك المملكة * فغار الحق وغضب على الباطل فدمغه فحباب مسماه وذل كل جبار عنيد.

(١) هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه صها وانفسها وهي أخشب الافاعي

أقول الحق إنكم يا أيها القادة قد علمتم الاسلام بمنزمتكم وأعلمتم كلمته وملائم
القلوب من الرهبة والهيبة . وعلت الأجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة
لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سياج البلاد ويديكم أزمة العباد ولكن قد علم
الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبرا لكسر وحرما على
الوصول الى الغاية وأزمت على اغراء ذلك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة
من البلاد . وأبانت له ان انقاذ الأوامر انما هو باقتياد قواد الجيوش وان القواد
لا يعصون للعلماء أمرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاستدباب الحكومة استبدالمهم
بقواد الأفرنج . وأرت لذلك البليد الخائن وأمة الشرطة وقيادة فوج (١) القزاق
عمودجا (كنت واضرايه) . وان ذلك الزنديق وزملاؤه في الاتحاد يمدون الآن
في جلب قواد من الأجانب . والشاه مجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتز به طرباه
لعمرك الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهدتة والشهرة على محق الدين
واضلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مناقرة
ياهداة الأمة انكم لو أهلمتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وأمهتموه على سريره
جنونه وما أمرتم بخلعه عن كرسيه لقصي الأمر فمسر العلاج وتصدرا التدارك
أنتم نصراء الله في الأرض . ولقد تمحصت بالشريعة الالهية نفوسكم عن
أهواء دنية بُعث على الشقاق وتدعو الى التناق ويؤس الشيطان بقذافات الحق
عن تحريق كلمتكم . فأنتم جميعا يدؤواحدة يدؤد بها الله عن صياصي دينه الحصينة
ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة . وان النار كافة (الامن
قضي الله عليه بالحجبة والخسران) طوع أمركم . فلو أعلنتم خلع هذا (الحاربية)
لأطاعكم الأمير والحفير وأذعن لحكمكم القوي والفقير (ولقد شاهدتم في هذه
الأزمان عيانا فلا أقيم برهاننا) خصوصا وان الصدور قد خرجت وان القلوب
قد تفتتت من هذه السلطنة القاسية الحق التي ماسدت ثغورا ولا جندت جنودا
ولا حرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزت كلمة الاسلام ولا أراحت يوما

(١) يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من المسكوبة التي يطلق عليها الترك
لفظ طابورد (وصوابه بالعربية تابورد) ويطلق عليها في مصر لفظ أورطوهي أعجبية

ما قلوب الأنام بل دمرت وأقوت وأقوت وأذلت ثم بعد ذلك وارتفعت
وأنها سحقت عظام المسلمين وصجنتها بدماهم فعملت منها البنات (١) بنت بها قصورا
لشبهاتها الدينية . هذه آثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة نسألها
وتبت يداها *

وإذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبص بها لسان الحق غيره على دينه)
فلا ريب أن الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الميدان عن أوامر الأهلوية
ولا يسعه إلا الخضوع بمتبتكم غبة الشريعة المحمدية كيف لا وهو يرى عيانا ما لكم
من القوة الربانية التي تفلتون بها الطغاة عن كرسي غيا . وإن العامة متى سمعت
بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم وأما وحامت حولكم هيأما وصارت
جميعا جندا لله وحزبا لا ولياته العلماء *

ولقد وهم من غن أن خلع هذا (الحارثية) لا يمكن إلا بهجات المساكر
وظلمات المدافع والقنابر . ليس الأمر كذلك . لأن عقيدة إيمانية قد رسخت في
النفوس ، وتمكنت من النفوس ، وهي أن الراد على العلماء راد على الله (هذا هو
الحق وما به المذهب) فإذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله في هذا القاصب
الجائر وأبتم أمره تعالى في حرمة إطاعته لانفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا
جدال ولا قتال *

ولقد أراكم الله في هذه الأيام إنماما لبعثته ما أولاكم من القوة التامة ،
والقدرة الكاملة ، وكان الدين في قلوبهم زبغ في ريب منها من قبل . اجتمعت
النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون الدليل وهامانه الرذيل (مسألة التنبأك)
فصجبت الامم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذها وبهت الذي كفر . قوة
أنصها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام . فهل يجوز منكم اهمالها
وهل يسوغ التفريط فيها ؟ حاشا ثم حاشا *

قد آن الوقت لآحياء مراسم الدين ، واعزاز المسلمين ، فأظفروا هذا (الطاغية)
قبل أن يفتك بكم ، ويهتك اعراضكم ، ويثلم سياج دينكم ، ليس عليكم إلا أن تعلموا

(١) جمع لبنة من اللبن الذي يبنى به

على رؤوس الأشهاد حرمة إطاعته فإذا يرى نفسه ذليلاً فريداً يفر منه بطاعته
ويفر منه حاشيته ويذبذبه المساكر ويرجحه الأصاغر *

انكم يا أيها العلماء والدين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم.
قد كسرتهم قرن فرعون بهما الحق وجدعتم أنف الحاربية بسيف الشرع فهو
يربص فرصاً تساعد على الانتقام شفاء لفيظه ومراضة لطبيته التي فطرت على
الحقد والحجاج فلا تهلوه أياماً ولا تمكنوه أن يقبض زماماً اعلموا خلمه قبل
اندمال جرحه *

وحاشاكم أيها الراسخون في العلم أن ترتابوا في خلع رجل ساطانه غصب
وأفمائه فسق وأواصره جور وأنه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش عظام
المساكين ورك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك
الأجانب بلادا كانت للإسلام نزا ولدين المتين حرزا وساقته سورة السفه
الى اعلاء كلمة الكفر والاستغلال بلواء الشرك *

ثم أقول ان الوزاء والامراء وعامة الاهالي وكافة المساكر وأبناء هذا
(الطاغية) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفذ جلدهم) كلمة واحدة
حتى يخلصوا هذا الفرعون الذليل ويريموا العباد من ضمه ويصونوا حوزة الدين
من شره قبل أن يحل بهم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

﴿ السيد الحسيني ﴾

(يقول محمد رشيد) ان للعلماء من الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأءاجم
ماليس لهم في البلاد العربية وان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه في سائر بلاد
العجم فان الحكم ليس لهم عليهم من السلطة هناك مثل ما فيهم من حكم المسلمين . وما
أزال الملوك والأمرء احترام العلماء ومحو نفوذهم - حاشا ما كان منه مؤيد لهم ومعنوا
لاستبدهم - الا بما اخترعوه لهم من الرتب العلمية وكساوي الشرف الوهمية وبما
جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم . فصار رزق العالم وجاهه الديوي بيد الأءامير
أو السلطان وهما الرئسان اللذان يقودون بهما طاب المال والجاه من العلماء الى حيث
شاؤا . فاذا أمكن لطلاب الإصلاح الاسلامي أن يبطلوا هذه الرتب العلمية

ومالها من الشارات ومخرجوا أرزاق علماء الدين من أيدي الحكام فإنهم يمحرون
الماء من رق يكون مقدمة لا صلاح الأمة كلها
الاسلام دين اجتماعي جمع بين مصالح الدنيا والآخرة وقد عبث الحكام
المستبدون في أهله بانتحال الرياسة فيه على كونهم قد أطلوا اشتراط العلم الديني
وغيره في الخليفة وفي السلطان والوالي بالأولى ثم جعل بعضهم الاحكام والأعمال
والمناصب قسمين شرعية خاصة بعلماء الشرع كالتقضاء فيما يسمونه الامور الشخصية
وغير شرعية وهي سائر الاحكام القضائية والادارية والسياسية ولا يشترطون في
عمال هذه الاحكام والأعمال معرفة شيء من أحكام الشرع ولا الأخذ بشيء
من أمر الدين كما أنه لا يشترط في الحاكم الاعلى من أمير أو سلطان ان يكون
قد تاقى علم التوحيد والفقهاء فضلاً عن التفسير والحديث . ومع هذا كله يجعل
هذا الحاكم رئيساً دينياً ويجعل أمر علماء الدين في يده فهو الذي ينعم عليهم
بالرتب العلمية التي يمد بها بعضهم فوق بعض في الدين وعلومه من غير مبالاة
بالقاعدة المشهورة التي لا يختلف فيها عاقلان وهي « فاقد الشيء لا يعطيه » فلها
صار الدين أمراً ثانوياً في أكثر بلاد المسلمين لا يحترم عند حكامه الا بقدر
تعلق العامة به على حسب ما عليه العادة كالاحتفال بالمواسم الدينية والابتدعة
ينهدم ركن من اركان الاسلام كالزكاة فلا يبالي به الحكام الذين جعلوا
انفسهم رؤساء للدين ويسكت معهم العلماء عن ذلك فلا يقومون بفريضة الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سياج الدين لانهم على قسمين قسم مرتبط
بالسلطين والامراء فهم تابعون لهم وقسم لا شأن له فهو يستهضر نفسه ان تقوم
بالدعوة الى احياء الدين فاذا عرف لنفسه قيمة وظهر بالدعوة فطفت العامة
تحتقره نفحه الامراء بشيء من الدنانير التي قاموا على خزائنها - وهي للامة لاهم -
وألقوا في عنقه ورأسه طوقاً من الفضة او الذهب (علامة الشرف) فكان لهوام
من المنقادين

فلا صلاح للاسلام الا باستقلال العلماء وعدم ارتباطهم في التعلم والتعليم
والارشاد ولا في الرزق بالامراء والسلطين كما تقدم

كتابان سياسيان

✽ للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ✽

﴿ أو مطالب مصر من انكلترا ﴾

المستر بلنت الانكليزي المستشرق الشهير كتاب سماه (التاريخ السري للاحتلال) جاء في الطبعة الثانية منه ترجمة كتابين ارسلها اليه صديقه الاستاذ الامام جوابا عن أسئلة سأله عنها وقد ترجمتهما جريدة اللواء عن الانكليزية الى العربية وتقلها عنها المؤيد وهذا نص الجريدتان:

سأل المستر «ولفرد سكاون بلنت» المرحوم المقري رأيه في الحال السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه فأجابه فضيلته على ذلك السؤال في كتاب بعثه له في يوم ٦ مايو سنة ١٩٠٤ هذا نصه «ان رأبي في الادارة المصرية اذا بقيت الخديوية في عائلة محمد علي هو كما يأتي

- ١- أول وأهم قاعدة أساسية في تلك الادارة هو انه يجب أن لا يكون للجناب الخديوي أي سلطة تخوله التداخل في أعمال الهيئات التنفيذية للمنظارات ولا ادارة الاوقاف والازهر ولا المحاكم الشرعية بمعنى أنه لا ينبغي أن يجعل لتداخله الشخصي أثر ما في الادارة المصرية مطلقا

- ٢- ويجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي بوجه التقريب ولكن على نظام أقوم وترتيب أمثل منه وينبغي أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانكليز في الحكومة المصرية في سلك أعضائه ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة

- ٣- وينبغي أن توضع حدود لتداخل السلطات التنفيذية الذي يدعيه الموظفون الانكليز كالمستشارين وغيرهم لانفسهم حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا ارادة لهم ولا رأي يبدونه من تلقاء أنفسهم

٤- وأن يشكل مجلس ادارة في كل نظارة من النظارات كالحقانية والداخلية مثلا ينتخب اعضاؤه بواسطة المجلس العام المنتظم الذكر وتكون وظيفة كل مجلس من هذه المجالس الادارية البحث في تفصيلات المسائل المهمة ووضع المشروعات والقوانين والقرارات لكل مصلحة من مصالح الحكومة

٥- وأن يوضع قانون لنظارة المعارف يكون اجباريا بالنسبة للشؤون المتعلقة بالمعارف العمومية والتعليم وينبغي أن يخصص قسم من الدخل العمومي للقيام بنققات التعليم يكون كافيا لفتح مدارس للتعليم العام وأخرى للتعليم الفني تكفي لسد حاجات البلاد

هذا هو رأيي بوجه عام قد ابديته لكم

فكتب له المستر « بلنت » بعد ذلك بشهرين يسأله أن يتوسع في آرائه هذه ويضع نموذج الدستور المروم دخاله في مصر فأجابه الى طلبه بمد طول روية ومشاورة أصدقائه في ذلك وأخذ آرائهم في هذا السؤال وسؤال آخر عرضه عليه المستر بلنت أيضا يتعلق بما ينبغي أن يتخذ من الاحتياطات ضد ما يتوقع حدوثه من عدم ثقة الجناب الحديوي بالدستور كما وقع على عهد المنفور له والده مما تضي على الآمال الوطنية واستنصر منه أيضا عما اذا كان من الممكن أن يقبل المصريون تعيين أمير أوروبي بصفة وال تحت سيادة جلاله السلطان اذا صعب الحصول على أمير من العائلة الحديوية منشعب تشبعا تاما من الافكار الدستورية

فلجاب المرحوم المفتي على جميع ذلك بالكتاب الآتي

صديقي العزيز المحترم

أهديك عظيم تحيتي وأعتذر لك عن ابطائي في الرد على كتابك المودع في ٨ رونه فاني كنت مشغولا جدا بالامتحان في مدرسة المعلمين والازهر وغيرها ولم أجد وقتا خاليا لا جييبكم فيه على كتابكم هذا لا سيما وان موضوعه دقيق للغاية ويموزه مزيد ترو ودقيق نظر

وقد فكرت طويلا ونذا كرت مع بعض أفاضل المصريين فوجدتهم مجمعين على أن من أول الضروريات لحسن الادارة المصرية هو قيام الحكومة

الانكليزية بضمانة النظام في البلاد وكفائه ومعنى ذلك أنها تراقب استنباها
والمحافظة على استمراره وعلى الدستور الذي يمنع لغيره وان لا تدع ذلك الدستور
عرضة لتداخل الخديويين

ومعنى تمت هذه الضمانة ومنح الدستور لا تبقى حاجة الى نزع سلطة الحكم
من عائلة محمد علي ولا الى تعيين أمير أوروبي لا سيما وان تعيين أمير أوروبي
لا يصادف قبولا من الاهالي ولا يساعدهم على تحسين حالتهم
أما من جهة الدستور فينبغي أن يراعى فيه ما سأذكره الآن من المسائل
الآتية بصفة خاصة

١ ان تناط جميع شؤون الحكومة بسطة أو اخرى (كذا) من
السلطين الآتين :

أولا - تناط بسطة نشر بعية تسن القوانين الادارية والقضائية

ثانيا - تناط بسطة تنفيذية تكاف بتنفيذ تلك القوانين وان تحصر السلطة
النشرية في مجلس نواب أو وكلاء يزيد عدد اعضائه عن اعضاء مجلس
الشورى الحالي وتكون دائرة اختصاصاته الحالية بحيث تحترم قراراته وتكون
واجبة التنفيذ وأن لا يسمح للوزراء بعدم احترامها او مراعاتها كما كانت ظروف الاحوال
وهذا المجلس هو الذي بسن القوانين كافة وتنتخب الوزارة من بين اعضائه
وان تحصر السلطة التنفيذية في الوزارة التي تخول حق تقديم مشروعات
القوانين بحيث لا تستأثر بسنها وحدها لان حق سنها هو من اختصاص مجلس النواب
٢ وان تناط جميع مسائل الحكومة التي ليس لها ارتباط بسن القوانين
بالوزارة بما في ذلك منح الرتب والناشين وأن لا يترك من اشغال الحكومة شي
مطلقا للجناب الخديوي وأن يناط بها أيضا أمر المصالح المختصة بالتعليم الديني
وغيره والمحاكم الشرعية والاهلية وتوزع الرتب والناشين دون أن يسمح لسوءه
بأي تداخل فيها مطلقا

٣ واذا فرض وكان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من
المصريين فإنه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون

سلطة تسمح لهم بان يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك
نحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد العوبة
في أيديهم كما هو الحال الآن

وينبغي أن تلغى وظائف جميع المستشارين اكتفاء بهؤلاء الوزراء وفي
هذه الحالة تقضي الضرورة بان يكون رئيس الوزراء مسلما بحيث يكون مركزه
الرسمي محدودا بوظيفة الرئاسة دون أن يشغل رئاسة نظارة من نظارات الحكومة
٤ وان يكون جميع الموظفين الآخرين في الحكومة من المصريين أعني أن
المديرين ووكلاء المديرات وقضاة المحاكم الاهلية ابتدائية كانت أو استئنافية
وأعضاء النيابة وغيرهم يكونون مصريين ويجوز تعيين انكليز كفتشين وتعيينهم
أيضا في بعض وظائف في المصالح الهندسية والعارف وفي الوظائف الصناعية
انني يحتاج الامر فيها الى معارف خاصة حين لا يوجد فيه مصري تتوفر فيه
الاحاطة بتلك المعارف الفنية

على أنه يجب على كل حال أن يحضر عمل أولئك الموظفين الاجانب فيما
هو داخل ضمن دائرة اختصاصاتهم فقط وأن يكونوا خاضعين لمراقبة الوزراء
بحيث لا يتحولون أقل سلطة ادارية أو قضائية تنفي الى اضماف نفوذ الموظفين المصريين
(٥) وان يتحول أعضاء مجلس النواب الحق في أن يسألوا النظار عن تنفيذ
القوانين وينتقدونهم على ما يفرط منهم من الخطأ أو يقع من الخلل في الاعمال
وينصحهم على النظار أن يبينوا أسباب ما يقومون به من الاعمال واذا وقع خلاف
بين النواب والنظار ير كل أمر حل ذلك الخلاف الى لجنة تشكل من خمسة
أعضاء من مجلس النواب ينتخبون بالاقتراع السري وخمسة آخرين من أعضاء
محكمة الاستئناف ينتخبون مثلهم بالاقتراع السري ورئيس المجلس ورئيس النظار
ورئيس محكمة الاستئناف ويكون حكم هذه اللجنة بالاغلبية المطلقة
ومجوز زيادة أعضاء هذه اللجنة باضافة أعضاء آخرين عليها من مجلس
النواب ومحكمة الاستئناف

واني أعتقد أنه اذا وضع نظام دستوري على هذا النمط وضمته الحكومة

الانكليزية لتمام بحاجة البلاد ولذات حكومتها استقلالاً لم تعرف له مثيلاً
وينبغي أن لا ننسى إعادة تنظيم شؤون المعارف والتعليم فإن هاتين المسألتين
هما من أمس الأمور التي يبدأ مجلس النواب بمباشرة الاشتغال بها الامضاء
محمد عبده

وبعد فراغه من هذا الكتاب وضع في ذيله الحاشية الآتية
قد نسيت أن أتكم على الحرية فأقول ان السردار الانكليزي وبعض
ضباط الانكليز يقفون في الجيش المصري ولكن يجب أن يشغل المصريون ما بقي
من وظائف الجيش واذا فرض وقامت بعض صعوبات بشأن ذلك ورأت الحكومة
الانكليزية وجوب وجود قواد انكليز فيه أعني « باشاوات » فلا ضرر في ذلك

قول المنار في الكتابين

قد كثرت حديث الناس في هذين الكتابين لما نشراني جر يدعة اللواء ثم المؤيد
وغيره ثم اتسع مجال الآراء فيما بعد أن استنبط اللواء منهما ما استنبط ولخصهما
المؤيد بما لخصهما به وزعم أن ما لخصه هو رأي الكاتب وناهيك بتقليد الجرائد
في دهاء هذه البلاد

قال المنتقدون ان الكتابين يدلان على بغض كاتبهما للأسمرة الخديوية كافة
وللأمير الحاضر خاصة . وقالوا ان فيما نحسنا للظن بالانكليز وقالوا بل فيما
مشابهة لهم . وقالوا هذا رأي الكاتب في الدستور المصري وأطلقوا أي انه لو كان
الامر كله بيده لرضي لبلادهم بما كتبه فيها . وقالوا ان كاتبهما على غير بينة بالقوانين
الاساسية للأمم . وأغرب ما قولوا وما كتبوا هو ما أتينا عن استنكارهم سلب السلطة
الشخصية من الخديويين بحصر السلطة في مجلس النواب ومجلس الوزراء !! وهم من
هم المستنكرون لذلك ؟ هم الذين يزعمون أنهم طلاب المجلس النيابي والحكومة
الدستورية لمصر !! يا لله العجب

وقد استعسنت كثير من العقلاء المستقلين المطالب التي في الكتابين واستدلوا
بهما على غير ما كتبهما على بلادهم وأهلها وسعيه في اصلاح حالها سرا وجها من كل

طريق وكل منفذ . وأندر آخرون صحة نسبة الكتابين الى الاستاذ الامام وقالوا
نه ليس فيهما شيء من روحه ولا من أسلوبه

واننا نبين حقيقة معناه الذي حرفه الالهواء عن موضعه الذي وضعه فيه الظروف
والاحوال بعد عهد نمده لذلك فنقول :

(١) يعلم القارىء قبل كل شيء ان ما نشر في الجرائد ليس هو الذي كتبه
الاستاذ الامام بل هو ترجمة لأحد محرري جريدة اللواء عن الانكليزية . وما في
الاصل الانكليزي مترجم عن العربية . فاذا ظهر الاصل العربي الذي يقول حافظ
فندي عوض انه رآه عند مؤلف الكتاب يكون مراد الكاتب أظهر وأصح والحكم
عليه أعدل

(٢) ان المراد منهما لا يفهم تمام الفهم الا بترجمة ما كتبه المستر بلنت الى
الاستاذ الامام بالحرف لأن الفتوى تكون على حسب السؤال كما هو مشهور ومعلوم
(٣) قد علم مما كتب اللواء والمؤيد أن موضوع سؤال مستر بلنت يتعلق « بالحالة
السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا
وانكثرتا عليه » فما رآه كان خاصا بتلك الحالة التي أمنت فيها انكثرتا معارضة
أوربا لها في مصر . فاذا تذكرنا أن كل ما فئماناه من مقاومة الاحتلال ايام كان
ضلع أوربا كلها معنا ولا سيما فرنسا لم يزد الا قوة ورسوخا فاننا يمكن ان نقل ان
تلك المطالب التي طلبها الاستاذ الامام بعد اتفاق أوربا مع الاحتلال علينا كانت
كبيرة جدا وان الانتقاد على هذه المطالب ينبغي ان يكون محصورا في كثيرها أو عظمها
حتى جعلت نجاح انكثرت بوفاق ايريل ١٩٠٤ نجاحا لمصر وحرمانا لانكثرتا
من معظم ما كان لها من النفوذ والسلطة

(٤) ذكر اللواء فالمؤيد من موضوع سؤال بلنت كلمة « الدستور المزمع
إدخاله في مصر » فلم يعلم أن هنالك مشروعا للدستور يمد في انكثرتا فما هو وما
موضوعه ؟ أوليس هذا نصا في الموضوع صريحا في أن ما كتبه الاستاذ الامام
في جواب مستر بلنت ليس مشروعا وضعه لما يجب أن يكون عليه بلاده مطلقا بل
هو مطالب وتعديلات للدستور معين يبحث فيه الانكليز أنفسهم ؟ ونحن الى الآن

لم نقف على مشروع دستوري اهم الا مشروع لورد كرومر باشاء مجلس تشريعي امير موءلف من جميع الاجانب . وهل يمكن حينئذ أن يطلب امير من انكثرا أكثر مما طلب الاستاذ الامام ؟ وقد تقدم أن ما طلبه كثير

(٥) ذكر اللواء فالوويد أن مستر بلنت سأل الاستاذ الامام بالتصريح عما ينبغي اتخاذ من الاحتياطات لمنع ما يترقم حدوثه من عدم ثقة الخديوي بالدستور كما وقع في عهد والده أي بأن يكون الدستور مأمونا عليه من حل الخديوي له به تصرفه فيه باسمالة أعضائه الى ما يريد بالرئب والنياشن أو بشير ذلك . وهذا السؤال لا يعقل له وجه الا اذا كان واضع مشروع ذلك الدستور لا يرضون أن يكون للخديويين سلطة عليه بل لا يمتل وجود دستور حقيقي يكون عرضة لعنت السلطة الشخصية به . وهل يمكن أن يجاب عن هذا الا بتعهد انكثرا بحماية الدستور والحال ان انكثرا هي الواهبة له لتأمين بحسن الادارة المصرية تحت مراقبتها على طريق الهند وتال هي شرف إصلاح مصر وتنظيمها ؟

(٦) ونقل اللواء فالوويد أن مستر بلنت سأل أيضا هل يقبل المصريون تعيين وال اوربي عليهم تحت سيادة السلطان ؟ وهذا السؤال مبني على عدم ثقة أولئك المشغولين بمسألة الدستور المصري بحكم الامراء الشرقيين الذين يعتقدون أنهم أشربوا في قلوبهم الاستبداد حتى لا يكاد يوجد فيهم من يميل الى الحكم الدستوري ويرغب فيه . فهل تنقد إجابة الاستاذ الامام عن هذا السؤال بأنه لا حاجة الى حاكم اوربي مع وجود الدستور المضمون ومنع الخديويين من السلطة الشخصية ؟ وهل من الانصاف والحق أن يعد طلبه إبقاء الامارة في بيت محمد علي دليلا على بنفهم ؟؟ وهل يستنكر عاقل الاحتجاج على من يريدون تولية أمير اوربي علينا بكوننا لا نقبل ذلك وكونه هولا يمكن أن يساعدنا على تحسين حالنا ؟ ما أغرب الرأي الذي يميله الهوى وتروجه الأغراض الخسيسة

﴿ تلخيص المطالب التي طلبها الاستاذ الامام لمصر ﴾

من الانكليز فيما كتب الى مستر بلنت

(١) أن يكون للمصريين مجلس نيابي تنحصر فيه السلطة التشريعية أي وضع القوانين كلها ويكون له حق سوءال الحكومة عن تنفيذها ومحااسبها على خطأها

(٢) ان يكون للمصريين سلطة تنفيذية وهي الوزارة المسئولة وتناط بها جميع امور الحكومة لا يترك منها للخديويين شي خاص باشخاصهم كما هو شأن الحكومة النيابية في أوروبا لاسيما انكليترا

(٣) ان يكون رئيس الوزراء مسلما لا كما كان من قبل تارة وتارة

(٤) ان يكون جميع موظفي الحكومة من المديرين ووكلاء المديريات والقضاة ورجال النيابة وغيرهم - من المصريين بحيث لا يبقى من موظفي الانكليز الا بعض المفتشين ومن لا يوجد مصري يقوم مقامه في عمله

(٥) تنظيم شؤون المعارف والتعليم وجعلها أم الامور التي يبدأ مجلس النواب بها

(٦) قيام المصريين بجميع وظائف الجيش بحيث لا يبقى فيه من الانكليز الا الدر دار وبعض الضباط.

(٧) انهاء وظائف المستشارين المسيطرين على الحكومة الآن

« ٨ » على انكليترا ان تكفل هذا الدستور وتضمن تنفيذه بايدي المصريين .
وفسر ذلك بأن تراقب استتبابه والحفاظة عليه مراقبة فقط حتى لا يبطئه الخديويون
هذه هي المطالب الاجمالية الاصلية وانى لمصر بالوصول اليها والى الآن
لم تطمع الاحزاب بمثلها فلم يطلب حزب ولا جريدة شيئا يتعلق بالمسكينة ولا
يعقل احد كيف يكون الاستقلال الحقيقي بدون جند وطني يقوم بشؤون الوطنيين
وهناك مطلوب مهم مبني على فرض وقوع شيء لا يؤمن وقوعه مادام
للانكليز شأن في سلطة البلاد بل قد وقع مثله في عهد اسماعيل باشا وهو جعل
بعض الوزراء من الانكليز . طاب الاستاذ على فرض وقوع ذلك ان يكون للمصريين
للوزير الانكليزي من المصر بين سلطة يفتصلون بها في المسائل المتعلقة بالدين وما
اشبه ذلك ولا يكونوا آلة في ايدي روادئهم من الانكليز . وهذا مطلب لسنا
بمدركه اليوم فانه لا يمكن لرئيس ولا مرؤوس في الحقاينة ان يجري في المجامع
الشرعية امر الا يرضاه المستشار القضائي .

واغرب ما سمعت من بعض الاغرار « البسطاء » أن الكتابين نضنا طالب جعل بعض الوزراء من الانكليز فلما قيل له انه ليس فيها شيء من ذلك وأما فيها مطلب مهم مبني على فرض وقوع ذلك بالرغم منا قال انه ما كان ينبغي ذكر هذا الفرض والتقدير لانه يذكرهم بهذا الامر !! فتعجب ايها القاري من هذه السذاجة والغرارة والتفلة عن الواقع والاهتمام بالانقاط دون الحقائق :

وما تقدم من البيان يعلم القاري انه ليس في الكتابين شيء يتقدم وقد سمعت اشهر اعضاء الحزب الوطني حامية واخلصاً يقول انه ليس فيهما شيء يتقدم الاجل انكثرا كافة للدستور لان هذا يعني الحماية ولكننا لانكثك لاجله في اخلاص المرحوم الشيخ . قلت له كان يصح ان يقال هذا لو كانت هذه الكفالة من مواد الدستور وكان الدستور مصدقاً عليه من الدولة العلية فيكون حينئذ حقاً رسمياً لها . وليس فيما كتب شيء من ذلك وأما الموضوع ان نسبح لنا انكثرا بهذا الدستور ونكتفي هي عن القبض على أزمة السلطة فينا بمراقبة سيرنا على الدستور والنظام المطلوب ولا نسبح للخديويين ان يغيروه اذا حاولوا ذلك . ومعلوم انما لا نسبح لهم الآن بتغييرنا في التشريع ولا مداخلتنا في التنفيذ مع قبضها على كل شيء وعدم تحملها لتبعة شيء فأي الامرين أفضل ؟

وعلى ذكر رأي عضو الحزب الوطني ان تلك العبارة التي انتقدتها من الكتابين لا تدعو الى الشك في اخلاص الكاتب: نبه الى سيئة فاشية فينا هي من اقبح السيئات واشدها ضرراً في الامة الا وهي اتهام كل من زاه أخطأ في مسألة من المسائل العامة بسوء النية وعدارة البلاد وبغض الامة وحب الانكليز ومساعدتهم على ما يقصدون بنا من السوء !! وتفرغ عن هذه السيئة سيئة اكبر منها وهي اختراع بعض الناس الخطأ او تكلفهم استنباطه من كلام من يكرهونه لاجل الصاق تلك التهمة به .

فشو هذه السيئة مع اختها اعظم اسباب تفرق الامة وضعفها واتساعها على نفسها « كما يقولون » لاسباب تدوجه الجرائد هذه التهمة الى الجماعات والحزاب وليت شعري اي قيمة لهذه الامة اذا صح ما ترجف به بعض الجرائد من اتهام

حزب الامة برمته بعدم الاخلاص للامة وبمشايعة المعتدين عليها بعد الارجاف بان ذلك النابغة العظيم « الاستاذ الامام » الذي اعترف بنبوته الشرق والغرب كان غير مخلص للامة اولاً ميرها ؟ بل أي تعريض بالأمر اشد من اثبات ان نابي المعتدين بقاؤه ونهوان جمهوراً كبيراً من سرارة الامة يولف حزباً وينشيء جريدة لمقاومة نفوذه ؟؟

قد يقول سائل ان المنار قد ابرز هذه المطالب بأسلوب يظهر منه ما لم يظهر من ترجمة الكتابين على كونه لم يأت بشيء جديد فهلا كتب المرحوم المتقي كتابه بهذا الاسلوب الذي يتجلى فيه الاخلاص لمصر والتفاني في خدمتها دون ذلك الاسلوب الذي يلوغ منه ارضاء الانكليز واسترضاءهم ان لم تقل محاباتهم وجوابه من وجهين « احدهما » اننا لم نطلع على ما كتبه المرحوم بنفسه فنحكم على أسلوبه « وثانيهما » انه لم يكتب ليمتن على قومه بحبه لهم ومقاومته لمحتلي بلادهم ولا ليظهر للانكليز انه مبارز لهم وانما كتب لصديق له يسمى في خير مصر . على انه لو كتب للحكومة الانكليزية نفسها لوجب عليه في شرع البلاغة ان يجعل تلك الكتابة بأسلوب يرحى قبوله وعدم اتهام صاحبه بالمداه والمقاومة ولكل مقام مقال

رأى أحد الملوك في النوم ان اسنائه سقطت فصر له الرويا معبر بقوله ان جميع اهلك واقاربك يموتون في حال حياتك فاستاء الملك وعاقبه عقاباً شديداً . ثم جيء بعبير آخر قصص عليه الرويا فقال له تأويل هذه الرويا ان الملك يكون اطول اهلك عمراً : فسر الملك واجازه اجازة سنية . فالبلغ يخاطب كل مخاطب بما يريجو ان يبلغ به مراده من نفسه

فن اصحاب الجرائد من يطلب من الانكليز مطالب بصفة الأمر صاحب صاحب السلطان وما مراده الا ارضاء من يقرأ هذه المطالب فيحمد كاتبها ويجهل لانه استعلى على بريطانيا العظمى فأنا للامة من الاستملاء عليها بالقول ما تلوه به اعن الفخر بالاستملاء أو المساواة بالفعل . ولكنه لا يخطر في باله الاسلوب الذي يمكن ان يكون مقبولا عند الانكليز لانه لا يريد منهم شيئاً

لو كان الاخلاص والغيرة على قدر كبير المطالب وان كانت من المحال ، والتعزز على القوي ينحني بزخرف وان كان غرورا لا يمكن كل كاتب ان يكتب كل يوم في اثبات اخلاصه وغيرته وتمززه نحو هذه العبارة : اني امرك ايها الدوله الانكليزية الظالمة المعتدية بان تردي مصر الي مصر بين وقبرص الي الدوله الطيبة بل ان تردي الهند الي النوابين والرجاوات من اهلها وان تارزي الي جزائرك كما تارز الحية الي حجرها . فان لم تحفظي شرك وتعتلي هذا الامر فاننا نتفق مع بعض أعضاء برلمانك فنؤلف منه لجنة تشاغب المجلس أحيانا في هذه المطالب فتبهز هذا ، وتوزع أزا ، وتهز الشعور الوطني في هذه البلادهزة تميمها جزائر بر يطانيا ميدانا ، وتززل ذرا لا ، ربما كان من وراءه البلاء النازل ، والحسف الماجل ؟

رأي الاستاذ الامام في السياسة

(أو سياسته)

في مصر افراد من الكتاب يبغون العلو والرفعة بالظوفي دعوى حب الامة والتفاني في خدمتها بمقاومة المحتلين بالكلام ومن هو لاء من كبر عليه ماناله الاستاذ الامام من علو المكانة بعلمه وحكمته وخدمته للملة ومنهم من بثقل عليه ان يجبه بعد وفاته خاق كثير فهو لاء يريدون ان يخدموا ذلك الصيت الحسن والشهرة الشريفة ليرفعوا انفسهم ويحطوا من قدر جماعة ذلك الامام العظيم ولم يجدوا بابا اوسع من السياسة التي يكثر فيها الابهام وتسهل فيها الدعوى ويقبل على مائدها كل طفيلي يطرد عن مائدة العلم والحكمة . وجد بعض هؤلاء في الكتابين منسما لتقيل والقال ومشاغبة حزب الامة لان رئيسه وكبار المؤسسين له كانوا من اصدقاء الاستاذ الامام والذين لا يزالون يصرحون باجلاله ويكونهم انشأوا الجريدة عملا برأيه رأى مناهضو هذا الحزب انه يستفيد مما ذكره من يدي الاستاذ الامام وهم أرقى الامة عقلا وعلما وبلاغة فمنهم العظام والوجهاء والمدرسون والكتاب والشعراء فارادوا ان يخرجوه ليتبرأ من الاتناء الي الاستاذ الامام في سياسته

فينفر منهم مردوه ولكنهم ملكوا مسلك الحق ففرضوا بالامام نفسه فوجاه
سعيهم بنقيض ما ارادوا
وقد كتب بعض الكتابين يسأل عن حقيقة سياسة الاستاذ الامام ويطلب
من مرديه بيانها وهل هي عين سياسة (الجريدة) وحزب الامة وعين ماجاء
في الكتابين اللذين نشرها مستر بلنت ام ما هي ؟
ونجيبهم عن ذلك بمثل ما قلناه في المنار غير مرة من انه استقر رأيه في اواخر
عمره على الاصلاح الديني والاجتماعي والفقري فقط وترك السياسة بته وعندنا كتابة
في ذلك بخطه لعلنا نطبع صورتها الفوتوغرافية في تاريخه عند الكلام على سياسته
وعند ما كان يشتمل بالسياسة كانت قاعدة عمله مقاومة الاستبداد وجعل
سلطة الامة في ايديها بحيث لا يبقى لحكامها منفذ للاستبداد فيها

أما الجريدة فهي تنفيذ لفكرته من حيث هي جماعة من الامة لا لفرد منها
وقد كتبنا في الجزء الثاني من منار هذه السنة (ص ١٦٠) انها تنفيذ لرأيه وزدنا
على ذلك قولنا « وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه » فقد كان يريد ان
تكون الجريدة التي دعا في آخر عمره الى انشائها اجتماعية ادبية زراعية اكثر مما
هي سياسية وان يكتب فيها كل يوم عن الاخلاق والعادات والتقاليد الفاشية في
البلاد وان لا يكتب فيها عن سياسة الدول اكثر من عمود او عمودين في العدد يخصص في
ذلك التابت الذي فيه عبرة وفائدة للجمهور . وسنوضح هذا في الكلام عن رأيه في
السياسة والجرائد من جزء الترجمة الذي نولفه ونطبعه الآن فلينتظر محبوا الحقائق . ولا
مبالاة بأهل الاهواء . ونختم هذه الكلمات بجملة في سياسته كتبها حافظ افندي ابراهيم
الاديب الشهير في كتابه الذي سماه سطیح ونشرتها جريدة السياسة المصورة وهي :

بين سطیح واحد تلاميذ الامام

سطیح - أين أنت من القوم - التلاميذ من أولئك الذين تقموا الرضى على العهدين ،
ولم يحمدا مشبه الحكيم ، عهد الدولة التركية ، وعهد الدولة البريطانية ، ففي أولها
فرضت المظالم وغاضت الاموال ، وفي ثانيها أخصبت الارض واجدبت الرجال -
سطیح - وهل أنت في خضم من العيش ؟ - التليذ - لا أشكو بحمد الله

هسراً، ولا أرجو يسراً، وإنما أتخياً ظل هذا البيت العربي، لذلك الشاعر الأبي،
 مذنب الرزق لا تقر ولا جده حظ لعمر ك لم يحق ولم يكس
 قال - وابن مكانك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسبي أني من
 تلاميذ حكيم الاسلام، الاسناذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه
 قال - اني لأرى رأياً حقيقياً، وأسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون
 وقد سمعنا انهم فريقان - فريق قد اختصه بسياسته، وفريق قد اختصه بعلمه،
 وقد أتى عليهما العميد، وتنبأ لهما بالطالع السعيد، قال - لا علم لي بما تقول .
 ولقد كنت ألصق الناس بالامام أعشى داره، وورد أنهاره، وألنقط ثماره، فما سمعته
 يفرض في ذكر السياسة قبها الله ولكن كان يلاً علينا المجلس سحراً من آياته
 ويتنقل بنا بين مناطق الافهام، ويتازل الاحلام، ويسمو بانفسنا الى مراتب العارفين
 بأسرار الخلائق، وحقم الخالق، وكان ربما ساق الحديث الى ذكر أحوال هذ
 المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران ووقف بنا على أسرار
 الحياة فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب
 العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران

ولكنه كان يحثك بالسياسة ما دعت الى ذلك الحال فيرصد حر كاتها، ويصد
 غاراتها، خشية أن تقطع على العلم سبيله، وان تقف عثرة في طريق الفضيلة، فلنك
 تلتطف في ابتزاز قواها، ومحامي جهده طريق أذاها، حتى اذا ظفر بطالته، وفاز برغبته،
 واستمد منها ما شاء، تبعت حماية الافناء، عطف على العلم بذلك الامداد، وورد عليه
 ما سلبت يد الاستبداد، ولو لا أنه كان يمدم جبل الوداد، ويجاذبهم فضل النصح
 والارشاد، لأصابه ما أصاب حكيم الافغان، وقفى على أمة النيل بالحرمان

مات النبي عليه الصلاة والسلام فأرندت طائفة من جفاة العرب وكادوا
 يقتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف
 النبوة ولا نالت من عصمة الرسالة ولبت الاسلام اسلاماً ومات الاسناذ الامام
 فصياً بهض حربه كما يدعون، واسنة نذر الله لهم مما يقولون، فما غص ذلك من كرامة
 حكيم الاسلام، ولا مس من سيرة ذلك الامام ، حافظ ابراهيم

﴿ الرجوع الى المنار في شأن الكتابين ﴾

طلب منا كثيرون بالقول والكتابة ان نبين رأينا في الكتابين ففعلنا ونشر
الكتاب الآتي إجابة لطلب صاحبه

سيدي المحترم حضرة اللوذعي الفاضل والاساذ الكامل السيد محمد رشيد
رضا مدير مجلة المنار الزاهي
دام مجتهداً

سيدي لا يعزب على علميتكم ما أني على صفحات بعض الجرائد السيارة
بخصوص جواب المسيو (بلنت) ورد استاذنا المرحوم المصالح العظيم الشيخ
الامام عليه ولا يخفى على ذكائكم القريد ما تقوله و يتقوله حزب الخرافات واعداء
أنفسهم من ان الشيخ الامام كان يعني نقل الاريكة الحديدية من آل محمد
علي وأنه كان يريد أو يفكر في جعل ابناء التاميز مسيطرين على هيئة الحكومة
ولا نسأل عن اعداء المرحوم بل اعداء الحق الصراح وما عليه عليهم جهلهم لأن
الانسان عدو ما مجمله

وبعد فأرجو سيادتكم باسم المرحوم أن تشهدوا قلمكم البيان في سطة
الحقيقة لأنكم من أعلم الناس بتاريخ المرحوم حتى يظهر الصبح في حلة النورانية
لذي عينين واستعطفكم بالرضى عن تظفلي على مائدة فضلكم لأن الكل يتغذى
من وسامة علمكم المشبع ثم أرجو من فضيلتكم اثبات سوء الي هذا على صفحات
مجلاتكم الفيحاء وليعلم اعداء المرحوم أن في يدينا أقلاماً لنصر الحق لا تخشى في
الحق لومة لائم وفي الختام اقبلوا أسمى الاحترام
السيد محمد الزيات

(المنار) إن للمشاعين في الكتابين من سوء النية واتباع الهوى ما لا يخفى
وهم لا بضاعة لهم الا التبرير في مثال ما ذكرتم . وإلا فهم يعلمون ان الدولة
الانكليزية مسيطرة على الحكومة المصرية بالواقع ونفس الامر وأنه لا ممرض لها
ولا منازع في هذه السيطرة كما يعلمون انهم كاذبون في تقولهم وتقدم بيان الحقيقة
ثم ان هؤلاء الخادعين يبيحون لأنفسهم ان يطلبوا من الانكليز باسم
مصر بعض المطالب و يبنون بذلك على الامة و يفخرون بأنهم فعلوا و فعلوا ولم

يفعلوا شيئاً وإنما قالوا كلاماً يستطيع ان يقول مثله الألو ف . ثم هم ينكرون على من يطلب لمصر شيئاً مما يطلبون وان كان خيراً مما يطلبون واقرب الى القبول وذلك لانهم احتكروا الزعامة وخدمة الامة بالدعوى

فاذا كانت المطالب التي في الكتابين لا ترضيهم فلانتظر منهم حتى يمنحوا مصر بمساعدتهم ما هو خير منها سواء كان ذلك بواسطة اللجنة البرلمانية التي لم نسمع منها الا كلمات في الهواء أو بواسطة التبجح والدعوى والاستطالة والتهديد والوعيد للانكليز . عند ذلك نقول لهم ان قولكم كان أنفع وانتم زعماء السياسة، واهل الرياسة ، والمستقبل يكشف الحقائق لمن له عين تنظر ، وعقل يدرك ،

على ان جماعة الاستاذ الامام من اصدقائه ومريديه مجدودن في خدمتهم على طريقته فمنهم محبي المعارف في الحكومة ومنهم دعاة الجامعة المصرية ومنهم المدرسون على الطريقة الاصلاحية ومنهم ومنهم ولا تبجح ولا دعوى ، ولا من ولا أذى ،
والعاقبة للمتقين



- نهي الصحابة ورغبتهم عن الرواية -

روى ابن عساكر عن محمد بن اسحاق قال أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال والله امامات هم بن الخطاب حتى بعث الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم من الآفاق - عبد الله بن حذيفة وابا الترداء وابا ذر وعقبة بن عامر - فقال : ماهذه الاحاديث التي انشيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق ؟ قالوا « تنهانا » قال اقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ماعشت فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم : فما فارقه حتى مات وروى ايضا عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لابي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً لحقك بأرض دوس ؛ وقال لكعب (الاحبار) لتترك الحديث أولاً لحقك بأرض القردة :

وروى عن ابي أوفى قال كنا اذا اتينا زيد بن ارقم فنقول حدثنا عن رسول الله (ص) فيقول كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله (ص) شديد وروى عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال بلغني حديث عن علي خفت ان اصاب أن أجده (١) عند غيره فرحلت حتى قدمت عليه العراق فسأته عن الحديث فحدثني وأخذ علي عهداً أن لا أخبر به أحداً ولو ددت لولم يفعل فأحدثكموه وروى عن عمرو بن دينار قال حدثني بعض ولد صهيب أنهم قالوا لا يبيح مالك لا يتحدثنا كما يحدث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال اما اني قد سمعت كما سمعوا ولكني بمنعني من الحديث عنه اني سمعته يقول « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ولكني سأحدثكم بحديث حفظه قلبي ووعاه سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول « أيا رجل تزوج امرأة ومن نيته أن يذهب بصدقتها اتى الله فهو زان حتى يموت ويا رجل بايع رجلاً فيما

(١) كذا في كنز العمال ولعل الاصل : إن أصيب أن لا أجده : الخ

ومن نيته أن يذهب بحته فهو خائن حتى يموت « ورواه غيره والحديثان المرفوعان فيه مشهوران . وصيب من السابقين الأوابين رضي الله عنه

وروى احمد وأبو يعلى (وصحح) عن عثمان قال ما يعني أن احدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون اوعى اصحابه عنه ولكني اشهد اني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار »

وروى ابن سعد وابن عساکر عن محمود بن لبيد قال سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يصل لاحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد ابي بكر ولا عهد عمر فاني لم يعني أن احدث عن رسول الله (ص) أن لا اكون اوعى اصحابه الا اني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار

وروى احمد والدارمي وابن ماجه وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني فمن قال عني فلا يقولن الا حقا وصدقا فمن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وقد روي عن بعض الصحابة الاعتذار بهذا الحديث المتواتر عن التحديث او كثرة رويهم وقد فتح الحافظ ابن عبد البر بابا في كتاب (جامع بيان العلم) لبحث ذم الاكثار من الحديث وقيد بقوله دون التهم له والتمقه فيه قال (كافي مختصره) :

« عن الشعبي عن قرظة (١) بن كعب قال خرجنا فشيئنا عمر الى صرار (٢) ثم دعا بجاه فتوضأ ثم قال لنا اتدرون لم خرجت معكم ؟ قلنا اردت أن نشيئنا ونكرمنا . قال « إن مع ذلك لحاجة خرجت لها : انكم لتأتون بلدة لا هلهيا دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدومم بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شريككم » قال قرظة فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه ايضا قال قال لنا « أفلو الرواية عن رسول الله (ص) وانا شريككم » وفي رواية عن قرظة ايضا قال خرجنا زبد العراق فمشى معنا عمر الى صرار فتوضأ ففعل اثنتين ثم قال اتدرون لما مشيت معكم ؟ قالوا نعم نعم نحن اصحاب رسول الله « ص » مشيت معنا « لتكرمنا » فقال « انكم لتأتون أهل قرية لها دوي

(١) قرظة بالتحريك بوزن (خشبة) (٢) صرار بالكسر موضع قرب المدينة

بالتقرآن كدوي النحل فلا تصدوم بالاحاديث لتشتلوم جودوا التقرآن وأقلوا
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وانا شريككم ، فلما قدم قرظة
قالوا حدثنا : قال نهانا عمر بن الخطاب

« وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس
الى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله (ص) بسمعي وكنت أسبح (تصني
انها تصلي) فقام قبل ان أقضي تسبيحي ولو أدركته لرددت عليه ان رسول الله
(ص) لم يكن يسرد الحديث كسر دمك

« وعن ابي الطفيل قال سمعت علياً على المنبر يقول : أتحبون أن يكذب الله
ورسوله لا تمحدثون الناس الا بما يملون

« وعن ابي هريرة أنه كان يقول حفظت عن رسول الله (ص) وعائين فأما
أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته لقطعت هذا البلعوم (والبلعوم الخلقوم) وعنه أنه
قال لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالهرة « اه
أقول فلو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة في عصره لما وصلت اليها تلك
الاحاديث الكثيرة عنه ومنها ٤٤٦ حديثاً في البخاري ما عدا المكرر

وقد ذكر ابن عبد البر لهي عمر وهو امير المؤمنين عن التحديث تأويلات
(منها) أنه « إنما كان قوم لم يكونوا أحصوا التقرآن فحشي عليهم الاشتغال بغيره
عنه اذ هو الاصل لكل علم » وأقول ان ما رواه في ذلك عن قرظة ينافي ذلك
قد نهام عن تحديث قوم يحفظون التقرآن يتأون يتلونه لأصواتهم به دوي
كدوي النحل . ولو أراد نبياً متيقداً بهذا القيد لقال لا تمحدثوا الا من حفظ
التقرآن . وقد عزا هذا القول لأبي عبيد قال « وقال غيره إنما نهي عمر عن
الحديث عما لا يفيد حكماً ولا سنة » وهذا أضف عما قبله وقد عزا الى مجهول
وماذا يعني قائله بالحديث الذي لا يفيد حكماً ولا سنة ؟ أي الاحاديث عن
شأنه (ص) واخلاقه ؛ كيف وهي اتفق من احاديث الاحكام الفقهية ؟

ثم ذكر ان بعضهم رد حديث قرظة هذا لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه
وذكر من هذه الآثار أمر عمر أن يبلغ عنه أن الرجم مما أنزه الله على نبيه في

الكتاب . أقول وهذا الأثر لا يصلح دليلاً لأنه إنما نهى عن اشتغال الناس بالحديث عن الكتاب الذي هو أصل الدين . فإذا ادعى مدع أن عمر ما كان يريد أن يجعل الحديث أصلاً من أصول الدين يمكنه أن يقول إن حكم الرجم في رأيه من أحكام القرآن لا من أحكام الحديث غاية أن آيته نسخت تلاوتها فالأمر بتبليغه أمر بتبليغ حكم قرآني فلا يعارض النهي عن التحديث

ثم ذكر وجهاً آخر لرد حديث قرظة وهو معارضة الكتاب والسنة له كقوله تعالى (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (وقوله (٧:٥٩) وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (٥٢:٤٢) وانك لتهدى الى صراط مستقيم) قال ولا سبيل الى اتباعه والتأسي به الا بالخبر عنه .

وقد يجاب عن هذا بأن صراطه المستقيم هو القرآن والسياق يبين ذلك، وأن من يعمل بالقرآن يكون متأسياً به لحديث عائشة في صحيح مسلم وغيره « كان خلقه القرآن » وإن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه وهو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية . وأما الأمر بأخذهم ما يعطيهم الرسول فهو في قصة النبي ونحوه مافي معناه والحديث الذي نحن بصدده لا يعارض ذلك وذكر من أمثلة معارضته السنن حديث « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من لم يسمها » بناء على جملهم الأحاديث القولية من السنن وهو اصطلاح للعلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فعملوها أعم مما كان يريد الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهي الطريقة التبعية التي جري عليها العمل . والحديث يصلح معارضاً للنهي عن التحديث وبينهما يطلب الترجيح . ويقول ابن عبد البر إن عمر كان يريد النهي عن الإكثار لا عن أصل التحديث وهو كما ترى وإن الأخذ بالمرفوع مقدم . أقول وهناك شيء آخر وهو إقرار الصحابة لعمر على نهيه وقد يعارضه أنهم حدثوا فلم ينهوا وقد مر بك أن أبا هريرة كان يحدث بعده فكان اجتهادهم اختلف في المسألة

وبما ذكره ابن عبد البر عن عمر في معارضة حديث النبي قوله « تعلموا الفرائض والسنة كما تعلمون القرآن » فسوى بينهما وعن مورق المجلي عنه قال كتب عمر « تعلموا السنة

والفرائض واللعن كما تعلمون القرآن». والجواب عن هذا يعلم مما قبله وهو ان تعلم السنة غير الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فان السنة سيرته (ص) وتعرف من الصحابة بالعمل والابحار كنعو « من السنة كذا » كما كانوا يقولون والتحديث عنه نقل كلامه كما هو المتبادر وان اصطلح المحدثون بعد ذلك على تسمية كل كلام فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديثا سنة . ومنه تسمية ابن عبد البر نفسه لرواية قرظلة التي هي موضوع بحثنا حديثا . وفسر اللعن في أثر عمر عن مورق فقال « قالوا اللعن معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به »

ثم قال وعمر أيضا هو القائل « خير المهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم » وهو القائل : سيأتي قوم يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وأقول ان هديه (ص) ليس موضع اشتباه وأما سننه فلأورد بها هنا أقواله لكان فيها من الشبهات ما في القرآن او أكثر لان القرآن أعلى بيانا وقد نقل بالحرف والحديث كثيرا ما نقل بالمعنى . فالسنة لا يراد بها الا السيرة والطريقة المتبعة عنه صلى الله عليه وسلم بالعمل والعمل لا تقتض في الشبهات لذلك أمر بالاحتجاج عليهم بالسنن . ومثل هذا أمر علي لابن عباس لما بعث للاحتجاج على الخوارج قال « لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا » اهـ من نهج البلاغة

ومن العجائب ان يظني بعض المحدثين احيانا عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافق لاصل الفقه فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي احدثوه بعد ذلك وليس لنا أن نلوم بعد هذا ذلك العالم الفرنسي المستشرق الذي قال لي مرة ان الصحابة كانوا يقدمون الاحاديث على القرآن وذكر لي قول علي لابن عباس فقلت له انه لا يعني بالسنة الاحاديث فانها ذات وجوه فتمثل تأويل المجادلين كالقرآن وانما هي الطريقة المتبعة بالعمل . مثال ذلك احتجاج علي على معاوية وأصحابه بحديث عمار « تقبله الفئة الباغية » فقد أوله عمرو بن العاص فقال : انما قتلته من أخرجه : يعني عليا ولكن لا سبيل الى تأويل كيفية الصلاة وعددها وكيفية الحج

لأنها ثابتة بالسنة . ولا ينبغي أن السنة بهذا المعنى تشمل ما هو مفروض وما هو مندوب وما هو مستحب كما مر جوابه

هذا وإن البحث كبير ولا سبيل إلى تحريره واستيفاء فروعه في هذا الجزء

فكنتني بما تقدم في الوفاء بما وعدنا به في الجزء الماضي

وليعلم القاري أن هذا البحث الأصولي يعزل عن مسألة اعتناء المسلم بما يصح عنده من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك الأقوال هي ينابيع الحكم ومصايح الظلم ، وجوامع الكلم ، ومنخر للامة على جميع الامم ، بل ان في الاحاديث التي لم تصح اسانيدھا من البدع ، والحكم الروثع ، والكلم الجوامع ، ما تقتصر عن مثله أعناق العلماء ، وتكبو في غاياته فرسان الحكاء ، ولا تبلغ بعض مداه قرائح البلغاء ، ولا غروفان من الاحاديث ما صحت متونه ولم تصح اسانيدھا كما ان منها ما أشكلت متونه وان سلم من الطمن روايته ، وأني لثيرونا بعض ما عندنا من الاسانيد لا أقوال حكمائهم ، أو اكتب انبيائهم ، فمنعنا يسهل علينا من التمهيص والتحقيق ما لا يسهل على غيرنا ، فليتدبر المتدبرون ، وليعمل العاملون ،



حياة اللغة العربية

مركز بحث الترجمة والتعريب • ونادي دار العلوم

لكل لغة مقومات ومشخصات تمتاز بها على غيرها من اللغات كما تمتاز أنواع الجنس وأشخاص النوع • وحياة كل لغة تكون باداء وظيقتها مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها • ووظيفة اللغة محصورة في شيء واحد هو تعبير أهلها بها عما يملون منها انست دائرة معارفهم وعلومهم • وقد كان لغة العربية حياة أدبية في عصر الجاهلية ثم ظهر بها الاسلام فجدد لها حياة أخرى أعلى مما كانت فيه إذ جعلها ديناً وشرعاً وسياسة ومدنية قامت بعلوم لغوية وعقلية وصناعية فوسمت اللغة ذلك كله مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها في المفردات والأصناف ان ما يتجدد للناس من المعلومات يعثهم واكتشافهم وبما ينقل اليهم عن غيرهم يظهر في لغتهم بضروب من المظاهر فمنها ارتجال الاسماء ومنها الاشتقاق ومنها الترجمة ومنها التجوز ومنها التحويل للخيل من الاسماء الاجنبية وإدخاله في لغتهم وجعله منها مع تركه على حاله أو مع ضرب من التعريف فيه يكون به مناسباً وملائماً لكلماتها في أوزانها ومخارجها وهو ما يسمى عندنا بالتعريب • وكل ذلك من مقتضى حياة اللغة فهو يحصل في اللغة الحية بلا تكلف كما يأكل كل من الانسان الايض أو الامود أو الاصفر الشيء المختص بأرض الآخر فيتقذى به بدنه ويوقى هو مع ذلك على لونه ومشخصاته لا يمرض له تعبير

ضمنت حياة اللغة العربية منذ بضعة قرون بعد أن صارت قسرين عامية وخاصة، فأما الخاصة وهي لغة العلم والكتابة فصارت متكلفة وخرجت عن كونها ملكة واسعة • وأما العامية وهي لا تكون الا ملكة حية في الالسة فصارت قاصرة على ما يصل اليه علم الاميين ومن في حكمهم من المتعلمين • وصار المشتغلون بالعلم والكتابة ضاعفا في ملكتها بقدر مزاولتهم للخاصية التي لم تكن ملكة لهم • فاذا عرض لقوام شيء جديد من المسميات بادروا اليه بتسميته بلا تكلف كما هو شأن أهل الملكة

في كل لغة فترى المشتغلين منهم بالطباعة (مثلاً) يسمون كل أداة من ادواتها الاعجمية باسم منه العربي ومنه العجمي ومنه العرب (وسنين ذلك بعد) ولكن الخواص واعني بهم المشتغلين بالعلوم العربية فانهم يحارون فيما يمرض لهم من ذلك اذ ليس لهم ملكة العامية كالموام الآن ولا ملكة الخاصية التي كانت لنا قلي علوم اليونان سكت هؤلاء الخواص على هذا النقص زمنياً وبحث بعضهم فيه أبحاثاً لم يكن فيها غناء . وقد أنشأ في هذا العام جمهور من المتخرجين في مدرسة دار العلوم - وأكثرهم معلمون للعربية في مدارس الحكومة - نادياً لهم رأوا أن يكون من فوائد اجتماعهم فيه خدمة اللغة العربية بأكثر مما يخدمونها به في المدارس . وقد رأوا أن يكون أول عمل يقومون به البحث في هذه المسائل وانما نورد لهم خطابين في مسألة أسماء الاجناس الأعجمية التي براد ادخلها في اللغة العربية هل تعرب تعريباً أم تؤخذ بالترجمة والوضع الجديد؛ وقد عرف رأينا في ذلك مما تقدم وصنزيده بياناً بعد ايراد الخطابين

خطاب الشيخ محمد الحضري المدرس

(بمدرسة القضاء الشرعي)

أيها السادة

ينبتنا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر قد وصلت الى متهم الضعة وكادت تصبح أثراً دارساً ولولا رجلاان فكرا في احيائها ووجدنا من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجدد لكننا اليوم على ما كان عليه سلفنا في أواخر ذلك العهد

أما أولها فمحمد علي باشا مؤسس الامرة الحديوية زادها الله تشرافاً وتكريماً فإنه وجد المرحوم رفاة باشا وتلاميذه بعد ان زج بهم في مضمار الحياة فساروا شوطاً بعيداً ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة كتبوا وترجموا شيئاً كثيراً أبقته لنا الأيام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدورهم واستعدادهم لم يتركوا فنا من فنون التي كنا مستخدمين فيها الا كتبوا فيه ترجمة أو من عند أنفسهم .

وأما الثاني فهو صاحب الدورة المخلص في خدمة بلاده مصطفى رياض باشا
وجد الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذه ورجال العزيمة من نابي
السوريين قاموا بالنهضة الثانية عهد إلى المرحوم اصلاح الوقف المصرية والاشراف
على ما يكتبه أرباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منبها لهم أن يمتنوا
باصلاح ما يكتبون وتعلم ما يجولون . ومن أكبر مساعد تلك النهضة الجرائد العربية
على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها
بما كانت يبذلها أصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواء في ذلك
فاضلهم ومفضولهم .

إذا دبت الحياة في جسم فانها لا تنف عند غاية فان صاحبها دائما يرجو
الكمال وهو أبدا بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فاننا في بدء نهضة نالتة يأخذ
بيدها ويشد ازرها ذوا السعادة الوزير المخلص سعد زغلول باشا ناظر المعارف
العومية في عهد مولانا وصيدنا أمير مصر عباس باشا حلي الثاني فهو مؤيد
النهضة الثالثة كما كان جده مؤيد النهضة الاولى

تلك النهضة أن تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلم وكتابة وتكلم يفت فيها
الصغير ولا يخل بوزنها الكبير والاعوان اليوم أكثر منهم أمس فان البذور التي
غرست قد أثمرت في كثير من الانفس العلية فصارت من أنفسها تطلب الثبات
وترقب الكمال والمعونة من مثل هؤلاء أعظم

هذا المطلوب أيها السادة عزيز المنال وعمر المسلك فلا بد للوصول اليه من
عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتبئة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد
فنظن أنفسنا سائرين للامام ونحن للخلف واجعون . ننظر أماننا فنجد عبات
كثيرة لا بد ان تقدرها قدرها حتى يمكننا تذلها عبات كثيرة لست في معرض
احصائها الآن لاني أقصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين أيديكم

بيننا محدثات كثيرة تصل بلادنا على أيدي المحترمين الذين قدروا مجدهم
ان ينتفخوا من كل ما خلقه الله سبحانه للانسان ولم يكن آباؤنا قد عرفوها حتى

يعدوا لها العدة من الاسماء الميئة لاسماها فقف امامها مبهوتين لا ندري كيف
 نبر عنها فاذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائرا فننا من يكتب اللفظ الذي وضعه
 المخترع ويحيطه بقوسين علامة على أنه ليس من لغتنا أو بمباراة أوضح علامة على
 نقص اللغة ونفورها من كل جديد ومنا من يمتثل لذلك فيؤدي المعنى بكلمة
 وضعها العرب بازاء مسمى آخر وما يجده الكاتب يجد مثله المتكلم
 لا يفتق الناس على شيء يتبعونه وهذا نقص عظيم يجب أن نتلافاه وأن
 نثقف على ما نستعمله لذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال: ما هي الطريقة
 المثلى للدلالة على المحدثات؟ أعرب ألفاظها التي يضمها لها محدثوها وصقلها حتى تكون
 موافقة لهجات العرب أم التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعها بازائها .

وقبل الافصاح برأبي في هذه المسئلة أئين لحضراتكم كيف كانت العرب
 المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيء محدث من طريق غيرهم
 ولا أريد أن أتوسع في البحث الى ما وراء أسماء الاجناس فان اللغة العربية
 عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا يحتاج معه الى استعارة من
 غيرها أما أسماء الاجناس فانها بالضرورة تتجدد بمحدث مسمياتها والعرب كما
 نعلمون كانوا قهرا جدا من هذه المواد فانهم أهل بادية وحاجات المبدى قليلة
 إذ ليس امامهم الا سيارهم وأرضهم وبهمه وسلاحهم ووجدانهم فمن المقول أن يفتن
 في وضع ما يدل على أجزاء ذلك من الاسماء. أما ادوات الحياة مما تخرجه الصنعة
 وتبدعه الفكرة فهو منها بعيد وقلما يتلقى باديهم شيئا منها عن بلاد أخرى لانهم
 اقتطعوا عن الامم أو كادوا

فاما الحاضر ون منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد
 كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يتلقون كثيرا من الاداة فتسوقهم حاج
 التعبير والابانة تحافي النفس الى ان يكون لذلك الشيء الذي استعملوه لفظا يبر
 عنه والمقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيه لان الاقدمين ما عرفوا عليه
 وليس بيننا من يقول به على ما أظن وسبب هذا فيا أعلم ان أحرف اللغة العربية

قد شغلنا الاوضاع قلما فركب ثلاثة أحرف الاوجدنا مجموعها قد وضع واستعمل
الهم الا حروفاً قلائل استقل العرب جميعها في كلمة واحدة ومثل الثلاثة
الاربعة والخمسة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالاجوز بأن يكون اللفظ قد وضع
بإزاء مسمى ومناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى
الجديد ككلمة تأمور فإنها في أصل اللغة القلب لأنه وعاء الدم ثم توسعوا فيها
فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم أي وعاء على أي شكل استعملوا فيه لفظ تأمور
ولا يأخذون عن غيرهم شيئاً حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صناعه لتدل على
شكها الخاص به ويبحثون في كلماتهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه
الدينار والدرهم فيستعملونه فيها ولا يأخذونها

الطريق الثالث التعريب وهو انه يأخذ من المخرع لشيء المسمى واسمه
بعد ان يصفوه بالنتهم حتى يكون خفيفاً عليها مناسباً لهجتها وهذا هو الطريق
المعقول الذي اتبعه العرب وكل أمة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تتناول الالفاظ
الذاتة على الاجناس من واضعها وتلحقها بلقمتها من غير ان يقف في طريقها معارض
أخذوا الدينار والدرهم وألقوها بأبنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس
مدنرأي فيه تقط كالدينار وقالوا دنر وجهه أي تلاً ودينار مدنرأي مضروب
ودنر فلان كثرت دنايره وقالوا رجل مدرهم كثير الدراهم ودرهمت الحيازي
صار ورقها كالدرهم. وأخذوا اللجام واشتقوا، فقالوا ألجم وملجم ولجُم ومجوزوا
في استعماله فقالوا: النبي ملجم؛ لانه يقيد اللسان ويكفه كما يفعل اللجام بالداية
أخذوا من الصناعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطست والخوان
والطبق والخز والديراج والسندس والهندسة والمهندس. وأخذوا من النباتات
انرجس والبنفسج والفسرين والسوسن والياسمين والبلنار والزنجبيل والقرنة
والنفل والكرابيا والعبير والكافور والصندل الى غير ذلك مما أحصاه نقل اللغة
وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين «الجهة الاولى» أن يلحقوا الكلمة

بأبنتهم متى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها وكثرا يبدلون حرفا مكان حرف لتقارب مخرجهما كما فعلوا في لجام وكان أصله لغام بالفين والجييم والفين متقاربان مع سهولة الجيم وإذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيمًا لتقربها منها ولم يكن بد من ابدالها لأن ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جر بز وآجر وجورب وربما جعلوها قافا لانها قريبة أيضا فقالوا قر بز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الجيم فقالوا ككوسج وساذج وأصل ذلك كوسه وساده كما نطق به نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والياء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فابدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الأعجمية

والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضما كما فعلوا في الأبريسم والأهليلج وكما فعلوا في كثير من الاعلام وقصدهم من ذلك ألا يبقى هناك كبير فرق في النطق بين اللفظين الاصل والأعجمي وثبته العربي حتى يكون الفهم والافهام اللهم الامادعت اليه ضرورة الدربي في النطق جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الأعجاز ووصفه الله سبحانه بأنه لسان عربي مبين فاستعمل كثيرا من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانه على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والأبريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها وقد ألف فيما عرب واستعمله القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ النفوي الشيخ حمزة فتح الله كتابا جمع فيه من ذلك كثيرا . وقد نقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين وأهل العلم والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات العجم سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الالفاظ العجم الى ألفاظها نصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض أهل العربية ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ما رضيته العرب من

الكلمات بعد تعريبه صار عربياً ميبناً وألحق بأحرف الالف فلا حرج في استعماله بعد
وما أزيدكم به يا أيها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة
لاشياء تشابه ماله اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالته على شكل
خاص للمسمى كأخذوا كلمة ابريق وعندهم التامور وأخذوا كلمة البطر وعندهم الاوز
للصغار والكبار وأخذوا الهاون وعندهم المهراس والمنحاز وأخذوا الطاجن وعندهم
المقل والميزاب وعندهم الثمب وهو مسير الماء في الوادي والسكرجة وعندهم الثفوة
والمسك وعندهم المشوم والجاسوس وعندهم الناطس والاترج وعندهم المسك
وذلك لاسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص
فتكون دلالة ما عندهم على المسمى ضمنية

هذا هديهم قبل الاسلام - أما بعد الاسلام فان العرب حينما جدوا في العلوم
وأرادوا أن تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجعوا اليها
كتب العلم التي وصلت اليهم من امم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها
فكانوا يأخذون الاجناس كما هي ويستعملونها في كتبهم وينطقون بها كأنها من
لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصاً في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا
الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراثة واستعمال الالفاظ التي أمانها الزمن
لعدم صلاحيتها للاستعمال أو المستعملة في معان أخرى

والفقهاء أنفسهم لم يجمعوا عن أخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها
يلزم من اتباع رأي التجوز مضار أهمها ان اللغة وضعت لتدل على ما في النفس
حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يجعل بأصل المقصود
والتجوز لا بد فيه من اقامة القرائن على ارادة ما استعمل اللفظ فيه وهذا وذاك
كثيراً ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك أن
نضيف الى الآمال

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبق لها من
أثر وإن ما كان يباح للاعراب في بلادهم على قلة حاجتهم لا يباح مثله لنا في
القرن المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كله بنوه على قاعدة لا أساس لها وهي

تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانه أتم دينه الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكذلك العرب قد أتمت وضع لغتها ولم يبق من بدم من يحق له ان يضيف اليها كلمة جديدة كما أنه ليس لمسلم ان يضيف على دينه حكماً جديداً

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع آلهي شرعه من له حق التشريع والالزام وهو الله سبحانه وأتم وضعه على قواعد راسخة وأساس ثابتة فلم يبق لاحد مجال أن يزيد على هذه القواعد أو ينتص منها أما اللغة فالقصد منها الابانة والانصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات وليس من قصدي أن ابحت الآن في أمور اللغات أي توفيقية أم وضعية فان ذلك مما فرغ منه العلماء وأتمى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى أن كثيراً من أصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع أولاً هو الكلمات التي تقل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان أما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علمه الانسان الاول آدم صلوات الله عليه فهو مكابرة للحسوس

ومنى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فالحجاج من المتسكين بها متى علم أصولها ولهجتها له حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفه ولا أدري ما الفرق بين من علم اللغة تاتيناً من أبيه وأمه وبين من علمها من معلم نبرها واعتادها بعد ذلك في كلامه وكتابتها حتى صارت له ملكة يمكنه أن يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يجهد عن طريقها ويكتب كتاباً صحيحاً يقرأ في ساعات أو أيام

ان اخواني الذين يخالفوني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا ينجون من تغير الأوضاع والدلالات العربية فهم لا شك يتفقون معي في أن حق التغيير للحاجة ثابت لنا ومنى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبق الا التخيير بين سهل وأسهل ومفيد وتام الافادة رلاً مرأه في أن اللفظ الذي وضعه واضع الدلالة على شيء اخره أسهل في الدلالة وأتم في الافادة لانه وضع بأزمنة تماماً كما وضع

لفظ الأبريق بإزاء تلك الأداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي تصيدها من موات
اللغة فإنها إما أن تكون موضوعة لشيء هو أعم فنخصصها ويلزمنا إيجاد القرينة
للدلالة على ما نريد فنحتاج إلى لفظ وتقرينة وإما أن تكون مستعملة في شيء فيه
مجرد مشابهة كما بين الأتوميل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على
معنيين أو معان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة أو المركب
فإذا قلت جاءت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي؟ أظن لا بل لابد مع
ذلك من كلمة أخرى معينة المراد

لا أدري ما المانع من أن يدخل في اللغة الترام ويقال أترم ومترم كما قالوا للجام
وألجم وملجم. إن الكلمة التي تريد اصطفاؤها قد وضعتها واضعها بالضرورة للدلالة
على معنى خاص فإذا نحن أخذناها واستعملناها في شيء جديد لم تكن قد جربنا
على لغة العرب لأنها خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا بشكى وجمري مثلاً
للناقة المريضة فإذا جعلنا كلمة منها بإزاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً
جديداً لم يسبقنا إليه سابق واجتلاب مثل هذه الألفاظ بالنسبة لمحموظ اللغة كوضع
ألفاظ جديدة هو لغة من أحرف اللغة فسيبان في الاعتراض على رأيهم أن تقول
للترام بَشَكَّى وإن تقول له ترام لأن كلا استبداد بوضع اسم أسس لم يكن له
وجود قبل الآن إلا أن وجه الضرر في الأول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في
الثاني فإننا في الأول نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع
المقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة في الاسم
والمسمى ولا أدري بمد ذلك ما الذي يدعونا إلى تعسف الطرق

لعلم يرون في ذلك رأياً فيقولون أنا باتباع الطريق الأول حافظنا على
ما بين دقتي القواميس فلم نجد عنه قيد شهر ولم نخرجها نطق به العرب
في بواديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بفضيلة اللغة العربية وثروتها
حتى لا يهزأ بنا هازي فيقول إن لغة تر بوعدة كلماتها على الثمانين ألفاً محتاجة
إلى ما يكملها ويسد ثلثة فيها

أما دعوى أن هذا محافظة على ما هو عندنا فهو صحيح لأنها إيمان تكون

بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بأزائه وإذا لم نعمل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخيلاً لا قيمة له وارتكبنا في التقدير من أوضاع القواميس ما لا يخفى لانا إذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها شيء جديد أنذ كر في قواميسنا معنيها القديم والحديث فنكون ابتدعنا وأوقعنا السامع والخطم في حيرة أم نترك ذكر المعنى القديم وتقتصر على الحديث ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منه أن نذكر لفظ قوام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليه ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعه المتقدمون معروفاً وحده وما الحقه بالغة المتأخرون معروفاً وحده وهذه هي المحافظة الحقيقية على ما ورثناه من سلفنا. واما أن يفتقر متر بكثرة الالفاظ اللفظية حتى لا يحتاج الى مزيد ففيه غلظتان كبيرتان فان الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا المدد فكثيراً ما نجد المعنى الواحد له اسمان فأكبر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والهر والصل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي أسلم بها انما هي في أسماء المعاني وليست داخلية في موضوع بحثنا واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيه لغة من لغات الامم الحية لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون أن يجدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة دلت على معنى جديد وأكثر أحوالهم الاستعارة من غير لغتهم وإذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال المخترعات والتعابير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الامر في الاحياء والامامة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروه واستمروا على استعمال ما وضعه الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انه قد ترجم لهم بكلمة «مسرة» ولم أرهافي جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون

أنوميل ولا يشتملون سيارة ثلاثية عجلات عليهم الأمر أن السيارات السماوية والسيارات الأرضية لي كثير مما يماثل ذلك وهذا اعترف منهم أو على الأقل شعور بأن طريقة الترجمة والنوسم ضررها أكثر من نفعها وأن طريق التعريب أوضح مسلكا

(النتيجة)

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب أقدم لحضراتكم مقترحي حتى نقاولوه بالبحث ليمحص الحق (١) تكون مجمع يهد إليه التعريب يندم من حيث فيه ملكة اللغة والعربية وهو في مهنة مفرداتها وطبقاتها وإنما لزم وجود مجمع لأنه لا ضرر علينا وعلى اقتنا أشد من استبعاد الفرد بالوضع أو التعريب إذ هو مدعاة للاختلاف وهو أضر شيء

٢ « أن يكون اختصاصه محصورا في دائرة أسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءه مسمى حديث أو رأى شيئا حديثا مما هو موجود بيننا ولم يسبق ان وضع له لفظ ورأى أن في اللغة لفظا دالا عليه بنفسه أطلقه عليه وإلا عرب الكلمة الاعجمية وصيرها موافقة لا وزن العرب مهلة على ألسنتهم واتفق على حروفها وشكل كتابتها وأخرجها قناس بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاز في انصر الادل وهي الواسطة في التعليم والاظهار والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عنده أمل في تحسين

اللغة واصلاحها وخصوصا معلمي العربية منهم

(٣) ان يكون للمجمع سجل تقييد فيه هذه الكلمات وازاءها مسمياتها موضحة تمام التوضيح وأحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيه واذا كتب قاموس من القواميس تكتب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي تبقى الاصل محفوظا على حدة والعرب وحده على حدة

هذا ما أمكنني أن أوردته لحضرتكم أيها السادة في هذا الأمر العظيم واجبا أن تنظروا اليه بين عنايتكم حتى تخلصونا من شر نحن فيه وأنا وأنتم محبون به ولا نجهلون في هذا المعبر من أدوار الحياة كالنرى يتس ما يخلصه ولا يجده هذا وأسأل الله سبحانه أن يؤيد بروح من عنده مولانا أمير البلاد وسيدنا الذي هو عضد كل نهضة نافذة أبقاه الله وأحال عمره والسلام عليكم ورحمة الله محمد الحضري

المدرس بدوسة القضاء الشرعي

(العدد) نشرنا هذا الخطاب بنصه الاكلمات قليلة صححناها للجزم بأنها كتبت خطأ بسبب من الناسخ ونحن نوافق صاحبه في جواز التعريب ونخالفه في منع ما عداه وفي جعل عمل المجمع لغوي محصورا في تعريب الاعلام وامهات الاجناس فاننا في حاجتنا لبحث في الاصطلاحات العلمية الكثيرة ايضا فلا بد من جعل موضوعه أهم مما ذكر كما علم ذلك من مقدمتنا اليه قدمناها على الخطاب، ولا نبحث هنا فيما عدا الموضوع المقصود من الخطاب ومنها إغفال ذكر توفيق باشا عند الكلام على النهضة الثانية لانه فان حظها منه لم يكن أقل من حظ النهضة الاولى من محمد علي باشا والنهضة الثالثة من عباس حلمي باشا. إن عهد كل أمير من الأمراء الثلاثة استلزم عملا فكان العمل بقدر استعداد العالمين وليان هذا موضع آخر وقد فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام تفصيلا

(ومنها) قوله في كلمات لغة العربية أنها تروى على اللسان وأنا وقوله بعد ذلك اننا انما طرحنا المرادف ما وجدنا معنا بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا العدد. وكان القول الاول سبق الى قلبه من قول بعضهم ان مواد كتاب القاموس ستين الف مادة وان ابن منظور زاد عليه في لسان العرب عشرين الف مادة مع السهو عما في كل مادة من الاسماء الجامدة والمستتقة والافعال. وقد نقل السيوطي في المزهرة ونقل عنه الزبيدي في مقدمة شرح القاموس ان المستعمل من الكلام نحو خمسة ملايين ونصف أو يزيد. ولا حاجة هنا للخوض في ذلك ولا في بحث المرادف ونسبته الى سائر الكلام، ولا في غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام، ومنقول في الجزء الثاني خطاب الشيخ احمد عمر الاسكندري ونأتي بعده بما بين لنا ان شاء الله تعالى

أوروبا والاسلام

رأي المنار فيما كتبه موسيو ميلي ونشرناه في الجزء الماضي

كتب ذلك الوزير في الاسلام والمسلمين كتاباً خبير بصير وقد صدق في قوله ان جرائم الحياة كامة في الاسلام وان الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج ثماره بطرق العلوم المصرية هو الذي يبيد الحياة الى المسلمين وان أمة أوروبا تنجرد عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الخطوة التالية يمكننا ان نتقدم على غيرها تقدماً عجيباً وقد نصح لأمتنا اذنبها الى ذلك بقوله بعدما تقدم وذلك في آخر مقاله « فاليوم الذي تشر فيه فرنسا عن مساعد الجد ونسعى في تعليم وتربية الأهالي - ولا تقصد بذلك ان تلزمهم بنظائمتنا بل ان نسير بهم في مناهج التقدم الملائمة لطباعمهم - هو اليوم الجميل حسب قول موسيو جوناك الذي تحصل به على أكثر من فتح المالك اذ به تتعاقب لها السلطة على الارواح » ولكن هل تقبل فرنسا هذه النصيحة وتقدرها قدرها ؟

قرأنا لكثير من علماء فرنسا وماسيتها كلاماً حسناً في الاسلام وأمانياً حسنة في شأن المسلمين ولكن ماراً بنا ذلك تأثيراً حقيقياً فصاروا أكثرنا يحمل ذلك الكلام وأمثاله على الخلاة والتمويه ومخادعات السياسة ولكن الكلام المقول في نفسه اذا سمعه العاقل عن العاقل لا يمكن له ان يسبه تمويهاً وخداعاً . فانا نعتقد ان جرائم الحياة كامة في الاسلام وان رؤساء المسلمين هم المانعون لها من النمو واعتقد ان دولة أوروبا يمكن من إحياء مملكة إسلامية يعرف لها فضلها جميع المسلمين ويكون لها منهم قوة تجعل لها مكانة عليا في الارض حتى في أوروبا نفسها وقد سبق لي كتابة في ذلك . واعتقد ان فرنسا من أقدر الدول الكبرى على ذلك وأحوجهم اليه . فكيف يمكن أن اعتقد مع هذا كله ان قول موسيو ميلي مخادعة أو خلالة ؟ أنا موقن بصحة كلامه وصدقه وربما كان اعتقادي هذا القوي من اعتقاده هو ولكنني أشك في نفعه أمتة حقيقته ما يقول وقدرتها على الانسلاخ من لوم القديم الذي أشكر اليه

يعدون الشعوب الاصلية من الشعوب المينة او الضميفة ولكن منهم من يقول ان جراثيم الحياة كائنة فيها ، ويعدون فرنسا من اعظم الامم الحية ولكن منا ومنهم من يعتقد ان مكروبات الضمف والآنحطاط كائنة فيها. فنقول على هذا وذك ان المسلمين يحتاجون الى دولة كفرنسا تساعدهم على الحياة الجديدة في شمال افريقية وان فرنسا بحاجة الى حفظ حياتها القديمة و امدادها بشعوب قابلة للحياة والقوة كالمسلمين . وان هذا المطالب ممكن في نفسه ولكن فرنسا غافلة عنه لأن القوي العزيز قلما يفكر في حقيقة حال من يراه دونة فهذه عقبة دون المطالب ومن ورائها عقبة اخرى وهي ان الضميف قلما يرون باخلاص القوي له فالاسلمون الى اليوم لا يظنون ان فرنسا تريد بهم خيرا وهم معذورون بهذا واتي اصرح به نصحا لفرنسا ورغبة في حسن التفاهم بيتنا وبينها لعل في ذلك فائدة لنا ولها . فما قلته هو الحقيقة وان وجد في المسلمين من احسن القول في فرنسا كما وجد في الفرنسيين من احسن القول في المسلمين فذلك الاقوال لم تغير الحقيقة ولا يغيرها مثلها وانما تغيرها الاهال والمسلمون الذين تسوسهم فرنسا لا يستطيعون ان يستميلوها بعمل اكثر مما هم عليه من الطاعة لها ولكنها هي تستطيع ان تستميلهم وان تلك قلوبهم وأرواحهم كما هي مالكة لا بدانهم وأوطانهم فهي التي يجب عليها الابتداء بالعمل

رعا يظن بمض المغرورين بقوتهم ان حال الجزائر خفية لا يعرف حقيقتها مسلمو مصر والشام والحجاز وسائر المشرق . الحق أقول لهؤلاء ان تلك الحال ليست مخفية فاننا نعرفها ونشعر بشعور أهلها ولكن ما كل ما يعلم يكتب وانما كتبنا الآن هذه الكلمات لما رأينا من بارقة الامل في حسن التفاهم والسعي اليه بالعمل لا نطلب من فرنسا للمسلمين اكثر مما أشار اليه مسيو ميلي وهو السعي في تعليمهم وثرينهم بالقيد الذي ذكره والشرط الذي اشترطه وهو ان يكون القصد تقدمهم بما يلائم طامعهم لا إلزامهم بنظامات فرنسا وعاداتها فضلا عن شرائها ودينها فالملوب مساعدتهم على احياء لغتهم ودينهم وإيمانهم ثروتهم مع تعليمهم العلوم والفنون العصرية بالتدريج الملائم لحالهم سهل هذا على فرنسا اذا قنعت من الاستعمار والامتلاك بما دون تمويل

المسلمين عن لغتهم ودينهم ورقعة بلادهم ولها بعد ذلك من موارد الأروة ومصادر القوة ماضات مع الرضى والحب

يملئ كل الملهين بأحوال السياسة من المسامين أن فرنسا طامعة في الاستيلاء على المغرب الأقصى وتأليف أمبراطورية إفريقية اسلامية وأهل الرأي منهم يعلمون ان شجاعة أهل المغرب واستبسالهم لا يدفعان عنهم ما تريد فرنسا بهم مع جهلهم وتفريقهم وكون بأسهم بينهم شديداً ولكن سياستها اليهم مثل ما ساست به الجزائر في الماضي قدراها المفردون أسراً يسيراً وهي في الحقيقة من أعسر الأمور وأشدّها تمقيداً وخطراً على فرنسا في المستقبل ويظن المفردون ان تغيير السياسة في الجزائر تغييراً هوريا كافياً في إرضاء المسلمين في تلك البلاد وإقناعهم في سائر البلاد بأن فرنسا تريد ترفيتهم مع المحافظة على دينهم ولغتهم . والحق انه لا يفيد في الامر الا الاخلاص في العمل وهو لا يخفي على أحد

أقول هذا لفرنسا وأنا ناصح أمين ، وإنما أنصح لها لا اعتقادي أن في مصلحتها هذه خيراً للمسلمين بل أعتقد ان فرنسا لو جمعت لاهل الجزائر واليا منهم لكثرت فائدتها من ذلك ، أكبر من فائدتهم فهل تلومني أمة الحرية اذا صرحت لها باعتقادي هذا وتعاقبني عليه بمنع هذا الجزء من المنار أن يصل الى الجزائر كلاب أظن انها تقدر كلامي قدره فان لم تقدره اليوم فلا بد ان تقدره في يوم آخر بل نحن نعلم أن فرنسا مارضيت بأن يكون سلطانها على تونس سلطان حماية لاسلطان املاك رسمي الا لما استفادته من العبارة بحال الجزائر التي لم يها نحن وهي أعرف بها منّا . ولكن ما عمنه في تونس منشد من وجوه كثيرة والمدة بما فيه من اصلاح أكبر منه . وقد شكرنا لها في هذه الايام ما كان من النفيس عن حملة الانلام ، وإنشاء مجلس الشورى وان كان دون المراد ، فحسب أن يكون هذا بدء سياسة مثلى يشكرها لها الاسلام ،



أحكام الاحتجاب

﴿ الباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب ﴾

مثل الشيخ محمد مصطفى أحد علماء الجزائر عن حكم الزينة واللباس في الاملام وعن حكم احتجاب المرأة فأجاب عن ذلك بنحو خمسين ورقة وطبع ما كتبه وأهدى اليها منه نسخة فمصنفنا منها أوراقا من مواضع مختلفة فلم نجد الا نقولا قويا واختيارا في النقل حسنا والمؤلف ادام الله النفع به منتجع لحركة العلم واقف على سبب الاصلاح الهدي والاجتماعي وهو ينقل في مقاله هذه وفي غيرها من تصانيفه عن كتب الاساذ الامام وعن المنار نقولا تدل على دقة الاستقصاء وحسن الاستحضار وسراعاة حال العصر وتطبيق الاحكام على مقتضى الحال ومن تفرقه واختياره في مسألة المحتجاب ما يأتي

« وقال (يعني الأوسي) في تفسير سورة النور المشهور من مذهب أبي حنيفة ان الوجه والكفين والقدمين ليست بعورة مطلقا فلا يحرم النظر اليها . وقد اخرج أبو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن أميا بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أميا ان المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى « الا ما ظهر منها » : رقة الوجه وباطن الكف : وأخرجا عن ابن عمر أنه قال الوجه والكفان : ولعل القدمين عندها كالكفين الا انها لم يذكرهما اكتفاء بالعلم بالمقايمة فان المخرج في سترها أشد من المخرج في ستر الكفين لاسيما بالنسبة الى أكثر نساء العرب الخفوات اللاتي يشبهن قضاء مصالحهن في الطرقات » اهـ

« وقال المحقق ابن عابد بن في رد المحتار على الدر المختار ما نصه : وفي شرح
السكرتري « النظر الى وجه الأجنبية والحرة ليس بمحرام ولكنه يكره غير حاجة » اه
وتقل عن السادة الحنابلة ان ستر وجه المرأة ويديها ليس واجبا . ويروي
عن القاضي عياض الاجماع على أن المرأة لا يلزمها في طريقها ستر وجهها وإنما هو
سنة وعلى الرجال غرض البصر عنها قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »
« وقال في شرح مختصر سيدي خليل عند قوله « ومع أجنبي غير الوجه
والكفين » ما يأتي بهجوز للأجنبي المسلم ان ينظر الى وجه المرأة وكفها من غير
عذر ولو شاة الا لحرف فتنة أو قصد لذة وهل يجب عليها حينئذ ستر وجهها أو
لا يجب عليها ذلك ؛ خلاف بن ابن مرزوق وعياض وفصل الشيخ زروق في شرح
الوغيلية بين الجملة فيجب عليها وغيرها فيستحب اه
« وقال المحقق سيدي محمد الحرثي في مراجعته على المختصر المذكور ما نصه :
قال مالك « تأكل المرأة مع غير ذي محرم ومع غلامها وقد تأكل مع زوجها
وغيره من يواكله » (قال) ابن القطن : فيه اى في قول مالك (إباحة إبداء
المرأة وجهها ويديها للأجنبي اذ لا ينصور الأكل الا هكذا اه
« وقال الفاضل عبد الحميد أفندي الجابري في مبداه ما نصه : ليس في
الأمر الشرعي أو فيما اعتاده المسلمون ما يمنع النساء عن مخالطة بعض الرجال
الأجانب عنهن بقدر الحاجة لفرض صحيح ومنفعة حقيقية كالتاس حرة أو تجارة
تلائم حالهن أو تستدعيها ضرورتهن أو تعلم علم بدون ان يتبرجن لم يرتبهن
أو يقطن معهن متمدالهن والطرب - الى ان قال - قد تكون المرأة لا ميل لها
من الرجال فاضطر لان تقوم بأود نفسها ويكون من مقتضيات كسبها مخالطة
الرجال أو حضور بعض مجامعهم فمن كانت كذلك فهي لا تمنع عن تلك المخالطة
ولا تعاب في عادة المسلمين عليها بقدر الحاجة للاكتساب لا سيما اذا لم تكن
شاة حسناء فأما يعطى لها في ذلك تمام الحرية اه
« نعم الخلوة بالأجنبية حرام أو مكروه . قال صاحب الدر المختار : وفي

الاشباه الخلوة بالأجنبية حرام الا للملازمة مدبونة هربت ودخلت خربة او كانت عجوزا شوها او بمائل اه

وونقل محشبه ابن عابدين عن القنية ان الخلوة بالاجنبية مكروهة كراهة فحرم . وعن ابي يوسف ليست بتحریم - الى أن قال - ان الخلوة المحرمة تقتضي بالمائل وبوجود محرم او امرأة ثنة قادرة وهل تقتضي أيضا بوجود رجل آخر اجنبي ؟ لم أره اه قلت ذكر بعض المالكة انها تقتضي بذلك «
ثم قال المؤلف بمد هذه القول :

« وكل من اطلع على الكتب التاريخية يعلم ان التبرقع ليس من مخترعات الاسلام (يعني أهلها) فقد كانت نساء اليونان يستعملن التبرقع اذا خرجن من بيوتهن كما هو الآن عند المسلمات وعند غيرهن من النساء الشرقيات في الشام ومصر . ولا يخفى ان نساء قبائل البربر وغلب عرب البادية لا يسترن وجوههن عن الاجانب ومع ذلك فهن لسن بمخارجات بهذه العادة عن دائرة الدين الاسلامي وقال بعض الحكماء قد يجرّ التشديد في الحجاب الزائد على أصل الشرع الى فساد صحة المرأة اذ بإلزامها القعود في مسكنها دائما تحرم من منافع الهواء والشمس وسائر انواع الرياضة الجسمية والعقلية ولذلك كان معظم نساء المدن عليلا ضعيفا ومتى ولدت احدها من مرة تفضضت بنيتها وبتت كأنها عجوز وهي في ريعان الشباب ولا يمكن ان تنتج أبناء أقوياء تقوم بربيتهم كما ينبغي اذا كانت مضطرة الى البطالة ممنوعة من جميع الحركات المفيدة في نموها بدنا وحسب بخلاف نساء البوادي فإنهن لما كن يتعاطين الاعمال الشاقة من الاحتطاب والسقي وثقبة المزارع والحصاد وجمع الزيتون وما أشبه ذلك صرن في الغالب أصح أجساد وأصفي لونا من المدنيات

« ولم يثدد في الاحتجاب الا السادة الشافعية وافق غيرهم من المتأخرين بقولهم ونظروا ذلك بفساد الزمان ولذلك قال عدة من متأخري الفقهاء الحنفية : حل النظر الى وجه المرأة مقيد بدم الشهوة ولا فحرام وهذا في زمانهم واما في زماننا فنح النظر الى وجه الشابة ولو من غير شهوة لا لأنه عورة بل لحرف الفتنة

(المنار) ان جمهور الشافعية اقدماء على ان انظر الى الوجه والكفين غير محرم لانه ليس بعورة اتفاقا قال الرملي في نهايته في هذا القول الذي ضمنه النووي « ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقل في المهادت انه الصواب » واستدل لصحیح النووي بتحريم باتفاق المسلمين على منع النساء ان يخرجن سافرات ومظنة الفتنة . وما ادعوه من الاتفاق غير صحيح وإنما هو من فعل الامراء في المدن خاصة ولا حجة فيه فيبقى مظنة الفتنة وقد أتى بعض الشافعية بحجة النظر الى وجه الأمر لهذه العلة وهو ما صححه النووي في المنهاج وكل ذلك اجتهاد من المتأخرين وقد خالف كثير من الفقهاء المتأخرين أقوال من قبلهم بطله فساد الزمان ولعلمهم لا يعرفون حقيقة الفرق بين زمانهم وزمان أولئك السابقين فقد عهدنا أهل كل زمان يذمون زمانهم . والمؤلف لم يحفل بهذا الاجتهاد فقد قال بعد ما تقدم « والحاصل انه يحرم على الرجل نظره الى حرة أجنبية مشتهاة ما عدا الوجه والكفين » ثم بين وجه هذا الاستثناء تبينا وقد سلك نحو هذا المسلك في النقل والاختيار في سائر المسائل التي تقدمت الاشارة اليها فنحمد الله على وجود مثله في تلك البلاد

(بلوغ الأرب . في مآثر الشيخ الذهب)

كتاب في جزئين للشيخ أحمد جمال الدين التونسي أحد مدرسي الطبقة العليا في جامع الزيتونة بتونس . والشيخ الذهب شيخه في الطريق . والكتاب محشو بالخرافات والدجل فيسوءنا ويحزننا والله ان يكون منسوبا الى احد مدرسي الطبقة العليا في تلك المدرسة الدينية التي تلي الازهر في الشهرة وان نرى عليه تقارير اشهر علماء تلك البلاد ومنهم من نجله عن تقرير الخرافات والاشاع على كتاب هي فيه وعلى مؤلفه ويغلب على ظننا ان من علماء الاسلام في تونس من يقرظ الكتاب من غير ان يطالع عليه اطلاعا يكفي الحكم عليه كفتاء بيان مؤلفه لموضوعه وعلاجه من انظر فيه كما هو شأن أكثرهم في مصر وسوريا كما نعلم بالاختيار وقد رأيت تقريرا للشيخ محمد

الانباي شيخ الأزهر الشيرازي زمنه على كتاب لبعض الرفاعية كاه طمن قبيح في الشيخ عبد القادر الجيلاني وفي طريقته وأهلها وفيه من الجهل بالدين والتصوف العجيب العجيب وهذا الكتاب هو الذي حملني على تأليف كتاب (الحكمة الشرعية في محاسبة القادرية والرفاعية) وأنا يومئذ في حجر الاستتال والتحصيل . فهذا ما فخرت به عن تقاريط من نجل من أولئك العلماء

وليست الخرافات هي كل ما يتقد في هذا الكتاب بل تجد عبارته عامية الاسلوب كثيرة التعمق والنظوظ فيه من تحريف آي القرآن العزيز عن مواضعها مالا يصدر من عالم . واني اقل نموذجاً منه ليعتبر بعبارته ومعانيه وعقل مؤلفه المعتبرون . جاء في ص ٢٩ وما بعدها من الجزء الاول ما نصه :

« لطيفة » كان ورد على الحاضرة (اي تونس) عالم جليل بصير يقول ان أصله مغربي شريف أثناء مدة الامير الصادق باي وأنزلوه جلود النير الكابن؟ بدوية غربال وهو في ابيه وخدمة له برده وهو في فصاحة الكلام وبلاغته آية من آيات الله يحفظ الف بيت كل كلامها شوارد اللوعة؛ متفتن حصرته؟ ينكم في علم الكلام والتصوف بكلام عجيب

« ووافقني اني كنت عنده يوما فجاء المرحوم الشيخ محمد السنوسي الاديب فقال له الشيخ ابن الوعد فقال له في محلي فقال ما قديت نفسي بمحك ثم التفت الي الشيخ وقال احكم بيننا قلت له ما عرفت الموضع فقال قرر له الموضع فقال الشيخ السنوسي اني كنت عند السيد فسمع زكرة وطبلا فقال لي هذا سماع بلادكم قلت هذا سماع البوادي وسماع بلادنا منسمة في محلي قلت للشيخ اوردنيتم بان احكم بينكما قال نعم قلت يا شيخ السنوسي ؛ بلزمك أن توفي الوعد؟ في محل السيد لا في محلك فضحك متسجيا من هذه المعاملة المنافية للحكم في غنه قلت له يا هذا ان هو لاه اذا سمعوا السماع؛ ربما صاحوا وربما مزقوا ثيابهم وربما طاروا في الهواء ولا يصلح بهم؟ ان يحضروا معهم من لا يكون على حال لاسيا النساء ودارك مملوءة بالا جانب عنهم ف ضرب السيد الكف على الكف وقل صوتي ورب الكعبة قلت له «امين يارب العالمين»

ثم حكى لنا معجوبة في السماع حضرها عند ملك المسلمين في ذلك التاريخ
الكابن؟ في الصين وأصلهم من الأربعة آلاف الذين أرسلهم أبو جعفر المنصور البغدادي
بمطلب من سلطان الصين فنصره على الفاتحين عليه ثم خيرهم بين الإقامة على الأكرام
النعام أو الرجوع؟ فاختاروا الأول قال نزلت عنده ضيفا فآكرم نزلني ثم جاءني
يوما وقال لي يا ابن بنت رسول الله هل لك شيء ترغبه ولم أوفيك به؟ قال قلت
له لقد نزلت عن ملك المسلمين والنصارى وما أكرمني أحد مثلك ولكن بقي عليك
شيء واحد وهو السماع فقام على قدميه وقال الأمان يا رسول الله وغدا نستعمله؟
ثم أرسل لي؟ ولما جئت وجدت مجلسا محفلا بالعلماء والوزراء وهو بينهم فأجلسني
بازنة وإمامهم نصف دائرة من الكراسي ثم اذن على الجوارى فخرجن من
تحت الستور واحدة يدها عود ريد الأخرى؟ مزمار ريد الأخرى طار الخ وجطن
على تلك الكراسي قال ثم التفت إلي وقال أي السماع تقدم العربي أو الصين
فقلت الأول مراعات؟ لفته عليه السلام فخرمن وتغنن بالحنان؟ تسرى مسرى
بنات الحنان؟ وأصوات توقف الطير وتحرك الحنان أو مامعناه ولما راني؟ السماع
وسرى في الأرواح سر يان الراح أو معناه انشدت جارية منهن بيتين بدعيتين؟
واحادت في انشادهما قال فما راعنا والا واحد من العلماء صاح وصفق ورى بنفسه
على الجارية قبلها ومنقط منشيا عليه فاشند غضب الملك عليه وامر بالجوارى ان
يدخلن تحت الستور وقال اني أريد ان اقله قل قلت له لا يحمل دمه بصغيرة
ثم هو الآن في حال اندهش ولا اختيار له ثم دخل الملك محلا آخر ولبس لباسا
رسميا وخرج فوقف الوزراء الموقف الرسمي واعاد الكلام عازما على قتل الرجل
وانا الاطفه بدم الجواز فاذا بالرجل اتبه من الدهشة وقال ما هذه التوجه؟ قال له
اني أريد ان أقتلك لانك نجاسرت علي في مجلسي وقبلت جاريتي فقال ما فعلت
ذلك شهوة في جاريته وانما براعة الكلام ورقة معانيه ذكرتني كمال رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم قل ثم قل اللهم اقتبس روح نبية وهي هذه الجارية
فسمع ابكاه من وراء الستار واخبروا أن الجارية قد ماتت فأخذ الملك عند ذلك
وودع ثم قال له ذلك العالم انريد قتلي وانت لك ما ينقب علي كذا وكذا سنة

في بركة دعائي وأقسم له انه ما بقى براه وسئري ما يحل بك عدي ثم فقد العالم من المجلس فسقط في يد الملك وعلم انه هلك ومزق ملكه قال فترنته في حالة يرثى لها وغير بعيد حل به ما حل وهكذا سمعت منه وهو حاصل المعنى اه
(المنار) نقلنا هذه الخرافة بنصها واشترنا الى بعض مواضع الانتقاد لفظي فيها بهلامه الاستفهام « ؟ » وكثير من الدجالين ينسبون الى البلاد لمجهولة عند من محدثوهم كما فعل ذلك الشيخ المغربي بحكايته للمؤلف ولا يخطر في بال أحد منهما ان حال بلاد الصين معروفة لغيرهم وليس فيه ملوك مسامون ولا جوارع عرييات اما المقامد والاضلالات الدينية في هذه الخرافة فلا حاجة الى شرحها فما زال هؤلاء المضلون يمثلون اولياء الله للعامة بأهم يتجهون على المحرمات ويتصرفون فيمن ينكر عليهم بالايداء !! فالمؤلف الذي ينشر هذا الدجل والتضليل جدير بأن يظمن في شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله من الائمة حماة الكتاب والسنة

اليواقيت الثمينة . في اعيان مذهب عالم المدينة

كتاب في تراجم المتأخرين من علماء المالكية للشيخ محمد البشير ظافر الازهري صدر الجزء الاول منه مطبوعاً على ورق حسن وقد جمعه ذيلاً للمتاب (نيل الابتهاج . بالقبل على الدياج) للشيخ احمد بابا التنبكتي نزل مرا كس انه في سنة ١٠٤٦ المطبوع بفاس .

قال الشيخ محمد البشير « اذكر فيه من أغفلهم من اهل القرن التاسع والعاشر ذا كراً من أتى بعده الى زمننا هذا » وليته جمعه رأساً او جسداً كاملاً ولم يجمعه ذيلاً فان أهل هذه البلاد قلما يطلعون على كتاب طبع في فاس ومن يطلع عليه لا يقرأه لأنه يكون غالباً بخط مغربي فيبيع لاتهم يطلعون في معابح الجحر . وقد تعب البشير في جمع تراجم من ذكركم وراجم في ذلك كثيراً من الكتب فحمد له هذه المهمة ونحت القراء على اقتناء كتابه نشيطاً له على إكناه ونأليف غيره . ومن النسخة منه عشرة قروش واجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة لمار وغيرها من المكاتب المشهورة

شيء من سيرة حسن باشا عبدالرزاق

(علمه وادبه) ثبت حسن باشا في بيت كريم وجاور في الازهر تسع سنين تاتي فيها من فنون العربية وعلوم الشريعة ما رأى نفسه غير محتاج الى تلقي غيره فيه . وهكذا شأن الناخبين تكون مدة تعلمهم قصيرة في الغالب وكم من طاب اقام في الازهر عشرات السنين ولم يستفد منه ما يطعمه في شؤاده العالمية . وكان من شيوخه الشيخ نصر الموريني القفوي الاديب الشهير وله هو الذي رغبه في الادبيات فكان يحفظ كثيرا من مختار الشعر و يورد في حديثه الشواهد والامثال منها فيضعها في مواضعها وكان لنا معه محاضرات اديبية يسمنا فيها أكثر مما يسمع منا . وقد نظم الشعر كثيرا ولكنه لم يبذله فلم يشتهر به .

أما علمه بأصول الدين واحكام الحلال والحرام فقد ظهر أثره في جميع ادوار حياته فلم يثبت بمقيدته الشبهات على اتصاله بأهلها ولم تنزل استقامته مما شاهده المترفين المسرفين من الحكماء مع الشباب والجدة اللذين هما اشد مشاراة الافتنان . واما علمه بالفقه فقد ظهر أثره في مجلس الشورى اذ هو الذي أعانه على فهم القوانين ودقة النظر في اتقادها على كونه لم يتاق علم الحقوق بالدراسة

(مزيتة في أمته، بسياسة أسرته) لهذا الرجل مزية في بلاده لا يفضلها فيها أحد قط فيما أعلم ، مزية لو تبعم فيها أصحاب البيوتات لئالت البلاد بهم ما يتبعمي لها محبوبها من الارتقاء في أقرب وقت ، مزية يمكن شرحها في مصنف خاص ولا يسمنا هنا الا الاكتفاء بالاشارة اليها بمباراة وجيزة

من المتفق عليه بين العقلاء ان حياة الامة وارتقاها مبدأ وغاية فالمبدأ هو التربية الحسنة في البيوت والتعاليم النافعة الافراد وغايتها اتحاد من أوتوا المبدأ على العمل لرقبها المادي والمعنوي . فمنح نرى العقلاء يشاؤون من هم التربية الحسنة في البلاد ومن فقد الاتحاد بين التملين حتى كأن التملين في الازهر امة والتعلمين في دار العلوم أمة والتعلمين في صائر المدارس أمة - وكل أمة من هذه الامة بهيدة عن الاخرى في

اخلاقها وافكارها ولا أزيد على ذلك هنا . فكيف ربي هذا الرجل الحكيم أولاده ؟
 علم ابناءه حسنا وحسنا ومحمدا علم الحقوق وجعل الاول محاميا أهليا ومدرسا
 بمدرسة البوليس وألزم الثاني بمد أن قبل محاميا في المحاكم المختلطة بأن يكون عمدة
 في بلده (أبو جرج) ولولا حسن الترية الادبية الدينية لما ترك الإقامة في العاصمة
 مع أقرانه في العلم ورضي بأن يكون عمدة جل عمله مع الفلاحين طاعة لأبيه . وجعل محمدا
 في الإدارة فكان معاوننا في قسم الاز بكية ثم رقي فصار مأمور الضبط في القبول
 وجعل ابنه مصطفى وعليها مجاورين في الازهر ولله لا يوجد في من أولاد
 الباشوات الاغنياء غيرها لان كبراءنا يمدون المجاورة في الازهر ضفة وضياعا .
 وهما الآن في ذروة المجاورين تحصيلوا ممتازان بالادب المالي وحسن الانشاء ولشيوخ
 مصطفى من المنظوم والمثور ما يجعله في بدايته مزاحما للمجدين في نهايتهم ،
 وجعل ابنه ابراهيم في مدرسة الزراعة وابنه اسماعيل في مدرسة الناصرية
 وهو صغيرم الذي لا يزال في حجر التعليم الابتدائي فلا أدري أين كان يريد
 أن يوجهه بعد ذلك ولله كان يرشحه لخدمة المعارف

وقد علم من هذا أنه كان يريد ان يحصل لكل واحد من أولاده السبعة في أفق
 من آفاق أعمال البلاد ليكونوا قدوة يهتدى بهم في صدق الخدمة مع المحافظة
 على مقومات الامة الدينية والاجتماعية ودعاة للوحدة وحسن النظام بين جميع
 طبقاتها المختلفة في الترية والتعليم فيكونوا بذلك كالنواكب السبعة السيارة كل
 يدور في فلكه مع حفظ النسبة بينه وبين غيره بالجاذبية العامة

أما الجاذبية العامة بين هؤلاء فهي الترية التي كان يمدحهم بها كبيرهم الذي كان منهم
 بمنزلة الشمس من كواكب السماء مجتمعة بين الرزي المصري من الحجة والقباء والعامة ورتبة
 الباشوية ، وبين إقامة شعائر الاسلام والآراء المصرية ، والمستحسن من مظاهر
 المدنية ، والقيام بالخدمة القانونية والسياسية ، فما كان أروع تلك المائدة التي يستدير
 معه حولها حجة العامة والطربوش ، الذين صار بين امثالهم من البندي مصر ما هو معروف
 بل كان ولا يزال - وان يزال ان شاء الله - في ذلك البيت اجتماع اروع وأبداع وهو
 الاجتماع الإمبروي في كل ليلة جمعة لإلقاء الخطب الاجتماعية والادبية ،

والذاكرات العلمية والدينية، وهذا الاجتماع عام لكل من يحضره من أسرة عبد الرزاق فالرحوم كان مرياً لا خوته وولدهم أيضاً . فاي تربية نرجو البلاد أفضل من هذه التربية؟ وما قولكم في أمة تتألف من مثل هذا البيت أو يكثر أمثاله فيها؟
(خدمته للامة) أما خدمة الرجل لأمته في مجلس الشياخات بمديرته (البنائون) وشوري القوانين نائباً عنها مدة ثماني عشر سنة ثم في شركة الجريدة وحزب الامة فهو معروف مشهور . فقد كان عضواً عاملاً ومثلاً صالحاً في فهمه ووقته، واستقلاله وحرجه ، كما كانت قدرة في صلاحه واستقامته ، تفنده الله بحفرته ورحمته ، أمين

(مصائب الامة الاسلامية بفقد رجالها)

وقفة ذكاه الملك

ما نقضت الامة الاسلامية بديها من خيار دفن الثواب محسن الملك المصلح العظيم في الهند ولا رفات دموعها عليه لا وفاجأها نبي ذكاه الملك العالم الاجتماعي والكاتب البليغ وداعية الاصلاح المؤثر صاحب جريدة تربيت (الفارسية التي كانت تصدر في طهران عاصمة الفرس . وافاه الأجل المحترم في رمضان وتأخر فيه عنا وسترجه في الجزء الآتي أو ما بعده . وقد علم القراء ان حسن باشا عاصم توفي على أثره في أول شوال وتلاه حسن باشا عبد الرزاق وكلاهما من رجال الاصلاح وأركان النهضة في مصر .

ابراهيم بك القفاني

ما زلنا بعد ذلك نتمثل بقول الشاعر « تكسرت النصال على النصال » أياماً وإذا بالنية قد أقصدت بسهم آخر نافية التابيين وأفصح الخطباء وابلغ المنشئين العالم القفاني صديقنا ابراهيم بك القفاني المحامي الشهير وهو أرقى تلاميذ السيد جمال الدين بعد الامتاد الامام وكان له في تلك النهضة لجالية المقالات الرائعة، والخطب النافعة، ولكن الامراض حالت بين الامة وبين مساعدته لها بالاصلاح في هذه السنين حتى وافاه الاجلي المحترم فكان أكبر عزاء أهل العلم والادب عنه أنه كان من تبريح مرض

السل به لا راحة له في الحياة ولا نفع للأمة منه ولا أنس للاصدقاء به . وسندكر شيئاً من ترجمته في جزء آخر

الشيخ علي حسين

ثم لم نأبث بعدد من هذا الصديق الكريم الا أبا اخي بقتنا بوفاة صديقنا الشيخ علي حسين أحد مساعدي تنقيش في نظارة المعارف بعد إمام مرض السل (الذي اغتال الاقاني قبله) به زماناً قصيراً فيما نعلم وهو في شرح الشباب ومقتبل العمر . تخرج في مدرسة دار العلوم واشتغل بالتعليم في المدارس زماناً ثم بتفنيش الكتابات في الأرياف ثم في العاصمة . وكان من حزب الإصلاح الديني الاجتماعي ثابتاً في رأيه بصيراً في أمره هادئاً ساكناً في عامة أحواله كثير البحث في الأمور العامة والتنبع للحوادث السياسية فلوسأله عن حوادث حرب الدولة العلية واليونان أو حرب روسيا واليابان مثلاً سردها عليك مر دامتظنا وذكر لك آراء وميول الجرائد والدول فيها كأنما بقراً من تاريخ مدون . وكان صادق الحديث صادق الود دقيق النقد الا انه قليل البشاشة قليل الحركة والرياضة وكنت انتقد منه هذا وأكثر عدله عليه . ولا ريب أنه هو الذي أعده للمرض الذي اغتاله واذا أراد الله أصراً هياً أسبابه

عني أخوه الكبير (لأمه) الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي بمرريضه ولا عناية الوالد الرحيم بالولد البار النجيب وبذل من وقته وماله في خدمته ما لم يفده الا الاجر وحسن الله كره دون ما كان يحرص عليه من صحته وعافيته فنوفاه الله تعالى في بيته فجهزه الجهاز الشرعي وبعد تشييده ودفنه أو عز الى بعض الجرائد ففشرت عنه أنه لا يقيم الاحتفال بالاعتماد المعروف بالأمم لأنه ليس من السنة وإنما هو من العادات التي أوهمت بعض الجرائد العامة ان القيام بها ثلاث ليال من السنة فرأى الشيخ المهدي موت أخيه فرصة يعلم الناس بها قولاً وعملاً ان ذلك ليس من السنة في شيء . والعمل أبلغ من القول ومنه الهدف وترك القادر . وقد توهم بعض الناس بذلك انه لا يقبل تمزيق الناس ويعدها بدعة وهو توهم باطل فقد عز بناه في داره ، فلا زال مؤيداً للسنة في أقواله وأفعاله

فيهر صادي الذين يسمون القول فيتبرون أحسن
أولئك الذين هم أمة وأولئك هم أولو الألباب

الله كما
١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاه من يؤت الحكمة فقد رآني
خيراً كبيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر في الحجة سنة ١٣٢٥ - آخره السبت اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨

﴿ خطاب الشيخ احمد الاسكندري في اللغة العربية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الافاضل

اني لا حسبي سعيداً موقناً ان آفة الية مبراً بلسان جمهور عظيم من أبناء اللغة العربية وحرابها وكفاة حاجها وحماة ذمارها من حاضري مجلسنا هذا وغير حاضريه ومن كل من يصلي الى القبة أو ينطق الضاد . أو يملك الدين سأري منهم من يشد أزري و يقيم عذري اذا تنكبت عن محبتهم ، او قرهم دون استيعاب آرائهم ، واشتغاف ما في مزادتهم ، فان لكل فكر غاية ، ولكل رأي شرعة ، ورحم الله امرأ استدرك فائتاً فيه اليه ، وأبصر ضائعا فدل عليه ، ولا تزال الجماعة من الناس بخير ما بقيت فيهم نصفة لأنفسهم ، وارتياح لفتح أبي جاءهم ، فان هم استمرروا المراء والفت وخاطروا بمرؤاتهم في مصارعة الحق غضبا لنفس وتصبيا للهوى فلا والله ان اقلعوا في أمر ، أو ابوا في عدو هذا الذي امره فيكم من النصفة في الحكم ، والمفاخرة لفتح ، والحفاظ على سلامة اللغة ، والعمرة في تشريف الجنس ، هو الذي الطعن في حسن الظن بأن مثالي هذا يستجيش عزائمكم ، ويستثير هممكم ، ويستنصر حفاظكم ، لمناهضة السجة التي كادت تجهز على لتكم ، وتنازعكم وجودكم ، وتنتسخ من الدنيا جنسكم وملائكم ، وهو الذي هون علي ان ابدأ بالتكلم في ذلك فأقول :

﴿ حالة اللغة في زمنها الماضي والحال ﴾

شهد الطود قبل الصديق بان لغة العرب أفسح اللغات بمجال القتال ، وأخفها جرماً على سامع ، وأنها اجلي اللغات يانا وأعذبها منطقتا وأغناها لفظا وأوفرها أسلوبا وأخصرها عبارة وأوضحها تمييزا واعرابا . ولو حاولت الاستشهاد على ذلك بأقوال علماء اللغات من شرفيين وغريبين لصرفت وجهة القول عن موضوع

التي ولا يستفي لينة أو لبال ولوقع ذلك مني في كتاب حافل . ولكنني ترك الحكم بصحته لتزير علمكم وجبل انصافكم

هذه اللغة التي خدرها أهلها عن التبذل لسواها وصان حر وجهها اولياؤها عن مسألتي غيرها منذ أزمان سحيقة وعصور متويزة في انقدم يتضال امامها التاريخ ويتصاغر دونها عدد المثاب والالوف قد تناوبها ما يتناوب كل طويل العمر من صعادة وشقاء، وشدة ورخاء، فلشد ما تنكر لها الدهر فصابرة، وصارمها الصديق فحاسنته، كما طالما اشرفت لها أسارى الزمان، وأطلق لها في كل شيء الرسن والعتان، فموت بها عصور سمد كانت فيها لغة العلم والحكمة، لغة الخطابة والمحاضرة، لغة الجدل والمناظرة، لغة الشعر والادب، لغة الشريعة والدين، لغة القضاء والاحكام، لغة القرآن الكريم، وهي بعد لم تنقد من هذه الخصائص والمزايا الا قليلا وما كانت سعادتها وشقاؤها الا باقبال ابناءها وادبارهم فإنهم كانت لهم الدولة في

الملك والعلم ضمت اللغة الى حضنيها جميع العلوم والفنون وبسطت جناحيها على سائر المعاني والاعراض ولم تقف عند حد كفايتها لحاجات ابناءها بل تعدتهم الى من دان لهم ودخل في عهدهم، وان دالت دولتهم واسلم اللغة أهلها لغريب قلص ظلها وتقبضت أطرافها وقبرت عن مداومة ذوي الطول والقلب . تعتبر ذلك بما دخل العربية من الالفاظ والمبانيات واساليب التعظيم والتفخيم من الفارسية والتركية أيام غلبة الديلم والترك والفرس على دولة بني العباس واشتقاقهم منها عمالك وامارات عديدة ، وهي اليوم تقالب عصرا من عصور بوسها وشقاؤها هو أشد العصور بأسا وأصمبها مراسا، ليس عصر غلبة أمة على أمة بل عصر غلبة الغرب على الشرق ، عصرا جلاب القرب على الشرق بحجبه ورجله وعدده واساطيله ولغاته المختلفة وعلومه وفنونه وصناعاته وكتبه وجرائده . دم الغرب الشرق منذ أكثر من قرن بهذه القوة التي لا قبل له بها فوقفت العربية امام هذا القاهر المسائر بكل خير ومنفعة وقفة عاجز بائس ، وقفة ظيان على ينبوع عذب لا سبيل له الى ورده

لم يكن هذا الوهن والانكشاف عن خور نظري في العربية او جين متأصل

فيها ولكن هذا شأن جميع اللغات امام كل انقلاب جديد وحادث عظيم وقد جرت سنة الوجود على ان مصير اللغات امام الانقلابات المنظمة والحوادث الجسام الى أحد حالين : اما ان تتسامح في قبول كل ما بطراً عليها من لغة غيرها لاسيما الالفاظ ذات المعاني التي لم تهدها من قبل فتندمج احداهما في الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الأندلس في اللغة الاسبانية وعرب جاوة في لغة الملايو واللغة القبطية ورومية سورية في العربية . أو يتخلف عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن في لغة المهادنة فنشأت العامية المختلفة اللهجات المنتشرة المناحي وتبعها اختلاف الاجناس من مصري وشامي وعراقي ومغربي وسوداني وحجازي ويمني . وكما فعلت أمم أوروبا امام لغات المنفرين والفاتحين فتبعت لغات فرعية وامم مختلفة الاجناس . واما ان تنعزز عنها وتنصرف في استعمال ألفاظها لضم هذه المعاني الغربية اليها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال الغريب والتبني منها فيما له ادنى ملائمة به فتحفظ بذلك كيانها وتبقى شكلها بيد انها تعظم وتقره وتزداد نشاطاً ورشاقة . وبعد فان هي آتت من اهلها روحاً قوياً ومحيوة سليمة استطلت على اللغة الاجنبية وصادرتها على اعز عزيز عليها من علومها وفنونها

ففي أي طريق من هاتين نسير في تشجيع العربية على اقتحام العقاب وتذليل الصعاب التي تحول دون ورودها نهر العلوم والمعارف الذي تحول مجراه الى جهة الغرب ؟

يقول قوم بسلك الطريق الاولى ومنهم حضرة خطيبنا الاول وقد سمعتم أقواله ويقول قوم بسلك الطريق الثانية واتشرف ان اكون أنا منهم وما أنا الساعة آتي على الشبه والاعذار التي ينتحلها الفريق الاول ويثوهمون انها تدفع عنهم نهمة الاستسلام والخنوع للغة الاجنبية سواء تعرض لها زميلي السابق او لم يتعرض لها فأقول :

(الشبه الأولى) - يقولون : ان لغة أي أمة ما هي الا اصوات مختلفة

تدل على المعاني التي تقوم بنفس كل فرد منها وتقع تحت ادراكه وان هذه المعاني والمدرجات لا تخرج عن دائرة احتياجاته ومراقبه ومشاهداته بحسب طبيعة المقر الذي نبت فيه والبيئة التي استوطنها فليس يطلب الا ما يعرفه ولا يصف الا ما شاهده من الاناسي وانواع الحيوان والنبات والجماد فان هو انتقل من وطنه الى وطن آخر يباينه طبيعة وسكانا اختلفت احتياجاته ومشاهداته ومعانيه التي كانت تقوم بنفسه واختلفت معارفه واغراضه بقدر مخالفة الوطن الجديد للقديم ، فهو لا يستمع امام هذه المناظر الجديدة ولا يخرس دون التعبير عن اغراضه الحديثة بملته لم يعرفها في وطنه ولم يوضع لها لفظ في لغته بل يجاري طبيعة وطنه الجديد ويساجل الجيل الذي يماشره فيقتبس من لغته كما اقتبس من معانيه ويتزود من الفاظه كما تزود من المعلومات الحديثة التي اضافها الى علمه . ومثل الامة في ذلك مثل الفرد وذلك طبعي في البشر . فان العرب الذين نحن الآن بصدد البحث في انهم لم يشدوا عن هذا التاموس الطبيعي بل نقلوا الى لغتهم كثيرا من الالفاظ الفارسية والرومية والحبشية والهبر وغليفية والسنسكريتية الخ سواء كان ذلك في عصر جاهليتهم وبدانهم او في عصر اسلامهم وحضارتهم فقد كان شعراؤهم ونحويهم يدخلون العراق والشام والحبشة ويأتون بالفاظ أهمها في شعرهم وحديثهم فلا تلبث ان تنشب بلغتهم وثلو كما السنهم وتترج بارقي طبقات الفصح من كلامهم . ونفي لذلك دليلا ان القرآن الكريم جاء بهذه الالفاظ في نضعيف آياته وعباراته البليغة مثل السندس والاسبرق والقسطاس ، ولم تتجاف عنها الاحاديث الشريفة وعبارات الباقاء وسمر الخلفاء

بل تعدت تلك الالفاظ الى اطعمتهم وملابسهم وانبيتهم كالكسكاج والطيلسان والسكرجة ، على انهم لم تقصر همهم على نقل الاسماء فحسب ، بل تصرفوا فيها واشتقوا منها افمالاً وجمعوها جموعاً مختلفة فقالوا : ألجم الفرس اذا البسه اللجام ، وبهرج عمله اذا ابطه وجمله كالهدرم النهرج ، وجمعوا استاذاً على استاذين وعمودجا على عمادج وعمودجات مما عده أمة اللغة اصلا من اصول اللغة وسماه بالتعريب وافردوه بالمؤلفات المتممة . فمدهنا كله لو أدخلنا في اللغة العربية اسما الآلات

الحديثة والجواهر المتكثفة والاصطلاحات العلمية كأرضها أربابها أو بنوع من التعريف لم يحدث حدثا في اللغة ولم يكن فيه فعل منكر وإنما فعل ما فعلته العرب أنفسهم ونكون بذلك قد خرجنا من الضيق الذي نحن فيه وانشجنا باللغة منشجما نشريه به وبزيد في فراحتها وما برحت اللغات يأخذ بعضها عن بعض، فالإنجليزية مثلا تنقل عن الفرنسية ما لم يكن فيها من أسماء المئات والقنوات ولا سيما أسماء الأدوات واصطلاحات العلوم وكذلك الإنجليزية عن هذه وعن غيرها

وتقول في إزالة هذه الشبهة - لا يمنع أن اللغات يأخذ بعضها عن بعض، وإن العرب أخذت من لغات غيرها، وإن في القرآن والحديث الفاظ أعجمية الأصل، وإن جميع هذا يسمى تريبا وهو أصل من أصول اللغة. ولكن من هم الذين يأخذون ويضمون ويعربون ويصرفون في اللغة العربية، لا شك أنهم أهل ذلك اللسان وهم العرب أنفسهم، فلا حق لعربهم في التصرف والتعريب والاشتقاق من الفاظ غيرهم. ولم يقل أحد من أئمة اللغة وقتلتها الفتاة بجواز إدخال الأعاجم والمولدين شيئا من لغتهم في العربية الفصحى وعده منها بل مقتوا ذلك وحاربوه ونهبوا الناس إليه في مهاجمتهم فقالوا إنه مولد وأنه أعجمي وعربه العرب أو عربه المولدون، وربما أفردوا لذلك كتبا ككتاب العرب للجواليقي والشفاء للشهاب الخفاجي وغيرهما كما قاموا بجمع كثير من الألفاظ التي تقابل ما شاع على السنة أهل زمانهم من المولد والمستعجم وهو الفصحى كفصحى قطب وغيره فنقل هنا رأي الأئمة فمن له حق التعريب

قال الشهاب الخفاجي نقلا عن الجواليقي: أعلم أن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي والفصحى منه (أي مما صار مصريا) ما وقع في القرآن والحديث أو الشعر القديم أو كلام من يوثق بعريقته. فنرون من ذلك التعريب حق للعرب وحدهم وأما ما عربه غيرهم من المولدين فلم يعدوه من قسم العرب الذي يصلح استعماله في الفصحى. ولذلك قال الشهاب الخفاجي في آخر مقدمته في الشفاء وقد أرك بعض ما عربه لعدم وروده عن يده به نحو (بشغانه) للكلمة التي يقولون لها ناموسية.. قال (وهو مولد)

بشخانة قد طرزت قالت بلفظ موجز

على الحريري سما قدري والمطرزي

وقال البيهقي قلا عن ابن دريد في الجوهرة : باب ما تكلمت به العرب من كلام المعجم حتى صار كاللغة فاأخذوه من الفارسية البستان والبهرجان الخ وقال قلا عن ابن الأنباري شارح المقامات : كثيرا ما تغير العرب الأسماء الأعجمية إذا استعمالها كقول الأعشى (وكسرى شهنشاها الذي صار ملكه) الأصل شاهان شاه : فترى أنه لم يستشهد إلا بكلام عربي وهو الأعشى فالعرب إذن هو كما قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي

هو أن تنزه به « العرب » على منهاجها

ونبحث الآن عن م العرب الذين يمتد بهر يمتهم في استعمال الالفاظ التي هي من موضوع علم متن اللغة . قال البغدادي في كتابه خزنة الادب قلا عن ابن جابر : علوم الادب ستة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبدع والثلاثة الاول لا يستشهد عليها الا بكلام العرب . ولا ريب في ان يبحث الالفاظ العربية هو من مباحث علم اللغة . وقال الكلام الذي يستشهد به نوحان ، شعر وغيره فقائل الاول قد قسم العلماء على طبقات أربع : الطبقة الاول الشعراء الجاهليون الخ .. ثم استرسل في عد هذه الطبقات حتى اوصلها الى طبقة المولدين النصحاء فقال ان سيبويه استشهد بشعر بشار بن برد ولم يقف بعضهم عند هذا فاستشهد بشعر مسلم بن الوليد والحسن بن هاني ، ورأى بعض أئمة النحو الاستشهاد بشعر ابي تمام والبحتري والمتنبي ومنهم ابن جني والزمخشري والرضي ثم ذكر البغدادي من النثر المستشهد به القرآن الكريم ونقل اختلافات كثيرة في الحديث اصحاب الاستشهاد بما كان رواه من اهل الصدر الاول قبل تدوين الحديث في آخر عصر بني امية الخ

واقول ان العرب الذين يمتد بهر يمتهم وينقل عنهم قولهم وكتابهم بنوا في اواسط القرن الثالث من الهجرة ، فالشافعي وأمثاله من فقهاء العرب وائمة اللغة وطلبة الكتاب والوزراء يمتدون في كتابة رسائلهم ومؤلفاتهم عربيا فصحاء

وقال الامام احمد بن حنبل : كلام الشافعي حجة في اللغة . وسئل غلام ثعلب عن حروف اخذت عن الشافعي مثل (مالح) فقال كلام الشافعي صحيح . وقد صنف الازهري وهو امام اللغة في عصره كتابا في ايضاح ما اشكل من مختصر المزني وقال في ديباجته : الفاظ الامام الشافعي عربية محضة ومن عجة المولدين مصونة . والجهة التي اعتبرنا بها كلام الشافعي عربيا محضا هي التي نعتبر بها كلام الاصمعي ومعاصريه كابي عبيدة وأبي محمد الزبيدي والكسائي وقطرب وغيرهم ، وكان الشنيطي رحمة الله عليه يثق بفصاحة المأمون الخليفة العباسي ويحجج في العربية بما صح عنه . ولا يعد عن هؤلاء كثيرا فحول الكتاب من أهل زمانهم كالحسن بن سهل وسهل بن هرون والجاحظ ، فهؤلاء وأمثالهم عرّابون الفصاحة ولهايم العربية وزعماء العلم والكتابة والتصنيف واليه يرجع كل ما وصل الى الناس من علم وأدب وفقه وكلام ولعل من الهين بعد هذا أن نقول انه باتقضاء عصر هؤلاء الاعلام انقضى عصر العربية الفطرية ونشت المعجزة في جميع الامصار واستحالت اللغة الى صناعة من الصناعات يتلاقى فيها العربي والديلمي والرومي والبربري ، فلا يصح لمن خلف من هؤلاء ان يضعوا في اللغة شيئا جديدا او يجملوه لفظا عجيبا معربا اذ ليسوا من أهل هذا اللسان وانما هم حكاية له وتقلد لأصوله . ومن نظري كتب العرب والذخيل وجد ان كل ما اعتبر فيها معربا فهو اما وارد في كلام العرب القديم أو كلام الله الكريم أو الاحاديث النبوية أو شعر أهل مصر الذي وصفنا اورسائلهم ومصنفاتهم . يعرف ذلك كل من نظري كتاب سيبويه وكتب الجاحظ وكتاب الخراج لابن يوسف ومدونة مالك وكتاب الاغانى . وما يقع في كلام أهل الصناعة بعد هذه المصنوعات البائدة من مثل الوجاق ولاردي والسوارى والطبنجة والصنجة والسلامك والراييزة والصالون فليس من العرب في شيء وما هو الا اعجبي محض لا يصح استعماله في كلام العرب واذن فلا يصح لنا ان ندخل كلاما أعجيبا في اللغة العربية ونزعم تمريه اذ لسنا اعرابا بالفطرة حتى نملك حق التعريب . وكما لا يجوز للفرنسي أو الطلياني أو الانجليزي ان يزيد شيئا جديدا في اللغة اللاتينية أو اليونانية

أولهندي الحالي ان يحدث حدثاً في السنسكريتية والفهلوية لا يجوز لنا بعد انقراض الاعراب باحد عشر قرناً ان ندخل في لسانهم ما ليس منه . ولو جاز لنا ذلك في الالفاظ وهي اصل اللغة لجازلنا بالاولى في التراكيب والاصاليب ، لانها هيئات للالفاظ واحوال لها ، وهي من اللفظ بمنزلة العرض من الجوهر أو الفرع من الأصل وكنا استرحنا من الاعراب الذي اضجر كثيراً من منفرنجي زماننا وجعلهم يتسخطون العربية ويتفتنون فضلها . وهو رأي لا يبرج على مثله ولا يقول به الا أهل الجسارة ممن لا يتصنون عن الشئ ولا يكتفون بسوء القالة وبعد فما ورد من المعرب في القرآن الكريم وكلام العرب الجاهلين والاسلاميين ليس الا شيئاً يسيراً من الكلام لا يخرج اللغة ولا يتضمنها وما هو بالاضافة الى جميعها الا كقطرة في بحر أو حصة في فلاة اذ كل ما صح انه معرب في القرآن الكريم لا يزيد عن ستين لفظاً غير الاعلام . وقد احصيت جميع ما ورد من المعرب في الكتب التي بايدينا كشفاء الغليل والمزهر ونقه اللغة والانتان ولف القباط ورسالة ابن كمال باشا بعد حذف المولد والاعلام فلم يزيد على سمانه كلمة ، وهب انها وصلت الى الف أو الف وخمسة اقل يمكن اقتصار المعرب على هذا القدر الضئيل مع ما كانوا عليه من التبدد والتبعثر بين جميع امم الارض برهانا ساطعاً على شدة احتفاظهم بلغتهم وحياتهم لها على ما منيت به من البلايا والهن ورزئت من المراهز والفتن مما لو تقحمت فيه لغة أخرى لفارت في غيرها وامست من العاديات والبوائد

فلو جرينا على شبه القائلين باستعمال الالفاظ الاعجمية التي أحدثتها المدنية الاوربية من اسماء المصالح والادارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم لطرقنا في العربية لاكثر من عشرين ألف كلمة فان ما نحتاج الى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين ولا أقل من ان يكون لكل منها خمسمائة اصطلاح وذلك خطب هائل يأتي بذيان الادة من قواعده وتسناسر له تلك الفلول التي بقيت في رءوسنا منها وما ظلك ببقاء مئة الآف لفظ تستعمل الآن في الجرائد والمؤلفات والرسائل امام هذا السيل الجارف ويزيد

الامر ضمنا على ازالة من يرى من أهل هذه الشبهات اشتقاق افعال ومصادر من الالفاظ الاعجمية مثل ما فعله العرب في لجام ونهرج ويريد فقالت اللم الفرس ويهوج المهرم وأبرد السفير فيقول هو: « تلفتنا ذلك أنجلو اجيشان لمتدبان أحد البنا كير تافره بعمل برتسو علينا» كما يقول « اترمت الى اوتيل ميناهوس حيث رأينا تيلوثوتوجرافين يلفجرون متش الجمال ثم رجعت منبلا الى الكازينو لمشاهدة السينياتوجراف فألوجت ولم افي» . وهي درجة لا نصل اليها الامة الا بخذلان من الله تعالى . وأن تم ذلك لا قدر الله لتكون اللغة المالطية اقرب الى العربية من لغتنا . ولقد اذكري ذلك ما أخبرني به بعض ثقات الافاضل ممن حضر مؤتمر الجزائر منذ عامين انه سمع بعض متفرجة الجزائر يقول: « ركبت أنا والمدوازيل اتاعي في الشماندير وصلنا هنا الساعة ثمانية سوار» وسأل أحدكم في باريس أين نصلي الصلوات فقال « أصلي في الشانبر سيدي ماني موسكي» . واما ما يقال من ان أم أور بال لا تأنف ان تدخل في لغاتها لغة غيرها فإن ذلك لا يوطينا على تقليدها فإن لغة القراءة والكتابة عندها هي لغة العامة وهي تبدل كل يوم . على انهم يأنفون ذلك بعض الالفة ولهذا نقل العلماء والمخترعون الاسماء الحديثة من اللاتيني او اليوناني القديم من حيث بادت أمها وقتت عصبها وما اتبع غيرنا اذا اخطأ واصبنا نحن ما بقي عندنا من مميزات جنسنا الالهة الميزة وهي حفظ اللغة والقرآن الكريم . فليق الله هو لاء النفر في جنسهم ولقبحهم وقرآتهم ولا يفسوا ان تقسم لغة دين وان في نسليها تسليا لذات وبادلة لموم القرآن الكريم واليسنة وتشبها بقراب النحاس الذي اراد ان يقد الحجة فلم تهبأ له مشيقها ونسي مشيته

(الشبهة الثانية) - يقولون لو قلنا اميا الآلات والاصطلاحات العلمية كما هي الى اللغة العربية كنا جرينا على ام قاعدة ذلك بها المتدون شحوص الامور وحسوا بها كثيرا من الخلاف والنزاع وهي توحيد لسان العلم في جميع اللغات وفي ذلك من تقارب الامم مالا يخفى: ونقول في ازالة هذه الشبهة: انما قلت أم أور بال ذلك لتقارب اصول لغاتها في الاساليب والبيان ولاشتركا لهم في الكتابة بالحروف اللاتينية ولمدم بمنظهم بلغة دين أو جنس

فالكلمة يكتبها الفرنسي بهجاءها الخاص كما يكتبها الانجليزي وكثيرا ما تكون مخارج حروفها عندها سواء . فالفائدة لنا في مشاركتهم في لسان العلم مع ان كتابتنا غير كتابتهم وحروفنا غير حروفهم ولا مندوحة لنا عن ان نفضل الكلمات الاعجية التي تزيد عن سبعة احرف ونرجعها الى سبعة او ما دونها عملا بقاعدة التعريب . كما اننا نغير مخارج حروفها بحيث لا يمكننا استعمال الكلمة على منهاج لغتنا الا بعد ان نسمح ونشوه ونعرد كلمة اخرى لو قرمت اذن واخذنا لما عرفها ولا غرب في الضحك من علمنا ونكون قد باعدنا لغة العلم باكثر مما نريد به التعريب منها واذا اردنا ان نعرف بالضبط ما يقابلون به هذه الكلمات منا فننتظر الى ما فعلوه هم انفسهم عند ما ارادوا ان ينقلوا من لغتنا الى لغتهم فقالوا (الفين) في ابن سينا و (سلاين) في صلاح الدين و (ايزولا ما) في الطلاء . واظن ان عربيا يسمع هذه ولا ينكرها اما انكار ابيد من الوجود من عناء مغرب

(الشبهة الثالثة) - يقولون : اننا بنقلنا الالفاظ الاعجية كما وضعها اربابها نكون قد احترمنا اعمال غيرنا وحفظنا لهم حقهم فيما سموه فكلا لا يحق لنا ان نكتب اختراع ما اخترعوه الى اقصانا لا يحق لنا ان نغير اسماءه .
وقول في دفع هذه الشبهة : نحن نوافقكم على هذا الاصل فيها كان منها علمنا ومن تكلف تغيير اعلام البلدان والاناس قد ارتكب شططا اما وهي اسماء اجناس فلا معنى لاستعمالها في العربية على اصلها الا التشهير بلغتنا ورميها بالتقصير عن ان نسم هذه الكلمات بطريقة من طرق وضعها كالتعبير بالمرادف والتجاوز والاشتقاق وكلها طرق قياسية في اللغة استعمالها العرب في وضع مصطلحات علومهم وعلوم غيرهم مما ترجموه من اليونانية وغيرها كما سنفصل ذلك بعد . واظن اننا لو سألنا مخترعا من القوم انجب ان يكون لتتبع الذي اخترعه اسم واحد او ان يكون له اسماء وألقاب في لغات متعددة وتلجج به اسم مختلفة لا اختار الثاني لان فيه تحليلا لاسم مخترعه فلا يبيد في لغة من اللغات المتغيرة حتى يجبا في اخرى ولأن في كثرة الاسماء زيادة غناية بالمسمى

﴿ الشبهة الرابعة ﴾ - يقولون : ان هذه الاصطلاحات في العلوم اصبحت تعد بالألوف في السنة العلم والصناعة والتجارة فكيف من الزمن يكفي لوضع اسماء عربية لها من جديد مع اننا محتاجون من الآن الى النقل والترجمة وتقول في درء هذه الشبهة : ان هذه العلوم لا يمكننا نقلها الى لساننا في سنة او سنتين او ثلاث بل لو اردنا اعادة طبع كتبها بلسانها وحررفها لما وسعنا هذا الزمن ولنسلم جدلا بأنه يمكننا طبعها في أقل منه باللغة العربية مع نقل اسماء الاجناس كما هي فكيف زمننا يضيع في استظهار هذه الألوف الموافقة من الكلمات المستفكرة العربية وتألفها على السمع والذوق وهم وهم الخ : لا بد من قضاء زمن طويل وبذل جهد عظيم وتذليل صعوبات ومشقات هائلة على كلتا الحائتين ولأن يكون هذا العناء في سبيل تنمية العربية وجعلها لغة علم وصناعة وتجارة بالطرق المشروعة خير لنا من ان نهجرها ونعقها ونقضي عليها بالفناء قضاء لا تقض فيه ولا ابرام ونكون بهذا العقوق قد انسلخنا منها ويتلو ذلك انسلخنا من الجنسية العربية لا قدر الله

﴿ الشبهة الخامسة ﴾ - يقولون : ان من الصعب جدا ترجمة المصطلحات واسماء الآلات الجديدة بالفاظ عربية إذ يلزم على ذلك ترجمة اللفظ الواحد بعدة الفاظ وفي ذلك من العسف والنقل على السمع مالا يخفى . ونورد هنا تفصيل هذه الشبهة من كلام حضرة الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان المشهور بالبحث في مثل هذه المسائل . قال حضرته في صفحة (١٣٤) من العدد الرابع من السنة السادسة عشر في التفاضل بين الترجمة والتعريب : -

« فأول ما يقادير الى اذهاننا من الحكم في تفاضل الترجمة والتعريب ان الترجمة أفضلها صيانة للغة من مفسد المجمة فنقول « بريد » بدل « بوسطة » و « نظارة » بدل « تلسكوب » و « سيارة » بدل « أوتوموبيل » و « التصوير الشمسي » بدل « فوتوغراف » . ولكن ذلك لا يتيسر الاجماع على اختيار الفاظه الا بجمع عامي لغوي فيه الكفاية وحسن الاختيار وان يكون له صفة رسمية تسهل اعتماد الكتاب على ما يرضه

او يختاره من الالفاظ . على ان هذا المجمع اذا تألف وعرضت عليه الالفاظ المطلوب ترجمتها نظنه يحكم بتعريب قسم كبير منها اي ببقائه على لفظه الافرنجي بصيغة عربية اذ يرى بعض المصطلحات الجديدة تسهل ترجمتها بما يسهل لفظه وحفظه والبعض الآخر لا يترجم الا بوضعة الفاظ يتقل استعمالها مع كونها بالاصل الافرنجي لفظة واحدة . فاذا ترجمنا فوتوغراف بقولنا « تصوير الشمس » او « التصوير الشمسي » فباذا نترجم « تليفوتوغراف » ومعناها « التصوير الشمسي عن بعد » واذا اردنا نصريفها في الاستعمال قلنا « آلة التصوير الشمسي عن بعد » . . . ولا يخفى ماني ذلك من الثقل على اللسان والفهم . والتعريب يكفينا مؤونة هذه الاثقال فلوا بقينا اللفظة كما هي قلنا جاء التليفوتوغرافي وفن التليفوتوغراف الخ . ومن فروع التصوير الشمسي ايضا « الفوتوليتوغراف » ويراد به التصوير بالشمس على مطبعة الحجر ومثلها « تليياتوغراف » وهي آلة كهربائية لنقل الصور عن بعد باسلاك كهربائية فكيف نترجم هذه المصطلحات وامثالها وقس عليه الفوتوتيب أي الطبع بالشمس والفيديو تيب الطبع بلا جبر

« واذا ترجمنا « الميكانيك » بالحيل الروحانية أو علم الآلات فباذا نترجم « تليميكانيك » ويراد بها عندهم نقل القوة الميكانيكية من مكان الى آخر . واذا ترجمنا « الفوتوغراف » بالحالكي او الناطق فباذا نترجم « التليفون » وهو آلة مركبة من التلفراف والتليفون وتعمل عملهما معاً . واذا ترجمنا « تلسكوب » بالنظارة المقربة فكيف نترجم هيدر وسكوب وهي التلسكوب الذي يكشف به عما في قاع البحار . واذا ترجمنا « سينما توغراف » بالصور المتحركة فكيف نترجم « سينما فون » وهو الآلة التي تريك الصور المتحركة ونسمعك اصواتها . وقس عليها امثلة لا تحصى . لا نقول انها لا نترجم وليكننا نرى ترجمتها شاقة لا تخلو من التعقيد فضلا عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام . لان المعنى الذي يؤدي بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين او أكثر »

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ايها جناب الفاضل عليه الامر فان الترجمة الحرفية ليست هي الطريقة الوحيدة لنقل اللفظ الاعجمي الى العربية فان وراءها

طريقة التسمية من جديد وهذه إما أن يلاحظ فيها كل المعنى الأصلي أو بعضه أولاً يلاحظ شيء منه ، الا يرى أن العرب عندما ارادوا ان يسموا علم (القسموغرافيا) باسم عربي سموه (الهبئة) مع انهم لو ارادوا ترجمته لقالوا رسم السماء وان علماء الطبقات الارضية سموها نوعاً من الصغور لم يبتدوا الى معرفة عناصره الاصلية باسم (الحجل) اذ لا مناسبة بين هذا الاسم وبين المعنى الطبيعي . وما المانع من تسمية (السينافون) بالطيف او (الطيف الناطق) مثلاً . ولا يطالبني الآن جنابه بتسمية جميع ما ذكره فان ذلك يحتاج الى بحث وروية . ونحن الآن نبحث عن تقرير أصل تسميته فاذا تروضي عليه كان له ما يجب .

(الشبهة السادسة) يقولون اننا بقبولنا طريقة التعريب نكون قد وافقنا جميع الامم المشتغلة بالعلم في جميع بقاع الارض وبنبذنا اياها نكون قد خالفناهم وافرد اذا خرج عن الجماعة اعتبر عمله شذوذاً وانقطاعاً عن العالم .

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ليس كل خلاف يعد شذوذاً أو يلحق بصاحبه ضرراً . على ان لنا في ذلك أسوة بامة ألمانيا العظيمة فانها خالفت هذا المبدأ ولم تستعمل مصطلحات اللغات الاخرى في لغتها وهي صاحبة المقام الأول في قارة أوروبا علماً وصناعة وسياسة . وبعد فماذا نستفيد من هذا الزقاق ما دنا نكتب بغير الحروف اللاتينية وننطق بالحروف بمخارج تباين مخارجها في اللغات الاوربية

(الشبهة السابعة) - يقولون : ان لغتنا جامدة وكل معنى من معانيها لا يقوم الا بفرد خاص فاما اللغات الاجنبية ففيها كثير من الزوائد والانهاءات الصغيرة تؤدي همل الالفاظ الكبيرة خصوصاً في النفي والاثبات والافراد والجمع يعرف ذلك بالاطلاع على مصطلحات الكيمياء وكيف فرقوا بين كلورينك وكلورات وكلورور ، وان لها لاتينا يونانيا قديمين يؤخذ منهما أسماء المصطلحات الجديدة بحيث لا يحصل ادنى اشتراك في اللفظ

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ان عدداً لا يمكن حصره من ألفاظ اللغة العربية كل منها له معنى لو اريد التعبير عنه بالتفصيل لا كفت الجمل به الالفاظ . وان

الناطق بعلامات الثنية والجمع في اللغة العربية له أعظم أثر في التمييز، وإن زوائد جواهر الكيمياء يمكن أن يستبدل بها في العربية كلمات قليلة الحروف أو حروفاً مثل (ذي - أو ذات - أو ياء النسب - أو النسب بالصفة والاشتقاق) وغير ذلك مما لا يتندر على جماعة تعني به، وإن لنا أيضاً لا تينياً قديماً لا يحصل به الاشتراك هو الفريب القليل الاستعمال متى كان قليل الحروف خفيفاً على السمع

﴿ الشبهة الثامنة ﴾ - يقولون: إن هذه الأسماء الجديدة قد شاعت ودأبت بين العامة وهم السواد الأعظم وكثير من الخاصة ويشبه المستعمل أوجاعهم عنها إلى الفاظ عمرية نصيحة

ونقول في دفع هذه الشبهة: أما العامة فلهم لغة خاصة بهم ونحن نتكلم في لغة الكتابة والقراءة فإذا ما تعلم العامة القراءة والكتابة تعلموا الألفاظ النصيحة. وبعد فقد كان ينبغي على هذا المبدأ أن نجاريهم في جميع الألفاظ العامية أو بالأولى نجعل لغة القراءة والكتابة هي العامية ونزج أنفسنا من عناء تعلم الفصح والصدور تضيق بالرد على أمثال هؤلاء ممن لا يحفظون بسوء الحال عند الفناء ولا يباليون بنسبة القول وأما الخاصة فلا أسهل من الأخذ بهم في طريق الفصح وأنا لفرى الكاتب في عصرنا يألف من كتابة (بسكيت) ويكتب بدلها دراجة

﴿ الشبهة التاسعة ﴾ يقولون إن اللغة كائن حي وهي في ارتفاع مستمر وتجدد وتدور وإن ناموس الارتفاع يستدعي بالطبع بقاء المناسب وكل ما حدث في اللغة من التخليج والمواد وما سيحدث فهو ضروري بطبيعة الحال وعبثاً يحاول الإنسان مقاومة الطبيعة الأبرى إن العرب كانت لها أسماء لمسميات تعرفها فلما امتنت في الامتزاج بالفرس أخذت أسماء هذه المسميات عنهم وهجرت أسماءها الأصلية. نظير ذلك الباذنجان وهو بلنتهم (الانب) والرصاص (الصرفان) والهاون (المنخاز)

ونقول في دفع هذه الشبهة: إن هذا الأصل القروني يتفق به كثير من متفلسفة زماننا ويدخلونه في كل شيء وما مني الناس بشر أشد من اختلافهم في فهم هذا الأصل ولئن صح على زعمهم أن اللغة كائن حي كبقية الأحياء فما لا شك فيه أن حياتها بحياة أهلها ونحن نحب أن تكون لغتنا حية - أذن حياتها وموتها وعزها

وذلها بأيدينا فلو شئنا ان ندرج في ناموس الارتقاء وتبع طريقة التجدد والدور
فلنحي كثيرا من الفاظها الجميلة التي باثت في بطون المايم تشكي العطلة وسوء
الحال وكساد السوق، ونمت كثيرا من الالفاظ الدخيلة والمولدة التي صارت في
وجهها كبثور الجدري الاسود فشوهت محاسنها واوهنت قواها



اذانينا جميع هذه الشبه وجب علينا ان نشرح طريقتنا في ترجمة الاصطلاحات
والآلات الجديدة فنقول :

ان هذه الكلمات لا تخلو ان تكون اعلاما واسماء اجناس . فاما الاعلام
فلا مانع من نقلها أعجمية بعد صقلها بالنطق العربي واما اسماء الاجناس فاما ان
تكون معروفة قديما عند العرب ولها في لغتهم أسماء نطق عليها أو على مايشبهها
وهذه يبحث عنها في اللغة ويعاد استعمالها في معانيها ككلمة قنال ا خليج
او قناة) وكلمة قبانية (شركة) . واما ان تكون مجهولة لم وهذه لنا في نقلها
ثلاث طرق :

(١) طريقة ترجمة اللفظ بمرادفه كترجمة سينياوجراف بالصور المتحركة
وترجمة كرافات برباط الرقبة

(٢) وطريقة الاشتقاق من الفعل الذي يعبر به عن عمل الكلمة او صفتها
ان كانت من ذوات العمل والصفة . وهذه تسمية جديدة لا ترجمة مثل تسمية
البسكيت بالدراجة والأومويل بالسيارة ونحوها من مثل الدراعة والبارجة
والباخرة والنساقه والقطار الخ فان هذه الالفاظ قد وضعت لمسميات افرنجية ولا
يوجد من الفريق المخالف لنا من ينكر سهولتها وشهرتها وسبقها غيرها في حليلة الكتابة

(٣) طريقة التجوز . وهي طريق واسعة النواحي كثيرة الفجوج وعليها
اعتماد الأوروبيين في نقلهم المصطلحات الحديثة من اللاتينية وما أغزر علاقات
المجاز في لغتنا فملاقة المشابهة في حالة من الاحوال تكفيها مودة التكلف
والتصف في انتقاء الالفاظ . هذا الى بقية علاقات المجاز المرسل كالتسمية

والمسيبية والحالية والهلوية واللازمة والمزومية واعتبار ما كانوا يؤمنون وغيرها مما يكفي فيه ان يكون بين العربي والأعجمي أدنى ملاسة ومضى شاع اللفظ الجديد واشتهر فلا يوجد من يبحث عن أصل مأخذه كالدائرة والبارجة والقطار والمتنحر. والمجاز اذا اشهر صار حقيقة عرفية

وهذه الطرق الثلاث كلها قياسية في الاستعمال لا ينكرها أرباب العربية وكتبهم في البيان والاصول وعلم الوضع حافلة بشرح حقائقها وتفصيل مباحثها ولا يتحسك بذلك الا مكابر وعلى هذه الطرق جرت العرب عند وضعها اصطلاحات العلوم الشرعية والادبية والعلمية وكلنا نعرف معنى الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتمييز والظرف والاستثناء والمدل عند التحوين ، ونعرف أصل معانيها اللغوية . وترى العرب عند ما ترجموا المنطق والحساب والهندسة والفلك لم يستعملوا في اصطلاحات هذه العلوم الا الالفاظ العربية وربما تطرف بعضهم فآتي ببعض الفاظ على أصاها مثل الفلسفة والسفسطة ولكن ذلك لم يمنعه من استعمال مرادف لها عربي مثل الحكمة والمغالطة

هذا وان ما سقناه من أدلة الرد على الفريق الاول يكفي في اثبات فضل طريقتنا في الترجمة ولا يحتاج في نشرها والعمل بها الا تأليف مجمع علمي يتولى أمر البحث والوضع وهو ما نرجوه في هذا النادي اذا بقي من حضرات الافاضل أرباب الصحف والمؤلفين والكتاب والشعراء ما تنتظره منهم من المؤازرة في البحث والوضع والتنويه بنتائج علمه واذا عث للجمهور ليروا رأيهم فيه وليتزوجوا منه اه



(المنار) : هذا خطاب الشيخ احمد الاسكندري الذي أعده للاجتماع الاول من اجتماعات نادي دارالعلوم ولكنه لم يتمكن من اتمامه فيه . وقد رأى من المنكرين عليه ممن التعربب ما حمله على كتابة خطاب آخر يرد فيه عليهم وعلى خطاب الشيخ محمد الحفصري الذي نشرناه في الجزء الماضي وقد اتى هذا الخطاب الثاني في الاجتماع الثاني وهذا نصه

الخطاب الثاني للشيخ احمد الاسكندري

(في نادي دار العلوم)

أيها السادة الافاضل

أي أفض الآن موقفي منذ أربع عشرة ليلة في سبيل اداء واجب من أقدس الواجبات على وهو اللود عن حياض العربية وكلاء قوا من تسرب العجمة اليها وكان يودي أن أناجز مناظري الفاضل في الوطن الاول ولكن حال دون ذلك ضيق الوقت وفيما حضر استدراك لما فات

أيها السادة : كنت عنيت في الاجتماع الماضي أن أدحض أولاً شبه الفريق المخالف لي في الرأي ثم أشرح بعد ذلك طر يقني في ترجمة الاصطلاحات العلمية واسماء المختصرات الجديدة ولكن الوقت ضاق عن تمام ادحاض الشبه و بيان الطريقة فلم آت الا على شبهة واحدة منها واكتفاء بما أوضحته في رسالي التي طبعت ووزعت على حضراتكم وعلى كثير من أهل الذكر ولبثت الجرائد نوالي نشرها عدة ايام . لا أريد الليلة معاودة البحث في هذه الشبه إذ لا تخلو اعادة القول فيها من تكرار وأجل كلاي الليلة قامرا على شرح طر يقني وعلى المناقشة مع مناظري الفاضل في خطبه التي أوضح فيها طر يقته ورد بها على مخالفيه فأقول

بلفني ان نقرا ممن يأخذون بالظنة ويثقون بوجدانهم لم يتر يشوا في الحكم على طر يقتنا فأرجعوا بأنها تقول بقاء القديم على قدمه وأنها تحارب كل جديد وأنها تمنع الاجتهاد في اللغة كما منع من قبل الاجتهاد في الدين وأنها تفرق بين اللغة وبين العلم والصناعة وأنها تقاوم الرقي الطبيعي للغات وغير ذلك مما لم يكن له موضع الا اخيلائهم فقط

يا حضرات الافاضل أي لم آت لحفظ لغتنا بأص غريب وما جئت شيئاً نكراً فاني لم اسلك الا الطريقة التي سلكها أسلافنا عندما أرادوا أن يدونوا علومهم ويترجموا كتب غيرهم من الامم . كانوا رحم الله ايامهم يضعون

لأصطلاحات علومهم أسماء منقولة من العربية المحضة بنوع من التساهل والتجاوز في المنين القديم والجديد ولم ينكر أحد عليهم ذلك حتى أهل زماننا فوضعوا مصطلحات النحو والصرف والمعاني والبيان والبدع والعروض والثقافية ومصطلح الحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه والتوحيد كما وضعوا مصطلحات العلوم التي ترجموها مثل المنطق والحكمة الإلهية والطبيعة والحساب والهندسة والفلك وغير ذلك من العلوم التي لو أردت احصاء مصطلحاتها لعددت عشرات الآلاف من الكلمات كلها عربية لها معان اصطلاحية ومعان لغوية ومثل ذلك آلات الصناعة والعلوم وكتاب المحصن وقه القنة وكتاب العين للخليل وجمهرة ابن دريد ووادع ابن الأعرابي ومفردات ابن البيطار والمادة الطبية للرشدي وقاموس نجاري يكملها ببحر زاخرة بأصناف النبات والحجر والآلات

ولم يكن العرب يتدعون ذلك من عند انفسهم بل أنهم اعتدوا فيه بهدى القرآن الكريم فكثر الفاظ القرآن الدينية لم تكن العرب تعرفها قبل الإسلام بهذه المعاني فقد جاء الإسلام وما تعرف العرب من معنى الصلاة إلا الدعاء ومن معنى التيمم إلا التقصد ومن معنى الزكاة إلا الطهارة ومن الفسق إلا قولهم فسقت الرطبة ومثل ذلك كثير في القرآن فاستعملها في هذه المعاني الجديدة الدينية ولم تنكر العرب هذا الاستعمال. ولئن جاز أن ندخل مثل مباحثنا من الدين في باب الحظر والاباحة لقد جاز لنا أن نقول أن هذا اقرار من الله تعالى على صحة التوسع في استعمال اللفاظ إذ لو ائبنا هذه الطريقة في تسمية الآلات والأصطلاحات الجديدة لم تكن تائبين إلا السنة التي سماها الله تعالى في تسمية كل جديد ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الأئمة وواضعي العلوم ومنهجيا من سلف الأمة وإذا فصلنا هذه الطريقة أمكننا أن نقرر ما فيها يأتي

(١) لا يجوز النقل من غير لغة العرب إلا الاعلام (٢) لا تأخذ الكلمة لشيء الجديد إلا من غريب اللغة أو التقليل الاستعمال مما هو عندنا بمنزلة اللاتيني عندما لتقليل الاشتراك بقدر الامكان (٣) ان كفية الترجمة لا تخرج عن الطريقة الآتية:

(ثم قال بعد ان لخص طريقته اني ذكرها في الخطاب الاول)
وقد يفترض بعض المتحدثين بقوله لاغنى لنا عن أن نترجم بعض الآلات
بكلمتين فأكثر مما كلمة واحدة في الافرنجية . فنقول في الرد عليه أما الكامنان
فلا بأس باستعمالها اذا كانا لصفة وهو صوف ومضاف ومضاف اليه لانهما كالشيء
الواحد مثل (القباب الطيارة) و (المحراث البخاري) و (سكة الحديد) ومع هذا
فان اللغة الافرنجية نفسها لم تسلم من ذلك فالباخرة عندنا كلمة واحدة وهم عندهم
ثلاث كلمات (بانسوا إذا بور) ومثل ذلك كثير امامنا على ثلاث فانا لانلجج
اليه بل نسمي الكلمة التي لا تترجم تسمية جديدة كما نسمي السيمافون ومنها
الصور المتحركة الناطقة ' بالخيال الناطق)

واذا قيل إن ذلك يستدعي عملا كثيرا وأزمانا طويلة ومن هم الذين يعملون
. لك لتحقق هذه الامنية : أقول أي لا أريد ان أتقض هيكلا وأبنيه في ثلاثة
أيام وكل عمل عظيم يستلزم صعوبة وبيتنا الآن كثير من رجال العمل لا يعوزهم
الا مساعدات قليلة من رجال الصحف وسراة الإمة

اذا قيل : انا نخشى أن لا نجد في اللغة أسماء موافقة لبعض المسميات
الافرنجية أقول : هذا مستحيل مع ما قدمنا من الطرق الثلاث واذا علمنا ان
أبا الاسود سمي علم النحو نحو لان عليا رضي الله عنه لفته بعض قواعده وقال له
انح هذا النحو وان علماء طبقات الارض من الافرنج سموا أحد الصخور باسم
(الخجل) لانهم لم يعرفوا له تركيبا نتمقنا من أننا نجد حتما كل اسم والاصطلاح
وحده وضع آخر

واذ سمعتم يا حضرات الافاضل طريقتي وجب على ان أشرح لكم الادلة
والبراهين التي قامت عندي على صحتها

الدليل الأول - ان التعريب ليس من حقوقنا لاننا لم نر أحدا من أئمة اللغة
انكر ان التعريب حق للعرب وحدهم وان زمنه ينتهي على أوسط تقدير الى أوائل
القرن الثالث وفي هذا المقام ندفع شبهة قد وهم فيها بعضهم عند تكلمي في هذا

المقام في الاجتماع الماضي . وهي قوله : تقول انا لسنا عربا في مقام ثم ترجع وتقول في مقام آخر انا نحافظ بمنعنا دخول الكلمات الاعجمية في لغتنا على سلامة جنسيتنا العربية . فنقول له : انا نمي بالعرب العرب الذين يعتقدون بانهم في اللسان لانني النسب والجنس فمثل عنزة وبلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهيب صاحبه والحسن البصري وابن سيرين وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وسعيد بن جبير ونصيب وعبد نبي الحساس وابن المقفع كلهم عرب في السننهم لانني جنسهم وانسابهم فمنهم المهجيني والزنجي والحبشي والفارسي والرومي ، ومثل عرب جاوه ومالطة وعرب اسبانيا وعرب المغرب والشام ومصر ليسوا عربا في السننهم وان كانوا عربا في انسابهم وكلنا لا ينكر ان فينا الهاشمي الذي لا يهين قرءة الفاتحة ومثله كثير في بلاد الترك وفارس والهند والصين واذا سمانا التاريخ وعلم تقويم البلدان عربا فانما يعني علما وهما العربية الجنسية واذا قالوا عند ذكر بلادنا ان لغتها العربية فانما يعنون ان لغة الكتابة والقراءة والعلم والتعليم هي العربية او انهم يتساهلون في اطلاق العربية على العامية لان أكثر الفاظها محرقة عن العربية وان اساليها لم تزل بعد عليها مسحة الاماليب العربية ولذلك لم يحررنا أمة اللغة حق الارتفاق بهذه الصلة اللسانية فسمونا مولدين أي انا نصف اعراب في اللسان ان لم تكن نصف اعراب في الجنس اذن فهني العرب في كلامنا ما يقابل المولدين لا ما يقابل الرومي والعقلي

الدليل الثاني — المحافظة على سلامة اللغة من نشو الخيل فيها مع التوسع في استعمال الفاظها فاننا وجدنا العرب عند وضعهم للعلوم وترجمتهم لكاتب غيرهم واقتباسهم صنائعهم لم يرجعوا في تسمية المصطلحات وأسماء الآلات الا الى التوسع في استعمال الفاظ اللغة اقتداء بالقرآن في تسمية شعائر الدين باعمال اشتملت قبل القرآن فيما يشبهها كما بينا ذلك آنفا

الدليل الثالث — المحافظة على صحة فهم القرآن لاننا اذا أبجنا لنا ولاولادنا واحفادنا ادخال الالوف المولفة من الكلمات الاعجمية وأبجنا لم كما يرى مناظري الفاضل اشتقاق جميع المشتقات منها كنا قد صبغنا اللغة بصبغة إفريقية

لا يتميز بها العربي من الدخيل ولا يختلط الامر وأثر الفساد في حالة مداورة القرآن وكتب السنة

الدليل الرابع - المحافظة على البقية الباقية عندنا من الجنسية العربية فان هذه الجنسية الميزة لنا عن سوانا والتي تصلنا بأعظم أمة فأنحة ذات دين وشريعة ومدنية عظيمة لم ندم لنا الا بنسبة محافظتنا على القليل من اللسان العربي فان نحن حرصنا بهذا القليل ما يجلبه من الاجنبي الذي سيسمر آخذاً في الزيادة وذلك في النقصان نسخ الجديد القديم ويتلو ذلك نسخ جنسنا وكفى بذلك ذلاً وفناء

الدليل الخامس - توسيع نطاق اللغة العربية وجعلها لغة علم وصناعة اذ بنقلنا أسماء عربية قديمة لمان اصطلاحية نكون قد زدنا في مدلولات اللغة والتفاظها شيئاً كثيراً من غير أن نحققها بهذا المصل الغريب المجهول التأثير الذي ان لم يجعل منيتها فلا أقل من ان يخلف ذروبا في جسمها مع امكان مداواتها بغيره

الدليل السادس - عدم الاستفادة من التعريب لاننا على فرض تسليمنا جواز التعريب فما الفائدة لنا ولا ملام اوربا فيه . ان قلنا توحيد لسان العلم وتقرنا من أمم اوربا كما فعلوا هم بمنعنا منه عدة أمور (١) ان حروف كتابتنا عربية وحروف ممالك اوربا لاتينية وهم يكتبون حروفهم من الشمال الى اليمين ونحن نكتب حروفنا من اليمين الى الشمال (٢) ان مخارج حروفهم غير مخارج حروفنا (٣) ان قاعدة التعريب تقتضي أن تكسر الكلمة ونهشها حتى نصير الى صورة عربية فان كانت من الكلمات التي تزيد حروفها عن سبع وجب أن نصغرها حتى نصل الى سبع ونبر بعض حروفها بأخرى ونضع في آخرها جيا اذا كان آخرها لا يستقيم كما قالوا في (نازا) طازج ثم نجمها جموعا ليس في آخرها (s) ولا (x) أعني أننا نصهرها في بودقة ونضربها بسكة أخرى نجد أن نكون ثلثنا نصير قطعة بخمسة لا يتعامل بها في اوربا ولئن كان حب التقرب من اوربا يضطرنا الى استعمال كلماتهم في لغتنا لقد حق علينا أن نستعمل كلمات من هم أحق منهم بالقربي وهم العامة في مصر والشام والمغرب والعراق مع اتفاقنا جميعا على نبذها وتعبير من يلجوا في كتابته مع ان فيها من الالفاظ الدقيقة المعنى

ماليس له نظير في الفصح مثل كلمة (يادوب) فإلنا نكون حربا على أمنا
وسلما لغيرنا

هذه هي طريقتنا وتلك أدلتنا وقد أزلت في مقامى هذا وفي الاجتماع الماضي
جميع الشبه التي يمكن أن تخطر على قلب من يرى غير رأينا . وأما خطبة حضرة
مناظري فأنها من حسن الحظ لم تكلفنا كبير مؤونة في الرد عليها فإني بعد أن سميتها
من حضرته وقرأتها مراراً ومخضتها مخضاً لم نجد على با أكثر من ثلاثة احتجاجات
(الاحتجاج الاول) قال ان حججتنا في معنا التعريب هو تشبيها اللفه بالدين
وهو احتجاج تخيله من نفسه ما قلناه أنا وما قاله أحد ممن يرى رأيي ، وعلى
هذا الحيال أخذ يفرق بين الدين واللفه وان هذا وضع الله وهذه من وضع
الافراد الخ

(الاحتجاج الثاني) قال « ان طريقة التوسع في الاستعمال بالتجوز مجرالى
تغيير في وضع الكلمة الاصلية وهذا التغيير وضع من جديد » وأنكر ذلك انكاراً
شديداً فقال « اننا اذا أخذنا الكلمة واستعملناها في شيء جديد (مع قرينة) لم
نكن قد جربنا على لفة العرب لاننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم - الى أن قال
في طريقتنا - اننا نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع
المقدمين » وقول اننا لا تكلف الرد على هذا الاحتجاج بأنفسنا بل نكل ذلك
لحضرته وكل من قرأ كلام العرب ويعرف ماهي أوضاع المتقدمين فالعرب أنفسهم
استعملوا طريق التوسع في الوضع والمجاز وكلهم يعرف ان المتقدمين وضعوا هذه
المسألة وحدها علمين علم الوضع وعلم البيان وما ذاك الا أنها أصل من أصول اللفه
وكل الاصطلاحات الدينية والعلمية والصناعية واسماء الآلات من هذا القبيل وهو
يدرس كل يوم « معنى الكلمة لفة واصطلاحاً » وهذه الطريقة التي ينكرها ويقول انها
لا أساس لها وانها تخالف أوضاع العرب الخ قد نقض رأيه فيها في موضع آخر من
الخطبة فانه قسم طرق الوضع الى ثلاث فقال والمقول في اختيار اللفظ للمضى ثلاث
طرق (١) الوضع من جديد (٢) التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوز بأن
يكون اللفظ قد وضع باراء مسمى ولتناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل

ذلك اللفظ في المعنى الجديد . فترى ان لم يكنف بأن جعل طريقنا معقولة حتى جعلها احدى الطرق الثلاث التي هي طريقة الوضع من جديد وهذه منها بنة ونحن نمنعها معه . والثالثة طريقة التعريب وهو يميزها وأنا أمتنعها فبها خلاف فما بقيت الا طريقتي وهي باقراره معقولة أساسية

(الاحتجاج الثالث) وقد كرهه في عدة مواضع - ان طريقنا في التجوز يجر الى الاشتراك واشتراك الالفاظ في المعاني مما يجعل بأصل المقصود منها والتجوز لا بد فيه من اقامة القرائن على إرادة ما استعمل اللفظ فيه

وقال عن نفسه وعن يرى رأيه « وهذا وذاك كثيرا ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بمد ذلك أن نضيف الى آلامنا آلاما » فنقول جنبنا الله الحيرة وباعدنا من هذه الآلام . فهم الحيرة وفيهم التأم ؟ لا توجد لغة في الارض الا والمشارك فيها قسم مهم من أقسام اللفظ . وبعد فأني لفظ بل جملة من الكلام تفهم بغير قرينة والقرائن في الحقيقة لا تنتهي وإن كان المشترك يحول دون فهم المعنى أو بوقع القارىء في الآلام لقد ضل واضع العلوم ضلالا مينا وجنوا على الناس جناية لا تنفخر بايقاعهم في الآلام والحيرة ولكننا والحمد لله لم نر مهندسا اشتبهت عليه زاوية المثلث بزاوية الكاشفي ومنشور الاجسام بمنشور النظارة كما لم نر طبيباً اشتبه عليه مرض الاستسقاء بصلاة الاستسقاء

هذه هي كل ما في خطبة مناظري الفاضل في احتجاجه على طريقنا وباقي ما فيها مقدمة ليست من موضوع البحث وحكاية الطريقة التي كانت العرب تتبعها في مثل الباء والفاء الفارسيين وهي ليست من موضوع الخلاف . ثم نتيجة قررتها أنه لا يسمع بوضع اسم عربي لاسمى حديث الا اذا دل عليه بنفسه (يعني لا بقرينة) وبذلك قد حرم طريقة التجوز بتاتا

هذا ما رأيته في شرح طريقتي ورد الشبه التي ترد عليها والله اسأل أن يعصمنا من الزلل ويجنبنا الخطأ ويمدنا بروح منه والسلام عليكم ورحمة الله احمد الاسكندري

﴿ رأي المنار في الخطبتين والتعريب ﴾

ان ما ذهب اليه صاحب هذا الخطاب في مسألة التعريب من كونه خاصا بمن يحتاج بعريتهم هو المقرر عند علماء هذا الشأن وقد توسع هو في الدين يعتقد بعريتهم . ولكن ما قرروه في ذلك لم يمنع العلماء والادباء من اقتباس الكلم الكثير من الاعاجم عند ما ساقتهم الحاجة الى ذلك . نعم ان علماء اللغة سمو ما ستمله من لا يعتقد بعريتهم اضعف الملكة فيهم مولدا لا معربا كما سموهم المولد بن فاذا كان الشيخ احمد الاسكندري يبيع لاهل هذا العصر ذلك ويمنع تسمية ما يستعملونه من كلام الاعاجم بالمعرب ويخصه بلفظ المولد فالخلاف يكون لفظيا لان غرض من يقول بالتعريب هو اباحة ادخال الالفاظ الاعجمية في العربية عند الحاجة مع التصرف بها كما تصرف الاولون ولا يبالون اسميت معرفة أم سميت باسم آخر . وقد علمت أنه يمنع هذا الاستعمال مطلقا وهو المنع الذي لاسلف له فيه . اما القول باجتنب الاكثار منها والوقوف فيها عند حد الضرورة فلا أرى أن أحدا غيره يخالف فيه

ولكم همت بأن أنظر فيما جمعه من الكلم المعرب والمولد وأرجعه الى قواعد عامة اذا أمكن ولم أجد سعة في وقتي لذلك . ولعلنا لو اطلعنا على كتاب ابي منصور الجواليقي لوجدنا فيه غناء يكفيننا في هذا المطنب كل غناء

انه لا خلاف بيننا وبين الاسكندري الا في التعريب فنحن نجزه عند الحاجة اليه وهو بمنه مطلقا ويدعي انه يجرى في ذلك على سنن سلفنا في ترجمة علوم اليونان ولا نسلم له ذلك فانهم قد عربوا كثيرا من الكلم . ومن قال ان المعرب خاص بما نطقت به العرب في جاهليتها ومن يهد بعريتهم في الاسلام فذاك اصطلاح منه على تسميته لاحكم بمنه والا فقد قال الخفاجي في مقدمته شفاء الظليل « فما عربه المتأخرون بعد مولدا وكثيرا ما وقع مثله في كتب الحكمة والطب وصاحب القاموس يتبعهم من غير تنبيه » فعلم من هذا ان التعريب واقع من

المقدمين والمتأخرين ولكن علماء اللغة سموا ماسح عن العرب قبل الثبات العجبة بالسنتها معر با وسورا ماسح من بعدهم مولدا وقد احسنوا بذلك كل الاحسان اذ هو من مباحث تاريخ اللغة الذي يدل على معرفة تاريخ أهلها . وما اقترحه الحضري من تمييز ما نمر به في هذا العصر عن غيره يجري على هذه الطريقة وأزيد عليه امتحان اطلاق اسم خاص عليه (كالمحدث)

وجملة القول ان كلا من الحضري والاسكندري قد احسن فيما كتب واصاب على ما رى فيما ثبت وأخطأ فيما نفي ولا ننسى فضل ما أطلع به الثاني فأفاد . والذي واه هو أن يكون للمجمع القومي الذي يراود تأليفه الحرية التامة في اتباع سلفنا في بداوتهم وحضارتهم والزيادة عليهم اذا أمكن فإنه قد يحتاج في نقل الاصطلاحات العلمية الى مجازاة الأوربيين في جعل اسماء الآلات الكثيرة التي من نوع واحد بحيث يعرف من كل منها نوعها الكلي الذي تندرج تحته ويرى ان ذلك لا يتم الا بالتعريب او الأوتجال او النعت او غير ذلك

وقد كبر الاسكندري الخوف على اللغة من كثرة الاصطلاحات المربة حتى جعله مفرعاً جادا والامر أهون فيه مما تصوره فصوره في خطابه . على ان الاصطلاحات المترجمة لو كثرت في الانشاء والخطابة لأفسدت أسلوب اللغة . وهذا ابن خلدون قد بين ان مزاويل اللغة وفنون العربية لا تستعكم فيهم ملكة البيان ولا يكون منهم البلاغة فلفنون أسلوب أو أساليب خاصة بها لا تنبغي على الأسلوب الفصيح اذا هو أخذ على وجهه في اكتساب الملكة

لكلام ضروب كثيرة منفصل بعضها عن بعض لاحاجة الى ادخال اصطلاحات كل واحد منها في غيره . لكل فن من الفنون العربية والشرعية والعقلية والرياضية والطبيعية والصناعية والمالية والعسكرية الفاظ خاصة بها لا يدخل بعضها في بعض الا قليلا . وأقل من ذلك ما يحتاج اليه في الكتابة الادبية والخطابة والشعر وهي ما به يكون التفاضل في البلاغة وسحر البيان . فاذا كان أساس العربية في هذا النوع من الكلام هو القرآن الحكيم والاحاديث الشريفة وآثار الصحابة والتابعين - وهي أساس الدين الثمين - ثم اشعار الجاهلية وصدر

الاسلام فاذا يضر اللغة بعد ذلك اذا كثرت اصطلاحات الفنون المخرجة او قلت
واذا نحن قصرنا في حفظ هذا الاساس اللغوي فاذا يبدنا جعل مصطلحات
الفنون من المواد العربية ونحن نستعملها في غير ما استعملتها به العرب ؟
انا هذه الكلمات نقضنا أدلة منع التعريب وهدمنا هيكلها المسدس فاما
الدليل الاول وهو اتفاق أئمة اللغة على أن التعريب ليس من حقوقنا فقد بينا
أنه اتفاق على التسمية فنسب ما نعر به الآن مولدا لكل ما نعر به من قبلنا من اللغات
المولدين او محدثا كما اختار

واما الثاني وهو المحافظة على سلامة اللغة والاقتداء بالعرب في وضع العلوم
وترجمتها فقد بينا ان التعريب لا يعرض سلامتها للخطر واننا لا نخرج به عن اتباع
سلفنا الذين ترجموا علوم اليونان . وانما يرد علينا هذا اذا التزمنا طريقة الحضري
وهي الاكتفاء بالتعريب عن الترجمة والوضع الجديد وما نحن بملتزميها فاننا لم نقبل
من طريقته الا جواز التعريب وقيدناه بقيد الحاجة اليه

واما الثالث وهو المحافظة على فهم القرآن وكتب السنة فقد علم مما قدمناه
أنه مما اتسمت دائرة الفنون عندنا وكنا نقيم القرآن والحديث ونحطها أساس
بلاغتنا وينبوع هدايتنا فن ضف أسلوب تلك الفنون لا يصدنا عن اكتساب
ملكة البلاغة ولا فهم القرآن وكتب السنة والاهتمام بها . وأزهد على ذلك
فأقول . إن العناية بالقرآن وكتب السنة إنما تقوى في المسلمين بقوة الدين
وتضعف بضعفه فما دنا مسلمين نعتد بالقرآن ومهتدي به وبكتب السنة فاننا
لا نزداد بزيادة ممارفنا الا قوة في ديننا وانما يخشى أن يصدنا عن القرآن والسنة
بقاؤنا على التقليد لاعى مع مهاجمة المدنية الغربية لنا بإباحة المخطورات وتقطيع
الروابط الملية بشبه الجنسية والوطنية ، وتلون السياسة ، لا باسماء المخترعات ومجدد
الاصطلاحات العلمية التي يمكن لنا استعمالها مع المحافظة على كل ما عندنا وان
عربنا بمض الفاظها فان التعريب لا يضعف اللغة وانما يمددها وينظفها
واما الرابع وهو المحافظة على الجنسية العربية فقد علم من كلامنا ان التعريب
وهو جعل بعض الكلم المعجمي عربيا لا يضمف الجنسية بل يقويها ويوضحه

ما ذكرناه آنفاً في الكلام على الدليل الثالث . ونزيد عليه بأنه يجب علينا ان نجهد في تسهيل التعلم بالعربية بقدر الاستطاعة وان يكون حفظنا من اللغات الاجنبية نقل العلوم ونشرها بألسنتنا وذلك لا يتم لنا الا بتسهيل طرق النقل ومنه التعريب فاباحته تأتي بتقيض ما يخافه الاسكندراني بالشرط الذي اشترطناه وهو ان يكون بقدر الحاجة حتى لا يصسر على نقله العلوم نقلها فنضطر الي تعلمها بلغات واضعها وأما الخامس وهو توسيع نطاق اللغة فأمره أظهر فالنوسمة انما تكون في تسهيل نقل العلوم لا في ضده

وأما السادس وهو عدم الاستفادة من التعريب فهو ممنوع على اننا نفوض الأمر فيه الى المجمع اللغوي مع جملة مباحاً



ترجمة الصناعات وغيرهم من العامة

هذا وانا نرى العامة تسرع الى وضع أسماء جديدة لكل ما يصل اليها من اجناس المخفوعات . وقد وقفت على أكثر أسماء أدوات الطباعة وما يتعلق بها فرأيتها عربية قد تجوز بها الصناعات بالتشبيه بأعضاء الانسان وغيرها ومنها الأسماء الآتية : الذراع والفخذ والأصابع والاسنان ويشتمون من الاسنان فيقولون مسنن . وفي آلة الخياطة هنة صغيرة يسمونها السنه ويعنون بها السن الصغيرة . ومنها ما يسمونه بالوجه وهو ما يقابل وجه العامل الذي يقف امامها . ومن التشبيه بغير أعضاء الانسان العرس والظنهور والسكينة والهدائرة والقصة والحوض (لموضع الخبر من آلة الطبع) وترام قد عربوا بعض الأسماء تعريباً إذ لم يهتدوا بسليقتهم الى اسم مجازي لها وهو أقلها ومنه الشلندر والياي والصامولة

ولو عرضت هذه الأدوات والهئات على الخاصة منا لماروا في تسميتها وكانت عندهم موضع الخلاف والنزاع والتميل والقال واتسع فيها مجال المناظرات . وما

سبب ذلك الا ان هؤلاء الخواص قد ضمنت فيهم ملكة اللغة العامية بما
زاووه من فنون الاعراب والبيان ولم يصلوا الى احكام ملكة اللغة الفصحى فلكنهم
مذبذبة بين صنعة الفنون وملكة العامية

فامة أهل البلاد التي تسمى عربية كالعراق وسوريا ومصر والمغرب يجوز
أن يسموا الآن عرباً بالجنس واللغة اذ ليس لهم لغة الا العربية ولا يمنع ذلك
ضعف اللغة في ألسنتهم بما فتكت بها المجمة فان ضعف الشيء لا يخرج عن
ماهيته فالانسان الضعيف انسان والدولة الضعيفة دولة كذلك اللغة الضعيفة لغة.
ومداواة الضعف مما يدخل في مقدور الناس اذا كان كنه المرض معروفاً
ودواؤه معروفاً

وانني أرى ان جميع المفردات التي يتألف منها كلام أهل سوريا ومصر
عربية الأصل الا ما يعرف له أصل أعجمي من التركية أو الفارسية أو اللغات
الافرنجية وهو الأقل وكذلك أساليب الكلام عندهم لا تزال كأساليب العرب
في الغالب . ولعل ألسنة أهل العراق والحجاز ، أقوم من ألسنة أهل مصر والشام ،
كما ان ألسنة أهل هذين القطرين أقرب الى العربية الفصحى ، من ألسنة أهل
المغرب الأدنى والأقصى ،

انني اعرف من نفسي الضعف في اللغة العامية حتى ان الكلمات التي يشكل عليّ
فيها من كلام العوام تكاد تكون اكثر من الكلمات التي يشكل عليّ فيها في
كتب الادب والتاريخ ولكنني قلما اشكت عليّ كلمة عامية فراجعت لها معاجم
اللغة الا وجدت فيها اصلها . ومن الكلم الصحيح ما يشكل عليك معناه بعد المراجعة
في المعاجم وهو لا اشكال فيه عند العامة . اذكر انني راجعت مرة جميع ما عندي
من المعاجم لأفهم معنى البنيقة في قول مخنون ليلى

يضم اليّ الليل ابناء حبها كما ضم ازوار القميص البنائق
فما زادني ذلك الاحيرة ولم أفهم مسمى البنيقة فما واضحا يمكنني تعيينه
بالاشارة اليه ولكنني عرفت ذلك بعد من والذني
ألا ليت بعض أهل الخبرة يجمع لنا الكلم المحرف على ألسنة العامة ويرجمه

الى اصله الفصح لعله يسهل علينا بعد ذلك ان نضبط طرق التعريف فنستفيد من هؤلاء العوام ما يبرز علينا ان نستفيدة من معاجم اللغة التي تفسر اللفظ في الغالب تفسيراً لا يحدد المعنى . وعند ذلك نعلم ان عدم من اللغة ما لا يمكن الاستغناء عنه بالكتب التي تعتمد عليها في حفظها

من المشهور عندنا أنهم يبدلون القاف همزة فإذا سمعناهم يقولون « بنيتة الالميص » نعلم ان اصل العبارة بنيتة القميص ولكن لهم ضرر بالخرى من التعريف تحفى على غير المدقق فمن ذلك انني كنت اسمع الفلاحين في بلدنا يقولون « فلان يحرق بسناو » اذا سقى بعض انيا به على بعض من الفيض حتى سمع لها صريف . وقد وقعت بعد هذا على قول العرب « حرق عليك الأرم » ويحرق عليك الادم » كقول الشاعر

نبئت أحماء سليبي انما باوا غضا با محرقون الارما

فلم يقتني ما احفظ من استعمال العامة « حرط الاسنان » عن مراجعة حرق الأرم وهو هو لاني لم اكن أعلم أنهم يبدلون القاف طاء في بعض الاحيان ووجه القول ان لغة عامتنا عربية فيها تحريف لا يخرجها عن كونها هي اللغة العربية ولا يخرجهم من من عداد أهل اللغة . ويطلب على ظني ان العرب المخلص لم تكن تسلم من التفاوت في حديثها بحيث تلتزم الاعراب واظهار الحركات في الشعر والخطابة والماتمة والوصف دون الكلام العادي وحسبنا هذا الالمام الآن

واذا كانت لغة عامة أهل الامصار التي استعربت بعد عجمة تعد عربية مريضة فلغة أهل جزيرة العرب عامة وقبائل الاعراب منهم خاصة عربية اقرب الى الصحة واننا في حاجة الآن الى فهم معاجمنا من الفريقين لتتمكن بعد ذلك من وضع معجم أو معاجم أخرى تحدد المعاني تحديداً موضحاً بالصور والرسوم على الطريقة التي تليق بمعارف هذا العصر وقد سبقنا اليها الفريون الذين صرنا محتاجين للسبر على طرقهم في جميع ما يصل اليه كسب البشر وجددم

مختصر رأي كبار سامسة الغرب

في الحركة المدنية الجديدة في الشرق

قول كرومر في مصر والشرق

خطب لورد كرومر في مجلس الأعيان بلندره خطبة في موضوع اتفاق انكلترا وروسيا الأخير فيها كثير من العبر لنا ان كنا نعتبر فأحييت أن انه الى ذلك ينقل جمل من ترجمة الخطبة ثم الاشارة الى مواضع العبارة فيها قال : ان الحال التي طرأت على الشرق منذ اعوام طوال وهي حال الانتقال من طور الى طور قد اشتدت وتعاظمت في هذه الأيام . فانا نرى الغرب يسي الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان أو ان يشرق بسعى من تلقاء نفسه لان يقتبس من الغرب نظاماً للأحكام لم يألفه ولم يكن يعرفه . فأفضى ذلك الى إلقاء العناصر المتناقضة المتضادة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية واحدة لتذوب وتصبو فيها ولا يعلم الا الله ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معاً .

وأما العناصر المتضادة المشار اليها فاذكرها الآن بالايجاز املاً ايها السادة ان أقنعكم بان كلامي عنها دخلاً حقيقياً في مسألة الاتفاق الانكليزي الروسي .

فأولاً انا نرى المواطنين الدينية المتأصلة في النفوس تصارع اللادرية أو ما يقرب من اللادرية في كل مكان ولا ريب ان اتصال الغرب بالشرق يؤول اليه زعزعة الأركان الأديية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . وثانياً انا نرى في كل مكان تقريباً اقواماً ذوي عادات قديمة وآراء وأفكار شائنة وميل شديد الى بقاء القديم على قدمه يتكاثرون اليوم الجري في الأحكام على طرق غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لهم بها .

وثالثاً ان بين الخاصة المتعلمين والعامية الأميين في كل مكان من الشرق وخصوصاً في الهند ومصر يوناً جهيداً وهوة عظيمة اما العامة فلم يحصلوا في هذه

الأيام الأعلى تقليل من المعارف التي تزحزح حجب الجبل عن بصائرهم واما الخاصة المتهدرون فعل جانب عظيم من المعرفة ولكنها غير مختمة بخمير الاختبار والعمل وهم يحاولون ان يحلوا بهذه المعرفة بعضاً من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفحول من أهل السياسة والادارة

ولا ننسى بعد ما ذكر اننا نلاقي في بلادنا هذه صعوبات كثيرة . فان نمو الديمقراطية وانتشارها في بلادنا زاد صعوبات القضية التي وصفها المستر بربط منذ اعوام بقوله « انها قضية حكم شعب على شعب » يعني تدبير الشعب الانكليزي لأمر الشعب الهندي . فليت الذين يشتغلون منا بالسياسة في هذه البلاد وهم لا يستأمنون حمايتهم، فيجزمون في الأمر ويبتون، ويقولون ما يشاءون عن هذه المسألة الشرقية ولا يخاطبون، ولا يقدررون عواقب ما يقولون - ليت هؤلاء يتذكرون احبباً تحذير الدوق ولنجتون حيث قال مخاطباً القوم « ان كنتم تضيعون الهند يوماً فكونوا على يقين ان البرلمان هو الذي يضيعها لكم » (استحسن) والقي أنذره ان دوق ولنجتون انما قصد مجلساً واحداً من مجلسي البرلمان وهو غير مجلس الاعيان (ضحك واستحسن) .

ولا يغيب عن الاذهان أيضاً ان الحروب اليابانية الاخيرة أثرت في عقول الشرقيين تأثيراً عظيماً وخصوصاً عقول اهل الشرق الاقصى ولا عجب في ذلك كله فانما هو نتيجة اختلاط الشرق بالغرب وانتشار المدن وتقدم المعارف والتعليم واتباع سياسة العقل والسكالم التي لا تبقى الشعوب المحكومة غائصة في ظلمات الجهل حتى يسهل حكمها على الشعوب المتوسطة عليها . ولكن ذلك مما يوجب التفكير والتدبر ايضا . لا اقول انه يوجب الهم والقلق وانما اقول انه يوجب على الامم التي لها املاك في الشرق ان تزيد عناية وسهرا ويقظة وحذرا عما كانت عليه في كل ما غير من تاريخها اذ ليس يعلم أحد ما ستكون نتائج الاختيار الذي نطرق الى افكار اهالي الشرق الاقصى بعد ما اضحي مبدأ الجنسية بتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى التي كانت تربط الناس هناك معا . على اني استنتج منذ الآن نتيجة يؤمن الخطأ فيها وهي ان المنافسات والمناظرات التي بين الامم

التربية المحاطة للامم الشرقية قد زادت الصعوبة جدا في حل كل المسائل الشرقية .
 (وهنا ذكر مسألة المغرب الاقصى ومكدونية ثم قال)
 وتأملوا مصر ايضا فاني منذ نحو سنين ارسلت رسالة الى نظارة الخارجية
 البريطانية شرحت فيها اخطار حركة الجامعة الاسلامية على مصر فقوم ابي بالفت
 في امر تلك الاخطار . ولتدارك تلك الحركة في الحال ونسكينها بوجه السرعة ظنوا ان
 توهمهم لم يخل من الصحة . على انني لم ابالغ في ما قلت بل اني اشته ما يسمونه بمحادثة
 سينا اليوم بصورة جلية واضحة اقيت من فانوس سحري على حجاب سياسي
فجلت الحقيقة لبصائر التاملين وابانت ان الضعائث القومية يمكن ان تهيج وتماظم
 بسرعة عظيمة واظهرت الصعوبات الحقيقية المستبطنة كل القضايا المتعلقة بالأحكام
 الشرقية فالنتيجة التي استنتجها هي وجوب الترحيب بكل ما من شأنه تخفيف
 الخطر الذي ينجم عن تنافس الدول الاوربية وتناظرها في المسائل الشرقية .
 ولذلك ارحب بهذا الاتفاق بين انكلترا وروسيا لانه يؤدي الى توطيد اركان
 السلام في البلدان التي له علاقة بها ويسهل علينا حل القضايا الاوربية الاخرى
 التي يكون لهذه البلدان شأن عظيم فيها (استخلصان) ه المراد من الخطبة
 وجوه العبارة في كلام اللورد

العبارة في كلام اللورد من وجوه (أحدها) قوله ان الغرب يسمي الى ادخال
 آرائه وأفكاره على الشرق . فيجب على المشتغلين بالمباحث الاجتماعية منا ان
 يفهقوا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم ام شرار هو بين ذلك
 (ثانيا) تمثله لحانا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المناقضة كلها
 في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية لتذوب وتصب فينا . فيجب علينا ان نفقه معنى
 هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر ؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟
 ما هو غرضهم من اذابة عناصرنا وما هو حفظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا
 العمل وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير تنتقل به الامة من طور
 تعرفه الى طور تتخيله فتحسب انها تعرفه وهي لا تعرفه ؟
 (ثالثا) تبرؤه من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل

وتقويضه الى الله وحده . فاذا كان مثله في علمه وعمله ، وحكته واختباره ،
وكونه من أشهر صاغة البوتقة التي هي آفة صوغ الأمم والشعوب لا يدري نتيجة
عمله وحمل امثاله فهل يسهل على المناصر التي في البوتقة ان تكون أعلم بهذه النتيجة ؟؟
يجب التأمل الطويل وعدم الاغترار بالاحداث المعجيين بما أخذوا عن الافرنج
من الافكار والمادات التي هي علل الانقلاب

(رابعها) قوله ان العواطف الدينية الراسخة في قوس اهل الشرق امت
تصارع الاتحاد والتعطيل وجزمه بأن اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة
الاركان الاديوية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . ويمكن
جعل هذين القولين مقدمتين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدا . فاذا كان
الاحداث الذين يتبعون كل ناعق بالوطنية والجنسية يحسبون ان هدم اركاننا
القديمة امر نافع لسهولة احداث بناء آخر من الجنسية الوطنية فان اصحاب العقل
والروية يرون ان البناء اعصر من الهدم واننا نستقبل اخطاراً كبيرة في التحول والانقلاب
أراها اشد هولاً مما تشير اليه هاتان المقدمتان من كلام اللورد اللتان اشار الى تقيدهما
بعد بقوله ان مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الأخرى

« خامسها » قوله في خواص المهذبين والعارفين منا أنت معرفتهم غير

مختصرة بخمسة الاختبار

« سادسها » بيان التفاوت بين عامة الشعب وخاصته، وهذا التفاوت يكون دائماً
مثاراً للنخاف والامة لا تقوى وتمتاز الا اذا تكونت من أفراد متقاربين في الافكار
والاخلاق والعبادات . ألا ان هذا التفاوت بين افرادنا وبيوتنا لئلا خطر عظيم

« سابعها » وهو بالنسبة الى المصر بين اهلها قوله « ان الضغائن القومية يمكن ان
تهيج وتماظم بسرعة عظيمة » فهذا أقوى ما يهيج أهل أوروبا على أهل الشرق !!
« ثامنها » كلامه في الاخبار الذي تطرق الى اهل الشرق الاقصى . وهو الذي

حكم بحرمان اهل المعرفة والتهذيب في الشرق الأدنى منه . وقد يوضح هذا النوع
من العبارة ما كتبه مكاتب التيمس في بكين عاصمة الصين اليها في ذلك وهالك
موضع العبارة منه تقلاً عن المقطم بتصريف لفظي يسير وعنوان جديد وهو :

نهضة الصين

﴿ وسبب ارتقاء اليابان ﴾

قالت التيمس : « يؤخذ من رسالة مكانبنا ان مملكة الصين الضخمة دفقت في هذه الأيام افكاراً قديمة مضي عن رسوخها في افهام ابنائها قرون عديدة واندفقت بعزم شديد لا يرد ولا يقاوم الى اقتباس العلم الغربي والاعتماد بحاله الى مناهج التقدم والارتقاء . ولا شك ان هذا النهوض بعد ذلك السبات بعد دليلاً على الشعور الحي في نفوس الصينيين ولا سيما الطبقات المتوسطة منهم فقد طلبوا من الحكومة بصوت واحد ان تتحدى اليابان في اقتباس التعليم الغربي . ولما رأت الحكومة هذه النهضة العامة لم يسعها الا ان تجاريهم وتحجيمهم الى مطالبهم لان الزمان الذي كانت تلك الطبقات تحترم فيه التقاليد القديمة وتنقاد الى الحكومة وذوي الشأن قد مضى وقات منذ اتصرت اليابان على روسيا بل منذ اشتبكت الحرب بين الصين واليابان فان هذه الحرب كانت عبرة وعظة للصينيين اذ علمتهم هل ان قاعدتهم في التعليم عقيمة لا تاتيهم ثمرة ولا تنشيء منهم رجلاً يدبرون دقة السياسة ويتفنون في نظام الجندية . أما الحرب الثانية بين روسيا واليابان فقد علمتهم ان التعليم الغربي يضمن لامة شرقية فوزاً ميبناً على أعظم دولة غربية ولكنهم أخطأوا في نظرم لانهم نسبوا نجاح اليابان وفوزها الى ما اقبلت من علوم الغربيين وفنونهم والحال ان العلوم والفنون لم تقدم بقدر ما افادتهم كفاءتهم وصفاتهم الشخصية . والمدن الأوربية انما بعد حلقة وصلها اليابانيون بما أوتوه من شدة الذكاء والاستعداد الشخصي فتم لهم ما أرادوا وهدت دولتهم في مصاف الدول العظمى . ولو وقف الأمر عند جسد المدن التي اقتبسوه لما نجحوا ولا بلغوا هذه الدرجة . فالصالحون الصينيون يحسبون تقدم اليابان نتيجة المدن الغربي فقط وبعبارة أجلى أنهم يريدون الاستمسك بأحد العاملين الذين ارتقى بهما اليابانيون والاضراب عن العاصل الآخر وهو أهم من الأول وادمي

الى العناية ولا شمسك فاذا اهتموا به وعالجوا ادواءهم الشخصية وقوموا المعوج من عاداتهم وتقاليدهم وكان لهم ذكاء اليابانيين وكفاءتهم فانهم بدر كون ما ادر كه اخوانهم والا فان التمدن الاوربي والتعليم الغربي لا يفتديهم شيئاً ولا ينقذهم من غلة وهب ان هذه الحركة الجديدة تمود بالنفع على الصينيين لكن التعليم الغربي عزيز المنال على الشعب الشرقي الا اذا كان افراده يتأصلون من نفوسهم ذلك الشعور الراسخ ويراعون مقتضى التعليم الغربي من كل وجه . فانه يغير العادات والاخلاق والعقليات والادبيات ويقضي على التقاليد والحرفات قضاءً مبرماً . فاذا كان في وسط الصينيين ان يفعلوا ذلك كله فاجاح منهم على طرف التمام والا فان انقسمت كلمتهم واتصرت قوم للحديث وآخرون لتقديم ادى امرهم الى فوضى عظيمة فحصدت حصداً فيكون التعليم الغربي قد افضى الى الهيجان والاضطراب بدلاً من ان يكون وسيلة الى التقدم والارتقاء . وهذا شأن كل امة شرقية تتلقى التعليم الغربي قبل الاستعداد له والوثوق بكفاءتها لتجري على مقتضاها

أما اليابانيون فلم ينجوا من هذه الفوضى الا في الزمان الاخير من تشبههم بالأوربيين فقد كان بين المصلحين منهم جماعة من أعضاء الاسرة المالكة تلقوا التعليم الأوربي وتشرّبوا مبادئه من غير ان يشعروا بما يورث في عاداتهم واخلاقهم لانهم كانوا مسخريين له بالفطرة وليس لتقاليد سلطنة على افكارهم . فنجحوا ونفذوا روح التعليم الغربي في نفوس مواطنيهم ثم مرت هذه الروح ندر يجا من طبقة الى اخرى حتى كان من أمر اليابان ما نراه الآن . ولولا كفاءتهم وصفاتهم الأدبية وميلهم الغربي الى الأصول الأوربية لعادم مساهم في تحصيل التعليم الغربي وبالاعليهم اه

« المنار » العبرة في هذا الكلام كله ظاهرة لمن له عين تبصر واذن تسمع وعقل يفكر وقلب يشعر فقد سبق قوماً اليابانيين في هذه البلاد وفي الاستانة الى اقتباس التعليم الغربي والمدنية الاوربية بنحو نصف قرن وهذه حالنا في الانقسام والفرق . ففي مثل هذه المباحث فلتبحث الجرائد باقلام كتابها واقلام سائر الكاتبتين المتبصرين

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

(٤)

ثمة الكلام في رأيه في العلوم الدينية

﴿ تابع لما في الجزء التاسع ﴾

(مقدمة رابعة) (١) من عظام حيل هؤلاء في الاستدراج اذا ورد عليهم اشكال في معرض الحجاج قولهم ان هذه العلوم الالهية، غامضة خفية، وهي أعصى العلوم على الافهام الدكية، ولا يتوصل الى معرفة الجواب عن هذه الاشكالات، الا بتقديم الرياضيات والمنطقيات، فمن تقدم في كفرهم ان خطر له اشكال على مذهبهم يحسن الظن بهم ويقول لا شك أن علومهم مشتملة على حله وانما يسر علي دركه لاني لم أحكم المنطقيات ولم أحصل الرياضيات

(فقول) أما الرياضيات التي هي نظري الكم المنفصل وهو الحساب فلا تعلق لها بالالهيات وقول القائل ان الالهيات تحتاج اليها خرق كقول القائل ان الطب والنحو واللغة يحتاج اليها الحساب أو الحساب يحتاج الى الطب. وأما الهندسيات التي هي نظري الكم المنفصل يرجع حاصله الى بيان ان السموات وما تحتها الى المركز كروي الشكل و بيان عدد طبقاتها أو بيان عدد الاكوار المتحركة في الافلاك و بيان مقدار حركاتها فلنسلم لهم جميع ذلك جدلاً أو اعتقاداً فلا يحتاجون الى اقامة البراهين عليه ولا يقدح ذلك في شيء من النظر الالهي وهو كقول القائل « العلم بأن هذا البيت حصل بصنع صانع بناء عالم مرشد قادر حي يفنقر الى أن يعرف أن البيت مسدس أو ثمن وان يعرف عدد جذوعه وعدد لبناته » وهو هذيان لا يخفى فساده وكقول القائل « لا يعرف كون هذه البصلة حادثة مالم يعرف عدد طبقاتها ولا يعرف كون هذه الرمانة حادثة مالم يعرف عدد حباتها » وهو هجر من الكلام مستعجب عند كل عاقل

(١) من مقدمات كتابه نهافت الفلاسفة

« نعم قولهم ان المنطقيات لا بد من أحكامها هو صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وإنما هو الأصل الذي نسميه في فن الكلام « كتاب النظر » فغيروا عبارته الى المنطق تهويلا وقد نسيه كتاب الجدل وقد نسيه مدارك العقول فإذا سمع المنكائيس والمستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ولا يطلع عليه الا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال، واستئصال هذه الخيلة في الاضلال، نرى ان نفرد القول في مدارك العقول في غير هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والاصوليين بل نوردنا عبارات المنطقيين ونصيبها في قوالبيهم وقتني آثارهم لفظا لفظا ونناظرهم في هذا الكتاب بلضمهم أعني عباراتهم في المنطق ونوضح ان مآثر طوه في صورته في كتاب القياس وما وضعوه من الاوضاع في ايساغوجي وقاطيغورياس (١) التي هي من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منا في علومهم الالهية ولكننا نرى ان نفرد مدارك العقول في غير هذا الكتاب فإنه كآلة لفكر مقصود هذا الكتاب ونفردنا كتابا مفردا يرجع اليه ولكن رب ناظر يستغني عنه في الفهم فيؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج اليه ومن لا يفهم ألفاظنا في آحاد المسائل في الرد عليهم فينبغي أن يبيده او لا يحفظ الكتاب الذي سميناه معيار العلم الذي هو الملقب بالمنطق عندهم « اه كلام ابي حامد في فاتحة كتابه تهافت الفلاسفة . وذكّر بعد ذلك فهرس المسائل التي اظهر تناقض مذهب الفلاسفة فيها وهي عشرون مسألة ثم قال مانصه :

« فإذما اردنا ان نذكر تناقضهم فيه من جهة علومهم الالهية واما الرياضيات فلا معنى لانكارها ولا للمخالفة فيها فإنها ترجع الى الحساب والهندسة . واما المنطقيات فهي نظري في آلة الفكر في المقولات ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة » وقد علم مما نقلناه عن كتابه المنقذ من الضلال ان المسائل العشرين من

(١) لم يكديشتهر من الكلم اليوناني في المنطق العربي غير هاتين الكلمتين فالاولى (ايساغوجي) وهي علم على الكليات الخمس والثانية (قاطيغورياس) وهي عبارة عن المقولات العشر

الفلسفة الالهية التي بين في هذا الكتاب تناقضهم فيها ليست الا أغلظا
وابتداعات الاثلاث مسائل عددا من الكفر وهي (١) إنكارم البعث الجسائي
زاعمين ان الثواب والعقاب في الآخرة يكونان على الارواح المجردة . و (٢)
زعمهم ان العالم قديم أزلي . و (٣) زعمهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون
الجزئيات (راجع ص ٦٩٩) واما الرياضيات والمنطقيات فليس فيها شيء يسي
بدعة ولا كفرا بل هي علوم حقيقة نافعة وكذلك الطبيعيات وان كثرت فيها الى
عهده النظر يات

ولعمري انه لولا تسامحه وتسامحه لاستخرج اكثر من هذا من أغلظهم البنية
على نظرياتهم الفاسدة . وما حمله على تلك الحملة عليهم الا ما رآه من كسر كثير
من المفرورين بعلومهم قبيود التقوى، وتبجحهم بضر وبالفخر وزخرف الدعوى،
حتى كادت تمم بفتنتهم البهوي، ولم يكن لها في عصره فائدة دينوية تذكر .
وقد كان رحمه الله فليسونا عمليا لا نظريا قط ألم تركب جعل المسائل الطبيعية
من باب الدين بما نفع فيها من روحه في كتاب التفكير من الاحياء اذ يبحث
فيه عن اعضاء الانسان ووظائفها وحكها وما تتألف منه على طريقة الاطباء حتى انه يذكر
عدد عظام المصنوع . كذلك يبحث في الارض والهواء والبحار والحيوان والنبات بحثا
يصل على انه كان واقفا على علوم التاريخ الطبيعي كما اتقى اليه علم الفلانة في
عصره الى ماله هو من الرأي المبكر فيه ومنه ان الماء ليس عنصراً بسيطاً كما
كانوا يقولون بل هو مركب وقد حقق رأيه المتأخرون .

وما يفتنه من طبائع الحيوان قوله في الكلام على اصناف الحيوانات من
كتاب التفكير . لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة او
العنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي انها
لزوجها وفي ادخارها لقوتها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم
تقدر على ذلك قري العنكبوت يني بيته على طرف نهر فيطاب اولاً موضعين
متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين
طرفيه ثم يلقى العنكبوت الذي هو خيطه على جانب يلصق به ثم يفتدو الى الجانب

الأخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسباً هندسياً حتى إذا أحكم مما قد التقط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل بالعمه فيضع العمه على السدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد يادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طالب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه (١) فاخذه ولف خيطه على رجله واحكه ثم اكله .

« وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه او كونه آدمي أو علمه ؟ او لا هادي له ولا معلم ؟ اني شك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز ؟ بل الفيل العظيم شخصه ، الظاهرة قوته ، عاجز عن أمر نفسه ، فكيف هذا الحيوان الضعيف ؟ افلا يشهد هو بشكاه وصورته وحر كته وهداياته وعجائب صنمته لفاطره الحكيم ، وخالقه القادر العظيم ؟ فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المبرر وجلاله وكمال قدره وحكمته ما تتحير فيه الالباب والمقول فضلا عن سائر الحيوانات . وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة . نعم اذا رأى (الانسان) حيوانا غريباً ولو دوواً تجدد عجبه وقال : سبحان الله ما أعجبه ! والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه » هـ

فعلم من كل ما تقدم أن رأي الفزالي في العلوم الدينية بطريق التفصيل هو أن كل علم يحتاج اليه الناس في معاشهم ومصالحهم فهو من فروض الكفاية وما زاد عن الحاجة من مباحثه الكمالية يعد فضيلة لا فريضة كما صرح به في الكلام على علم الحساب من الاحياء . وما لا يحتاج اليه منها الا لنحو نسبية فهو

(١) هكذا ذكر الضمير مذكرا في هذه الكلمة وما بعدها ولعله قد سقط قبلها

كلام في ذكر الصيد مثل « جنابها (أي الذبابة) صيدا » رمى بنفسه اليه الخ

مباح مالم يكن فيه ضرر أو مفسدة دينية أو دنيوية . وأن ما كان ضارا منها فهو محرم كالسحر والتليس والدجل . وأن العلوم الرياضية لا ضرر في شيء منها وأن العلوم الطبيعية إذا قرنت بالمهارة وتنبه الدهن إلى ما فيها من الحكم الدالة على علم الخالق وحكمته ورحمته تكون من علوم الدين التي حث عليها القرآن وإذا اتبعت فيها الطريقة النظرية اليونانية تكون قليلة الجدوى كثيرة الاغلاط ولكن الناطق فيها لا يصادم عقيدة الاسلام ولا يقتضي خروج صاحبه من الدين . وإن في الفلسفة الالهية ثلاث مسائل تعد من الكفر الصريح . وقد ذكرناها آنفا . وأن علم المنطق من مقدمات علم الكلام . وأما علم الكلام فهو ضار بالعوام ويجب ان لا يوجه الا لمن عرضت لهم الشبه في عقائدهم أو لمجادلة من يوجهون الشبه إلى المسلمين تشكيكهم في دينهم كما سيأتي . وهو عنده وعند علماء الصوفية العارفين غير علم التوحيد ولذلك جعل للتوحيد والتوكل كتابا في الاحياء غير كتاب قواعد العقائد . على ان ما كتبه في قواعد العقائد ليس فيه من جدل المتكلمين الا قليل بقدر الضرورة . وقد علمت ان المتكلمين مزجوا بين جميع العلوم الطبيعية والفلسفة اليونانية وبين العقائد الاسلامية وسماوا ذلك كله علم الكلام ولذلك قيل ان ان موضوع علم الكلام هو الوجود والفزالي لا يبعده من علوم الدين بل من رأيه ان علم الاحكام الذي يسمونه الفقه من علوم الدنيا لا من علوم الدين وأن طلاب الآخرة يكتبون من هذا العلم بقدر ما يحتاج اليه في القضاء والافاء ولا يشتغلون باستنباط ما لا تدعو الحاجة اليه بل يصرفون سائر الوقت في علم الدين والعمل الذي يقرب العبد من ربه عز وجل كما فصل ذلك في الفصل الآتي

(رأيه في العلوم الشرعية)

قسم العلوم في الباب الثاني من كتاب العلم من الاحياء إلى محمودة ومذمومة والمحمودة إلى شرعية وغير شرعية . وقد تقدم بيان رأيه في العلوم غير الشرعية وأن منها ما هو فريضة وما هو فضيلة وما هو مباح . وقال « وأما المذموم منه فلم السحر والطلسمات وعلوم الشعرة والتلبسات » ثم تكلم بعد ذلك في العلوم الشرعية

وقبل أن نذكر تفصيل رأيه فيها نذكر رأيه في العلم الذي هو فرض عين

العلم الذي هو فرض عين

وذكر في أول الباب الثاني اختلاف العلماء في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف وزعم كل من غلب عليه علم من التفسير والحديث والكلام والفقه والتصوف أن علمه هو فرض العين . وجزم هو بأن فرض العين هو العلم بمعنى كلبي الشهادة وما يتبعه من العقائد السمية من غير شك ولا اضطراب والعلم بالطهارة واحكام الصلاة عند دخول وقتها و باحكام الزكاة عند وجوبها على المكلف وكذلك الحج و باحكام الصوم عند مجي رمضان وكذلك حكم كل ما يكون بصدد العمل به فاذا تصدى لتجارة وجب عليه معرفة ما يحترس به من الوقوع في الحرام بقدر الحاجة حتى أنه قيد وجوب تعلم الحذر من الربا بشيوعه في البلد . وكذلك تحريم كل الخنزير ونحوه . وهو يقول في مواضع من كتبه ان المكلف اذا مات قبل ان يعلم شيئاً مما يذكره المتكلمون في صفات الله تعالى كعلمه وكلامه هل هي عين الذات او غير الذات وهل هي قديمة او حادثة بأن لم يفكر في ذلك أصلاً ، وقبل ان يعلم بتحريم كثير من المحرمات التي لم يكن عرضة للوقوع فيها فلا يكون ناقصاً في دينه ولا مسؤولاً يوم القيامة عما جهله من ذلك ونحوه .

وبعد تفصيل في ذلك قال « وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم الواجب وقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين

« وما ذكره الصوفية من فهم خواطر الصدو (الشیطان) ولة الملك حق ايضاً ولكن في حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من ربيع المهلكات « ١ » ما يرى نفسه محتاجاً اليه . وكيف لا يجب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شبح مطاغ

(١) المهلكات هو الربع الثالث من كتاب الاحياء التي يذكر فيه الاخلاق

الذمومة وكيفية معالجتها ببد التلبس بها والاحتراس عنها قبله

وهو متبع واعجاب المرء بنفسه « ١ » ولا ينفك عنها بشر . وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والسجب « ٢ » وانحواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علامتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ؟ فأكبر ما ذكرناه في ربح المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني »



(١) وفي نسخة التارخ زيادة لفظ « الحديث » وهي إشارة إلى أن لهجة وهو بطوله كما رواه البزار في مسنده وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس « ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات أما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء في البردات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات . وأما الدرجات فاطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والملائية . وأما المهلكات فشح مطاع ، وهوى منبغ ، وإعجاب المرء بنفسه » ورواه بسياق المصنف غير واحد وله أسانيد كلها ضعيفة

(٢) العجب هو الإعجاب ولعله أراد الحسد أو نحوه فسبق قلبه أن لم يكن

تعريف وكلام عام (*)

﴿ في العربية والاستعراب * والتعريب والاعراب ﴾

لا الاخذ بالتعريب بضرما ولا
الاعراب ينفعها وانما تنفعها
وضررها على حسب همم رجالها

كلام يجر الى كلام ، وحديث يسوق الى حديث ، والثي بالشيء يذكر ،
والند مع الند يقرر

ان مبحث التعريب القوي خطب فيه الفضلاء هذه الايام قد تدرج بعضهم
الى ذكر العرب والاستعراب ، ثم مال بفكري الى غير ما ذكره من الابواب ، فاحسبت
ان اعرب الآن عن بعض ما جال بفكري مما يحوم حول هذا المبحث وهي
موضوعات متعددة احسبت ان اوجد الكلام فيها وآتي به مستمسكا ببعضه ببعض
فلعلك تعرف الكتاب من عنوانه ، وعساك تقف على ما يعجبك في شيء من يانه

قال بعض الظرفاء اذا كان وطن العرب شبه جزيرتهم فرأس ما لهم لا يزال
كما هو والربح من بعده كثير

ونحن نأخذ هذا الكلام على وجهه من الجذ صارفين النظر عن وجهه من
الظرف وتقول نعم اننا نجد في عرب اليوم عرب أمس وزيادة

نجد هذا في الفنة والاخلاق والعاد والحالة الاجتماعية والسياسية والجغرافية
ولعل القاري اذا جلى امام نظره ما يشهد لهذا يظن نفسه في رواية تمثيلية ، بيد
انها طبيعية لاصناعية ، وحقيقية لا خيالية ، مياديتها الفياقي والقدافد الواسمة ،
لادائرة صغيرة ضيقة ، وأبطالها الملايين الكثيرة لا نفر من الناس

(*) جاءتنا هذه المقالة من السيد عبد الحميد الزهراوي بمد طبع مقالة الاسكندري

وتلقتنا عليها

ولو نشر اليوم احد الجدود الاقدمين في اوربا مثلاً لا نكر فيها كل شيء ،
ولكن لو نشر احد الجدود الاوربيين في شبه جزيرة العرب لما انكر فيها شيئاً فان
كل ماترك من ماوى ومركب وسلاح وماعون وكساء وغذاء وقبائل وملاحم
ومغازي ومقارز وفدافد يمجده خلفاءه لم يحدثوا فيه حدثاً ولم يعمدوا فيه الى تغيير
يوجد الخيام من الاوبار والجلود ، ويوجد السيوف والرماح والمجان والهدروع
ويوجد الصافات والماديات ، والقلائص والروامل والزواجل والعشار واليصلات
ويوجد الصاع والقصاع ، والبرم والقذور والقذاح ، ويوجد القمصان والعائم والبرود ،
والخفاف ، ويوجد المصائد والحزائر والمهراش والبر والشمير والتمر والزبد والالبان ،
ويوجد بني صخر وبني حرب وبني عامر وبني وائل وبني بكر وبني طي ،
وبني فلان وفلان، ويوجد حروباً بين هذه القبائل قائمة، وبنيراناً مشتعلة، يتواعدون
الايام لمانزالاتهم، ويتربصون الفرص لهمازيتهم ، ويوجد يد الطبيعة لم تنزل موضوعه
على حالها في تلك الطلول والديار وهاتيك المنازل والمناهل لم تدن منها يد الصناعة
في شيء من الاشياء

كانت جزيرة العرب اقساماً وهي اليوم كما كانت : تهامة والحجاز واليمن
وحضرموت وظفار والبحرين ومجد وبادي الشام والعراق . كانت هذه البلاد
تختلف وهي الآن كذلك . فتهامة والحجاز لم يكن فيها حرث وزرع الا قليلاً
وكان اهلها اولى شغف في العيش غالباً ولا يزال القوم على هذه الحال . واهل
اليمن مع محافظتهم على جميع عادات العرب كان لهم حرث وزرع وهم اليوم هكذا .
واهل حضرموت وظفار والبحرين كانت لهم حظ بالتجارة والانصال بالهند
مع المحافظة على سنن العرب ولا يزالون اليوم على هذا المنوال . وكانت نجد
كالحجاز الا في زيادة المزارع وهي الآن كذلك . وكانت بادي الشام والعراق
ما بين قريب الى الممور وبعيد عنه وشأنهم مع اصحاب الممالك على حب القرب
والبعد وهي اليوم هكذا

وبالجملة كان اهل هذه الجزيرة رواد ماعيش وطلاب اداة وماعون وبتفصل
من أجل ذلك كل قسم منهم بالبلاد القريبة منهم وبتقبسون منهم شيئاً من

العادات والاعتقادات ويكون لهم شأن من الشؤون وفي الروابط السياسية والاجتماعية وهذا الحال عينه مشاهد اليوم فيهم بالتمام وزد عليه أنهم كانوا في أنفسهم شعباً واحداً في لغة واحدة، وبيئة واحدة، وعادات واصطلاحات تكاد تكون واحدة فالبيئة لم تتغير ولم يتطرق إليها انقسام جديد غير ما ذكر، والعادات والاصطلاحات لم تتغير ولم يطرأ إليها من الروابط الا ما كان بطراً مثلها من قبل . وكذلك اللغة لم تتغير . وكل من زعم تغيرها كلف زعمه مبنياً على الظن والتخمين وضعف علم بالماضي والحاضر

فنخرج الحروف في لغة هؤلاء لا تزال كما وصفها لنا الناقلون كبيره وغيره والمصادر التي نجد هامشاً عن العرب هي موجودة اليوم في لغة هؤلاء العرب الا ما أوجده بعض مدوني العلوم أخذاً من اللغة نفسها وجرياً على سنتها والاشتقاق من المصادر كله على حاله وجميع المشتقات تدور في لغة عرب اليوم على الوجه الصحيح واذا كنا نحن نتعلم بعض المشتقات تلمياً ويتكلم المتعلمون منا تصحيحاً تكلفاً فانها موجودة لديهم بالفطرة يتلقونها وهم أطفال وتصير المعرفة بها غريزية . قد سمنا ذلك من صغارهم مثل كبارهم على حد سواء ولا يحتاج الخائف الا الى تجربة بسيطة

والالفاظ التي تدل على الأمور المحسوسة موجودة منها في لغتهم كل ما هو في المعاجم الا ما حدث في عهد حضارتهم واتساع دولتهم وهذا المستثنى ليس دليلاً على تغيرها بل هو دليل على عدم تغيرها لأن بعض ما حدث في الحضارة لم يحدث لديهم فهم من هذه الجهة قد بقي لديهم رأس المال لم يتغير وما حدث في الحضارة هو زائد .

وقواعد التركيب وقوانين الترتيب من التقديم والتأخير والوصل والفصل والمصر ولاظهار والاضمار والافراد والجمع والأدوات وواقعها وتأثيرها باقية أيضاً كما هي

فاذا كانت الخارج محفوظة، والمصادر ظاهراً على حالها، والاشتقاق لم يفسد طرائقه، وأسماء الأجناس لم تتغير، وقواعد التركيب وقوانين الترتيب وصيغ

الإفراد والثنية والمجوع والضمائر كما هي فأبي تغير طراً على لغة القوم ؟
 نجد الحضري في مصر والشام مثلاً يقول النساء «راحوا» وهو خطأ لأن
 الواو ضمير الذكور ، وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول النساء رحن
 وهو الصواب كما نقل عن الأولين

ونجد الحضري في مصر يقول «فلان يضرب» بفتح الراء ، وفي الشام يقولون
 «يضرب» بضم الراء ، وكلاهما خطأ وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول
 «يضرب» بكسر الراء وهو الصواب كما نقل عن الأولين .

ولو أردنا ان نورد الشواهد لهذا لاحتجنا الى مجلدات فنحن نستقي من
 هذا بأن نحيل من لم يثق بقولنا على التجربة ومخالطة هؤلاء العرب ولو قليلاً
 وإنما يصح أن نعد من التغير تركهم حركات أو آخر الكلم . هذا اذا صح
 ان الأولين كانوا ينطقون بها دائماً وأما اذا صح ما يذهب اليه بعضهم من ان
 الحركات لم يكن الا ولون يستعملونها الا في لغة الشعر وحالات مخصوصة فلا
 يكون هؤلاء مبتدعين بتركهم سنة من سنن الأولين ويصح ان نعد من التغير
 اهلهم ضمير المتني وإهالمهم بعض الأدوات التي يقوم مقامها غيرها أو يمكن
 الاستغناء عنها فيما تركه أكثر القبائل من الأدوات «هل» استغناء عنها بجمرة
 الاستغناء أو بقرينة الاستغناء . ومما تركوه «قد» التي لتحقيق والتي لتقليل
 استغناء عنها بالقرائن . ومما تركه أكثرهم «لم» التي تدخل على المضارع
 فتحيل معنى الفعل المتني لماضي تركوها استغناء عنها بما التي تدخل على الماضي
 مباشرة فإن «ما ضرب» مثل «لم يضرب» بالتمام . ومما تركوه «لما» التي
 تفيد استعراو التني في الماضي الى الوقت الحاضر

هذا كل ما عرفته مما تركوه بعد امتاني زمناً طويلاً في مخاطباتهم وسماح
 شعريهم ورأيهم أيضاً لا يستعملون التوين الا لتكثير ولا يحدفون النون لتأصب أو جازم
 وبديهي ان هذا التغير ليس من التغير المفسد ثم انه قلته غير جدير ان يعد
 فاما إهال الحركات فهو جائز عند أهل الإعراب في حالة الوقف وماذا على القوم
 اذا أجروا الكلمات كلها مجرى الكلمات الموقوفة عليها واذا ضمت الي هذا

المنزوع ما تعرفه من اختلاف لغات الأولين في حالة الاعراب كما نقله الينا
التقولون لم يصعب عليك ان تمد اهمال الحركات لغة من اللغات هي خير من
بعض تلك اللغات التي تفسد كل ما نقلوه من قواعد الاعراب فقد نقلوا لنا ان
بعض العرب كانوا يرفعون المفعول وينصبون الفاعل وليس شيء فوق هذا مما
يحقق كل ما يرجوه من فوائد الاعراب . ومن أحاط علماً بكل ما نقل في هذا
الباب أو أكثره لا يجد قاعدة مما بنوه الا وهي منقوضة بشيء آخر قد سموه من
شواذ اللغات فأني ضرر يحدث من هذه اللغة التي نهمل فيها الحركات ويسد
فيها باب الاعراب ألم تروا ان هؤلاء القوم يتفاهمون والحالة هذه تمام التفاهم ؟
ولقد تقصيت كثيراً من الدواوين المنسوبة الى شعراء الجاهلية والمخضرمين
فألقيت فيها كثيراً مما قد خالفوا فيه قواعد الاعراب مخالفة ظاهرة واضحة لا تختمل
التأويل وإنما قلت انها ظاهرة لانها واقعة في القوافي وسأفرد لهذا الموضوع
مبحثاً مستقلاً بيد أنني اتي هنا بأمثلة تؤيد ما قلته . قال جرير :

« حلت امرأ عظيمًا فاصطبرت له وقت فيه بأمر الله يا عمرا »

والقاعدة تقتضي ان يقول يا عمر بضم الراء . وقال :

« فالشمس كاسفة ليست بطالمة تبكي عليك نجوم الليل والقمر »

ولا وجه لنصب القمر . وما تكلفوه من التأويل في الاعراب غير مرغبي
لهي الاذواق التي سلمت من التحمل . وقال من قصيدة قافيتها نون مكسورة
من بحر الوافر :

« عرفنا جعفرًا وبنى عبيد وانكرنا زعانف آخرين »

بكسر النون والقاعدة تقتضي فتحها وليس كسرهما لانه لقومه فيما روي . وبعد

هذا البيت :

« أوعدني وراء بني رياح كذبت لتقدمن يدك دوني »

وقال من قصيدة قافيتها باء مفتوحة من بحر الوافر :

« ألم تراز زيد مناة قرم قراسية نذل به الصابا »

والقاعدة تقتضي رفع الصواب بعد قوله نذلّ بالتاء . واذا خالفنا الموجود في النسخ المطبوعة والخطية وقرأناها « نذلّ » بنون المتكلمين قد يستقيم المعنى ولا يتأذى الاعراب فحسب ان تكون صحة الرواية على هذا الوجه . وقال من قصيدة قافيتها مكمسورة من الوافر :

« لقد نادى اميرك بانكار ولم يلوا عليك ولم تزار »

والقاعدة تقتضي بأن تكون الكلمة التي بعد لم الثانية « تزار » لا تزار

وانا لا اقصد بهذا احداث مذهب جديد هو اهل الاعراب بل اقصد تأييد ان اللغة العربية التي كانت قبل ثلاثة عشر قرناً او اربعة عشر قرناً او اكثر هي باقية اليوم في وطنها كما هي لم يطرأ عليها تغير ولا سجا عند أهل الخيام العريين بها واقصد ايضاً ان اذ كر الناس بان اهل الاعراب لا يضر هذه اللغة كما لم يضر كل اللغات الخالية منه

واما اهمالم ضمير المتى فلا أدري له سبباً يد أني لا أراه كبيراً من الامس بل هو يخفف الكلفة فيما لا حاجة اليه . أقول لا حاجة اليه لان الضمير لا يذ كر الا من بعد معرفة الاسم الظاهر اما يذ كر لفظه أو بسبق وجوده في ذهن المخاطب فمتى كان الظاهر ممرقاً انه متى لم يبق لاجل الافادة حاجة الى تثنية الضمير ولم يكن من باس ان يدخل في حكم ضمير الجمع لأن الجمع يصدق على ما فوق الواحد فمتى قلت الرجلان لم يضر ك من حيث المتى ان تقول جاوا كما تقول ذلك في الرجال ومثل هذا اذا قلت الفارس والراجل تقابلوا بدل تقابلوا او اذا قلت الفارسان غلبوا بدل غلبوا . ولهذا شواهد وأمثلة من اللغة الفصيحة نفسها وكذلك لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد في العربية ولكنني أقصد بيان ان هذا ليس من التفسير المفسد بل هو استثناء عما لا حاجة اليه ومثل هذا يقال في اهمالم بعض الادوات تخففاً منها او استثناءً يغيرها عنها ولا يعزب عن الذي تتبع القول ان كثيراً من القبائل عندها ما ليس عند غيرها ولا يمد ترك الآخريين كلها ضميراً للغة

أثبتنا بما قدمنا ان رأس المال باق على حاله والآن نذكر القارى بتلك الحركة العربية التي ازدان التاريخ بأخبار همم رجالها فقد نقلت هذه الحركة رأس المال الى ديار كثيرة واسعة فربا فيها وزادت الديار العربية والمتكلمون باللغة العربية وصارت هذه اللغة لغة علم ودين وسياسة فدونت بها الدواوين التي لا تحصى في كل فن من فنون المعارف

وامانا الآن من هذا الربح حواضر عظيمة في آسيا وافريقيا ففي آسيا ديار العراق استعربت بعد ان كانت فارسية وحواضر الشام استعربت بعد ان كانت سر يانية وعبرانية ورومية وفي افريقيا مصر استعربت بعد ان كانت قبطية وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش استعربت بعد ان كانت بربرية ونسبي مجموع هؤلاء مستعربي الاقطار

صارت هذه البلاد التي عددنا عربية ولكن ليست عربيتها كذلك العربية الأولى يدان هذا النقص لا يضيرها ولا يخرج بها عن كونها عربية ولا يعلم أهلها سهولة اصلاحها ما دام لهم مرجع من الكتب المنقولة التي تصف العربية الصحيحة او من العرب الاحياء الذين هم وارثونك العربية .

اقول ان هؤلاء العرب الاحياء مرجع للمستعربين اذا شاءوا اصلاح لغتهم لان حكمهم على ما اوضحنا كحكم آباءهم الاولين ولن يمكنك ان تحيط خبراً بمخارج الحروف مما يصفه لك كتاب سيويه مثلا كما تحيط بها خبرا اذا سمعتها من عربي من هؤلاء العرب الذين وصفناهم لك ولن نستطيع ان نأخذ من الكتب اللهجة العربية التي عليها الممول فانك تجد اليوم للطرابلسي لهجة وتونسي لهجة ولعراقي والشامي والمصري ولا تجد واحدة منها صحيحة حتى اذا سمعت لهجة البدوي او الحجازي مثلا رأيت جمالا في اللهجة تعرفه الاذن ولا يستطيع ان يصنفه لك أحد فاذا سمعت من هذا وذاك من اهل الحواضر ثم سمعت من ذلك العربي ميزت وحكمت بالفرق وآمنت ان وجود العرب في وطنهم امان من ضياع العربية وأحب هنا ان اتيه على امر ربما استدركه على بعض المطالعين وهو ان العرب الغائبين بقايا فراري في الحواضر وأنه ينبغي ان لا يسلب هؤلاء صفة العربية

ماداموا حافظين سلسلة انسابهم فجواري ان يقول هذا القول اننا الآن في صدد اللسان واللفظة لاني صدد علم النسب ولا يخفى على اليب ان البلاد التي استعربت لم يكن كل اهلها من سلالة اولئك العرب بل هم خليط اكثوم من اهل تلك البلاد الاقدمين قد غلبت العربية على لغتهم فاستعربوا من غير ان يتقنوا النطق بالعربية كالعرب وضاع ابن العربي في هذا المجموع من جهة اللسان اذا كان لم يضع نسبه . ثم حفظ العلماء لكل مخارج العرب وصورة أدائهم الكلمات وأساليب البيان

والخلاصة ان عربية المستعربين طرأ عليها فساد ولكن لها حوافظ وان ذلك شأنها قبل اثني عشر قرناً وهذا شأنها اليوم وقد كان حفظها ينشطون حيناً وينون حيناً

ولعل المطالع يحب ان يعرف كيف نشاط المستعربين اليوم المنتشرين في افريقيا الشمالية ثم سواحل البحر الاحمر وما وراءه شمالاً الى شواطئ الفرات وغرباً الى شواطئ البحر المتوسط فنقول له ان ابر الديار اليوم باللفظة العربية هي مصر صأها الله وبارك عليها وعلى اهلها وقبل أن نوضح له برها باللفظة العربية نمر به صرة على جميع مساكن هذه اللفظة حتى يكون له نصيب من كل ما يحوم حوم مادة «عرب» كما سبقت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام

من انهدر من جزيرة العرب الى نجد ومنها الى العراق يجد ثلاث حواضر تبها بلاد كثيرة البصرة وبنداد والموصل قاهر ولاية البصرة كلهم يتكلمون بالعربية واهل ولاية بنداد اكثرهم يتكلمون بها واهل ولاية الموصل اكثرهم اكراد بيد ان حاضرة هذه الولاية عربية وفي عربية العراق في الجملة كثير من النخيل ولاسيما في ولاية الموصل . والعربية في العراق واقنة على ما تركها أهل القرون الماضية من العامية لحرمانهم من الصحافة العربية ولولا العلماء والمنطلون لاضربها هذا الوقوف ومن سار من ولاية الموصل الى الغرب بلقي في طريقه من الديار العربية ولاية حلب وحلب محسوبة من الشام ولكن ولاية حلب شأنها في هذا الباب عجب فان فيها كثيراً من القرى التركية الى جانب القرى العربية وكل من اهل

هذه وتلك محافظون على لسأهم ولم أكثرهم بلسان جيرانهم فاما أهل حنب نفسها
فعرينهم كعربية البلاد الشامية ومن اعمال هذه الولاية بلدة تحيط بها التركية
والكردية من كل جانب واهلها لا يتكلمون الا بالعربية وهي لدة « ماردن »
التي كان فيها الملك بنو أرتق وأغرب من هذه بلدة أخرى في ولاية بتليس
اسمها « سعرد » فان أهل ماردن قرييون من الديار الخلية التي تغلب فيها
العربية واما « سعرد » فهي منقطعة عن الديار العربية أيما انقطاع ، ومتوغلة
ضمن الديار الكردية والأرمنية أيما توغل ، وهي مع هذا محافظة على اللغة العربية
ولعل كثيراً من عوامها لا يعرفون سواها ولكن عريية « سعرد » هذه نط
مستقل فأنهم نسوا بعض المآرج كما نسوا قليلا من مفردات الاسماء واستبدلوا
بها من لغات جيرانهم ومع ذلك فيها كل مميزات اللغة من الاشفاق وأصاليب
التركيب وبالجملة هي عريية من كل وجه الا انها رديئة كلفات البرابرة المستعربين
في المغرب .

ومن سار من ولاية حلب الى الجنوب باقي ديارا معمورة عريية محضة تنجزاً
الى أربع ولايات ولاية سورية (دمشق) ومنصرفية لبنان وولاية بيروت
ومنصرفية القدس ولا أعرف بلاداً تختلف لهجة أهلها بمقدار ما تختلف لهجة أهل
هذه البلاد ولكن الدخيل في لفهم قليل كما هو الشأن في مصر ولم يبق في الشام
من يتكلمون بلغة قديمة الا قرية أو قريتين يتكلمون بالسر يانية فيما بينهم
على ما بلغنا ومثل هذه المحافظة على لغة ما أكثر من ألف عام في محيط كله أجنبي
عن هذه اللغة من غريب الأمور

والعربية في الديار الشامية أمثل منها في العراق كله لأنها غير واقفة هنا على
عاميتها الأولى كما هو الأمر هناك بل هي سائرة مع الارتقاء الذي أحدثته الصحافة
في اللغة في مصر وسورية ومن عرف العامية في البلاد الشامية قبل ثلاثين سنة
وعرفها اليوم يشعر بالفرق العظيم الذي أشرنا اليه

فإذا جاوزنا البر الاسيوي الى المدوة الأفريقية وهبطنا فيها مصر نجد أمامنا

العربية كما تركناها خلفنا فإذا سرنا من مصر الى الجنوب وجدناها في السودان المصري وإذا سرنا منها الى الغرب ألفيناها في طرابلس قونس فالجزائر فالمغرب الأقصى

ومن غرائب المصادقات اننا كما نجد مصر واقعة في ملتي جغرافي بين عرب المشرق وعرب المغرب نجد عربيتها أيضاً في ملتي حيوي بين العربية المشرقية والمغربية فعربية مصر أقرب الى العربية الصحيحة من سائر عريات الاقطار المستعربة وما قرب منها أو بعد من المشرق أو المغرب كان قربه الى الصحة على نسبة قربه من هذا الملتقى فلهذا الشام وان خالفت لغة مصر هي مثلها أو قريب منها في القرب من اللغة الصحيحة . ولغة العراق ليست كذلك . ولغة طرابلس وقونس قريبة من لغة مصر وليست كذلك لغة الجزائر والمغرب الأقصى

وتماز مصر على سائر الديار العربية بأمر أجملها كثرة العدد فليس هناك قطر عربي يقارب عدد أهله عدد أهل هذا القطر فالديار الشامية وهي جارة هذه الديار لا يتجاوز أهلها أربعة ملايين نسمة مع انها تمتد من حدود شبه جزيرة سيناء الى جزيرة ابن عمر جنوباً وشمالاً ومن شواطئ البحر المتوسط الى صحراء العرب على هذا الامتداد شرقاً وغرباً وهي مسافة ليست بقليلة ولكن هناك أسباباً كثيرة جعلت سكانها قليلاً ومثل ذلك العراق باتساع المسافة ولا يبلغ أهله أربعة ملايين وجزيرة العرب على اتساعها أكثرها فدادن وليس لأهلها من احصاء رسمي لان البداوة هي الغالبة على أكثر بقاعها لكن المشهور أن أهلها كلهم الحجازيين واليمنيين والنجديين لا يتجاوزون ثمانية ملايين وفي أفريقيا أقاليم عربية لا يبلغ أقليم منها في العدد مبلغ مصر فالمغرب الأقصى أكبرها لا يحزرونه الا بثمانية ملايين فأين هذا من اثني عشر مليوناً في مصر

وما تماز به مصر حرية الطباعة والتأليف ونشر الافكار وسهولة الاجتماع وتيسر التعاون فإذا ضمنت الي هذه المزايا فوز لغتها بالمدح من العربية الصحيحة أكثر من سائر لغات الاقطار المستعربة تبين لك أن مصر جدية ان تكون اليوم عاصمة اللغة العربية وأنها اجدر البلاد بأن تكون محط هذه الرحال ، ومناطق هؤلاء

الرجال ، فأزهرها الممور بعلم لنا الالوف من الشبان قواعد اللغة وحوافظها من الضياع ، ومطابعتها الوافرة تهدي الينا أنفس ذخائر الاوابين ، واعلاق النقة والحفظة من التزام الكتابين . وعلماؤها الافاضل لا يفتنون باوقاتهم الثمينة بل يبدلونهم في العناية بها من كل وجه يقتضي العناية

ولقد تمهد رجال من افاضل دار العلوم ان يخصصوا اللغة العربية بعناية زائدة وأهدونا باكورة مباحثهم وهو مبحث التعريب (جوازه اليوم أو عدهم) قال فينا عمرات شبيهة من نتاج هاتيك الافكار الراقية الراقية

وعندي ان جواز التعريب اليوم وغداً تجوازه اسلفنا أمس بديهي يدان الذين لم يروه بديها اذ مالوا الى عدم تجويزه هم نضلاً كلمة كبار العقول غزيرو المادة فلذلك اوجبت على نفسي ان ابحت عن سر خوفهم على اللغة الذي دعاهم للحذر والتحذير من التعريب وبعد الامعان الطويل وجدت سر ذلك هو شدة الحب للغة

قلت شدة الحب ولم اقل الحب لان الحب موجود عند جمهور أبناء اللغة واما شدة الحب فلا توجد الا عند بعض الافراد من ابناؤها وشدة الحب تورث سوء الظن والفاق احياناً بما لا يوجب مثله الفاق ومن اقرب الأمثلة التي شاهدتها في هذا الباب اني رأيت على شاطيء النيل رجلاً وزوجته ومعها اولاد ورأيت الاب نزل بأحد الاولاد الى حانة الماء ليستقيه من غير ان تراه الأم ولم يكن من خطر قط في المحل الذي نزل منه فلما صعد به حدثها بنزولها فأرأيتها قد اصفر وجهها كماها تتوقع نزول مكروه ثم لامته لوماً شديداً . هذا وهي ترى انها قد خرجا سالمين وتعلم ان الاب ليس اقل منها حقراً من سوء يصيب الولد ولكن شدة الحب قرين معها سوء الظن بالعواقب وان كانت سليمة

على هذا المثال نفهم سر حذر اولئك الافاضل من التعريب اي ادخال كلمات في اللغة ليست منها فأنهم على معرفتهم بان مثل ذلك وقع في هذه اللغة نفسها فلم يضرها يحذرون ان يضرها اذا وقع بعد الآن اي لا احب ان افهم في هذا المبحث على طريقة الجدل والمناظرة فان

يجوز التعريب في غي عنه ومافعه قد ذكرنا عنده في خوف منه وسواء أرغبنا عن التعريب ام رغبنا فيه ماعنه في الحقيقة من محبص . ولكنني قد يدت على غير طريقة الجدل وللمناظرة لانم التعريب أنه لاخوف من دخول كلمات اجنبية هي قليلة مما كثر على لغة حية يتكلم بها نحو خمسين ما يونا متجاورين في المساكن لا يفصل بينهم من الماء الاترعة السويس . ومنهم نحو ثمانية ملايين هم اهلبا المريقون القاثون في وطنهم الاصلى وهي لغة علوم وتاريخ ودين وقد كتب فيها من الصغف الملايين .

لاخوف على لغة خضع اهلبا لحكم الديلم وانترك قرونا منطوقة من بعد ما خضعوا لحكم اهلبا مثل ذلك فلم يدخل فيها من لغاتهم الا نزر لا يعد قد ضاع وقتي فيها وهضم في احشائها

انما يخاف على اللغة اذا خلت من مزاياما الضوية ، اذا خوت من العلم ، اذا خلت من الاهل ، اذا فقدت كل كتبها ، اذا حرمت في المجتمعات كلها كل حظ من حظوظ اللغات الاخرى

لو خيف على لغة من دخول العرب فيها لكانت تركية الدولة العثمانية احق اللغات ان يخاف عليها لان نصف كلها دخيل من العربي وربها دخيل من الفارسي والربح الراج تركي واكثره ادوات ومشتقات ولكن لاخوف على لغة ما من مثل هذا اذا ملت اساليب التركيب وضاع اصل الدخيل فيها عند الكائين والمنكبين حتى صار كانه من اصل اللغة . واذا لم يخش على لغة هذا مقدار الدخيل فيها بالنسبة للاصل بل لا يكاد يوجد الا اذا ترجمت اليها علوم اولئك القوم اصحاب اللغات الاخرى . واي ضمير على من يريد تعلم علم اذا سمع فيه كلمات غريبة لم يألها اليوم وسياؤها غداً ليست اصطلاحات علم النحو والصرف غريبة عند من لم يعرفها مع انها عربية

قد قلت اني لا احب ان افرض في هذا المبحث لهذا اكتفيت بما قدمت والخلاصة انه لا يضر العربية التعريب ولا ينفها الاعراب وانما نفها

وضرورها على حسب همم رجالها فمرحوا بوقف الزمان همهم من سياتها

باب المراسلة والمناظرة

﴿ رأي الشيخ احمد الزوني في الاصلاح ورجاله ﴾

كتب اليانا في ١١ ذي الحجة) ما ياتي من الشبهة أحمد موسى الزوني امام المسجد الكبير في كلكتة الذي كان طعن فينا برسالة نشرت في جريدة الاواء ثم كتب اليانا ذلك الانتقاد والتعريض الذي نشرناه في الجزء الثالث (ص ٢٣٦) على ما فيه من دلائل سوء الظن بنا . وبمدان قرأ كثيرا من اجزاء المنار وكتاب محاورات المصلح والمقلد وكتاب شبهات النصارى وحجج الاسلام وجمع مما كان يظن فدل ذلك على اخلاصه وحسن نيته في ذمنا من قبل ومدحنا من بعد غفر الله له وأحسن متوبته قال :

سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا فضيلتو اقدم

اقدم لسيادتكم تحية طيبة مباركة وارجوكم نشر ما ياتي ولكم الفضل

بما ان الانسان بطبيعته مجبول على حب وطنه وان بدت الدبار وشظ المزار ولا يخفى أن ما ينشأ عن تلك المحبة الطبيعية من السعي وراء مصلحة الوطن يكون بحسب المحبة قوة وضعفاً وقد مكثت محبتي للوطن زمناً طويلاً كامنة في الفؤاد لا يظهر على أدنى أثر من آثارها وبعبارة اوضح ضعيفة جداً واذا بحثنا عن سبب ضعفها لم نجد شيئاً سوى اليأس من المصلحة والاصلاح مع الففلة عن النهضة الاسلامية والحركة الوطنية التي قام بها أخيراً الامامان الحكيمان الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ المفتي الشيخ محمد عبده قدس الله أرواحهما وحشرنا في زهوتهما وجزأهما عن الاسلام والمسلمين خيراً فلقد بثنا في الأمة روح الحياة والشعور والغيرة وأيقظاها من الففلة فهما أساس النهضة وكل من جاء بعدهما لا يخرج عن كونه متمماً لهما فهما بلقت ديجته في الاصلاح ولا أخذ بيد اتنا هذين وزد على هذا وداءك أني كنت اهد الناس عن مطالعة الجرائد واشدم كراهة لمن يطالها لزعمي

إنها خالية عن النعم أو تشتمل على بعض منافع لا تقابل ما فيها من الضر وقد علمت عوائد الأزهر بين الذين مكثت بين ظهرانيهم نضع سنين في الأيام التي كانوا لا يسمعون فيها باسم الإصلاح فهذا كله كان سبباً في اتصاري على محبة الوطن الطبيعية فقط وعدم ابداء شيء مما يلزمها ولكن مع هذا الجود كنت أميل بطبيعتي أيضاً إلى كل من أسمع عنه بأنه مجتهد في خدمة الوطن إلى أن سمعت أخيراً في العام الذي توفي فيه إمام النهضة المصرية بل الإسلامية الأستاذ الحكيم المفتي بأن رجلاً من الصحفيين وقف نفسه وماله على السعي وراء مصلحة الوطن والعمل على استتلاله وتخلصه من رق العبودية قما مبلي نحو ذلك الواقف إلى أن صار محبة والمحبة حملتي على الأقبال على مطالعة الجرائد والأشراك في جملة منها فعلمت أنني كنت في ضلال مبين لما في الصحف الحرة الخالية عن الأغراض الذاتية من الفوائد التي أقلها الوقوف على أحوال الهيئة الاجتماعية ومعرفة آراء الرجال وغير ذلك ولكن للأسف وجدة سعادة الواقف المفضل يعتقد في نفسه والعباد بالله الكمال المطلق يريد أن يسبح الخلق بحمده ويخضع الوجود لهظمته وإن لا يشل عما يفعل وقد علمنا أن النصف بذلك الكمال المطلق فهدناه وخفضنا لأوامرنا استطننا..... الخ

وأسفاه كنا نظن أن حضرة الأستاذ المخلص في عمله المهتم بصالح أمته السيد محمد رشيد رضا على عكس ما كنا نعتقد في بطل وطنيتنا دولة الواقف ولكن لما بلونا الرجل وجدنا المسئلة ممكوسة على خط مستقيم وجدناه حكيماً يضع الأشياء في مواضعها لا تأخذه في نصرة الحق لومة لائم مع الروية والتعقل وجدناه ماهراً بتشخيص الداء ووصف الدواء، وجدناه حليماً ذا أناة لا يعجل بالمقوبة على من ظلمه بل يعالج الظالم المعتدي بمعالجة خبير بكل ما لديه من الوسائل حتى يرجعه عن ظلمه واعتدائه وحينئذ يرشده إلى ما في صلاحه في الدنيا والآخرة، وجدناه فيلسوفاً في معرفة طرق الإصلاح وما يصاح للوقت وأهله وبالجملة لو لم يكن له إلا كتاباً شبهات النصارى وحجج الإسلام ومحاورات المصلح والمثقف لكفاه شرفاً وفضلاً فهو والحق يقال الذي يصح إطلاق الحكيم عليه الآن وقد

أصبح فضيلته بعد اطلاعي على كتابه المذكورين أحب الناس إليّ ولقد اعجب
بهما كذلك حضرة السري الوجه العلامة المورخ الأديب محمد بك العمري
صاحب معمل السكاير المشهور بعاصمة الهند كالكنة وقال لي مراراً إنني لولا عدم
سبق معرفة يني وبين الأستاذ لم يسعني إلا إرسال تشكراتي للأستاذ مما نافع به عن
الدين ورد كيد أعدائه في محورهم « هذا واقسم عليكم بشرف الحق وفضيلة العلم
وعز الصدق لا ما نشرتم هذا تحت مسئوليتنا والله الموفق احمد موسى

« النار » قد نشرنا رسالته وبررنا قسمة الا اتنا حذفنا منها تلك السطور
التي يبين فيها اعتقاده الأخير في ذلك الصحافي فسي ان يندرتنا في ذلك ونسأل
الله الذي لم يحقق سوء ظنه فينا من قبل أن يجعلنا أهلاً لحسن ظنه من بعد من
غير غرور ولا فتنة

وكتب البنا كتاباً آخر في ١٨ ذي الحجة قال فيه :

حضرة الأستاذ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام و بعد فاني لا استطيع ان أعبر
عما حصل من السرور بوصول كتب الاسلام والنصرانية وشبهات النصارى و حجج
الاسلام وتاريخ الاستاذ الامام المفتي عليه رضوان الله ولعمري الحق اقد صغر في عيني
مالدي من الكتب القديمة التي لا ينبغي على فضيلتكم ما فيها من الحجب المانعة
من العلم النافع فوا استغفاه قد ضاع العمر سدى غير اني احمد الله الذي منّ عليّ
بإرشاد حكيم الاسلام واكبر خلفائه تالله انك سيدي معذور فيما تبديه من الآراء
المفيدة المناقضة لما عليه الناس من الجور والنفس الخبيثة تكره من يحاول ردها
عن ما اعتادت عليه ولو كانت عاداتها عبادة الاوثان نموذ بالله من الخذلان
والتماذي في النبي أقول قولتي هذا وما أبرئ نفسي فاني والحق يقال كنت كثيراً
ما أتهمكم بسوء القصد أما الآن فانا لله الحمد أول موافق على ترك التقليد والجور على
المخالفات التي ما انزل الله بها من سلطان والفضل في ذلك لسيادتكم ومطالعة
كلام الامام الحكيم باعان وانصاف وقتنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه

أشكر على البرية

(قاموس الامكنة والبقاع)

كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري من أجل مختصرات التاريخ القديمة لا، أننا وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية منذ سنين . وبعد طبعه عادت الى علي بهجت بك وكيل دار الآثار العربية بأن يضع ممجماً لما ورد فيه من أسماء الامكنة والبقاع لسعة علمه بالتاريخ القديم والحديث فقام بذلك وطبعته الشركة ما كتبه فكانت صفحاته اكثر من مئتي صفحة وليست فائدة هذا الكتاب خاصة بمن يقتني كتاب فتوح البلدان ولا هو مما يستغني عنه بالطولات التي استمد منها كمعجم ياقوت فان فيه فائدة لأهل هذا العصر لا تؤخذ من غيره وهي بيان حال تلك البلاد والبقاع الآن بحسب ما وصل اليه اجتهاد المؤلف فمنها ما خرب وعفا ومنها ما بقي وزاد عمراناه أو نقص فشكر للمؤلف وللشركة هذا العمل النافع

(رسالة النفران)

لفيلسوف العربي الشهير ابي العلاء المصري رسالة كتبها الى الشيخ علي ابن منصور الحلبي المعروف بابن القارح جواباً عن رسالة بث بها اليه . والرسالة تروي لقارئ قصة خيالية طاف روايتها في العالم الآخر ودخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم فوصفه أحسن وصف وثان فيها الشعراء والأدباء وشرح ما دار بينهم من المحاورات والماتات . وأسلوب الرسالة هو أسلوب الأمازيغ الأديبة التي كان علماء الفنون العربية يملونها على الطلاب في القرون الأولى وفيها من فرائد اللغة وغرائب الشعون ما طر بشهرتها في عالم الأدب فكانت طلبة الأدباء ورغبة البلغاء وقد طبعها امين افندي هندية طبعاً متقناً مضبوطاً بالشكل بعد ان صحح

أصلها معارضة على نسخة صحيحة ووقف على طبع أكثر من نصفها الشيخ ابراهيم اليازجي وخلفه بعد وفاته في تصحيح باقيها احد علماء الأزهر . فنحت الأداة على مطالعتها وهي تطلب من مكتبة هندية وثمنها عشرة قروش

(كتاب الاضداد في اللغة)

لما عني الأولون بنقل اللغة العربية وضبطها ووضع الفنون لها أكثروا من التصانيف في فروع كثيرة من فروعها كالترادف والمشارك والأضداد وغير ذلك ومن الكتب النافعة في الأضداد كتاب محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي ومن مزاياه أنه تتبع قطرب فيما ذكره من الأضداد وبين غلظه في بعضها وقد اجاب في أوله من عاب التضاد في اللغة فقال

« هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ويظن أهل البدع والتزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وثمره الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبهي عن المعنى الذي نحت ودال عليه وموضع تأويله فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف الخطاب أيهما اراد المخاطب وبطل بذلك تطبيق الاسم على المعنى : فأبصروا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة أحدهن ان كلام العرب يصح بضمه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على أحد المعنيين دون الآخر والابراء بها في حال التكلم والاختيار الا معنى واحد . فمن ذلك قول الشاعر

كل شيء ما خلا الموت جليل واقفي يسعي ويليه الامل

فدل ما تقدم قبل « جليل » وتأخر بعده على ان معناه « كل شيء ما خلا الموت يسير » ولا يتوهم ذوق عقل وتميز ان الجليل هنا معناه « عظيم » وقال الآخر

ياخول ياخول لا يطرح بك الامل فقد يكذب ظن الامل الاجل
ياخول كيف يذوق الخفض مصروف بالموت والموت فيما بعده جليل

فدل ماضى من الكلام على ان جلا معناه يسير . وقال آخر
فلئن عفوت لأ عفون جلا ولئن سطوت لأ وهن عظمي
قومي م قتلوا أميم اخي فاذا رميت بصيبي سهي
فدل الكلام على انه أراد فلئن عفوت عفوا عظيما لأن الانسان لا يفخر
بصفحة عن ذنب حقير يسير . فلما كان اللبس في هذين زائلا عن جميع السامعين
لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفين الانظمين . وقال الله
عز وجل وهو اصدق قيل « الذين يظنون انهم ملاقوا الله » أراد الذين يتيقنون
ذلك فلم يذهب وهم ء قل الى ان الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه .
وقال في موضع آخر « اني لاذنك يافرعون مسعورا » وقال تعالى حاكيا عن
يونس « وذا النون اذ ذهب مضاضا فظن ان لن نقدر عليه » أراد رجا ذلك
وطمع فيه ولا يقول مسلم ان يونس يتيقن ان الله لا يقدر عليه اه
(المنار) يحكم قارىء هذه العبارة ان الكتاب مفيد بأسلوبه البليغ كأنه
مفيد بمباحثه . واكبر فائدته عندي أنه بجمله هذه الحروف (أي الكلمات)
التي قيل انها متضادة الماني قد سهل للمدقق سبيل الحكم في هذا النوع من
اللغة بغير ما حكم به جمهور من سبقه فان استعمال الكلمة في معنيين متضادين
خلاف المعقول ويلوح لي ان اكثر ما عدوه من الاضداد يمكن تفسيره بما لا تضاد
فيه وان القليل الذي يظنر او يتعسر فهمه من غير تضاد في معانيه لا بدان يكون مما
استعملته قبيلة في معنى وقبيلة أخرى في ضد ذلك المعنى أو مما وقع فيه الخطأ في الاستعمال
من العرب أنفسها فان خطأها في الماني مما لا ينكر .
وإذا كان العربي القح بخطي في الماني فالمولد أجدر بذلك . ومن خطأ نقله
الامة والمفسرين ما قوله بعضهم في تفسير الظن في الآيات التي تلوت فيما نقلناه عن
هذا الكتاب فقوله تعالى « ٢٤٩: ٢ قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله » ليس مسوقا
لمدحهم على ظنهم حتى يقال انه يمنع مدحهم بالظن . وما حكاه عن ظن فرعون
لا يظهر فيه ارادة اليقين وقوله عز وجل في يونس « ٨٧: ٢١ فظن ان لن نقدر عليه »
يظهر فيه معنى الظن جليا « وقدر » هنا بمعنى تضيق على حد « ٥٢ : ٣٩ » يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدره فما المانع من ان يظن يونس ان الله تعالى لا يضيق عليه؟
والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية للشيخ محمد سعيد الرافي ومعه ٧ قروش

﴿ أنجيل برنابا ﴾

قد تم طبع الأنجيل في مطبعة المنار وقد قلنا منه نموذجات لأقراء من قبل ونذكر
هنا منه بعض ما ذكره في مسألة محاولة اليهود قتل سيدنا عيسى وأنجاه الله إياه وإلقاء
شبهه على يهودا الامخريوطي وذلك موافق لما يعتقد المسلمون في الجملة قال

الفصل الخامس عشر بعد المئتين

١ ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع
يسوع دنوهم فغير ٢ فلذلك انسحب الى البيت خائفاً ٣ وكان الاحد
عشر نياماً ٤ فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل
وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم
٥ فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على
الجنوب ٦ فخلوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح
الله الى الابد

الفصل السادس عشر بعد المئتين

١ ودخل يهوذا بمنف الى الغرفة التي أصدع منها يسوع ٢ وكان
التلاميذ كلهم نياماً ٣ فأتى الله العجيب بأمر عجيب ٤ فغير يهوذا في النطق
وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى اننا اعتقدنا انه يسوع ٥ اما هو فبعد
ان أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ٦ لذلك تعجبنا وأجبنا: « انت
باسيد هو مطمنا ٧ أنسبتنا الآن؟ »

٩ اما هو قال متبسما : « هل اثم اغيائه حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي » ٩ وينا كان يقول هذا دخلت الجنود والقوا ايديهم على يهوذا لانه كان شبيها يسوع من كل وجه
 ١٠ اما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين
 ١١ وروحنا الذي كان ملتنا بملحفة من الكتان استيقظ وهرب ١٢
 ولما اسكه جندي بملحفة الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عرياناً (١)
 ١٣ لان الله سمع دعاء يسوع وخلص الاحد عشر من الشر (٢)

الفصل السابع عشر بعد المتين

١ فأخذ الجنود يهوذا واوثقوه (٢) ساخرين منه ٢ لانه انكر وهو صادق انه هو يسوع ٣ قال الجنود مستهزئين به : « يا سيدي لا تخف لاننا قد آتينا لنجلك ملكا على اسرائيل ، وانما اوثقناك لاننا نعلم انك ترفض الملكة » ٥ اجاب يهوذا : « لعلكم جثتم ، انكم اتيتم بسلح ومصايح لتأخذوا يسوع الناصري كانه لص اقوتقوني انا الذي ارشدتكم لتجملوني ملكا »

(ثم قال في أواخر الفصل)

٧٧ وحكموا بالصلب على لصين معه ٧٨ فقادوه الى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شق الجرمين وهناك صلبوه عربانا مبالغة في تحقيره

(١) ص ١٤ : ٥١ (٢) يو ١٨ : ٩ (٣) يو ٨ : ١٣ و ١٩ : ٤

٧٩ ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ: « يا الله لماذا تركتني »^(١)
فإن المجرم قد نجحاً أما أنا فأموت ظلماً
٨٠ الحق أقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه
يسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه هو يسوع ٨١ لذلك
خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا وانه انما
فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ٨٢ لان يسوع قال انه لا يموت
الى وشك انقضاء العالم ٨٣ لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم اجمع المراد منه
وثن النسخة ذات الورق المتوسط من هذا الانجيل ١٥ قرشا وذات
الورق الجيد ٢٠ قرشا واجرة البريد قرشان. وله مقدمة ثمنها عشرة قروش

المصحف الشريف

قد اشتهرت طبعة مطبعة ترجمان للمصحف الشريف وكثير الاقبال عليها لجمال
حروفها وصحتها . وقد ارسلنا منها نسخا الى بعض الاقطار من القطع الوسط والقطع
الصغير . فمن احب ان يرسل اليه شيئاً منها فليرسل لكل نسخة من القطع الوسط
فرندين ومن القطع الصغير فرنكا ونصفاً

جامع الثناء على الله

جمع الشيخ يوسف النبهاني كثيراً من الادعية والاذكار المأثورة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن شيوخ الصوفية وسماها « جامع الثناء على الله » وما زال الذكر والثناء
غذاء الايمان ومن رأينا انه ينبغي المؤمن ان يهتم قبل كل شيء باداء الفرائض
والحقوق التي عليه لله ولنفسه واهله وذوي القربى فاذا وجد وقتاً لنوافل العبادة
فليبدأ بتلاوة القرآن مع التدبر سواء كان ذلك في الصلاة او خارج الصلاة فان خاف

على نفسه الملل انتقل الى الاذكار المأثورة عن الشارع فان وجد من الوقت ما يسمع
المزيد عليها فليقرأ بعض ما كتبه رجال الصوفية . واما الذين يتركون الفرائض
ويعصرون على المآثم ويحصرون قلوبهم بقراءة أوراد الطريق فان التصوف بل
التدين بري من اهوائهم

وانني كنت في أول النشأة أقرأ بعض أوراد الصوفية ومنها ورد السحر
للبركي وكان يكون لذلك تأثير عظيم في نفسي ثم وجدتني بذلك هائما لحق القرآن
عليّ ومشتغلا عنه بكلام لا مخلوعندي من الغلو الذي نهت الآيات عنه وناهيك
بما في القصيدة بين الجببية والميمنة من ذلك . ولاحظت أنهم مراد الصوفية
بمثل قوله « ومل نحو الحمار ابي السرج » واشرب واطرب الخ لم أزد الا ابتداء عن
عن عبادة الله في السحر بهذا الشعر الركيك . على ان هذا الكتاب امثل من
أكثر كتب النهائي وثمنه أربعة قروش ويطلب من اكثر المكاتب المصرية

الراوي

« مجلة روائية ادبية تاريخية اسبوعية » يصدرها في الاسكندرية طانيوس
افندي عبده الكاتب المعروف في عالم الصحافة والأدب فهو لما أوتيته من
حسن الذوق في اختيار القصص الافرنجية وحسن الترجمة جدير بالنجاح في عمله هذا
غني عن تفريلته وقيمة الاشتراك في مجلة الراوي مئة قرش في السنة لاهل مصر والسودان
وثلاثون فرنكا لغيرهم وثمن العدد الواحد ثلاثة قروش

﴿ السياسة المصورة ﴾

جريدة اسبوعية سياسية مصورة بالألوان يصدرها في القاهرة عبد الحميد
افندي زكي وصور هذه الجريدة كلها في السياسة المصرية وهي مطبوعة طبعا متقنا
في أوروبا ويكتب فصولها الافتتاحية حافظ افندي ابراهيم غالبا وقيمة الاشتراك
السنوي فيها ٥٠ قرشا بمصر و ١٥ فرنكا في سائر البلاد

باب الاخبار والآراء

﴿ نادي دارالعلوم الخديوية ﴾

أخذ المتخرجون في مدرسة دارالعلوم المروقة الآن (مدرسة المعلمين الناصرية) نادياً علمياً ادبياً يتعارفون فيه ويتعاونون على ترقية شؤونهم الاجتماعية ويبحثون عن أقوم الطرق وأقربها لتعليم العربية وفنونها وتدريس آدابها وأحياء العلوم بها على النحو الآتي كما في المادة الثانية من قانون النادي

(١) التفتيح عن الكتب النافعة والسعي في نشرها (٢) تنقيح وتصحيح ما ظهر إليه الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم يدون فيه مؤلفات قريية الناول (٤) وضع أسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها أسماء عربية معروفة (٥) البحث في ألقاظ العامة ورد ما له أصل عربي منها إلى أصله والتنبية على الدخيل فيها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الالفاظ الأعبية بحروف عربية (٧) تسهيل فن رسم الحروف (٨) تأليف رسائل في الآداب والأخلاق (٩) محاضرات علمية وادبية ٤

وقد عرف القراء من الجزء الماضي ومن هذا الجزء ان النادي بدأ عمله بالبحث في مسألة أسماء الاجناس ومصطلحات العلوم الاعجمية . وانا أترجو من رجال هذا النادي العاملين ما لا أترجو من غيرهم فانهم أمة وسط في الشعب المصري الذي يجد بعض المعلمين فيه على التقاليد الضيقة حتى في كيفية التعليم وأولع بعضهم بالتقاليد الحديثة حتى ما كان منها مقطعا لروابط الامة الاجتماعية . ولست أعني بهذا تفضيل كل واحد منهم على كل واحد من غيرهم وإنما أعني أنهم بتربيتهم وتعليمهم وسط بين طرفين يوجد في كل منهما أفراد أقرب إلى الاعتدال واجد عن الجمود والتفرنج من كثير ممن هم في الوسط . ولكن طالب الإصلاح والترقي يجد في مجموع الأزهرين غريباً كما أن من ينكر شرب الخمر أو ترك الصلاة من المعلمين في سائر المدارس يجد في مجموعهم غريباً وان كان الكثيرون منهم يصلون ولا يسكرون

ترجمة فقيه الإصلاح

﴿ ذكاء الملك ﴾

كل ما كنا نعرفه عن ذكاء الملك صاحب جريدة « تريت » هو أنه كاتب اصلاحي بليغ غير موثق الفكر بالتقاليد وأنه قد جمع الى استقلال الفكر استقلال الارادة وقوة المزيمة فقد كان يكتب ما يعتقد وإن خالف أهواء الشعب . وما الكتاب الذين جمعوا هذه الصفات بكثيرين فينا فنقول مات ذكاء الملك فخلفه فلان وفلان . كلا بل تمثل بقول الشريف فيمن هو في عصره دون ذكاء الملك في عصره

ويقول من لم يدركك انهم قدوا به عددا من الاعداد
هيات أدرج بن بريدك الردي رجل الرجال وواحد الآحاد

كان ذكاء الملك لعنايته بالاصلاح يتبع أخباره في جميع بلاد الاسلام ويعرف رجاله في جميع الاقطار فعرف السيد جمال الدين الافغانى وكان صديقا له وعشقه المنار بالاستاذ الامام فكان بينهما مواد ومكاتبة وابنه احسن تأبين في جريدته وقد ترجمنا تأبينه ونشرناه في تاريخ الاستاذ الامام . وكان ينقل عن المنار كثيرا . وآخر ما عرفناه من ذلك قوله لما كتبناه في حكومة الشورى في بلاد فارس وقوله ان قول صاحب المنار اعظم تأثيرا في العالم الاسلامي من قول مئة مجتهد من علماء الشيعة أو ما هذا معناه

واعنا مصاب الشعب الفارسي بل الأمة الاسلامية بوقته وتمنينا لو وقفنا على ترجمة حياته بالتفصيل وما زلنا واقفين في موقف التمني حتى من علينا ميرزا محمد القزويني العضو بدار الترجمة الهايونية في طهران بنسخة من جريدة (الصور) الفارسية مع كتاب عربي منه أرسله إلينا من باريس يرغب إلينا فيه بما نحن أشد فيه رغبة وهو ترجمة التقيد لأنه من الحقوق التي تطالبنا بها ذمة طلب الإصلاح وتقرئ طوائف

المسلمين بعضهم من بعض. وكان ذكاء الملك طيب الله ثراه وجزاه أفضل الجزاء من غير الاعوان على هذا الاصلاح . وانا نشر كتاب هذا الفاضل الفيور والصديق الوفي لتفقيده مع الشكر له ثم نشر بعده ترجمة ما كتب في جريدة الصور . وهذا نص الكتاب الذي أرسله الينا من باريس :

غرة زاوية (يناير) سنة ١٩٠٨ و ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢٥

حضرة السيد الفضال العلامة منشى - جريدة المنار الاغر ادام الله ظلك العالي بعد اهداء كمال السلام وأسمى التحيات أظنكم تعرفون الكتاب الشاعر الشهير ذكاء الملك صاحب جريدة « تربيت » الفارسية المنطبعة بطهران ومنشئها منذ إحدى عشرة سنة . فقد كان بينه وبين الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده علائق ودوية ومكاتبات متواصلة وكان الاستاذ الامام يقرأ جريدة تربيت وبقدرها أعظم الجرائد الفارسية نفوذا في الدوائر العالية وأشدّها تأثيراً في قلوب المسلمين الذين يتكلمون بالفارسية ورأيت أنا بنفسي تأليف الاستاذ الامام الي كني أرسلها جميعاً هدية الي ذكاء الملك بطهران مع كتاب ودّي بخط يده يظهر فيه غاية الاعجاب ويشكر فيه ذكاء الملك عما كتبه في جريدته تربيت من خدمات الاستاذ الامام للعالم الاسلامي أجمع ومن جملة عباراته :

« ان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هو العالم الحقيقي الوحيد في كافة الانحاء الاسلامية من صرا كش الي الصين ومن تركستان الي اليمن والسودان الذي يعلم الغرض الأصلي من الاسلام ويعرف تطبيق قواعده على مقتضيات العصر ولاجل تربية امثل هذا الرجل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فان نبغ بين علماء الاسلام كثيرون امثله فان الاسلام يبقى ثابت الاركان والمسلمين يرتقون الي أعلى مدارج المدنية والسعادة والا فلوا استمرّ علماء الاسلام بالجور على ظواهر الاحاديث ونصوص فتاوى المتقدمين كما هم عليه الآن فلي الاسلام السلام الخ »

وبعد وفاة الاستاذ الامام كتب ذكاء الملك ترجمة حياته في جريدة تربيت

بغاية التفصيل والاشباع ونهاية التوقير والتمجيد ثم بعد ذلك كتب ترجمة حاله
ثانياً مترجمة عن المنار الاغر أطول وأبسط من الأولى وكان غالباً يترجم مقالات
المنار الاغر في جريدته

والغرض من هذا الاطّاب تذكار حضرتكم إن كنتم تعرفون ذكاء الملك
وتعريفكم اياه ان لم تكونوا تعرفونه . وما هو ذكاء الملك توفي أيضاً في شهر
رمضان الماضي ومضى الى جانب أستاذه السيد جمال الدين الافغاني والاساذ
الامام الشيخ محمد عبده أفاض الله عليهم جميعاً شايب الفيران . وبما أني كنت
من تلامذة الفقيه ومن خواص أصدقه كتب إلي من طهران بجه جناب ميرزا
محمد علي خان الملّقب بلقب آية ذكاء الملك وطالب مني أن أكتب الى حضرتكم
واستدعي منكم أن تكتبوا (ان استصوبتم ذلك) بضع أسطر في المنار الاغر في
الاعلام بوفاة رجل مسلم من أعظم كتاب اللغة الفارسية وشعرائها في هذا القرن
الاخير وبند يسير في ترجمة حاله . والامر اليكم فانظروا ماذا تأمرون . وكان
المأسوف عليه من أخص أصدقاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ومن أعظم
رجال الاصلاح ومن أكبر أركان النهضة السياسية الاخيرة في بلاد ايران فقد كان
قننه يخلب الالباب ويسحر العقول بما آتاه الله من النفوذ والتأثير وأصابته صدمات
شديدة من أول شيبته الى آخر وفاته بسبب شدة حرصه على الاصلاح وكتابه
المقالات الفراء في حث الحكومة على ادخال النظمات المصرية في ادارات الدولة
وتحرّض العلماء على نفّض الأيدي من التقاليد الجامدة واتعاليم القديمة والمباحث
الانفطية الضئيلة والتأسي بأمثال السيد جمال الدين الافغاني والاساذ الامام الشيخ
محمد عبده وحضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا منشى المنار الاغر وأمثالهم .
وأرسلت طبة جريدة من جرائد طهران الاسلامية تتضمن ترجمة حياة الفقيه
وفي الختام اقبلوا يا حضرة العلامة فائق احقرامي وخلص سلامي

ميرزا محمد قزويني

المضروب دار الترجمة الهابري بطهران

فاجعت أديبا

قد توفي إلى رحمة ربه فيلسوف إيران واديبها الشهير ذكاء الملك طاب ثراه
عصر يوم السبت ١١ رمضان فكان موته ثلثة في بناء العلم والأدب وهيات ان
يفخر الإيرانيون في وقت قريب بمثلثه

اشتغل المرحوم سبعين سنة بخدمة الوطن خدمة خالصة وإحياء موات أديبات
اللغة الفارسية بحرارة الشبية وتجارب الشيخوخة واذا كان الإيرانيون بجهد جاهلهم
وعدم مساعدة حكومتهم المنبذة لم يعرفوا قيمته ولم يوفوه حقه من الاجلال كما
كان حظ أمثاله من العظماء فانهم قد أبقوا ذلك تراثا لخطهم الذين يرحى ان يقدروا
أمثاله قدرهم . ولكن الافرنج قد قدروه قدره في حياته بالتنويه بفضلته والتعريف
به لقومهم حتى ان الفرنسيين لقبوا هذا الرجل فيكتور هوغو الشرق .

ونحن في هذا المدد نذكر خلاصة من ترجمة هذا الفيلسوف العظيم وان
انهل الزمان تقوم بما يجب علينا لهذا الرجل الكامل المحترم

(مختصر ترجمة المرحوم طاب ثراه)

هو المرحوم ميرزا محمد حسين خان المتخلص بفروغي (١) الملقب بذكاء
الملك . ولد في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ بمدينة أصفهان وتوفي يوم السبت ١١
رمضان سنة ١٣٢٥ بطهران فيكون عمر سبعين سنة و٥ أشهر ووالده هو المرحوم
الآقا محمد مهدي المعروف بأرباب من مشاهير أصفهان وكان على اشتغاله بالتجارة
على حظ عظيم من العلم والفضل لا سيما علوم التاريخ والجغرافية والهيئة فان له
فيها تصانيف عديدة . وقد سافر الى الهند واقام فيها طويلا وعاش فضلا
الانكليز واخذ حظا عظيما من العلوم الحديثة والسياسة ولما رجع الى أصفهان قبل
سبعين سنة أراد ان يظهر معارفه ولكن الأذهان في ذلك الزمن لم تكن مستعدة

(١) فروغي معناه الضوء وهذا هو لقبه لادبي الشعري الذي اختاره لنفسه ويعرف

عندهم بالخلص بوزن جعفر وهشتون منه كما رأيت

لقبول هذه النفائس الثمينة فأكب على تحسين حال الزراعة والتجارة في أصفهان وكان يمدته ان يقيد بلاده باكثر مما افادها ولكن عموم الجهل يومئذ حال دون ذلك أما فقيدنا ذكاء الملك فانه بعد ان حصل علوم العربية وأدياً بها ومبادي سائر العلوم سافر من اصفهان الى العراق العربي لاجل تكميل تلك المبادي فكثرت هناك طائفة من الزمان ثم عاد الى أصفهان وكان والده قد عاد من الهند فكانت نتيجة تألف الاب والابن بما كان أفتقه كل منهما ظهور نهضة جديدة في العلم والسياسة فكان ما تولد في دماغه يومئذ من قوة النهضة العلمية هو ما نراه الآن في أدمية شباننا . فأخذ ينبع بشنف عظيم دواوين الشعراء وكتبهم الأديبة ليشجذ بها غرار استعداده الفطري للشعر حتى كان شعره في الخامسة والشرين مساوياً لشعر اساتذة هذا الفن

وسافر للمرة الاولى الى شيراز وطن الشيخ السهدي فنشبت عامئذ حرب أميركا الشهيرة وقل ورود القطن الى معامل أوروبا فانتهز الفقيد هذه الفرصة فاشترى بجميع ما يملكه قطعاً وسافر به الى الهند ولكن ماورته الانواء الشديدة في البحر فاضطر الى القاء بضاعته كلها في البحر كغيره وعاد الى شيراز بخفي حنين . ثم سافر سائحاً الى كرمان ويزد والعراق الهجري وكرمان شاه وهدان والعراق العربي وغيرها من الاقطار فلبث في سياحته هذه أربع عشرة سنة وكان في كل مكان موضع الحفاوة والاكرام من العظام والأمرأء مثل محمد حسين خان وكيل الملك وإمام قلي ميرزا عماد الدولة وأولاده وسائر أهل الكمال والذوق ثم مل السياحة واتخذ طهران مقاماً له فصحبه المرحوم محمد حسن خان اعتماد السلطنة (١) وجعله مساعداً له في الترجمة وتحرير الجريدة الرسمية ولما كانت الجريدة الرسمية قليلة الفائدة حثه صاحب الترجمة على إنشاء جريدة (الاطلاع) الباقية الى الآن (٢) . وكان يساعده في تحرير الفشرات والرسائل والكتب

(١) هو وزير المطبوعات ورئيس دار الترجمة الخاصة الهمايونية يومئذ وكان

من العلماء المصريين وله تصانيف شهيرة منها (مرآة البلدان) عدة مجلدات

(٢) جريدة شهرية تصدر بتفئة الحكومة

العلمية . ولقي ان اعتماد السلطة كان جيئ مواد التأليف من الكتب وغيرها
 وصاحب الترجمة هو الذي يكتبها بقلمه . وكنت تراه دائماً متمللاً متألماً لبلاء
 ابناء وطنه بالمستبدين وكان يفكر دائماً في الاصلاح لا برح ذلك من مخيلته قط
 ومن الشواهد على ذلك أنه من نحو عشرين سنة كانت دت عقارب الساعة
 فيه الى الشاه ناصر الدين بسبب ظهور بوادر هذه الافكار الاصلاحية فأتعبوه
 طائفة من الزمن أي حبسوه مدة مديدة) الى ان تولى المرحوم الشاه مظفر
 الدين قافرج عنه . ولما استنشق نسيم الحرية أنشأ جريدة (تربيت) وهي كما
 لا يخفى اول جريدة حرة أسست في عاصمة ايران

ومن خدمة هذه الجريدة انها ولدت في قوس الايرانيين الرغبة في قراءة
 الجرائد وكأوا الى ذلك العهد ينفرون منها لركاكة عبارتها . وذلك بما جذبهم
 به من انسجام عبارته وبلاغة أسلوبه . ومنها انه كان في زمن الاستبداد ينشر
 فيها جميع الافكار الحرة بأسلوب لا يؤاخذ عليه القاتون . وفي الجملة انه قضى
 عشر سنين في نشر جريدته كان فيها عرضة لا يذاء الاعداء والمحين
 وفي العام الماضي أصابه مرض شديد فخلّ قواه وقد شفي منه الا ان صحته
 لم تعد كما كانت قبله . ولما كان هو الذي يتولى تحرير الجريدة وإثناها اضطر
 في آخر السنة الى إبطالها

ومن خدمته أيضاً اشتغاله بالتدريس والتعليم في مدرسة العلوم السياسية سبع
 سنين وثلاث سنين أخرى في ادارتها . ولوجعت دروسه في تلك المدرسة
 من المسائل الادبية والمعاني والبيان والبديع ومضاربات الشعر وغير ذلك لكان
 مؤلفاً كبيراً

وكان لفقيد مؤلفات كثيرة طبع منها (١) تاريخ سامانيان و (٢) ترجمة
 كتاب السياحة حول الارض في ثمانين يوماً و (٣) كلية هندي و (٤) عشق وعفت
 و (٥) ربحانة الافكار و (٦) قصة جورج الانكليز . وله كتب أخرى مترجمة
 من اللغات الاجنبية . وله شعر كثير ولكن اكثره مفقود والباقي منه يدخل في
 ديوان كامل

خاتمة المجلد العاشر

قد تم المجلد العاشر بحمد الله وحسن توفيقه وبه قطع النار مرحلة الأعداد المفردة، وأشرف على مرتبة الأعداد المركبة، فازداد منشئه بصيرة فيما يدعو إليه، ودرجة استعداد المسلمين له، وانتشع من امامه كثير من السحب، وهتكت من دونه كثائف من الحجب، التي كانت تلبس عليه القياس، فيما يحكم به على الناس، فرأى من أحوال البشر، ما يمد من آيات العبر، وبهذا الاعتبار صدق على النار ما قلناه فيه منذ ثلاث سنين، أنه قد دخل في سن التبخر،

التقصير في إدارة النار

وقد عجزنا في هذه السنة عن إصدار النار في أوقائه وإقامة النظام في إدارته لأسباب طبيعية لا مندوحة عنها أهمها اتساع دائرة العمل وتشعبه مع قصر الساعد وعدم المساعد، فنشئ النار هو الذي يحرره وهو الذي يصحح نموذجات الطبع وهو الذي يكتب المشتركين وينظر في محاسبتهم وهو الذي ينظر في إدارة المطبعة وهو الذي يتولى نصريف مطبوعاتها وينظر في تصحيح سائر ما يطبع فيها ثم إنه يقرأ لبعض من الطلاب درسا في التفسير ودرسا في الحديث ويشغل أحيانا بشيء من التأليف مع قيامه بمعظم خدمة نفسه لأنه يبش عبثة الوحدة

ومن فروع هذه الشواغل أنه أصدر في هذا العام جزئين من تاريخ الاساذ الامام، وأتم طبع جزئين من التفسير لم ينشرها الى الآن، لأنه تمكن من استخراج فهرس لاحدهما ولم يتمكن من استخراج فهرس الآخر. وأتم طبع انجيل برنابا. ولو يعمل في هذه الكتب كلها الا تصحيح كل كراسة منها مرتين او ثلاثا لما كان الوقت الذي اغتاله قليلا

ولولا اني في خجل من الاصدقاء والمهين لي في الغيب بما قصرت في مكانتهم لما أشرت الى هذا العذر واكبر خجلي ممن نلم بمعاملة مالية كطلاب الكتب فقد كان في المكتبة مدير يتولى محاسبتهم وقد نزلنا من اوائل السنة ولم نوفى الى

من يقوم مقامه ولا الى وكيل لادارة المجلة والمطبعة يكفينا امر هذه الجزئيات وبهذا
نصنر ايضا عن تأخر اعام تأليف وطبع جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام

فتاوى المنار

ومما قصرنا به أيضا في هذا العام الاجابة عن الاسئلة ومن أسباب
ذلك ان أكثر الاسئلة التي وردت علينا في هذا العام كانت في مسائل دينوية
ما يفصل فيه القضاة ويهي به الفتون الرسميون وأمثالهم من علماء أحكام
المعاملات ومنها ما كان مرسله يطلب الجواب عنه من نصوص مذهب معين والمنار لم
يتمح باب الفتوى لا مثل هذه المسائل بل لبيان حكم الدين وأمراره واتفاق عقائده مع
العقل وأحكامه مع مصالح البشر ومنافعهم ولرد الشبه الفلسفية والمدنية عنه وما يشكل
من الآيات والأحاديث على القارىء . فهذا ما نلتزم الجواب عنه من المسائل الدينية
وان ابطأنا وأرجأنا ونك الحيار في غيره . ومن سأل سوا الامن هذا القبيل وطال الزمن
على الجواب عنه فليعلم انه قد ضاع قبل وصوله الينا أو بعبارة اخرى فليعلمه الينا ثانية
ومن أسباب ارجاء الجاوبة على بعض الاسئلة ابرادها من خلال كلام آخر
فحتاج الى نسخ السؤال فترجمه الى وقت الفراغ وقبلنا نظفر به .

مكاتبات المنار

وهنا ننبه الى سبب من أسباب تأخير كل ما يطلب من المنار وهو خلط
المطالب فمسي ان يكتب السائل سؤاله أو أسئلته في ورقة لا يكتب فيها شيئا
آخر ليسهل علينا إلقاءها الى المطبعة عاجلا ولا نضع شيئا من الوقت في استنساخها.
كذلك ينبغي لطالب الكتب أن يكتب ما يطلبه في ورقة مستقلة لا يذكر فيها
شيئا من الاسئلة ولا ما يتعلق بشؤون المنار فان كان هناك حساب مشترك
بين ما يطلب للمنار ولتتم الكتب واستقل الكاتب كتابة ورقين فلا بأس
بأن يفصل بين الحسابين في الورقة الواحدة

حال المشتركين

أما حال المشتركين في هذا العام فقد كان كالأعوام الماضية الآن أهل

القاهرة كانوا أحسن أدباً على ما عليه البلاد من المسرة المالية ولكن صائر أهل
 القطر كانوا أقل وقاء منهم في السنين الماضية والاعتذار بالمسرة كان في هذا العام تكأة
 أهل المطل في أكثر المعاملات كما علمنا من هم أوسع اختباراً منا . وكذلك أهل تونس
 كانوا أشد تقصيراً في هذا العام على أنهم لم يقموا في عسرة كعسرة أهل مصر .
 على أن مصر في عسرتها أغنى وأقى وأيسر من تونس وغيرها من بلاد المسلمين
 زادها الله يسراً ووفقها لشكر عليه باستعماله فيما يزيدنا علماً وارتقاءً
 وقد كان يهدد المشتركين كثيراً أيضاً ولكننا لم نجب إلا من أرسلوا القيمة
 صلنا إلا أفراداً متراً إلينا بضمان بعض أصدقائنا على ما اشترطنا .

دعوة المنار والانتقاد عليه

أما دعوة المنار فلم تلق في هذا العام مقاومة شديدة ولكن بعض الجرائد حملت علينا
 حملة منكرة في أول العام لأننا كتبنا بعض مقالات في « الجريدة » التي أنشأها
 بعض السروات وكان الغرض من الحملة تنفيرنا من مساعدة الجريدة التي يقاومون
 سياستها ولم يتعرض الكاتبون إلى الانتقاد على المنار أو الرد على مسائله وإنما
 كان جلها نبرة باللقاب كلقب « الخليفة الكاذب » بمنون خليفة الاستاذ الامام .
 وكتب فريد أفندي وجدي أربع مقالات في جريدة اللواء بمحرك فيها الاضغان
 الجنبية الوطنية على صاحب المنار لأنه غير مصري المولد وقد عرف القراء سبب
 ذلك ولم زله إلا التأثير الحسن في قراء المنار على ما لتزعجات الجنبية من سوء
 التأثير وحل الرواجلة الاسلامية . وهذه النزعة هي العقبة الكوود في طريق الدين
 بمصر وقتنا الله شرها وكفى البلاد أمرها . وكتب الشيخ احمد المنوفي من الهند
 انتقاداً على المنار وصاحبه . ثم رجع عن رأيه ذلك كما رأيت في هذا الجزء . وسنشير
 في فائحة الجزء الآتي إلى موقف الاصلاح في مصر الآن

هذا واننا نتمتع صفحات الجزء بمثل ما دعونا إليه في فائحته من وجوب نقد
 ما يراه أهل العلم خطأ في المنار والدعوة إلى ما يرونه من الصواب فيه والتعاون
 على هذه الخدمة ، والله الموفق وله الحمد على كل حال